ضعيف

تاريخ الطبري

قصص الأنبياء

وتاريخ ما قبل البعثة

للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ)

حققه وخرّج رواياته وعلّق عليه

محمد بن طاهر البرزنجي

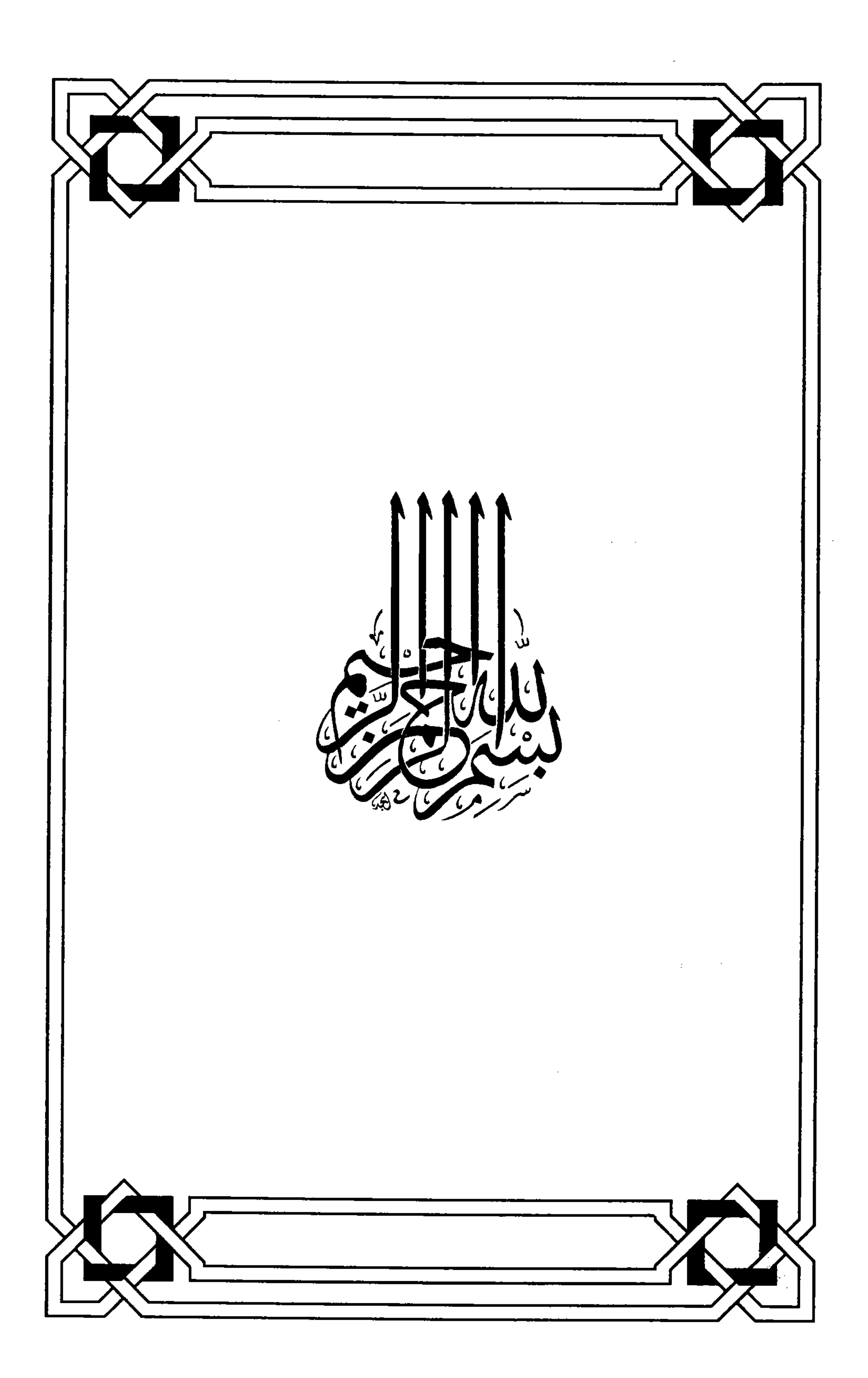
بإشراف ومراجعة المحقق

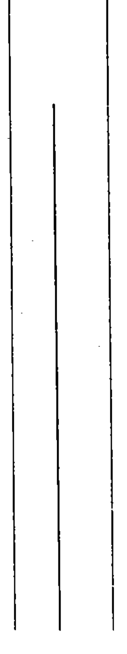
محمد صبحي حسن حلاق

المجلّد السّادس



دمشق - بيروت


بسم الله الرحمن الرحيم



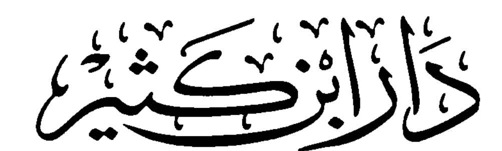

ضعيف
تاريخ الطبري


قصص الأنبياء
وتاريخ ما قبل البعثة



الطبعة الأولى

1428 هـ ـ 2007 م



للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

الرقم الدولي :

الموضوع : تاريخ

العنوان : صحيح و ضعيف تاريخ الطبري 1\10

التأليف : الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

نوع الورق : أبيض

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 5616

القياس : 17×24

نوع التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 10 كغ

التنفيذ الطباعي : مطابع المستقبل

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد



دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ هاتف : 2225877 ـ 2228450 ـ فاكس : 2243502

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 - جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

القول في كم قدر جميع الزمان
من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

اختلف السلف قبلنا من أهل العلم في ذلك ، فقال بعضهم : قدْر جميع ذلك سبعة آلاف سنة .

ذكر من قال ذلك :

١ - حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يحيى بن يعقوب عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومئتي سنة ، وليأتينّ عليها مئون [من] سنين ، ليس عليها موحد[(١)] . (١ : ١٠) .

وقال آخرون : قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة .

ذكر من قال ذلك :

٢ - حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قال كعب : الدنيا ستة آلاف سنة[(٢)] . (١ : ١٠) .

٣ - حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمئة سنة ، وإني لأعرف كلّ زمان منها ، ما كان فيه من الملوك والأنبياء . قلت لوهب بن منبّه : كم الدنيا؟ قال : ستة آلاف سنة[(٣)] . (١ : ١٠) .

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف .

(٣) ضعيف .

٤ - حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا ابن عُيَينة عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد ، قال: قال النبي عند غروب الشمس: «إنما مثلُ ما بقيَ من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه»[١] . (١ : ١٢) .

٥ - حدثنا محمد بن يزيد الأدَمِيّ ، قال: حدثنا أبو ضمرة ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد الساعديّ: أنّ رسول الله قال: «بُعثتُ والساعة كهاتين» - وضم بين إصبعيه الوسطى؛ والتي تلي الإبهام - وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسَيْ رِهان» ، ثم قال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة ، فلما خشِيَ أن يُسبق ألاَح بثوبه: أُتيتم ، أُتِيتم ، أنا ذاك أنا ذاك»[٢] . (١ : ١٤) .

٦ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا أبو نعيم عن بشير بن المهاجر ، قال: حدثني عبد الله بن بُرَيدة ، عن أبيه ، قال: سمعتُ رسول الله يقول: «بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لَتسبِقني»[٣] . (١ : ١٥) .

٧ - حدثني محمد بن عمر بن هياج ، قال: حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال: حدثني عبيدة بن الأسود عن مجالد ، عن قيس بِن أبي حازم ، عن المستورد بن شداد الفهريّ ، عن النبي أنه قال: «بعثت في نَفس الساعة ، سبقتُها كما سبقتْ هذه هذه» ، لإصبعيه السبابة والوسطى ، ووصف لنا أبو عبد الله ، وجَمعهما[٤] . (١ : ١٥) .

٨ - كان بيناً أن أوْلَى القولين - اللذين ذكرتُ في مبلغ قدر مدة جميع الزمان ، اللذين أحدهما عن ابن عباس ، والآخر منهما عن كعب - بالصواب ، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله قولُ ابن عباس ، الذي روينا عنه أنه قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة[٥] .

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) أخرجه الترمذي (٢٢١٣٩) وقال: هذا حديث غريب من حديث المستورد بن شداد لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
(٥) إسناده ضعيف.

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان الخبرُ عن رسول الله صحيحاً: أنه أخبر عن الباقي من ذلك في حياته أنه نصف يوم ، وذلك خمسمئة عام؛ إذْ كان ذلك نصف يوم من الأيام التي قدر اليوم الواحد منها ألف عام كان معلوماً: أن الماضيَ من الدنيا إلى وقت قول النبي ما رويناه عن أبي ثعلبة الخشني عنه ، كان قدر ستة آلاف سنة وخمسمئة سنة ، أو نحواً من ذلك وقريباً منه. والله أعلم.

فهذا الذي قلنا ـ في قدر مدة أزمان الدنيا ، من مبدأ أوّلها إلى منتهى آخرها ـ مِنْ أثبتِ ما قيل في ذلك عندنا من القول ، للشواهد الدالة التي بيناها على صحة ذلك. (١ : ١٦/ ١٧).

٩ ـ وقد روي عن رسول الله خبرٌ يدلُّ على صحة قول من قال: إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة ، لو كان صحيحاً سنده لم نعدُ القولَ به إلى غيره؛ وذلك ما حدّثني به محمد بن سنان القزاز ، قال: حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا زبّان ، عن عاصم ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال: «الحُقْب ثمانون عاماً ، اليوم منها سدس الدنيا»(١).

فبيّن في هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة ، وذلك أن اليومَ الذي هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألفَ سنة من سنِي الدنيا ، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا ، كان معلوماً بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة ، وذلك ستة آلاف سنة. (١ : ١٧).

١٠ ـ وقد زعم اليهود أن جميعَ ما ثبت عندهم ـ على ما في التوراة مما هو فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة ، وذلك في التوراة التي هي في أيديهم اليوم أربعةُ آلاف سنة وستمئة سنة واثنتان وأربعون سنة ، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل ، ونبي نبي ، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد . وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله ، وتفصيل غيرهم ممن فصّله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسير وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله.

وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذي ادّعته اليهود من ذلك باطل ، وأن الصحيحَ من القول في قدْر مدّة أيام الدنيا ـ من لدُنْ خلق الله آدم إلى وقت

(١) ضعيف.

هجرة نبينا محمد على سياق ما عندهم في التوراة التي هي في أيديهم ـ خمسة آلاف سنة وتسعمئة سنة واثنتان وتسعون سنة وأشهر. وذكروا تفصيل ما ادّعوه من ذلك بولادة نبيّ نبيّ، وملك ملك، ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجرة رسول الله ، وزعموا أن اليهودَ إنما نقصُوا ما نقصُوا من عدد سني ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوّة عيسى ابن مريم عليه السلام إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبَتة في التوراة. وقالوا: لم يأت الوقت الذي وُقّت لنا في التوراة أن الذي صفته صفة عيسى يكون فيه، وهم ينتظرون ـ بزعمهم ـ خروجَه ووقته[1]. (١ : ١٧/ ١٨).

١١ ـ وأحسب أن الذي ينتظرونه ويدّعون أن صفته في التوراة مثبتة هو الدّجال الذي وصفه رسول الله لأمته، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود؛ فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد، فهو من نسل اليهود.

وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدْر مدة الزمان من لدن ملك جيُومَرت إلى وقت هجرة نبينا ثلاثة آلاف سنة ومئة سنة وتسع وثلاثون سنة، وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيُومرْت، ويزعمون: أنه آدم أبو البشر. صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله.

ثم أهلُ الأخبار بعدُ في أمره مختلفون؛ فمن قائل منهم فيه مثل قول المجوس، ومن قائل منهم إنه تَسمّى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة، وأنه إنما هو جامر بن يافِث بن نوح، كان بنوح عليه السلام برّاً ولخدمته ملازماً، وعليه حَدِباً شفيقاً، فدعا اللهَ له ولذريته [نوح] ـ لذلك من بره به وخدمته له ـ بطول العمر، والتمكين في البلاد؛ والنصر على من ناوأه وإياهم، واتصال الملك له ولذريته، ودوامه له ولهم؛ فاستجيب له فيه، فأعطى جيُومَرت ذلك وولده، فهو أبو الفرس، ولم يزل الملك فيه وفي ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى، وغلَبة أهل الإسلام إياهم على ملكهم.

ومن قائل غير ذلك؛ وسنذكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا انتهينا

---

(١) ضعيف.

إلى ذكرنا تأريخ الملوك ومبالغ أعمارهم، وأنسابهم وأسباب ملكهم[(١)]. (١: ١٨/ ١٩).

القول في هل كان الله عزّ وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق

١٢ - قد قلنا قبل: إنّ الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإنّ الساعات إنما هي قَطْع الشمس والقمر درجات الفلك.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان صحيحاً عن رسول الله ﷺ ما حدّثنا هَنّاد بن السريّ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعد البقَّال، عن عكرمة، عن ابن عباس - قال هناد: وقرأت سائر الحديث [على أبي بكر] - أن اليهود أتت النبيّ ﷺ فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خَلَقَ الله الأرضَ يوم الأحد والإثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهنّ من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب؛ فهذه أربعة [ثم] قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ - لمن سأل - قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمَر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجالَ مَنْ يحيا ومن يموت، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة، وأمَر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة، ثم قالت اليهود: ثم ماذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش، قالوا: قد أصبتَ لو أتممت: قالوا: ثم استراح، فغضب النبيّ ﷺ غضباً شديداً، فنزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[(٢)]. (١: ٢٢/ ٢٣).

١٣ - حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصُّدَائيّ، قالا:

---

(١) ضعيف.

(٢) في إسناده أبو سعد البقال وهو ضعيف، والحديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٨٨١) والحاكم (٢/ ٥٤٣) وضعفه الذهبي لضعف أبي سعد البقال.

حدثنا حجاج ، قال: قال ابن جُرَيج: أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، آخر خلْق خلَق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل»[(١)] . (١ : ٢٣) .

---

(١) حديث أبي هريرة هذا أخرجه مسلم (ح ٢٧٨٩) وأحمد (ح ٨٣٤١) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٢٤) والنسائي في السنن الكبير (ح ١١٠١٠) وابن حبان (ح ٦١٦١) وأخرجه البخاري في تاريخه معلقاً (١/ ٤١٣/ التأريخ الكبير) وقال البخاري: وقال بعضهم: عن أبي هريرة ، عن كعب وهو أصح ا هـ.
قلنا: ولقد علّق المحدث الألباني رحمه الله على قول البخاري هذا فقال: (من هو هذا البعض؟).
قلنا: ولا يظن أحد من الأئمة أن الإمام البخاري رحمه الله وهو إمام المحدثين يقول هذا بلا مستند والله أعلم.
وقال البيهقي نقلاً عن علي بن المدائني: ما أرى إسماعيل بن أمية أخذ هذا إلا عن إبراهيم بن أبي يحيى.
ثم قال البيهقي:
وقد تابعه على ذلك موسى بن عبيدة الربذي عن أيوب بن خالد إلاّ أن موسى بن عبيدة ضعيف ، وروي عن بكر بن الشرود ، عن إبراهيم بن أبي يحيى عن صفوان بن سليم عن أيوب بن خالد ، وإسناده ضعيف (الأسماء والصفات/ ٣٨٤).
وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:
وقد تكلم في هذا الحديث علي بن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم من الحفاظ: قال البخاري في التأريخ: وقال بعضهم: عن كعب وهو أصح ، يعني أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار ، فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث فهذا يحدث عن صحفه وهذا يحدثه بما يصدقه عن النبي .
فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبي وأكد رفعه بقوله: أخذ رسول الله بيدي ، ثم في متنه غرابة شديدة فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام ، وهذا خلاف القرآن لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم خلقت السموات في يومين من دخان (قصص الأنبياء/ ٤٤) ا. هـ كلام ابن كثير.

١٤ ـ حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع ، قال: حدثنا الفُضَيل بن سليمان ، حدثني محمد بن زيد ، قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال: أخبرني ابن سلام وأبو هريرة ، فذكرا عن النبي الساعة التي في يوم الجمعة ، وذكرا: أنه قالها؛ قال عبد الله بن سلام: أنا أعلم أيّ ساعة هي؛ بدأ الله في خلق السموات والأرض يوم الأحد ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فهي في آخر ساعة من يوم الجمعة[١]. (١ : ٢٣).

١٥ ـ حدّثني المثنّى ، قال: حدَّثنا الحجّاج ، حدَّثنا حمَّاد عن عطاء بن السائب ، عن عِكْرمة: أن اليهود قالوا للنبي : ما يوم الأحد؟ فقال رسول الله : خلق الله فيه الأرض وبسَطها ، قالوا: فالإثنين؟ قال: خلق الله فيه آدم ، قالوا: فالثلاثاء؟ قال: خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله ، قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال: الأقوات ، قالوا: فيوم الخميس؟ قال: خلق السموات ، قالوا: فيوم الجمعة؟ قال: خلق الله في ساعتين الليل والنهار ، ثم قالوا: السبت ـ وذكروا الراحة ـ قال: سبحان الله! فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[٢]. (١/ ٢٣/ ٢٤).

١٦ ـ فقد بيّن هذان الخبران اللذان رويناهما عن رسول الله : أن الشمس

= وقال ابن كثير أيضاً في تفسيره:
وهذا الحديث من غرائب مسلم وقد تكلم عليه بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعبٍ ، وأبو هريرة إنما سمعه من كعب الأحبار ، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً وقد حرر ذلك البيهقي (تفسير القرآن العظيم/ ٢٢٦) ا. هـ.
وقال شيخ الإسلام رحمه الله: هذا الحديث طعن فيه من هو أعلم من مسلم مثل يحيى بن معين ومثل البخاري وغيرهما وذكر البخاري: أن هذا الكلام من كلام كعب الأحبار. وطائفة اعتبرت صحته مثل أبي بكر الأنباري وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهما. والبيهقي وغيره وافقوا الذين ضعفوه وهذا هو الصواب لأنه قد ثبت بالتواتر أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وثبت أن آخر الخلق كان يوم الجمعة فلزم أن يكون أول الخلق يوم الأحد.
(الفضل المبين ٤٣٣). قلنا: والحديث صححه الألباني في سلسلته الصحيحة والله أعلم.

(١) ضعيف.

(٢) إسناد مرسل ضعيف.

والقمر خُلِقا بعد خلق الله أشياء كثيرة من خلْقه؛ وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة فإن كان ذلك كذلك، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما ـ سوى الملائكة وآدم ـ مخلوقةً قبل خلق الله الشمسَ والقمر، وكان ذلك كله ولا ليلَ ولا نهار؛ إذْ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر دَرَج الفلك.

وإذا كان صحيحاً أنّ الأرض والسماء وما فيهما، سوى ما ذكرنا، قد كانت ولا شمس ولا قمر كان معلوماً أن ذلك كلَّه كان ولا ليل ولا نهار. وكذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله ، لأنه أخبر عنه أنه قال: «خلق الله النورَ يوم الأربعاء»، يعني بالنور الشمسَ إن شاء الله[١]. (١ : ٢٤).

١٧ ـ فإن قال لنا قائل: قد زعمتَ أن اليومَ إنما هو اسمٌ لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ثم زعمتَ الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلقَ الأشياء التي خلقها، فأثبتَ مواقيتَ، وسميتها بالأيام، ولا شمس ولا قمر، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً! قيل: إن الله سمّى ما ذكرته أياماً، فسميتُه بالاسم الذي سماه به، وكان وجهُ تسمية ذلك أياماً، ولا شمس ولا قمر؛ نظير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ولا بكرةَ ولا عشيّ هنالك؛ إذ كان لا ليلَ في الآخرة ولا شمس ولا قمر؛ كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾.

فسمّى تعالى ذكره يوم القيامة يوماً عقيماً، إذْ كان يوماً لا ليلَ بعد مجيئه؛ وإنما أريد بتسمية ما سمّى أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدرُ مدة ألف عام من أعوام الدنيا، التي العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا، التي تُعدّ ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر دَرَج الفلك، كما سمّى بُكرةً وعشياً لما يرْزَقه أهلُ الجنة في قدْر المدة التي كانوا يعرفون ذلك من الزمان في الدنيا بالشمس ومجراها في الفلك، ولا شمسَ عندهم ولا ليل[٢]. (١ : ٢٤/ ٢٥).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم.

ذكر بعض من حضرنا ذكره ممن قال ذلك:

١٨ ـ حدثني القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني الحجاج، عن ابن جُريج، عن مجاهد أنه قال: يقضي الله عز وجل أمرَ كل شيء ألفَ سنة إلى الملائكة؛ ثم كذلك حتى يمضيَ ألف سنة، ثم يقضي أمر كلّ شيء ألفاً، ثم كذلك أبداً، قال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: اليوم أن يقول لما يقضي إلى الملائكة ألف سنة: «كن فيكون»، ولكنْ سمّاه يوماً، سمّاه كما شاء. كلّ ذلك عن مجاهد، قال: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال: هو هو سواء.

وبنحو الذي ورد عن رسول الله من الخبر، بأن الله جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك، ورد الخبرُ عن جماعة من السلف أنهم قالوه[١]. (١ : ٢٥/ ٢٦).

ذكر الخبر عمّن قال ذلك منهم:

١٩ ـ حدثنا أبو هشام الرفاعيّ، حدثنا ابنُ يمان، حدثنا سفيان عن ابن جُريج، عن سليمان بن موسى، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾. قال: قال الله عز وجل للسموات: أطلعي شمسي وقمري، وأطلعي نجومي. وقال للأرض: شقّقي أنهارك، وأخرجي ثمارك، فقالتا: أتينا طائعين[٢]. (١ : ٢٦).

٢٠ ـ حدثنا بشر بن معاذ: قال حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قَتادة: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾، خلق فيها شمسَها وقمرها ونجومها وصلاحها[٣]. (١ : ٢٦).

٢١ ـ فقد بيّنتْ هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله وعمّن ذكرناها عنه أن الله عزّ وجلّ خلق السموات والأرض قبل خلقه الزمان والأيام والليالي، وقبل

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

الشمس والقمر. والله أعلم[١]. (١ : ٢٦).

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

وقال آخرون: بل أولُ شيء خلق الله عزّ وجلّ من خلقه النورُ والظلمة.

ذكر من قال ذلك:

٢٢ ـ حدثنا ابن حميد؛ قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: قال ابن إسحاق: كان أول ما خلق الله عز وجل النور والظلمة، ثم ميّز بينهما، فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً[٢]. (١ : ٣٤).

٢٣ ـ فإن قال لنا قائل: فإنك قلتَ: أوْلى القولين ـ اللذيْن أحدهما أنّ أولَ شيء خلق الله من خلقه القلم، والآخر أنه النور والظلمة ـ قولُ من قال: إن أول شيء خلق الله من خلقه القلم، فما وجهُ الرواية عن ابن عباس التي حدثكموها ابن بشار قال: حدّثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان عن أبي هاشم، عن مجاهد، قال: قلت لابن عباس: إن ناساً يكذّبون بالقدَر، فقال: «إنهم يكذّبون بكتاب الله، لآخذَنّ بشعر أحدهم فلأنفضنّ به؛ إن الله تعالى ذِكْرهُ كان على عرْشه قبل أن يخلقَ شيئاً، فكان أوّل ما خلق الله القلم، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فُرِغ منه[٣]؟. (١ : ٣٤/ ٣٥).

٢٤ ـ وعن ابن إسحاق، التي حدّثكموها ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، فكان كما وصفَ نفسَه عزّ وجلّ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، فكان أولُ ما خلق الله النورَ والظلمة[٤]؟ (١ : ٣٥).

ذكر من قال ذلك:

٢٥ ـ حدثنا ابن المثنّى، قال: حدثني عبد الصمد، قال: حدثنا شعبة،

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) شيخ الطبري هنا ضعيف وقد رواه من طريق ابن إسحاق معضلاً.

قال: حدثنا أبو هاشم ، سمع مجاهداً قال: سمعت عبد الله ـ لا يدري ابن عمر أو ابن عباس ـ قال: إن أوّلَ ما خلق الله القلم فقال له: اجرِ ، فجرى القلم بما هو كائن؛ وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فُرِغ منه[(١)] . (١ : ٣٥) .

القول في الذي ثنى خلق القلم

ثم إنّ الله جل جلالُه خلق بعد القلم ـ وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة ـ سحاباً رقيقاً ، وهو الغمام الذي ذكره جل وعز ذكره في محكَم كتابه فقال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ ، وذلك قبل أن يخلق عرْشه ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله[(٢)] . (١ : ٣٧) .

٢٦ ـ حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان ، قالا: حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلَى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رَزين ، قال: قلت: يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عَماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء[(٣)] . (١ : ٣٧) .

٢٧ ـ حدثني المثنى بن إبراهيم، قال: حدثنا الحجاج، قال: حدثنا حماد، عن يعلى بن عطاء، عن وكيع بن حُدُس، عن عمه أبي رَزِين العُقَيليّ، قال: قلت: يا رسول الله ، أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلُق السموات والأرض؟ قال: «في عَماء، فوقه هواء ، وتحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء»[(٤)] . (١ : ٣٧/ ٣٨) .

ثم اختلف في الذي خلَق تعالى ذكره بعد العماء ، فقال بعضهم: خلق بعد ذلك عرشه .

---

(١) إسناده مرسل ضعيف .

(٢) ضعيف .

(٣) في إسناده وكيع بن حدس ضعيف والحديث أخرجه أحمد (١٦١٨٨) و(١٦٢١٠) والترمذي (٣١٠٩) وابن ماجه (١٨٢) من طريق وكيع بن حدس وحسنه الترمذي وليس كذلك فابن حدس هذا ضعيف .

(٤) ضعيف .

ذكر من قال ذلك:

٢٨ - حدثني محمد بن سنان، حدثنا أبو سلمة، قال: حدثنا حيان بنُ عبيد الله، عن الضحاك بن مزاحم، قال، قال ابن عباس: إن الله عزّ وجل خلق العرش أوّلَ ما خلق، فاستوى عليه[١]. (١ : ٣٩).

وقال آخرون: خلق الله عزّ وجلّ الماء قبل العرش، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء.

ذكر من قال ذلك:

٢٩ - حدثنا موسى بن هارون الهمْدانيّ، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط بن نصر، عن السُّديّ في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرّة الهمْدَانيّ عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله قالوا: إن الله عزّ وجلّ كان عرشهُ على الماء، ولم يخلق شيئاً غيرَ ما خلق قبل الماء[٢]. (١ : ٣٩).

٣٠ - حدّثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقِل، قال: سمعت وهب بن منبّه يقول: إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صَفاة الماء قبضة، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً، ثم قضاهنّ سبع سموات في يومين، وَدَحا الأرض في يومين، وفرغ من الخلق اليوم السابع.

وقد قيل: إن الذي خلق ربُّنا عزّ وجلّ بعد القلم الكرسيُّ، ثم خلق بعد الكرسيّ العرش، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات، ثم خلق الماء، فوضع عرشه عليه[٣]. (١ : ٣٩).

---

(١) في إسناده حيان بن عبيد الله فإن كان المروزي فهو مجهول وإن كان أبا زهير فهو ضعيف. (لسان الميزان/ ٣٠٧٣).

(٢) لم نجد لشيخ الطبري هنا ترجمة والطبري نفسه لم يعتبر هذا الإسناد صحيحاً كما أشار في بداية تفسيره جامع البيان.

(٣) وهب بن منبه كثير الإرسال والأوهام وهو معروف بأخذه من الروايات الإسرائيلية.

٣١ - قال أبو جعفر: وأوْلى القولين في ذلك عندي بالصواب قولُ من قال: إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش؛ لصحة الخبر الذي ذكرتُ قبلُ عن أبي رَزين العُقَيليّ عن رسول الله ﷺ أنه قال حين سئل: أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء، ما تحته هواءٌ، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء»، فأخبر ﷺ أن الله خلق عرشه على الماء. ومحال إذا كان خَلقه على الماء أن يكون خلقه عليه؛ والذي خلقه عليه غيرُ موجود، إما قبله أو معه؛ فإذا كان ذلك كذلك، فالعرش لا يخلُو من أحد أمرين؛ إما أن يكون خُلِق بعد خلق الله الماء، وإما أن يكون خُلِق هو والماء معاً. فأما أن يكونَ خلقه قبل خلق الماء؛ فذلك غيرُ جائز صحته على ما رُوى عن أبي رَزِين، عن النبيّ ﷺ[1]. (١: ٤٠).

وقد قيل: إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه، فإن كان ذلك كذلك، فقد كان الماء والريح خُلِقا قبل العرش.

ذكر من قال: كان الماء على متن الريح:

٣٢ - حدثني ابن وكيع، قال: حدثنا أبي عن سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قال: سئل ابن عباس عن قوله عزّ وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: على أيّ شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح[2]. (١: ٤٠).

٣٣ - حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدّثنا محمد بن ثوْر عن معمّر، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، قال: سئل ابنُ عباس عن قوله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾: على أيّ شيء كان الماء؟ قال: على متن الريح[3]. (١: ٤٠).

٣٣/ أ - حدثنا القاسم بن الحسن، حدثنا الحسين بن داود، حدثني حجاج،

---

(١) قد بينا ضعف حديث أبي رزين العقيلي فلا يصح.
(٢) شيخ الطبري هنا ضعيف وقد رواه موقوفاً على ابن عباس مع عنعنة الأعمش وهو مدلس.
(٣) ضعيف.

عن ابن جُرَيج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله[١] . (١ : ٤١) .

قال : والسموات والأرض وكلّ ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل ـ فيما قيل ـ الكرسيّ .

ذكر من قال ذلك :

٣٤ ـ حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول ـ وذكَر من عظمته ـ فقال : إن السموات والأرض والبحار لفي الهيكل ، وإن الهيكل لفي الكرسيّ ، وإن قدميه عزّ وجلّ لَعَلى الكرسيّ ، وهو يحمل الكرسي ، و[قد] عاد الكرسيّ كالنعل في قدميه .

وسئل وهب : ما الهيكل؟ قال : شيء من أطراف السموات محدِق بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط .

وسئل وهب عن الأرضين : كيف هي؟ قال : هي سبع أرضين ممهّدة جزائر ، بين كل أرضَين بحرٌ ، والبحر محيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر[٢] . (١ : ٤١) .

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلقه سائر خلقه ألف عام .

ذكر من قال ذلك :

٣٥ ـ حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا مبشر الحلبيّ عن أرْطاة بن المنذر ، قال : سمعتُ ضَمرة يقول : إن اللهَ خلق القلم ، فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إنّ ذلك الكتاب سبّح الله ومجّده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جلّ جلالُه خَلْق السموات والأرض خلق ـ فيما ذُكر ـ أياماً ستة ، فسمَّى كلّ يوم منهنّ باسمٍ غير الذي سمّى به الآخر[٣] . (١ : ٤١) .

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف وهو من الإسرائيليات .

(٣) ضعيف .

وقيل: إن اسم أحد تلك الأيام الستة أبجد، واسم الآخر منهنّ هوّز، واسم الثالث منهنّ حُطّي، واسم الرابع [منهن] كلمنْ، واسم الخامس [منهنّ] سعفص، واسم السادس منهنّ قرشت.

ذكر من قال ذلك:

٣٦ ـ حدثني الحضرميّ، قال: حدثنا مصرّف بن عمرو اليامىّ، حدثنا حفص بن غياث، عن العلاء بن المسيّب، عن رجل من كندة، قال: سمعت الضحاك بن مزاحم يقول: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، ليس منها يوم إلاّ له اسم: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت[1]. (١ : ٤٢).

٣٧ ـ وقد حدّث به عن حفص غير مصرّف، وقال: عنه، عن العلاء بن المسيّب، قال: حدّثني شيخ من كندة قال: لقيت الضّحاك بن مزاحم، فحدّثني قال: سمعت زيد بن أرقم قال: إنّ الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام؛ لكل يوم منها اسم: أبجد، هوّز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت[2]. (١ : ٤٢).

وقال آخرون: بل خلق الله واحداً فسماه الأحد، وخلق ثانياً فسماه الإثنين، وخلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ورابعاً فسماه الأربعاء، وخامساً فسماه الخميس.

ذكر من قال ذلك:

٣٨ ـ حدّثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق عن شريك، عن غالب بن غلاّب، عن عطاء بن أبي رَباح، عن ابن عباس، قال: إن الله خلقَ يوماً واحداً فسماه الأحد، ثم خلقَ ثانياً فسماه الإثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس[3]. (١ : ٤٢).

وهذان القولان غير مختلفين، إذْ كان جائزاً أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله عطاء، وبلسان آخرين، على ما قاله الضحاك بن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

مزاحم[١]. (١ : ٤٣).

واختلف السلف في اليوم الذي ابتدأ الله عزّ وجل فيه في خلق السموات والأرض ، فقال بعضهم : ابتدأ في ذلك يوم الأحد.

ذكر من قال ذلك :

٣٩ : حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن الشيبانيّ ، عن عون بن عبد الله بن عُتْبة ، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : قال عبد الله بن سلاَم : إن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق ، فخلق الأرضَ يوم الأحد ويوم الإثنين[٢]. (١ : ٤٣).

٤٠ ـ حدثني المثنّى بن إبراهيم ، حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سَلاَم أنه قال : إن الله عزّ وجلّ بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرَضين في الأحد ، والإثنين[٣]. (١ : ٤٤).

٤١ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد ، والإثنين[٤]. (١ : ٤٤).

٤٢ ـ حدثني محمد بن أبي منصور الآمُليّ ، حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم مقداره ألف سنة ، ابتدأ الخلق يوم الأحد[٥]. (١ : ٤٤).

٤٣ ـ حدثني المثنّى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عَوانة ، عن أبي بشر ، عن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

مجاهد ، قال : بدأ الخلق يوم الأحد[١]. (١ : ٤٤).

وقال آخرون : اليوم الذي ابتدأ الله فيه في ذلك يوم السبت .

ذكر من قال ذلك :

٤٤ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد ابن أبي إسحاق ، قال : يقول أهلُ التوراة : ابتدأ الله الخلق يوم الأحد : وقال أهلُ الإنجيل : ابتدأ الله الخلقَ يوم الإثنين ، ونقول نحن المسلمون فيما انتهى إلينا من رسول الله : ابتدأ الله الخلق يوم السبت[٢]. (١ : ٤٤).

٤٥ ـ وقد روي عن رسول الله الذي قال كلّ فريق من هذين الفريقين اللذين قال أحدهما : ابتدأ الله الخلق في يوم الأحد ، وقال الآخر منهما : ابتدأ في يوم السبت ، وقد مضَى ذكرُنا الخبرين ، غيرَ أنا نعيد من ذلك في هذا الموضع بعضَ ما فيه من الدلالة على صحة قول كل فريق منهما[٣]. (١ : ٤٤/ ٤٥).

٤٦ ـ فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون : كان ابتداء الخلق يوم الأحد؛ فما حدثنا به هنّاد بن السّريّ ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ـ قال هناد : وقرأت سائرَ الحديث ـ أن اليهودَ أتت النبي فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : «خلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين»[٤]. (١ : ٤٥).

٤٧ ـ وأما الخبرُ عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت؛ فما حدثني القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن علي الصّدَائيَ ، قالا : حدثنا حجاج : قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه بيدي ، فقال : «خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .

الجبال يوم الأحد»[١]. (١ : ٤٥).

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

اختلف السلفُ من أهل العلم في ذلك:

٤٨ ـ فقال بعضهم ما حدثني به المثنّى بن إبراهيم، قال: حدّثنا عبد الله بن صالح، حدّثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد، عن عبد الله بن سلاَم، أنه قال: إن الله بدأ الخلق يوم الأحد، فخلق الأرَضين في الأحد والإثنين، وخلق الأقواتَ والرواسيَ في الثلاثاء والأربعاء، وخلقَ السموات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة، فخلق فيها آدم على عَجَل، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة[٢]. (١ : ٤٧).

٤٩ ـ حدثني موسى بن هارون، حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط عن السدّي، في خبرٍ ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدَانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي قالوا: جعل ـ يعنون: ربنا تبارك وتعالى ـ سبع أرضين في يومين: الأحد والإثنين، وجعل فيها رواسي أنْ تميدَ بكم؛ وخلق الجبال فيها وأقواتَ أهلها، وشجرَها وما ينبغي لها في يومين: في الثلاثاء والأربعاء، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فجعلها سماءً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين: الخميس والجمعة[٣]. (١ : ٤٧).

٥٠ ـ حدثنا تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق عن شريك، عن غالب [بن غلاب]، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: خلق الله الأرض في يومين. الأحد والإثنين.

ففي قول هؤلاء خُلِقت الأرض قبل السماء؛ لأنها خلقت عندهم في الأحد

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) لم يصحح الطبري هذا الإسناد كما ذكر في بداية تفسيره.

والإثنين[١] . (١ : ٤٧) .

٥٠/أ ـ قال أبو جعفر : والصوابُ من القول في ذلك عندنا ما قاله الذين قالوا : إنّ الله خلق الأرض يومَ الأحد ، وخلق السماء يومَ الخميس ، وخلق النجومَ والشمس والقمر يومَ الجمعة لصحةِ الخبر الذي ذكرنا قبلُ عن ابن عباس ، عن رسول الله بذلك[٢] . (١/ ٤٨) .

وقد قيل : إن الله خلق البيتَ العتيق على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألفيْ عام ، ثم دُحِيت الأرض من تحته .

ذكر من قال ذلك :

٥١ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حَدثنا يعقوب القُمِّيّ عن جعفر ، عن عِكرِمة ، عن ابن عباس قال : وُضِع البيت على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألفيْ عام ، ثم دُحيت الأرضُ من تحت البيت[٣] . (١ : ٤٩) .

٥٢ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا مهران ، عن سُفيان ، عن الأعمش ، عن بُكير بن الأخنس ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر ، قال : خلق الله البيتَ قبل الأرض بألفي سنة ، ومنه دحِيت الأرض[٤] . (١ : ٤٩) .

٥٣ ـ وقد حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثني مِهران عن أبي سنان ، عن أبي بكر ، قال : جاء اليهود إلى النبيّ فقالوا : يا محمد ، أخبِرْنا : ما خَلق الله من الخلْق في هذه الأيام الستة؟ فقال : خلَق الأرض يومَ الأحد والإثنين ، وخلَق الجبال يومَ الثلاثاء ، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمرَانها وخرابها يومَ الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعات بَقِين من يوم الجمعة ، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال ، وفي الثانية الآفة ، وفي الثالثة آدم. قالوا : صدقت إن أتممت ، فعرَف النبيّ ما يريدون ، فغضب ،

---

(١) غالب هذا لم نجد له ترجمة إلا أن يكون غالب بن غالب قال العقيلي : عن أبيه عن جده إسناد مجهول (لسان الميزان/ ٦٦٥٢) والخبر موقوف على أية حال.

(٢) ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف إلى ابن عباس.

(٤) شيخ الطبري هنا ضعيف ومتهم بالكذب.

فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾[١]. (١ : ٥٠).

٥٤ - فإن قال قائل: فإن كان الأمر كما وصفتَ من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء، فما معنى قول ابن عباس الذي حدَّثكُموه واصل ابن عبد الأعلى الأسديّ، قال: حدثنا محمد بن فُضَيل عن الأعمش، عن أبي ظَبْيان، عن ابن عباس قال: أولُ ما خلق الله تعالى من شيء القلم، فقال له: اكتب، فقال: وما أكتب يا رب؟ قال: اكتب القَدَر، قال: فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة، ثم رفع بخارَ الماء ففتَق منه السموات، ثم خلق النون، فدُحِيت الأرض على ظهره، فاضطرب النون، فمادت الأرض فأثبِتت بالجبال، فإنها لَتفخر على الأرض[٢]. (١ : ٥٠).

٥٥ - حدثني واصل، قال: حدثنا وكيع عن الأعمش، عن أبي ظَبْيَان، عن ابن عباس نحوه[٣]. (١ : ٥١).

٥٦ - حدثنا ابن المثنى، قال: حدثنا ابن أبي عديّ عن شعبة، عن سليمان، عن أبي ظَبْيَان، عن ابن عباس، قال: أولُ ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن، ثم رفع بخارَ الماء، فخلِقت منه السموات، ثم خلق النون، فبُسِطت الأرض على ظهر النون، فتحرّك النون، فمادَتِ الأرض فأثبتت بالجبال، فإن الجبال لَتفخر على الأرض. قال: وقرأ: ﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[٤]. (١ : ٥١).

٥٧ - حدثني تميم بن المنتصر، قال: أخبرنا إسحاق عن شريك، عن الأعمش، عن أبي ظَبيان ـ أو مجاهد ـ عن ابن عباس بنحوه، إلا أنه قال:

(١) ضعيف.

(٢) مثل هذه الأخبار لم تصح عن رسول الله وقد رواه الطبراني (٨٦٥٢) عن ابن عباس مرفوعاً وقال: لم يرفعه عن حماد بن يزيد إلا مؤمل بن إسماعيل.
وقال الهيثمي: ومؤمل ثقة كثير الخطأ وقد وثقه ابن معين وغيره وضعفه البخاري وغيره [مجمع الزوائد/ ح ١١٤٣٤].
قلنا: والله سبحانه يقول (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض) فلا حجة في هذه الأخبار إلا ما صح سنده إلى رسول الله.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

ففتقت منه السموات[١]. (١ : ٥١).

٥٨ ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثني سليمان عن أبي ظَبْيان، عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله تعالى القلم فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدَر، قال: فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة. ثم خلق النُّون، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء، وبسطِت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فمادت الأرض فأثبِتتْ بالجبال، قال: فإنها لَتفخر على الأرض[٢]. (١ : ٥١).

٥٩ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضّحى مسلم بن صُبَيْح، عن ابن عباس قال: أولُ شيء خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، ثم خلق النون فوق الماء، ثم كبَس الأرض عليه.

قيل: ذلك صحيح على ما رُوى عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحاً مفسَّراً غيرَ مخالف شيئاً مما رويناه عنه في ذلك[٣]. (١ : ٥٢).

فإن قال: وما الذي رُوي عنه وعن غيره من شرح ذلك الدالّ على صحةِ كلِّ ما رويتَ لنا في هذا المعنى عنه؟

٦٠ ـ قيل له: حدثني موسى بن هارون الهمْدانيّ وغيره، قالوا: حدثنا عمرو بن حماد، حدثنا أسباط بن نصر عن السدّي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مُرَّة الهمْدانيّ عن عبد الله بن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قال: إن الله تعالى كان عرشُه على الماء ولم يخلق شيئاً غيرَ ما خلق قبل الماء، فلما أراد أن يخلُق الخلْق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء، فسما عليه، فسمَّاه سماءً، ثم أيبس الماء، فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرَضين في يومين، في الأحد والإثنين،

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

فخلق الأرض على حوت ـ والحوت هو النون الذي ذكر الله عز وجلّ في القرآن: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ ـ والحوت في الماء، والماء على ظهر صَفاة، والصَّفاة على ظهر مَلَك، والملك على صخرة، والصخرة على الريح ـ وهي الصخرة التي ذكر لقمان ـ ليست في السماء ولا في الأرض، فتحرَّك الحوت فاضطرب، فتزلزلت الأرضُ، فأرسى عليها الجبال فقرّت، فالجبال تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[١]. (١: ٥٢/ ٥٣).

٦٠/ أ ـ قال أبو جعفر: فقد أنبأ قولُ هؤلاء الذين ذكرتُ: أنّ الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلُق السموات والأرض، فسما عليه ـ يَعنون بقولهم: «فسما عليه» علا على الماء، وكلُّ شيء كان فوق شيء عالياً عليه فهو له سَماءُ ـ ثم أيبس بعد ذلك الماء، فجعله أرضاً واحدة: أن الله خلق السماء غير مسوّاة قبل الأرض، ثم خلَق الأرض.

وإن كانَ الأمر كما قال هؤلاء، فَغيرُ محال أن يكون الله تعالى أثارَ من الماء دخاناً فعلاَّه على الماء، فكان له سماء، ثم أيبس الماء فصار الدخان الذي سما عليه أرضاً، ولم يدحُها، ولم يقدِّر فيها أقواتها، ولم يُخرِج منها ماءها ومرعاها، حتى استوى إلى السماء؛ التي هي الدخان الثائر من الماء العالي عليه، فسوَّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض التي كانت ماءً فيبَّسه ففتقه، فَجعلها سبع أرضين، وقدَّر فيها أقواتها، وَ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾، كما قال عزّ وجلّ. فيكون كلّ الذي روي عن ابن عباس في ذلك ـ على ما رويناه ـ صحيحاً معناه[٢]. (١: ٥٣).

٦٠/ ب ـ وأما يومُ الإثنين فقد ذكرنا اختلافَ العلماء فيما خلق فيه، وما رُوي في ذلك عن رسول الله قبلُ.

وأما ما خلق في يوم الثلاثاء والأربعاء، فقد ذكرنا أيضاً بعضَ ما رُوي فيه،

---

(١) هذا إسناد لم يصحح الطبري نفسه بل قال فيه: ولا أظنه صحيحاً كما في بداية تفسيره.
وقال الحافظ عقب الرواية (مختصرة): هذا الإسناد يذكر به السدي أشياء كثيرة فيها غرابة وكان كثير منها متلقى من الإسرائيليات (البداية والنهاية ١/ ٤٤).

(٢) هذه أقوال واستنباطات لا تقوم بها حجة والله سبحانه يقول: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] فلا حجة إلاّ بخبر عن الصادق المصدوق عليه السلام.

ونذكر في هذا الموضع بعضَ ما لم نذكر منه قبل[١] . (١/ ٥٣) .

٦١ ـ فالذي صحّ عندنا: أنه خلَق فيهما ما حدثني به موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط عن السُّديّ ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدانيّ ، عن عبد الله بن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله : وخلق الجبال فيها ـ يعني: في الأرض ـ وأقواتَ أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين: في الثلاثاء والأربعاء؛ وذلك حين يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾؛ يقول: مَنْ سأل؛ فهكذا الأمر ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان مِن تنفّس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتَقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة[٢] . (١: ٥٣/ ٥٤) .

٦٢ ـ حدثني المثنى ، قال: حدثنا أبو صالح ، قال: حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، قال: إن الله تعالى خلق الأقواتَ والرواسيَ في الثلاثاء والأربعاء[٣] . (١ : ٥٤) .

٦٣ ـ حدثني تميم بن المنتصر ، قال: أخبرنا إسحاق عن شريك ، عن غالب بن غلاّب ، عن عطاء بن أبي رَباح ، عن ابن عباس ، قال: إن الله تعالى خلقَ الجبال يوم الثلاثاء ، فذلك قول الناس: هو يوم ثَقيل[٤] . (١ : ٥٤) .

٦٤ ـ قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا ما رويناه عن النبي ، قال: «إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيهنّ من المنافع ، وخلَق يوم الأربعاء الشجرَ ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والخراب. حدثنا

---

(١) ضعيف.

(٢) إسناده غير صحيح عند الطبري ، والسدي يروى بهذا الإسناد كثيراً من الإسرائيليات (البداية والنهاية ١/ ٤٤).

(٣) ضعيف. وهو خبر موقوف على ابن سلام رضي الله عنه وهو من الصحابة العلماء بالتوراة والإنجيل ، كان يهودياً فأسلم.

(٤) ضعيف.

بذلك هنّاد ، قال: حدثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن أبي سعد البقّال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبي [(١)] . (١ : ٥٤) .

٦٥ - وقد روي عن النبي أن الله خلق الجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، حدثني به القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن علي الصُّدائيّ ، قالا: حدثنا حجاج ، قال ابن جريج: أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أمّ سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي .

والخبرُ الأولُ أصحُّ مخرجاً ، وأوْلَى بالحق ، لأنه قول أكثر السلف [(٢)] . (١ : ٥٤/ ٥٥) .

٦٦ - وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات ، ففتقتْ بعد أن كانت رَتْقاً ، كما حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السُّديّ ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرّة الهمْدانيّ عن عبد الله بن مسعود - وعن ناسٍ من أصحاب النبي : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ ، وكان ذلك الدخان من تنفُّس الماء حين تنفس وجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة [(٣)] . (١ : ٥٥) .

٦٦/ أ - وإنما سُمّي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ قال: خلق في كل سماء خلْقها من الملائكة ، والخلْق الذي فيها من البحار وجبال البرَد وما لم يُعْلَم ، ثم زيَّن السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلْق ما أحبّ استوى على العرش. فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ ، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ [(٤)] . (١ : ٥٥) .

---

(١) في إسناده أبو سعيد البقال ضعيف ، وانظر ما سبق.
(٢) ضعيف.
(٣) لم يصححه الطبري نفسه ، وروى السدي بهذا الإسناد أخباراً كثيرة متلقاة من الإسرائيليات.
(٤) ضعيف.

٦٧ - حدثني المثنى ، حدثنا أبو صالح ، قال: حدثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلاَم ، قال: إن الله تعالى خلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فخلق فيها آدم على عَجل ، فتلك الساعةُ التي تقوم فيها الساعة[١] . (١ : ٥٥/٥٦) .

٦٨ - حدثني تميم [بن المنتصر] ، قال: أخبرنا إسحاق عن شريك ، عن غالب بن غلاَّب ، عن عطاء بن أبي رَبَاح ، عن ابن عباس ، قال: إن الله تعالى خلق مواضع الأنهار والشَّجر يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش والهوامّ والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلْق كل شيء يوم الجمعة[٢] . (١ : ٥٦) .

٦٩ - وهذا الذي قاله مَنْ ذكرنا قوله من أن الله عزّ وجلّ خلق السموات والملائكة وآدم في يوم الخميس والجمعة هو الصحيح عندنا؛ للخبر الذي حدثنا به هنّاد [بن السريّ] قال: حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس ، عن النبيّ ـ قال: هناد ، وقرأتُ سائر الحديث ـ قال: وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوَم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أوّل ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجالَ؛ مَنْ يحيا ومن يموت ، وفي الثانية ألقى الآفة على كلّ شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم ، وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود ، وأخرجه منها في آخر ساعة[٣] . (١ : ٥٦) .

٧٠ - حدثني القاسم بن بشر [بن معروف] ، والحسين بن عليّ الصُّدائيّ ، قالا: حدثنا حجاج ، قال ابن جريج: أخبرني إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال: أخذ رسول الله بيدي فقال: «وبثّ فيها ـ يعني: في الأرض ـ الدوابّ يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلْق في آخر ساعة ، من

---

(١) المثنى شيخ الطبري لم نجد له ترجمة ، والخبر موقوف.

(٢) في إسناده غالب بن غلاب لم نجد له ترجمة ، والخبر موقوف.

(٣) في إسناده أبو سعيد البقال ضعيف وقال البخاري: منكر الحديث ، وقال ابن معين: ليس بشيء (تهذيب التهذيب/ ٢٣٣٥).

ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[١] . (١ : ٥٦) .

٧٠/ أ ـ فإذا كان الله تعالى ذكره خلَق الخَلْق من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلْق جميعهم في ستة أيام ، وكان كلُّ يوم من الأيام الستة التي خلقهم فيها مقدارُه ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابة [كلّ] ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ، وذلك يوم من أيام الآخرة التي قَدْر اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا ـ كان معلوماً: أن قَدْر مدة ما بين أول ابتداء ربنا عزّ وجلّ في خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام. يزيد إن شاء الله شيئاً أو ينقص شيئاً ، على ما قد روينا من الآثار والأخبار التي ذكرناها ، وتركنا ذكرَ كثير منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها[٢] . (١ : ٥٦/ ٥٧) .

٧٠/ ب ـ وإذا كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً: أن مدّة ما بين فراغ ربّنا تعالى ذكره ـ من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبلُ ، واستشهدنا من الشواهد ، وبما سنشرح فيما بعد ـ سبعة آلاف سنة ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ـ كان معلوماً بذلك أن مدةَ ما بين أول خلقٍ خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا؛ وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ، سبعةُ أيام من ذلك ـ وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ـ مدة ما بين أول ابتداء الله جلَ وتقدس في خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم ـ وهو آدم أبو البشر صلوات الله عليه ، وسبعة أيام أخر ، وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ، من ذلك مدّة ما بين فراغه جلّ ثناؤه من خلق آخر خلقه ـ وهو آدم ـ إلى فناء آخرهم وقيام الساعة ، وَعوْد الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير القديم الباريء الذي له الخلق والأمر الذي كان قبل كلِّ شيء ، فلا شيء كان قبله ، والكائن بعد كلّ شيء فلا شيء يبقى غير وجهه الكريم[٣] . (١ : ٥٧) .

---

(١) ضعيف .

(٢) لم نجد فيما بين أيدينا من كتب السنة من حديث مرفوع صحيح : أن كل يوم من الأيام الستة يعادلها ألف سنة من أيام الدنيا ، والله أعلم .

(٣) هذا استنباط وتخمين لا يستند إلى خبر صحيح عن الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .

٧٠/ج - فإن قال قائل: وما دليلُك على أن الأيامَ الستة التي خلق الله فيهنّ خلْقه كان قدْر كلّ يوم منهنّ قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك كأيام أهل الدنيا التي يتعارفونها بينهم، وإنما قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، فلم يُعلمنا أن ذلك كما ذكرت، بل أخبرنا: أنه خلق ذلك في ستة أيام، والأيام المعروفة عند المخاطَبين بهذه المخاطبة هي أيامهم التي أوّلُ اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس، ومن قولك: إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به في تنزيله إنما هو موجّه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه، وقد وجهتَ خبرَ الله في كتابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام إلى غير المعروف من معاني الأيام، وأمرُ الله عزّ وجلّ إذا أراد شيئاً أن يكوّنه أنفذُ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام؛ مقدارهنّ ستة آلاف عام من أعوام الدنيا، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون؛ وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾؟

قيل له: قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا: إنا إنما نعتمد في معظم ما نَرسمه في كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفِكَر؛ إذ أكثره خبرٌ عما مضى من الأمور، وعما هو كائن من الأحداث، وذلك غير مدرَك علمه بالاستنباط والاستخراج بالعقول.

فإن قال: فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر؟

قيل: ذلك ما لا نعلم قائلاً من أئمة الدين قال خلافه.

فإن قال: فهل من رواية عن أحد منهم بذلك؟

قيل: عِلْم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه، وقد رُوى ذلك عن جماعة منهم مسمّيْن بأعيانهم. فإن قال: فاذكرهم لنا[١]. (١ : ٥٧/ ٥٨).

---

(١) رحم الله الطبري فلقد أثبت هنا أنه لم يعتمد في استنباطه هذا على خبر صحيح إسناده إلى رسول الله .

وأما الآثار الموقوفة فلا حجة فيها عن أمور حدثت عند بدء الخليقة قال عنها سبحانه ﴿مَّآ =

٧١ ـ قيل: حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا حَكام: عن عنبسة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خلق الله السموات والأرض في ستة أيام، فكلّ يوم من هذه الأيام كألف سنة مما تعدون أنتم[١]. (١ : ٥٩).

٧٢ ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال: الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض[٢]. (١ : ٥٩).

٧٣ ـ حدثنا عبدة، حدثني الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عُبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما[٣]. (١ : ٥٩).

٧٤ ـ حدثني المثنَّى، حدثنا عليّ عن المسيّب بن شريك، عن أبي رَوْق، عن الضّحاك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾. قال: من أيام الآخرة، كلّ يوم كان مقداره ألف سنة، ابتدأ في الخلق يوم الأحد، واجتمع الخلق يوم الجمعة[٤]. (١ : ٥٩).

٧٥ ـ حدثنا ابن حُميد قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح: عن كعب، قال: بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وفرغ منها يوم الجمعة، قال: فجعل مكان كلّ يوم ألف سنة[٥]. (١ : ٥٩).

٧٦ ـ حدثني المثنى قال: حدثنا الحجاج، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بِشْر،

= ﴿أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . .﴾ وخصوص سبب النزول لا ينفي عموم اللفظ والله أعلم.

(١) شيخ الطبري ضعيف وقد رواه موقوفاً. وأخرجه الحاكم من طريق سماك بن عكرمة به موقوفاً وصححه (٢/ ٤١١) وفي تصحيحه نظر فسماك عن عكرمة مضطرب.

(٢) شيخ الطبري ضعيف وقد رواه موقوفاً.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

(٥) ضعيف.

عن مجاهد ، قال: يوم من الستة الأيام كألف سنة مما تَعُدّون[١] . (١ : ٦٠).

٧٦/ أ - فهذا هذا. وبعد: فلا وجهَ لقول قائل: وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام قدْر مدتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنة؛ وإنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون ، لأنه لا شيء يتوهَّمه متوهم في قول قائل ذلك إلا وهو موجود في قول قائل: خلق ذلك كله في ستة أيام مدتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا؛ لأن أمرَه جلّ جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون[٢] . (١ : ٦٠).

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه

٧٧ - وفي بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف قد قلنا في خلق الله عزّ ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه الأوقات والأزمنة ، وبيّنا: أن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار ، وأن ذلك إنما هو قَطْع الشمس والقمر درَجات الفلك؛ فلنقل الآن: بأيّ ذلك كان الابتداء؛ بالليل أم بالنهار؟ إذ كان الاختلاف في ذلك موجوداً بين ذوي النظر فيه؛ بأن بعضَهم يقول فيه: خلق الله الليل قبل النهار ، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذي هو نهار هجم الليلُ بظلامه ، فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورّد على الليل ، وأن الليل إن لم يُبطله النهار المتورد عليه هو الثابت ، فكان بذلك من أمرهما دلالة على أن الليل هو الأول خَلْقاً ، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً ، وهذا قولٌ يُروَى عن ابن عباس[٣] . (١ : ٦١).

---

(١) ضعيف.

(٢) قلنا: لقد ذكر الطبري رحمه الله آثاراً عن عدد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، تبين أن كل يوم من الأيام الستة المذكورة في الآية تساوي ألف سنة من سني البشر وهي أخبار لا حجة فيها.
وإنما كانت تلك تفاسير متأثرة بروايات أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥١].
فلا حجة إلا بخبر صحيح إلى الصادق المصدوق عليه السلام وتبقى هذه الأخبار والأقوال احتمالات لا دليل لها سواء كانت راجحة عند الطبري أو غيره.

(٣) لو كان في ذلك فائدة للمكلفين لسنه لنا الله سبحانه في كتابه أو على لسان نبيه .

٧٧/ أ ـ حدثنا ابن بشار ، حدثنا عبد الرحمن عن سُفيان ، عن أبيه ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس قال: سئل: هل الليل كان قبل النهار؟ قال: أرأيتم حين كانت السموات والأرض رَتْقاً ، هلْ كان بينهما إلا ظلمة! ذلك لتعلموا أن الليلَ كان قبل النهار[١] . (١ : ٦١).

٧٨ ـ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا الثوريّ عن أبيه ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال: إنّ الليل قبل النهار ، ثم قال: ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[٢] . (١ : ٦١).

٧٩ ـ حدثنا محمد بن بشّار ، قال: حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا أبي ، قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَنيّ ، قال: لم يكن عُقْبة بن عامر إذا رأى الهلال ـ هلال رمضان ـ يقوم تلك الليلة حتى يصومَ يومها ، ثم يقوم بعد ذلك. فذكرتُ ذلك لابن حُجَيرة فقال: الليل قبل النهار أم النهار قبل الليل[٣]؟ (١ : ٦١/ ٦٢).

٧٩/ أ ـ وقال آخرون: كان النهارُ قبل الليل ، واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عزّ ذكره كان ولا ليلَ ولا نهار ولا شيء غيره ، وأن نورَه كان يضيء به كلّ شيء خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل[٤] . (١ : ٦٢).

ذكر من قال ذلك:

٨٠ ـ حدثني علي بن سهل ، حدثنا الحسن بن بلال ، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن الزبير أبي عبد السّلام ، عن أيوب بن عبد الله الفهريّ أنّ ابن مسعود قال: إن ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار ، نور السموات من نور وجهه ، وإن مقدار كلّ يوم من أيامكم هذه عنده اثنتا عشرة ساعة[٥] . (١ : ٦٢).

٨٠/ أ ـ قال أبو جعفر: وأوْلى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال:

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

كان الليل قبل النهار ، لأن النهار هو ما ذكرتُ من ضوء الشمس؛ وإنما خلق الله الشمس وأجراها في الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ ، فإذا كانت الشمس خُلقت بعد ما سُمكت السماء ، وأغطش ليلها ، فمعلوم أنها كانت ـ قبل أن تخلق الشمس ، وقبل أن يُخرج الله من السماء ضحاها ـ مظلمة لا مضيئة.

وبعد ، فإن في مشاهدتِنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده دليلاً بيّناً على أنّ النهار هو الهاجم على الليل لأنّ الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً [أو نهاراً] أظلم الجو ، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره. والله أعلم[1]. (١ : ٦٢/ ٦٣).

٨٠/ ب ـ فأما القول في بدء خلقهما فإن الخبرَ عن رسول الله بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف.

فأما ابن عباس فرُوي عنه أنه قال: خلق الله يوم الجمعة الشمسَ والقمرَ والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، حدثنا بذلك هنّاد بن السريّ ، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي [2]. (١ : ٦٣).

٨١ ـ وروى أبو هريرة عن النبيّ أنه قال: «خلَق الله النور يوم الأربعاء» ، حدثني بذلك القاسم بن بشر والحسين بن عليّ ، قالا: حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جُرَيْج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيّ [3]. (١ : ٦٣).

٨١/ أ ـ وأيّ ذلك كان؛ فقدْ خلق الله قبل خلقه إياهما خَلْقاً كثيراً غيرهما ، ثم خلقهما عزّ وجلّ لما هو أعلم به من مصلحة خلْقه ، فجعلهما دائبَي الجري ، ثم فَصَل بينهما ، فجعل إحداهما آية الليل ، والأخرى آية النهار ، فمحا آية الليل ،

---

(١) ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) ضعيف.

وجعل آية النهار مبصرة. وقد رُوي عن رسول الله في سبب اختلاف حالتيْ آية الليل وآية النهار أخبارٌ أنا ذاكر منها بعضَ ما حضرني ذكره. وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك(١). (١ : ٦٣).

٨٢ ـ فممّا روي عن رسول الله في ذلك، ما حدثني محمد بن أبي منصور الآمُليّ، حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا عمر بن صُبْح أبو نعيم البلخيّ، عن مقاتلِ بن حيّان، عن عبد الرحمن بن أبْزَى، عن أبي ذَرّ الغِفاريّ، قال: كنتُ آخذُ بيد رسول الله ونحنُ نتماشَى جميعاً نحو المغرب، وقد طَفَلت الشمس، فما زلنا ننظر إليها حتى غابت؛ قال: قلتُ: يا رسول الله، أين تغرُب؟ قال: تغرب في السماء، ثم تُرْفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا؛ حتى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثم تَقول: يا ربّ، مِنْ أين تأمرني أن أطلع، أمن مغربي أم منْ مطلعي؟ قال: فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ حيث تحبَس تحت العرش، ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ قال: يعني بـ «ذلك» صُنْعَ الربّ العزيز في ملكه العليم بخلقه. قال: فيأتيها جَبرائيل بحُلّة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار، في طوله في الصيف، أو قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع. قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبسَ أحدكم ثيابه، ثم تَنطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها، قال النبي: فكأنها قد حُبست مقدار ثلاث ليال ثم لا تُكسى ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾. قال: والقمر كذلك في مطلعه ومجراه في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة العليا، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه، ولكن جِبْرَائيل عليه السلام يأتيه بالحُلّة من نور الكرسيّ. قال: فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا﴾ قال أبو ذرّ: ثم عدلتُ مع رسول الله فصلينا المغرب. فهذا الخبر عن رسول الله [يُـنْبِيء] أن سبب اختـلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أنّ ضوء الشمس من كسوة كسيتْها من ضوء العرش، وأن نورَ القمر من كسوة كُسِيَها من

---

(١) ضعيف.

نور الكرسيّ[1]. (١ : ٦٣/ ٦٤/ ٦٥).

٨٣ ـ فأما الخبر الآخر الذي يدلّ على غير هذا المعنى؛ فما حدثني محمد بن أبي منصور، قال: حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا أبو نعيم عن مقاتل بن حيان، عن عِكْرمة قال: بينا ابن عباس ذاتَ يوم جالس إذْ جاءه رجل، فقال: يا بن عباس! سمعتُ العجب من كعب الحَبْر يذكر في الشمس والقمر. قال: وكان متكئاً فاحتفز ثم قال: وما ذاك؟ قال: زعم أنه يُجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عَقِيران، فيُقذَفان في جهنم. قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شِقّة ووقعت أخرى غضبا، ثم قال: كذَب كعب! كذب كعب! كذب كعب! ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجلّ وأكرم من أن يعذّب على طاعته، ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾، إنما يعنى دؤوبهما في الطاعة، فكيف يعذب عبدين يُثْنَى عليهما؛ أَنهما دائبان في طاعته! قاتل الله هذا الحَبْر وقبّح حَبْرِيته! ما أجرأه على الله وأعظم فِرْيته على هذين العبدين المطيعين لله! قال: ثم استرجع مراراً، وأخذ عُوَيداً من الأرض، فجعل ينكته في الأرض، فظل كذلك ما شاء الله، ثم إنه رفع رأسه، ورمى بالعويد، فقال: ألا أحدثكم بما سمعتُ من رسول الله يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما؟ فقلنا: بلى رحمك الله! فقال: إن رسول الله سئل عن ذلك، فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلْقه إحكاماً فلم يبق من خلقه غيرُ آدم خَلَق شمسين من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه أنه يدعها شمساً، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها، وأما ما كان في سابق علمه أنه يطمسها ويحوّلها قمراً، فإنه دون الشمس في العِظَم؛ ولكن إنما يُرَى صغرهما من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض[2]. (١ : ٦٥/ ٦٦).

---

(١) هذا إسناد تالف فخلف بن واصل وعمر بن صبح كلاهما متهمان بوضع الحديث والكذب والله أعلم. وانظر الخبر الذي يليه.

(٢) هذا خبر موضوع وفي إسناده آفتان:
أبو نعيم (عمر بن صبح) متروك، كذبه ابن راهويه (٤٩٢٢). وخلف بن واصل قال الحافظ في ترجمته: عن أبي نعيم بحديث جابلق، وجابرس، وعظمهما ولعله هو وضعه =

٨٤ ـ قال: فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما في بدء الأمر لم يكن يُعرَف الليل من النهار، ولا النهار من الليل، وكان لا يدرِي الأجير إلى متى يعمل، ومتى يأخذ أجره. ولا يدري الصائم إلى متى يصوم، ولا تدري المرأة كيف تعتدّ، ولا يدري المسلمون متى وقت الحج، ولا يدري الدُّيّان متى تحلّ ديونهم، ولا يدري الناس متى ينصرفون لمعايشهم، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم. وكان الربّ عزّ وجلّ أنظر لعباده وأرحم بهم، فأرسل جِبرئيل عليه السلام فأمرّ جناحه على وجه القمر ـ وهو يومئذ شمس ـ ثلاث مرات، فطمس عنه الضوءَ، وبقي فيه النور، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾. قال: فالسَّوَاد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه فهو أثرُ المحو. ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلاثمئة وستون عروة، ووكل بالشمس وعجلتها ثلاثمئة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا، قد تعلّق كلّ ملك منهم بعروة من تلك العُرَا، ووكلَ بالقمر وعجلته ثلاثمئة وستينَ ملكاً من الملائكة من أهل السماء، قد تعلق بكلّ عروة من تلك العُرَا مَلَك منهم.

ثم قال: وخلق الله لهما مشارق ومغارب في قُطْرَي الأرض وكنفِي السماء ثمانين ومئة عين في المغرب، طينة سوداء، فذلك قوله عز وجَلّ: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إنما يعني حمأةً: سوداء من طين، وثمانين ومئة عين في المشرق مثل ذلك طينة سوداء تفور غَلْياً كغلي القِدْر إذا ما اشتد غليُها. قال: فكلّ يوم [وكلّ] ليلة لها مطلعٌ جديد ومغرب جديد، ما بين أولها مطلعاً، وآخرها مغرباً أطول ما يكون النهار في الصيف إلى آخرها مطلعاً، وأولها مغرباً أقصر ما يكون النهار في الشتاء، فذلك قوله تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ يعني آخرها هاهنا وآخرها ثَمَّ، وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب، ثم جمعهما فقال: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَـٰرِقِ وَٱلْمَغَـٰرِبِ﴾، فذكر عِدّة تلك العيون كلها.

= (الميزان/ ٣٢١٥) وقال الحافظ السيوطي: موضوع في إسناده مجاهيل وضعفاء (اللالي المصنوعة ١/ ٦٠).

والطبري نفسه ضعف هذا الخبر والذي قبله قائلاً: (ولكن في أسانيدهما نظر. فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما) تأريخ الطبري (١/ ٧٨).

قال: وخلق الله بحراً، فجرى دون السماء مقدار ثلاث فراسخ، وهو موج مكفوف قائم في الهواء بأمر الله عزّ وجلّ لا يقطر منه قطرة، والبحار كلها ساكنة، وذلك البحر جارٍ في سرعة السَّهم ثم انطلاقه في الهواء مستوياً، كأنه حَبْلٌ ممدود ما بين المشرق والمغرب، فتجري الشمس والقمر والخُنَّس في لُجّة غَمْر ذلك البحر؛ فذلك قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، والفلك دوران العجلة في لُجّة غمر ذلك البحر. والذي نفس محمد بيده، لو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت كلّ شيء في الأرض، حتى الصخور والحجارة، ولو بدا القمر من ذلك لافتتن أهلُ الأرض حتى يعبدوه من دون الله، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه.

قال ابن عباس: فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! ذكرتَ مجرى الخُنَّس مع الشمس والقمر، وقد أقسم الله بالخُنَّس في القرآن إلى ما كان من ذكرك، فما الخُنَّس؟ قال: يا عليّ، هنّ خمسةُ كواكب: البِرْجيس، وزُحَل، وعُطارد، وبَهْرام، والزُّهرة، فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات، مثل الشمس والقمر، العاديات معهما، فأما سائر الكواكب فمعلَّقات من السماء كتعليق القناديل من المساجد، وهي تحومُ مع السماء دوراناً بالتسبيح والتقديس والصلاة لله، ثم قال النبي: فإن أحببتم أن تستبينوا ذلك، فانظروا إلى دوران الفلك مرة هاهنا ومرة هاهنا، فذلك دوران السماء، ودوران الكواكب معها كلِّها سوى هذه الخمسة، ودورانها اليوم كما ترون، وتلك صلاتها، ودورانُها إلى يوم القيامة في سرعة دوران الرّحا من أهوال يوم القيامة وزلازله، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

قال: فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلاثمئة وستون مَلَكاً ناشري أجنحتهم، يَجُرّونها في الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات الليل وساعات النهار ليلاً كان أو نهاراً، فإذا أحبّ الله أن يبتليَ الشمس والقمر فيُرِي العباد آية من الآيات فيستعتبهم رجوعاً عن معصيته وإقبالاً على طاعته، خرّت الشمس من العجلة فتقع في غمر ذلك البحر وهو الفلك، فإذا أحبّ الله أن يُعَظِّم الآية ويشدّد تخويفَ العباد؛ وقعت الشمس

كلّها فلا يبقى منها على العجلة شيء ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنتهى من كسوفها. فإذا أراد أن يجعل آيةً دون آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان في الماء ، ويبقى سائرُ ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أو للقمر ، وتخويفٌ للعباد ، واستعتاب من الربّ عزّ وجلّ ، فأيّ ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين: فرقة منها يُقبلون على الشمس فيجرّونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى يُقبلون على العجلة فيجرُونها نحو الشمس ، وهم في ذلك يقرّونها في الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل ، ليلاً كان أو نهاراً ، في الصيف كان ذلك أو في الشتاء ، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع ، لكيلا يزيد في طولهما شيء ، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك ، وجعل لهم تلك القوة ، والذي ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً من غمر ذلك البحر الذي يعلوهما ، فإذا أخرجوها كلَّها اجتمعت الملائكة كلهم ، فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة ، فيحمدون الله على ما قوّاهم لذلك ، ويتعلقون بعُرَا العجلة ، ويَجُرّونها في الفلك بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغوا بها المغرب ، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين ، فتسقط من أفق السماء في العين.

ثم قال النبيّ ، وعجب من خلق الله: ولَلْعجب من القدرة فيما لم نَرَ أعجب من ذلك؛ وذلك قول جبرئيل عليه السلام لسارة: ﴿ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وذلك أن الله عزّ وجلّ خلق مدينتين: إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم ، وأهل التي بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التي بالمشرق بالسريانيّة «مرقيسيا» وبالعربية «جابَلق» واسم التي بالمغرب بالسريانية «برجيسيا» وبالعربية «جابَرس» ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب ، ما بين كل بابين فرسخ ، ينوب كلّ يوم على كل بابٍ من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف رجل من الحراسة ، عليهم السلاح ، لا تَنُوبُهم الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور ، فوالذي نفس محمد بيده ، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدّة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب ، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك ، وتافيل ، وتاريس ، ومن دونهم يأجوج ومأجوج.

وإن جِبْرئيل عليه السلام انطَلَق بي إليهم ليلة أسرِيَ بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فدعوتُ يأجوجَ ومأجوج إلى عبادة الله عزّ وجلّ فأبوْا أن يجيبوني ، ثم انطلق بي إلى أهل المدينتين ، فدعوتهم إلى دين الله عزّ وجلّ وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا ، فهم في الدين [إخواننا] ، مَنْ أحسن منهم فهو مع محسنكم ، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم. ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث ، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأنكروا ما دعوتهم إليه ، فكفروا بالله عزّ وجلّ وكذبوا رسله ، فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر مَنْ عصى الله في النار؛ فإذا ما غربت الشمس رُفِع بها من سماء إلى سماء في سرعة طيران الملائكة؛ حتى يُبلَغ بها إلى السماء السابعة العليا ، حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة ، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها ، فيُحْدَرُ بها من سماء إلى سماء؛ فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجْر ، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون ، فذاك حين يضيء الصبح ، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضيء النهار.

قال: وجعل الله عند المشرق حجاباً من الظلمة على البحر السابع ، مقدار عدة الليالي منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تُصرَم ، فإذا كان عند الغروب أقبل مَلَك قد وُكل بالليل فيقبض قبضةً من ظُلمة ذلك الحجاب ، ثم يستقبلُ المغربَ؛ فلا يزال يُرسل من الظلمة من خلل أصابعه قليلاً قليلاً وهو يراعي الشَّفق ، فإذا غاب الشفق أرسلَ الظلمة كلَّها ثم ينشر جناحيه ، فيبلغان قُطري الأرض وكنَفِي السماء ، ويجاوزان ما شاء الله عزّ وجلّ خارجاً في الهواء ، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغ المغرب ، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق ، فضمّ جناحيه ، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه ، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناولها من الحجاب بالمشرق ، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل. فإذا ما نقل ذلك الحجابُ من المشرق إلى المغرب نفخ في الصور ، وانقضت الدنيا ، فضوء النهار من قِبَل المشرق ، وظلمة الليل من قبَل ذلك الحجاب ، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما ، إلى السماء السابعة العليا ، إلى محبسهما تحت العرش ، حتى يأتِيَ الوقت الذي ضرب الله لتوبة العباد ، فتكثر

المعاصي في الأرض ويذهب المعروفُ ، فلا يأمر به أحد ، ويفشو المنكرُ فلا يَنهى عنه أحد .

فإذا كان ذلك حبِست الشمس مقدار ليلة تحت العرش ، فكلّما سجدت وأستأذنت : من أين يطلع؟ لم يُحَرْ إليها جواب؛ حتى يوافيَها القمر ويسجد معها ويستأذن : من أين تطلع؟ فلا يُحار إليه جواب ، حتى يحبسهما مقدار ثلاث ليال للشمس ، وليلتين للقمر ، فلا يَعرِف طول تلك الليلة إلا المتهجدون في الأرض؛ وهم حينئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين؛ في هوان من الناس وذلة من أنفسهم ، فينام أحدُهم تلك الليلة قَدْرَ ما كان ينام قبلها من الليالي ، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلّاه فيصلي وِرْده ، كما كان يصلي قبل ذلك ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلك ويظنّ فيه الظنون من الشرّ ثم يقول : فلعلّني خففتُ قراءتي ، أو قصَّرت صلاتي ، أو قمت قبل حيني!

قال : ثم يعود أيضاً فيصلِّي وِرْده كمثل وِرْده ، الليلة الثانية ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فيزيده ذلك إنكاراً ، ويخالطه الخوف ، ويظنّ في ذلك الظنون من الشرّ ، ثم يقول : فلعلي خففت قراءتي ، أو قصّرت صلاتي ، أو قمت من أوّل الليل! ثم يعود أيضاً الثالثة وهو وجِل مُشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة ، فيصلي أيضاً مثل وِرْده ، الليلة الثالثة ، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل . فيشفق عند ذلك شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه الخوف ، ويستخفّه البكاء ، ثم ينادي بعضُهم بعضاً ، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع المتهجِّدون من أهل كلّ بلدة إلى مسجد من مساجدها ، ويجأرون إلى الله عزّ وجلّ بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، والغافلون في غفلتهم ، حتى إذا ما تمّ لهما مقدارُ ثلاث ليال للشمس وللقمر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فيقول : إن الرب عزّ وجلّ يأمركما أن ترجِعا إلى مغارِبكما فتطلعا منها ، وأنّه لا ضوء لكما عندنا ولا نورَ . قال : فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما ، فيبكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت ، وخوف يوم القيامة .

قال : فبينا الناس ينْتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا خَلْف أقفيتهم

من المغرب أسودين مكوّريْن كالغِرارتين ، ولا ضوءَ للشمس ولا نورَ للقمر ، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك؛ فيتصايح أهلُ الدنيا وتَذْهَل الأمهات عن أولادها ، والأحبَّة عن ثمرة قلوبها ، فتشتغل كل نفس بما أتاها. قال: فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك لهم عبادة. وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكاؤهم يومئذ ، ويكتب ذلك عليهم خسارة. قال: فيرتفعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كلٌّ واحد منهما صاحبَه استِباقاً ، حتى إذا بلغا سُرّة السماء ـ وهو منتصفها ـ أتاهما جبرئيل فأخذ بقرونهما ثم ردّهما إلى المغرب ، فلا يُغربهما في مغاربهما من تلك العيون ، ولكن يغربهما في باب التوبة.

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله! فما باب التوبة؟ قال: يا عمر ! خلق الله عزّ وجلّ باباً للتوبة خلف المغرب ، مصراعين من ذهب ، مكللاً بالدّر والجوهر ، ما بين المصراع إلى المصراع الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع؛ فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتبْ عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا ولجت تلك التوبة في ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله عزّ وجلّ.

قال معاذ بن جبل: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! وما التوبة النصوح؟ قال: أن يندم المذنب على الذنب الذي أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه ، كما لا يعودُ اللبن إلى الضَّرع. قال: فيردّ جبرئيل بالمصراعين فيلأم بينهما ويصيّرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صَدْعٌ قط ، فإذا أغلِق باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها في الإسلام إلا مَنْ كان قبل ذلك محسناً ، فإنه يجري لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجري قبل ذلك ، قال فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾.

فقال أبَيّ بن كعب: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك! وكيف بالناس والدنيا! فقال: يا أبيّ ! إن الشمس والقمر بعد ذلك يُكسيان النور والضوء ، ويطلعان على الناس ويغرُبان كما كانا قبل ذلك ، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فظاعة الآية ، فيُلحّون على الدنيا حتى يُجروا

فيها الأنهار ، ويغرسوا فيها الشجر ، ويبنوا فيها البنيان. وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل مهراً لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور.

فقال حذيفة بن اليمان: أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله! فكيف هم عند النفخ في الصور! فقال: يا حذيفة ! والذي نفس محمد بيده ، لتقومنّ الساعة ولينفخنّ في الصور والرجل قد لَطّ حوضه فلا يسقي منه ، ولتقومنّ الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه ، ولا يتبايعانه. ولَتقومنّ الساعة والرجلُ قد رفع لقمته إلى فيه فلا يَطْعَمها ، ولتقومن الساعةُ والرجلِ قد انصرف بلبن لِقحته من تحتها فلا يشربه ، ثم تلا رسول الله هذه الآية: ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فإذا نُفِخ في الصور ، وقامت الساعة ، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد ، إذْ يدعو الله عزّ وجلّ بالشمس والقمر ، فيجاء بهما أسودين مكوّرين قد وقعا في زلزال وبلبال ، تُرعَد فرائصهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن ، حتى إذا كانا حيال العرش خرّا لله ساجدين؛ فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودُؤوبنا في عبادتك ، وسرعتَنا للمضيّ في أمرك أيام الدنيا ، فلا تُعذبنا بعبادة المشركين إيانا ، فإنا لم ندعُ إلى عبادتنا ، ولم نذهَلْ عن عبادتك! قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: صدقتما ، وإني قضيت على نفسي أن أبدىء وأعيد ، وإني معيدكما فيما بدأتكما منه ، فارجعا إلى ما خلقتما منه ، قالا: إلهنا ، ومِم خلقتنا؟ قال: خلقتكما من نور عرشي ، فارجعا إليه. قال: فيلتمع من كلّ واحد منهما برقة تكاد تَخْطَف الأبصار نوراً ، فتختلط بنور العرش ، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

قال عكرمة: فقمت مع النفر الذين حَدّثوا به ، حتى أتينا كعباً فأخبرناه بما كان من وجْد ابن عباس من حديثه ، وبما حدث عن رسول الله ؛ فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس ، فقال: قد بلغني ما كان من وجدك من حديثي ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإني إنما حدّثت عن كتاب دارسٍ قد تداولته الأيدي ، ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرّحمن عَزّ وجلّ وعن سيد الأنبياء وخير النبيين ، فأنا أحبّ أن تحدِّثني الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت به كان مكان حديثي الأول.

قال عكرمة: فأعاد عليه ابن عباس الحديث ، وأنا أستقريه في قلبي باباً باباً ،

فما زاد شيئاً ولا نقص، ولا قدّم شيئاً ولا أخّر ، فزادني ذلك في ابن عباس رغبة، وللحديث حفظاً[١] . (١ : ٦٦ / ٦٧ / ٦٨/ ٦٩/ ٧٠/ ٧١/ ٧٢/ ٧٣/ ٧٤/ ٧٥).

٨٥ ـ ومما روي عن السلف في ذلك ما حدثناه ابن حميد ، قال: حدثنا جرير عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبي الطفيل ، قال: قال ابن الكوّاء لعليٍّ عليه السلام: يا أمير المؤمنين ! ما هذه اللطخة التي في القمر؟ فقال: ويحك! أما تقرأ القرآن: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾! فهذه محوهُ[٢] . (١ : ٧٥).

٨٦ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا طلْق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن عليّ بن ربيعة ، قال: سأل ابنُ الكواء عليّاً عليه السلام فقال: ما هذا السوادُ في القمر؟ فقال عليّ: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةً﴾ ، هو المحو[٣] . (١ : ٨٦).

٨٧ ـ حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن ، قال: حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال: كنت عند عليّ عليه السلام ، فسأله ابن الكوّاء عن السواد الذي في القمر فقال: ذاك آية الليل محيتْ[٤] . (١ : ٨٦).

٨٨ ـ حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع ، قال: حدثنا عمران بن حُدير عن رفيع أبي كثيرة ، قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكوّاء فقال: ما السواد الذي في القمر؟ فقال: قاتلك الله! هلا سألت عن أمر دينك وآخرتك! ثم قال: ذاك محو الليل[٥] . (١ : ٨٦).

٨٩ ـ حدثنا زكرياء بن يحيى بن أبان المصريّ ، قال: حدثنا ابن عفير ، قال: حدثنا ابن لهيعة عن حُييّ بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رجلاً قال لعليّ رضي الله عنه: ما السوادُ الذي في القمر؟

---

(١) خبر موضوع.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

قال: إن الله يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[١]. (١ : ٧٦).

٩٠ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي، قال: حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، قال: هو السواد بالليل[٢]. (١ : ٧٦/ ٧٧).

٩١ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج قال: قال ابن عباس: كان القمرُ يضيء كما تُضيء الشمس، والقمرُ آية الليل، والشمس آية النهار، ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، السواد الذي في القمر[٣]. (١ : ٧٧).

٩٢ ـ حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن أبي زائدة، قال: ذكر ابن جُرَيْج عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ﴾، قال: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل، ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، قال: السواد الذي في القمر، كذلك خلقه الله[٤]. (١ : ٧٧).

٩٢/ أ ـ قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقمر الليل آيتين، فجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرةً يبصر بها، ومحا آية الليل التي هي القمر بالسواد الذي فيه. وجائز أن يكون الله تعالى ذكرُه خَلَقهما شمسين من نور عرشه، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله مَنْ ذكرنا قوله، فكان ذلك سبب اختلاف حالتيهما.

وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التي تُكساها من ضوء العرش، ونور القمر من الكسوة التي يكساها من نور الكرسي[٥]. (١ : ٧٨).

٩٢/ ب ـ وإذ كنّا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عزّ وجلّ في إنشاء

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

ما أراد إنشاءه من خَلْقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سِني الدنيا ومدة أزمانها بالشواهد التي استشهدنا بها من الآثار والأخبار ، وأتينا على القول في مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة التي دللنا بها على صحة ذلك من الأخبار الواردة عن رسول الله وعن الصحابة وغيرهم من علماء الأمة ، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذاكروه من تأريخ الملوك الجبابرة العاصية ربّها عزّ وجلّ والمطيعة ربها منهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحّ التأريخات ، وتعرف به الأوقات والساعات ، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تُدرَك معرفة ساعات الليل وأوقاته ، وبالآخر تُدرك علم ساعات النهار وأوقاته. فلنقل الآن في أول من أعطاه الله ملكاً ، وأنعم عليه فكفر نعمتَه ، وجحد ربوبيته ، وَعتَا على ربه واستكبر ، فسلبه الله نعمته ، وأخزاه وأذله. ثم نُتْبعه ذكر من استنّ في ذلك سنّته ، واقتفى فيه أثره ، فأحلّ الله به نقمته ، وجعله من شيعته ، وألحقه به في الخزي والذلّ. ونذكر منْ كان بإزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها المحمودة آثارها ، أو مِن الرسل والأنبياء إن شاء الله عَزّ وجلّ[1]. (١ : ٧٩).

٩٢/ج - فأولهم وإمامهم في ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله.

وكان الله عز وجل قد أحسن خلقه وشرفه وكرّمه وملّكه على سماء الدنيا والأرض فيما ذُكر ، وجعله مَع ذلك من خُزّان الجنة ، فاستكبر على ربه وادعى الربوبية ، ودعا مَنْ كان تحت يده فيما ذكر إلى عبادته ، فمسخه الله تعالى شيطاناً رجيماً ، وشوّه خَلْقه ، وسلبه ما كان خوّله ، ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل ، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه وشيعته في الآخرة نارَ جهنم ، نعوذ بالله من غضبه ، ومن عمل يقرّب من غضبه ، ومن الحَوْر بعد الكوْر.

ونبدأ بذكر جمل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عزّ وجلّ أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه ، وادّعائه ما لم يكن له ادّعاؤه ، ثم نُتبع ذلك ما كان من الأحداث في أيام سلطانه وملكه إلى حين زوال ذلك عنه ، والسبب الذي به

---

(١) رحم الله الإمام الطبري كيف يكتب هذا الكلام وهو الذي فسر قوله تعالى: ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾. وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل).

زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه ، وجميل آلائه ، وغير ذلك من أموره ، إن شاء الله مختصراً[١] . (١ : ٧٩/ ٨٠) .

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس
كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك

٩٣ ـ حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض[٢] . (١ : ٨١) .

٩٤ ـ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج عن ابن جُريج ، عن صالح مولى التوءمة وشريك بن أبي نَمِر ـ أحدهما أو كلاهما ـ عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلةً من الجنّ وكان إبليس منها ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض[٣] . (١ : ٨١) .

٩٥ ـ حدثنا موسى بن هارون الهمدانيّ ، قال : حدثنا عمرو بن حَمَّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي : جُعل إبليس على سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم : الجن ، وإنما سموا الجن لأنهم خُزَّان الجنة ، وكان إبليس مع مُلْكه خازناً[٤] . (١ : ٨١) .

٩٦ ـ حدثني عبدان المَرْوَزيّ ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول في قوله عزّ وجلّ : ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ ، قال :

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف وانظر تعليقنا (١/ ٨٨) .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .

كان ابن عباس يقول: إن إبليس كان من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة، وكان خازناً على الجنان، وكان له سلطان سماء الدنيا، وكان له سلطان الأرض[١]. (١: ٨١/ ٨٢).

٩٧ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن صالح مولى التوءمة، عن ابن عباس، قال: إن من الملائكة قبيلاً يقال لهم: الجن، فكان إبليس منهم، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى، فمسخه الله شيطاناً رجيماً[٢]. (١: ٨٢).

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية

٩٨ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج، عن ابن جُرَيج: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ قال: قال ابن جريج: من يقلْ من الملائكة إني إله من دونه، فلم يقله إلا إبليس، دعا إلى عبادة نفسه، فنزلت هذه الآية في إبليس[٣]. (١: ٨٣).

٩٩ ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال؛ لعنه الله وجعله رجيماً؛ فقال: ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]. (١: ٨٣).

١٠٠ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور عن

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

قلنا: لم يكن إبليس يوماً من الملائكة فذلك مخالف لنص آية قرآنية صريحة من سورة الكهف/ ٥٠ ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ وسننقل رأي الحافظ ابن كثير رحمه الله في هذه الروايات في (١: ٨٨). إن شاء الله تعالى.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

معمر ، عن قتادة: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ ، قال: هي خاصة لإبليس[1]. (١ : ٨٣).

القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية

١٠١ ـ فمن الأحداث التي كانت في ملك عدو الله ـ إذ كان لله مطيعاً ـ ما ذكر لنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثناه أبو كُرَيب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عُمَارة عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال: كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم: الجن خلقوا من نار السَّمُوم من بين الملائكة ، قال: وكان اسمه الحارث ، قال: وكان خازناً من خزّان الجنة ، قال: وخُلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحيّ ، قال: وخُلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مَارِج من نار ، وهو لسانُ النار الذي يكون في طرفها إذا ألهِبَتْ ، قال: وخلق الإنسان من طين ، فأوّل مَنْ سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء ، وقتل بعضُهم بعضاً ، قال: فبعث الله إليهم إبليس من جند من الملائكة وهم هذا الحي الذين يقال لهم الجن ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغترّ في نفسه ، وقال: قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال: فاطّلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطّلع عليه الملائكة الذين كانوا معه[2]. (١ : ٨٤).

١٠٢ ـ حدثني المثنى ، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال: إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجنّ يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال: فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقتلهم ، فكانت الدماءُ وكان الفساد في الأرض[3]. (١ : ٨٤).

---

(١) ضعيف.
(٢) هذا إسناد ضعيف جداً.
(٣) ضعيف.

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عزّ وجلّ

١٠٣ ـ اختلف السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ، وقد ذكرنا أحد الأقوال التي رُويت في ذلك عن ابن عباس ، وذلك ما ذكر الضحاك عنه: أنه لما قتّل الجن الذين عصَوُا الله ، وأفسدوا في الأرض وشرَّدهم ، أعجبته نفسه ورأى في نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره(١). (١ : ٨٥).

١٠٤ ـ والقول الثاني من الأقوال المرويّة في ذلك عن ابن عباس: أنه كان مَلك سماء الدنيا وسائسها ، وسائس ما بينها وبين الأرض ، وخازن الجنة ، مع اجتهاده في العبادة ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر على ربه عزّ وجلّ(٢) (١ : ٨٥).

ذكر الرواية عنه بذلك:

١٠٥ ـ حدثنا موسى بن هارون الهمدانيّ ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبيّ ، قال: لما فرغ الله عزّ وجلّ من خلْق ما أحبّ استوى على العرش ، فجعل إبليسَ على مُلك سماء الدنيا وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُمّوا الجن لأنهم خزّان الجنة ، وكان إبليس مع مُلكه خازناً ، فوقع في صدره كبْر ، وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزيّةٍ؛ هكذا حدثني موسى بن هارون(٣). (١ : ٨٥).

١٠٦ ـ وحدثني به أحمد بن أبي خَيْثمة عن عمرو بن حماد ، قال: لمزيّة لي على الملائكة. فلما وقع ذلك الكِبْر في نفسه اطّلع الله عزّ وجلّ على ذلك منه ، فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(٤). (١ : ٨٦).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) هذا إسناد لم يصححه الطبري نفسه وشيخه لم نجد له ترجمة.

(٤) ضعيف.

١٠٧ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق ، عن خَلّاد بن عطاء ، عن طاووس ، عن ابن عباس ، قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عَزَازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك الذي دعاه إلى الكِبْر ، وكان من حي يسمَّون جناً[١]. (١ : ٨٦).

١٠٨ ـ وحدثنا به ابن حُميد مرة أخرى ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن خلاد بن عطاء ، عن طاووس ـ أو مجاهد أبي الحجاج ـ عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال: كانَ ملَكاً من الملائكة اسمه عَزَازيل ، وكان من سكان الأرض وعُمَّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمَّوْن الجنّ من بين الملائكة[٢]. (١ : ٨٦).

١٠٩ ـ حدثنا ابن المثنَّى ، قال: حدثنا شيبان ، قال: حدثنا سَلّام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا[٣]. (١ : ٨٦).

١٠٩/أ ـ والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول: السبب في ذلك: أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عزّ وجلّ ، فأمرهم بأمر فأبوْا طاعته[٤]. (١ : ٨٦).

ذكر الرواية عنه بذلك:

١١٠ ـ حدثني محمّد بن سنان القزّاز ، قال: حدثنا أبو عاصم ، عن شَبِيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: إن الله خلق خلقاً فقال: اسجدوا لآدم ، فقالوا: لا نفعل ، قال: فبعث الله عليهم ناراً تُحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقال: إني خالق بشراً من طين فاسجدوا لآدم ، فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقتهم ، قال: ثم خلق هؤلاء فقال: ألا تسجدوا لآدم! قالوا: نعم ، قال: وكان إبليس من

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

أولئك الذين أبوْا أن يسجدوا لآدم[١]. (١ : ٨٧).

١١٠/أ ـ وقال آخرون: بل السبب في ذلك: أنّه كان من بقايا الجنّ الذين كانوا في الأرض ، فسفكوا فيها الدماء ، وأفسدوا فيها ، وعصوْا ربهم؛ فقاتلتهم الملائكة[٢]. (١ : ٨٧).

ذكر من قال ذلك:

١١١ ـ حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح ، قال: حدثنا أبو سعيد اليحمَديّ إسماعيل بن إبراهيم ، قال: حدثني سَوّار بن الجعْد اليحمَديّ عن شهر بن حَوْشب ، قوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ ، قال: كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة ، فأسرَه بعضُ الملائكة فذهب به إلى السماء[٣]. (١ : ٨٧).

١١٢ ـ حدثني علي بن الحسن ، قال: حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلاّل ، قال: حدثني سُنَيد بن داود ، قال: حدثنا هُشَيْم ، قال: أخبرَنا عبد الرحمن بن يحيى عن موسى بن نُمَيْر وعثمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد ابن مسعود ، قال: كانت الملائكة تقاتِل الجن فسُبِي إبليس ، وكان صغيراً ، وكان مع الملائكة يتعبد معهم ، فلما أُمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا ، وأبى إبليس ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[٤]. (١ : ٨٧).

١١٢/أ ـ وقد قيل: إن سببَ هلاكه كان من أجل أنّ الأرضَ كان فيها قبل آدم الجنّ؛ فبعث الله إبليسَ قاضياً يقضِي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة حتى سمي حَكَماً ، وسمّاه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبر ، فتعظّم وتكبّر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حَكَماً البأسَ والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض ألْفَيْ سنة فيما زعموا؛ حتى إن خيولهم تخوض في دمائهم ، قالوا: وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ وقول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

﴿ٱلدِّمَآءَ﴾! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقتهم. قالوا: فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرَج إلى السماء، فأقام عند الملائكة يعبد الله في السماء مجتهداً لم يعبده شيء من خلقه مثل عبادته، فلم يزل مجتهداً في العبادة حتى خلق الله آدم، فكان من أمره ومعصيته ربّه ما كان[1]. (١ : ٨٨).

القول في خلق آدم عليه السلام

١١٢/ب ـ وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه خلق اللهُ تعالى ذكره أبانا

---

(١) ضعيف.
لقد ذكر الطبري رحمه الله روايات كثيرة في هذا الباب استغرقت الصفحات (١/ ٨١) إلى (١/ ٨٨) ويبدو أن تلك الروايات لم تصل إلى درجة يحتج بها الطبري ولذلك قال في نهاية هذه الروايات:
(عندما تحدث عن الأسباب المحتملة لإخراج إبليس من رحمة الله وإبعاده عنها): ولا يُدْرَكُ علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة ولا خبر في ذلك عندنا كذلك، والاختلاف في أمره على ما حكيناه ورويناه. (تأريخ الطبري ١/ ٨٨).
قلنا: ولقد ذكرنا جميع هذه الروايات في قسم الضعيف ونود أن نذكر هنا الروايات:
فقد أخرج رحمه الله نماذج من روايات الطبري هذه منها ما تذكر أن إبليس كان رئيس ملائكة سماء الدنيا، أو أنه كان خازناً من خزنة الجنة، أو أنه كان يدبر أمر السماء الدنيا... إلخ تلك الروايات).
ثم عقب الحافظ ابن كثير قائلاً: وقد روى في هذا آثاراً كثيرة عن السلف وغالبها من الإسرائيليات التي تُنقل لِيُنظر فيها، والله أعلم بحال كثير منها.
ومنها ما يقطع بكذبه لمخالفته الحق الذي بأيدينا، وفي القرآن غنية عن كل ما عداه من الأخبار المتقدمة لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقنين الذي ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين. كما لهذه الأمة من الأئمة العلماء والسادة الأتقياء البررة النجباء، من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد، الذين دوّنوا الحديث وحرّروه وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكره وموضوعه ومتروكه ومكذوبه، وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين. وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي ـ خاتم الرسل وسيّد البشر، عليه أفضل التحيات والصلوات والتسليمات ـ أن يُنسب إليه كذب أو يتحدث عنه بما ليس منه.
فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل. (تفسير القرآن العظيم ٥/ ٢١٧١). ا. هـ.

آدم أبا البشر؛ وذلك لما أراد جلّ جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكِبْر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبوار، وملكه وسلطانه للزوال، فقال عزّ ذكره لما أراد ذلك للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فأجابوه بأن قالوا [له]: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾! فروي عن ابن عباس: أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين قد كانوا عهدوا من أمر الجنّ الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جلّ ثناؤه لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أتجعلُ فيها من يكون فيها مثل الجن الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويُفسدون فيها ويعصونك، ونحن نُسَبِّحُ بحَمْدك ونُقَدّس لك، فقال الربّ تعالى ذكره لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، يقول: أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزْمِه على خلافه أمري، وتسويل نفسه له الباطل واغتراره، وأنا مبدٍ ذلك لكم منه لترَوْا ذلك منه عِياناً.

وقيل أقوال كثيرة في ذلك، قد حكينا منها جُمَلاً في كتابنا المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع[١]. (١ : ٨٩).

١١٣ ـ فلما أراد الله عز وجلّ أن يخلق آدم عليه السلام أمر بتربته أن تؤخذ من الأرض، كما حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمارة عن أبي رَوْق، عن الضحّاك، عن ابن عباس؛ قال: ثم أمر ـ يعني: الربّ تبارك وتعالى ـ بتربة آدم فرفعت، فخلق الله آدم من طينٍ لازب ـ واللازب اللَّزِج الطيِّب ـ من حَمَإٍ مَسْنونٍ؛ مُنتن، قال: وإنما كان حَمَأً مسنوناً بعد التراب، قال: فخلق منه آدم بيده[٢]. (١ : ٨٩/ ٩٠).

١١٤ ـ حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السُّديّ ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهَمْدَانيّ، عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، قال:

---

(١) ضعيف.
(٢) هذا إسناد ضعيف جداً.

قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعني من شأن إبليس، فبعث الله جَبرئيل عليه السلام إلى الأرض ليأتيَه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص مني شيئاً وتَشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: يا ربّ! إنها عاذت بك فأعذتُها، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها. فرجع، فقال كما قال جَبرئيل، فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع، ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض، وخلَط فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبَلَّ التراب حتى عاد طيناً لازباً ـ واللازب هو يلتزق بعضه ببعض ـ ثم تُرك حتى تغير وأنتن، وذلك حين يقول: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]، قال: مُنْتِن[١]. (١: ٩٠).

١١٥ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُمّيّ عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: بعث ربّ العزة عزّ وجلّ إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبها ومِلْحها، فخلق منه آدم، ومن ثَمَّ سُمّيَ آدم، لأنه خلق من أديم الأرض، ومن ثَمَّ قال إبليس: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، أي هذه الطينة أنا جئتُ بها[٢]. (١: ٩١).

١١٦: حدثنا ابن المثنّى، قال: حدثنا أبو داود، قال: حدثنا شُعْبة عن أبي حَصِين، عن سعيد بن جُبَيْر، قال: إنما سُمِّي آدم لأنه خُلق من أديم الأرض[٣]. (١: ٩١).

١١٧ ـ حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا مِسْعَر عن أبي حَصِين، عن سعيد بن جُبَيْر، قال: خُلِق آدم من أديم الأرض فُسمِّي آدمَ[٤]. (١: ٩١).

١١٨ ـ حدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا

(١) إسناده ضعيف جداً وقال الطبري نفسه عن هذا الإسناد: ولا أظنه صحيحاً، وذكره ابن كثير ضمن حديث طويل جداً وقال: لبعض هذا السياق شاهد في الأحاديث.
(٢) إسناده ضعيف جداً وفي متنه نكارة ولا نحسبه إلا من ابن حميد الرازي فهو متهم بالكذب.
(٣) مرسل ضعيف.
(٤) مرسل ضعيف.

عمرو بن ثابت عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال : إن آدم خُلِق من أديم الأرض ، فيه الطيِّب والصالح والرديء ، فكلّ ذلك أنت راءٍ في ولده الصالحَ والرديء[1] . (١ : ٩١).

١١٨/ أ ـ وذكر : أن الله تعالى ذكره لما خَمَّرَ طينة آدم تركها أربعين ليلة ، وقيل أربعين عاماً جسداً ملقى[2] . (١ : ٩٢).

ذكر من قال ذلك :

١١٩ ـ حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت ، فخلق آدمَ من طين لازب من حمإٍ مسنون . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التّراب؛ قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فمكث أربعين ليلة جسداً ملقىً ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلصل فيصوّت ، قال : فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ﴾؛ يقول : كالشيء المنفرج الذي ليس بمصمت ، قال : ثمّ يدخل في فيه ويخرج من دُبُره ، ويدخل في دُبُره ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، ولشيء ما خُلقتَ ، ولئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنَّك ، ولئن سُلّطتَ عليّ لأعصينك[3] . (١ : ٩٢).

١٢٠ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حَمّاد؛ قال : حدثنا أسباط عن السدّيّ ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مُرّة الهَمْدَانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله ، قال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [صَ : ٧١ ـ ٧٢]؛ فخلقه الله عزّ وجلّ بيديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ليقول حين يتكبر : تتكبّرُ عمّا عملتُ بيدي ولم أتكبّر أنا عنه! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ، وكان أشدّهم فزعاً إبليس ، فكان يمرّ به فيضربه فيصوّت الجسد كما يصوّت

---

(١) مرسل ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف جداً.

الفخّار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول: ﴿مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ﴾ ، ويقول: لأمر ما خُلقت. ودخل من فيه وخرج من دُبُره ، فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا؛ فإن ربكم صَمَدٌ وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأُهلكنّه[1]. (١ : ٩٣).

١٢١ ـ وحدثنا عن الحسن بن بلال ، قال: حدثنا حمَّاد بن سلمة عن سليمان التَيميّ ، عن أبي عثمان النهْدِيّ ، عن سلْمان الفارسيّ ، قال: خمّر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً ، ثم جمعه بيديْه ، فخرج طيّبُه بيمينه ، وخبيثه بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى ، فخلط بعضَه ببعض ، فمن ثمَّ يخرج الطيّب من الخبيث ، والخبيث من الطيّب[2]. (١ : ٩٣).

١٢٢ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: يقال ـ والله أعلم: خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً قبل أن ينفخ فيه الروح ، حتى عاد صلصالاً كالفخّار ، ولم تمسّه نار ، قال: فلما مضى له من المدَّة ما مضى وهو طين صلصال كالفخّار؛ وأراد عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح؛ تقدّم إلى الملائكة فقال لهم: إذا نفختُ فيه من روحي فقَعُوا له ساجدين[3]. (١ : ٩٣/ ٩٤).

---

(١) هذا إسناد ضعيف جداً ولم يحتج الطبري نفسه بهذا الإسناد ، وقد أخرج غير واحد من الأئمة نحوه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طيناً ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار: قال: فكان إبليس يمر به يقول: لقد خلقت لأمر عظيم. ثم نفخ الله فيه الروح ، ونظر في خياشمه فعطس فلقاه الله حمد ربه ، فقال الرب: يرحمك ربك). ثم قال: هذا إسناد ضعيف لضعف إسماعيل بن رافع.
(الإتحاف/ ح ٨٧٨٦) وانظر مجمع الزوائد للهيثمي إذ قال: وفيه إسماعيل بن رافع.
قال البخاري ثقة مقارب الحديث ، وضعفه الجمهور (ح/ ١٣٠٧٤٧) وانظر المسند (١١/ ٦٥٨٠).
قلنا: وإسماعيل هذا ضعفه الأكثرون ، وقال النسائي: متروك الحديث وقال ابن عدي: وأحاديثه كلها مما فيه نظر إلاّ أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء (١/ ١١٩).
قلنا: وبعض الحديث صحيح فلعل إسماعيل هذا أدرج بعضاً في بعض والله أعلم.

(٢) إسناده مرسل ضعيف.

(٣) إسناده ضعيف جداً.

فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قبَل رأسه (فيما ذكر عن السَّلَف قبْلنا: أنهم قالوه).

ذكر من قال ذلك:

١٢٣ ـ حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهمْدانيّ، عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي: فلما بلغ الحين الذي أراد الله عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة: إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح في رأسه؛ عطَس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال الله عزّ وجلّ له: رحمك ربّك. فلما دخل الروح في عينيـه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام، فوثب قبل أن تبلغ الروح على رجليه عَجْلان إلى ثمار الجنة، فذلك حين يقول: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾، ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، ﴿ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، فقال الله له: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ لِمَا خلقتُ بيديّ، قال: أنا خير منه، لم أكن لأسجدَ لبشر خلقته من طين، قال الله له: ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ ـ يعني: ما ينبغي لك ـ ﴿ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾، والصَّغَار الذلّ[1]. (١ : ٩٤).

١٢٤ ـ حدثنا أبو كُرَيب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عُمارة عن أبي رَوْق، عن الضَّحاك، عن ابن عباس، قال: فلما نفخ الله عزّ وجلّ فيه ـ يعني في آدم ـ مِنْ روحه أتت النفخة من قِبَل رأسه، فجعل لا يجري شيء منها في جسده إلا صار لحماً ودماً، فلما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه، فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله عزّ وجلّ ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾، قال: ضجراً لا صبر له على سراء ولا ضراء، قال: فلما تمت النفخة في جسده عطَس فقال: الحمد لله رب العالمين، بإلهام الله، فقال: يرحمك الله يا آدم، ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات: اسجدوا لآدم؛ فسجدوا كلّهُم أجمعون إلا إبليس

(١) إسناده ضعيف جداً كذلك ولم يصحح الطبري نفسه هذا الإسناد.

أبى واستكبر ، لما كان حدَّث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال: لا أسجد ، وأنا خير منه وأكبر سناً ، وأقوى خلْقاً ، ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ، يقول: إن النار أقوى من الطين ، قال: فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى ، أيأسه من الخير كله ، وجعله شيطاناً رجيماً عقوبة لمعصيته[١]. (١ : ٩٥).

١٢٥ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، قال: فيقال ـ والله أعلم ـ: إنه لما انتهى الروحُ إلى رأسه عطس فقال: الحمد لله ، قال: فقال له ربه: يرحمك ربّك ، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدوّ الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبراً متعظماً بغياً وحسداً ، فقال: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ إلى قوله: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ ، قال: فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع الله تعالى عليه اللعنة ، وأخرجه من الجنة[٢]. (١ : ٩٥).

١٢٥/ أ ـ وقال آخرون: بل إنما عُلّم اسماً خاصّاً من الأسماء ، قالوا: والذي عُلِّمه أسماء الملائكة[٣] (١ : ٩٨).

ذكر من قال ذلك:

١٢٦ ـ حدثني عبدة المرْوَزيّ ، قال: حدثنا عمار بن الحسن ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع ، قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ ، قال: أسماء الملائكة[٤]. (١ : ٩٩).

وقال آخرون مثلَ قولِ هؤلاء في أن الذي علّم آدم [من] الأسماء [اسماً] خاصّاً من الأشياء؛ غير أنهم قالوا: الذي عُلّم من ذلك أسماء ذريته.

ذكر من قال ذلك:

١٢٧ ـ حدثني يونس ، قال: حدثنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد في قوله

---

(١) إسناده ضعيف جداً.
(٢) إسناده ضعيف جداً.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

عزّ وجلّ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال: أسماء ذريته ، فلما عَلَّم الله آدم الأسماء كلّها عرض الله عزّ وجلّ أهلَ الأسماء على الملائكة ، فقال لهم: ﴿ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ ، وإنما قال ذلك عزّ وجلّ للملائكة ـ فيما ذكر ـ لقولهم إذ قال لهم: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ فعرض ـ بعد أن خلق آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح ، وعلمه أسماء كلّ شيء ـ مما خلق من الخلق ـ عليهم ، فقال لهم: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنّي إن جعلت منكم خليفتي في الأرض أطعتموني وسبّحتموني وقدستموني ولم تعصوني ، وإن جعلته من غيركم أفسد فيها وسفك ، فإنكم إن لم تعلموا ما أسماؤهم وأنتم مشاهدوهم ومعاينوهم ، فأنتم بألاّ تعلموا ما يكون من أمركم ـ إن جعلتُ خليفتي في الأرض منكم ، أو من غيركم إن جعلته من غيركم ، فهم عنْ أبصاركم غُيَّبٌ لا ترونهم ولا تعاينونهم ، ولم تخبروا بما هو كائن منكم ومنهم ـ أحْرَى[1] . (١ : ٩٩).

وهذا قول رُوي عن جماعة من السلف .

ذكر بعض من رُوي ذلك عنه:

١٢٨ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثني عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسْباط عن السُّدِّي ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدانيّ ، عن عبد الله بنِ مسعود ـ وعن ناسٍ من أصحاب النبي : ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ أن بني آدم يُفْسدون في الأرض ويسفكون الدماء[2] . (١ : ١٠٠).

١٢٩ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، قال: حدثنا بشر بن عُمارة عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس: ﴿ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ : إن كنتم تعلمون لِمَ أجْعَلُ في الأرض خليفة[3] . (١ : ١٠٠).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف جداً.

١٢٩/ أ ـ وقد قيل: إن الله جلّ جلاله قال ذلك للملائكة لأنه جلّ جلاله لما ابتدأ في خلق آدم؛ قالوا فيما بينهم: لِيخلقْ ربُّنا ما شاء أن يخلُق، فلنْ يخلُقَ خلقاً إلا كنّا أعلم منه، وأكرمَ عليه منه، فلما خلق آدمَ عليه السلام وعلَّمَه أسماءَ كلِّ شيء عرَض الأشياء التي علّم آدم أسماءها عليهم، فقال لهم: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في قيلِكم: إنّ الله لم يخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه، وأكرم عليه منه[1]. (١ : ١٠٠).

١٣٠ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين بن داود، قال: حدثني حجاج عن جرير بن حازم، ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة، قالا: قال الله عزّ وجلّ للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال لهم: إني فاعل، فعَرضوا برأيهم، فعلّمهم علماً وطوى منهم علماً علِمه لا يعلمونه، فقالوا بالعلم الذي علّمهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ـ وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى: أنه لا ذنب عند الله تعالى أعظم من سفك الدماء ـ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، فلما أخذ تعالى في خلق آدم عليه السلام همست الملائكة فيما بينهم، فقالوا: ليخلقْ ربُّنا عزّ وجلّ ما شاء أن يخلق، فلن يخلُقَ خَلقاً إلا كنا أعلمَ منه، وأكرمَ عليه منه، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم أن يسجدوا له لما قالوا، ففضّله عليهم، فعلموا: أنهم ليسوا بخير منه، فقالوا: إن لم نكن خيراً منه، فنحن أعلمُ منه، لأنا كنّا قبله، وخلِقت الأمم قبله، فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا، فعلّم آدم الأسماء كلّها ثم عرضهم على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء؛ إن كنتم صادقين أنّي لم أخلق خلقاً إلا كنتم أعلمَ منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين. قالا: ففزع القوم إلى التوبة، وإليها يفزع كل مؤمن، فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. لقولهم: لِيخلقْ ربنا ما شاء، فلن يخلُقَ خلقاً أكرمَ عليه منّا، ولا أعلم منا، قال: علّمه اسْمَ كل شيء: هذه الخيل، وهذه البغال، والإبل، والجن، والوحش، وجعلَ يسمِّي كلَّ شيء باسمه، وعرضت عليه أمة أمة، قال: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ

---

(١) ضعيف.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ، قال: أمّا ما أبدوْا؛ فقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؛ وأمّا ما كتموا؛ فقولهم بعضهم لبعض: نحن خير منه وأعلم[1]. (١: ١٠١/١٠٢).

١٣١ ـ حدثنا عمار بن الحسن ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال: وذلك حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾. قال: فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم: لن يخلق الله تعالى خلْقاً إلا كنا نحن أعلمَ منه وأكرمَ عليه ، فأراد الله تعالى أن يخبرهم أنه قد فضّل عليهم آدم ، وعلّمه الأسماء كلها؛ وقال للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إلى ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ، فكان الذي أبدوْا حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ، وكان الذي كتموا بينهم [قولهم]: لن يخلق ربّنا خلقاً إلا كنَّا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله عزّ وجلّ فضّل عليهم آدم في العلم والكرم[2]. (١: ١٠٢/١٠٣).

١٣١/أ ـ فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهرَ ، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستتراً عنهم من ذلك؛ عاتبه ربه على ما أظهر من معصيته إياه بتركه السجود لآدم ، فأصرّ على معصيته ، وأقام على غيه وطغيانه ـ لعنه الله ـ فأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان أتاه من ملك السماء الدنيا والأرض ، وعزله عن خَزْن الجنة فقال لهُ جلّ جلاله: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا﴾ يعني من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ، وهو بعد في السماء لم يهبط إلى الأرض[3]. (١: ١٠٣).

١٣٢ ـ وأسكن الله عزّ وجلّ حينئذ آدم جنّته؛ كما حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حمَّاد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ـ في خبر ذكره ـ عن

---

(١) هذا إسناد مرسل ولم نجد رواية مرفوعة صحيحة تبين ما كان الملائكة تكتمها ، ولا طريق لنا إلى ذلك إلا الصحيح والله أعلم.

(٢) إسناده ضعيف.

(٣) لم يصح في حديث مرفوع أنه عليه اللعنة كان ملك السماء الدنيا وما إلى ذلك.

أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهمْدَانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله : فأخرِج إبليس من الجنة حين لُعن وأسكِن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشيّاً ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ؛ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه ، فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأة ، قال: ولمَ خلقت؟ قالت: لتسكن إليّ ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حوّاء ، قالوا: لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حيّ ، فقال الله تعالى: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[1]. (١ : ١٠٣/ ١٠٤).

١٣٣ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: لما فرغ الله تعالى من معاتبة إبليس؛ أقبل على آدم عليه السلام وقد علّمه الأسماء كلها ، فقال: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ إلى ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ، قال: ثم ألقى السِّنَة على آدم ـ فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم ـ عن عبد الله بن العباس وغيره ، ثم أخذ ضِلَعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ، وَلأم مكانها لحماً ، وآدم عليه السلام نائم لم يهبّ من نومته ، حتى خلق الله تعالى من ضِلَعه تلك زوجه حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السِّنة وهبّ من نومته رآها إلى جنبه ، فقال: فيما يزعمون والله أعلم لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها ، فلما زوّجه الله عزّ وجلّ وجعل له سكناً من نفسه؛ قال له قُبُلاً : ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[2]. (١ : ١٠٤).

١٣٤ ـ حدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ قال: حواء من قُصَيْرَيْ آدم ، وهو نائم فاستيقظ فقال: «أثا» بالنَّبَطية ، امرأة[3]. (١ : ١٠٤).

١٣٥ ـ حدثنا المثنَّى قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شِبْل ، عن ابن

---

(١) هذا إسناد لم يصححه الطبري نفسه وهو كذلك غير صحيح .
(٢) شيخ الطبري هنا ضعيف وقد أبان أنه أخذ هذا التفسير من الإسرائيليات .
(٣) ضعيف .

أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله[(١)]. (١ : ١٠٥).

القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام وابتلائه إياه بما امتحنه به من طاعته ، وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذي كان أعطاه من كرامته وشريف المنزلة عنده ، ومكَّنه في جنته من رغد العيش وهنيئه ، وما أزال ذلك عنهُ ، فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى نَكد عيش أهل الأرض وعلاج الحراثة والعمل بالمَساحي والزراعة فيها

فلما أسكن الله عزَّ وجلّ آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كلّ ما شاءا أكله من كل ما فيها من ثمارها ، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما بذلك ، وليمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما ، كما قال عزّ وجَلّ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربُّهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة ، وحسّن لهما معصية الله في ذلك ، حتى أكلا منها؛ فبدت لهما من سوْآتهما ما كان مُوَارى عنهما منها[(٢)]. (١ : ١٠٦).

١٣٦ ـ فكان وصول عدوّ الله إبليس إلى تزيين ذلك لهما ما ذكر في الخبر الذي حدثني موسى بن هارون الهمدانيّ ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهمْداني ، عن ابن مسعود ـ وعن أناس من أصحاب النبي ، قال: لما قال الله عز وجل لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾؛ أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فمنعه الخَزَنة ، فأتى الحية؛ وهي دابة لها أربع قوائم ، كأنها البعير؛ وهي كأحسن الدوابّ فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم ، فأدخَلته في فمها ، فمرّت الحية على الخزَنة [فدخلت] وهم لا يعلمون ، لِمَا أراد الله عزّ وجلّ من الأمر ،

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

فكلّمه من فمها ولم يُبال كلامه ، فخرج إليه فقال: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ ، يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنتَ مَلِكاً مثل الله تبارك وتعالى أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبداً ، وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين ، وإنما أراد بذلك أن يبديَ لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهَتْك لباسهما ، وكان قد علم أن لهما سَوْءَةً لما كان يقرأ من كتب الملائكة ، ولم يكن آدم يعلم ذلك ، وكان لباسهما الظُّفْر ، فأبى آدم أن يأكل منها ، فتقدمت حواء فأكلت ، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإني قد أكلتُ ، فلم يضرّني ، فلما أكل؛ بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يَخْصفان عليهما من ورق الجنة[١]. (١ : ١٠٦/١٠٧).

١٣٧ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، عن ليث ابن أبي سُلَيم ، عن طاووس اليمانيّ ، عن ابن عباس ، قال: إن عدوّ الله إبليس عرَض نفسه على دوابّ الأرض؛ أيها تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلّم آدم وزوجه ، فكلّ الدواب أبى ذلك عليه ، حتى كلّمَ الحية ، فقال لها: أمنعُك من بني آدم ، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة ، فجعلته بين نابَين من أنيابها ثم دخلت به ، فكلمهما من فمها وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم ، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها ، قال: يقول ابن عباس: اقتلوها حيث وجدتموها ، وأخْفِروا ذمة عدوّ الله فيها[٢]. (١ : ١٠٧).

١٣٨ ـ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا عمر بن عبد الرحمن بن مُهْرِب ، قال: سمعت وهب بن منبّه يقول: لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة غصونُها متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم ، وهي الثمرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يستزلّهما دخل في جوف الحية ، وكان للحية أربع قوائم ، كأنها بُختيّة من أحسن دابة خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال: انظري إلى هذه الشجرة ، ما أطيب

---

(١) إسناده ضعيف جداً وهو من الإسرائيليات.

(٢) إسناده ضعيف جداً.

ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها! فأخذت حوّاء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت: انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها! فأكل منها آدم ، فبدت لهما سوءاتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربُّه: يا آدم ، أين أنت؟ قال: أنا هذا يا ربّ ، قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا ربّ ، قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكاً! قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسِّدر. ثم قال: يا حوّاء ! أنت التي غرَرْتِ عبدي ، فإنك لا تَحملين حَمْلاً إلا حملتِه كرهاً، فإذا أردت أن تضعِي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً. وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غرّ عبدي ، ملعونة أنت لعنة حتى تتحول قوائمُك في بطنك، ولا يكنْ لك رزق إلا التراب ، أنتِ عدوّة بني آدم وهم أعداؤك، حيث لقيت أحداً منهم أخذتِ بعقبِه، وحيث لقيَك شدَخ رأسك.

قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء[1]. (١ : ١٠٨).

١٣٩ ـ حدثنا القاسم بن الحسن ، قال: حدثنا الحسين بن داود ، قال: حدثني حجاج عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال: نهى الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رغداً حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحيّة ، فكلّم حواء ، ووسوس إلى آدم فقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ قال: فقطعت حوّاء الشجرة فدميت الشجرة ، وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما ، ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ لمَ أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال: يا ربّ أطعمتْني حواء. قال لحواء: لم أطعمتِه؟ قالت: أمرتْني الحية ، قال للحية: لم أمرتِها؟ قالت: أمرَني إبليس ، قال: ملعونٌ مدحورٌ! أما أنت يا حواء؛ فكما أدميتِ الشجرة تَدْمَيْنَ في كلّ هلال ، وأما أنتِ يا حية؛ فأقطعُ قوائمك

(١) هذا إسناد مرسل ومثل هذا الكلام يحتمل أن يكون مرفوعاً فلا يحتج به ، بل إلى الإسرائيليات أقرب.

فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدَخ رأسكَ مَنْ لقيَك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو[١] . (١ : ١٠٩) .

١٤٠ ـ حدثت عن عمّار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني محدّث : أن الشيطان دخل الجنة في صورةِ دابة ذات قوائم ، فكان يُرَى : أنه البعير ، قال : فَلُعِن ، فسقطت قوائمه فصار حيّة[٢] . (١ : ١٠٩) .

١٤١ ـ حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع قال : وحدثني أبو العالية ؛ قال : إنّ من الإبل ما كان أولها من الجنّ . قال : فأبيحت له الجنة كلّها ـ يعني : آدم ـ إلا الشجرة ، وقيل لهما : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : نُهيتما عن شيء؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرة ، فقال : ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ . قال : فبدأتْ حواء فأكلتْ منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرة ، مَنْ أكل منها أحدث ، قال : ولا ينبغي أن يكون في الجنة حَدَثٌ ، قال : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ ، قال : فأخرج آدم من الجنة[٣] . (١ : ١٠٩/ ١١٠) .

١٤٢ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سَلَمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم : أن آدم عليه السلام حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة ، وما أعطاه الله منها ؛ قال : لو أنا خُلّدنا! فاغتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه ، فأتاه من قِبَل الخُلْد[٤] . (١ : ١١٠) .

١٤٣ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : حُدّثتُ : أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما أنه ناح عليهما نياحة أحزنتْهما حين سمعاها ، فقالا له : ما يُبْكيك؟ قال : أبكي عليكما ، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما ، ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال :

---

(١) هذا إسناد مرسل ضعيف .

(٢) إسناد مرسل ضعيف .

(٣) هذا إسناد ضعيف ولم يبين الطبري الواسطة بينه وبين عمار .

(٤) إسناده ضعيف جداً .

يا آدم هل أدلُّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ ، أي: تكونان ملَكين أو تخلدان ، أي إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[1] . (١ : ١١٠/ ١١١).

١٤٤ ـ حدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَوَسْوَسَ﴾: وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسّنها في عين آدم ، قال: فدعاها آدم لحاجته ، قالت: لا ، إلا أن تأتيَ هاهنا ، فلما أتى قالت: لا ، إلاّ أن تأكل من هذه الشجرة ، قال: فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما. قال: وذهب آدم هارباً في الجنة ، فناداه ربُّه: يا آدم ، أمنّي تفرّ؟ قال: لا يا ربّ ، ولكن حياءً منك ، قال: يا آدم ، أنّى أُتِيتَ؟ قال: من قِبَل حواء يا رب؛ فقال الله عزّ وجلّ: فإنّ لها عليّ أن أدميَها في كلّ شهر مرة ، كما أدمتْ هذه الشجرة ، وأن أجعلها سفيهة ، وقد كنت خلقتُها حليمة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، وَقَدْ كنت جعلتها تحمل يَسَراً وتضع يَسَراً. قال ابن زيد: ولولا البليّةُ التي أصابت حواء لكان نساءُ أهل الدنيا لا يَحِضْنَ ، وَلَكُنَّ حليمات ، ولكُنْ يحملن يسراً ، ويضعن يسراً[2] . (١ : ١١١).

١٤٥ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، عن سعيد بن المسيّب ، قال: سمعته يحلف بالله ما يستثني: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواءَ سقتْه الخمر حتى إذا سكِر قادته إليها ، فأكل منها فلما واقع آدم وحواء الخطيئة ، أخرجهما الله تعالى من الجنة ، وسلبَهما ما كانا فيه من النعمة والكرامة ، وأهبطهما وعدوهما إبليس والحيّة إلى الأرض ، فقال لهم ربهم: اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ[3] . (١ : ١١١/ ١١٢).

وكالذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم.

---

(١) إسناده ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) إسناده ضعيف جداً وفي متنه نكارة فخمر الجنة لا يذهب العقل.

١٤٦ ـ حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ، عن إسرائيل، عن إسماعيل السّديّ، قال: حدثني مَنْ سمع ابن عباس يقول: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قال: آدم وحواء وإبليس والحية[١]. (١: ١١٢).

١٤٧ ـ حدثنا سفيان بن وكيع، وموسى بن هارون، قالا: حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط، عن السديّ ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهَمْدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، فلعن الحيّة فقطع قوائمها، وتركها تمشي على بطنها، وجعل رزقها من التراب، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية[٢]. (١: ١١٢).

١٤٨ ـ حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى بن ميمون عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قال: آدم وحواء وإبليس والحية[٣]. (١: ١١٢).

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عزّ وجلّ إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

١٤٨/أ ـ قَدْ تظاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ بأن الله عزّ وجلّ خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجه فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه فيه تاب عليه، وفيه قبضه[٤]. (١: ١١٣).

١٤٩ ـ حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا جرير، عن منصور ومغيرة، عن

---

(١) إسناده صحيح وهو مرسل.

(٢) لا يحتج بإسناده.

(٣) هذا إسناد مرسل.
قال ابن كثير رحمه الله: وقد ذكره المفسرون من السلف كالسدي بأسانيده، وأبي العالية. ووهب ابن منبه وغيرهم هاهنا أخباراً إسرائيلية عن قصة الحيَّة وإبليس وكيف جرى من دخول إبليس الجنة ووسوسته (تفسير سورة البقرة (٣٦) وشك في صحتها قائلاً: (إن كان صحيحاً).

(٤) ضعيف.

زياد بن كليب أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن الْقَرْثَع الضَّبيّ ـ وكان القرثع من القراء الأولين ـ قال: قال سلمان: قال لي رسول الله : «يا سلمان ، أتدري ما يوم الجمعة؟» قلت: الله ورسوله أعلم ، يقولها ثلاثاً: «يا سلمان ، أتدري ما يوم الجمعة؟ فيه جَمّع أبوك» ، أو «أبوكم»[1]. (١ : ١١٤/ ١١٥).

١٥٠ ـ حدثني محمد بن عُمَارة الأسديّ ، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا شيبان عن يحيى ، عن أبي سلَمة ، أنه سمع أبا هريرة يحدّث ، أنه سمع كعباً يقول: خيرُ يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِق آدم عليه السلام ، وفيه دخل الجَنّة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة[2]. (١ : ١١٥).

١٥١ ـ حدثني الحسين بن يزيد الأَدَميّ ، قال: حدثنا روْح بن عُبادة ، قال: حدَّثنا زكرياء بن إسحاق عن عمرو بن دينار ، عن عُبَيْد بن عمير ، قال: إنّ أولَ يوم طلعت فيه شمسه يوم الجمعة ، وهو أفضل الأيام: فيه خلق الله تعالى ذكره آدم؛ خلقه على مثل صورته ، فلما فرغ عطس آدم فألقى الله تعالى عليه الحمد ، فقال الله: يرحمك ربّك[3]. (١ : ١١٥).

١٥٢ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد عن أبي الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، قال: قال سلمان. قال لي رسول الله : «يا سلمان ، أتدري ما يومُ الجمعة؟» مرتين أو ثلاثاً ، قال: «هوَ اليوم الذي جمّع فيه أبوكم آدم» ، أو «جمّع فيه أبوكم»[4]. (١ : ١١٥).

---

(١) ضعيف فقد أخرجه ابن خزيمة في صحيحه وقال: والقلب إلى رواية من (جعل هذا الكلام عن أبي هريرة عن كعب) أقبل . . . إلخ. ولكن الدكتور الأعظمي عقب على ابن خزيمة قائلاً: الحديث كله صحيح مرفوعاً بلا ريب ويكفي أن مسلماً أخرجه من طريق الأعرج عن أبي هريرة. . . إلخ.
قلنا: والصواب ما قاله الأعظمي (والله أعلم) ولقد ذكرنا روايات الحديث المرفوعة الصحيحة في قسم الصحيح (١/ ١١٥) فليراجع.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم عليه السلام
من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط إلى الأرض

١٥٣ ـ حدثنا محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد في قوله عزّ وجلّ: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ قال: قول آدم حينَ خُلِق بعد كلّ شيء آخر النهار من يوم [الجمعة] خلق الخلق ، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله؛ قال: يا ربّ استعجل بخلقي قبل غروب الشمس[١]. (١ : ١١٧).

١٥٤ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا الحسن ، قال: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله[٢]. (١ : ١١٨).

١٥٥ ـ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثنا حجّاج عن ابن جُرَيج ، قال: قال مجاهد: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ ، قال: آدم حين خُلق بعد كلّ شيء ، ثم ذكره نحوه؛ غير أنه قال في حديثه: استعجلْ بخلقي ، قد غربت الشمس[٣]. (١ : ١١٨).

١٥٦ ـ حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾ ، قال: على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينِك اليومين ـ يريد يوم الجمعة ـ وخلقه على عَجَلة وجعله عجولاً[٤]. (١ : ١١٨).

١٥٧ ـ وقد زعم بعضهم أن الله عزّ وجلّ أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مَضَتَا من نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مضيْنَ منه ، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم ، فكان مقدار مُكْثهما في الجنة خمس ساعات منه. وقيل: كان ذلك ثلاث ساعات. وقال بعضهم: أخرج آدم عليه السلام من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة[٥]. (١ : ١١٨).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

ذكر من قال ذلك:

١٥٨ ـ قال أبو جعفر: قرأتُ على عبدان بن محمد المروَزِيّ، قال: حدثنا عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه، عن الربيع، عن أنس، عن أبي العالية، قال: أخرِج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة، فقال لي: نعم؛ لخمسة أيام مضين من نَيْسان[1]. (١ : ١١٨).

١٥٨/ أ ـ فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوْس لساعتين مضتا من نهار يوم الجُمعة من أيام أهل الدنيا التي هي على ما [هي] به اليوم؛ فلم يبعد قوله من الصواب في ذلك؛ لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السّلَف من أهل العلم، بأن آدم خُلِق في آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ألف سنة من سنيننا. فمعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا، وقد ذكرنا آن آدمَ بعد أن خَمّر ربنا عزّ وجلّ طينته بقيَ قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً؛ وذلك لا شك أنه عَنَى به من أعوامنا وسنيننا. ثم [من] بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تناهى أمرُه، وأُسكن الفِرْدَوْس، وأهبِط إلى الأرض غير مستنكَر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة. فإن كان أراد أنه أُسكن الفِردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ألف سنة من سنيننا، فقد قال غير الحق، وذلك أن جميعَ مَنْ حُفِظ له قول في ذلك من أهل العلم؛ فإنه كان يقول: إنّ آدم نفخ فيه الروح في آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم. ثم الأخبار عن رسول الله متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه، وفيه أهبطه إلى الأرض. فإن كان ذلك صحيحاً، فمعلوم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التي اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا، إنما هي ساعة بعد مُضيّ إحدى عشرة ساعة، وذلك ساعة من اثنتَيْ عشرة ساعة، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا؛ فآدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك؛ إنما خُلِق لمضيّ إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التي اليوم الواحد منها ألف سنة من سنيننا، فمكث

---

(١) إسناده مرسل.

جسداً ملقىً لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً من أعوامنا. ثم نفخ فيه الروح. فكان مكثُه في السماء بعد ذلك ومُقامه في الجنة؛ إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثاً وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التي خلق الله تعالى فيها الخلق[١]. (١ : ١١٨/ ١١٩).

١٥٩ ـ وقد حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدثنا هشام بن محمد، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: خرج آدم من الجنة بين الصلاتَيْن: صلاة الظهر وصلاة العصر، فأنزِل إلى الأرض وكان مكثه في الجنة نصف يوم، يوم من أيام الآخرة، وهو خمسمئة سنة، من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة، واليوم ألف سنة مما يعدّ أهل الدنيا، وهذا أيضاً قولٌ خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن السلف من علمائنا[٢]. (١ : ١٢٠).

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

ثم إن الله عزّ وجلّ أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه ـ وذلك يوم الجمعة ـ من السماء مع زوجته، وأنزل آدم ـ فيما قال علماء سلف أمة نبينا ﷺ ـ بالهند.

ذكر من حضرنا ذكرُه ممن قال ذلك منهم:

١٦٠ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمَر عن قتادة، قال: أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض، وكان مهبِطه بأرض الهند[٣]. (١ : ١٢١).

١٦١ ـ حدثنا عمرو بن عليٍ، قال: حدثنا عِمران بن عُيَيْنَةَ، قال: أخبرنا

---

(١) ومثل هذه التفاصيل الدقيقة لا تؤخذ إلاّ عن الصادق المصدوق وإن كان استنباط اجتهاد الطبري مشكوراً مأجوراً إن شاء الله تعالى.
(٢) فيه هشام متروك.
(٣) مرسل ضعيف.

عطاء بن السائب عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال : إن أول ما أهبط الله تعالى آدمَ أهبطه بدَهْنا أرض الهند[١] . (١ : ١٢١) .

١٦٢ ـ حدِّثت عن عَمّار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : أهبِط آدم إلى الهند[٢] . (١ : ١٢١) .

١٦٣ ـ حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد بن سلمة عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن ابن عباس ، قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : أطيبُ أرضٍ في الأرض ريحاً أرض الهند ، أهبِط بها آدم ، فعلق شجرها من ريح الجنة[٣] . (١ : ١٢١) .

١٦٤ ـ حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أُهبِط آدم بالهند ، وحواء بجُدَّة ، فجاء في طلبها حتى اجتمعا ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك سمّيت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجَمْع فلذلك سميت جمْعاً . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بَوْذ[٤] . (١ : ١٢١) .

١٦٥ ـ حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي يحيى بائع القتّ ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثنا عبد الله بن عباس : أنّ آدم نزل حين نزل بالهند[٥] . (١ : ١٢٢) .

١٦٦ ـ حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : وأما أهلُ التوارة فإنهم قالوا : أهبِط آدم بالهند على جبل يقال له واسم ، عند واد يقال له

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروك .
(٥) ضعيف .
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات والله أعلم بصحتها ، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم ؛ لذكرها الله عز وجل في كتابه .

بهيل بين الدَّهْنَج والمندل: بلدين بأرض الهند. قالوا: وأهبطت حواء بجُدّة من أرض مكة[١]. (١: ١٢٢).

١٦٦/أ ـ وقال آخرون: بل أهبِط آدم بسَرَنْديب، على جبل يدعى بَوْذ، وحواء بجُدة من أرض مكة، وإبليس بمَيْسَان، والحية بأصبَهان. وقد قيل: أهبِطت الحية بالبريّة، وإبليس بساحل بحر الأُبُلَّة.

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة، ولا يُعلم خبرٌ في ذلك ورد كذلك غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند؛ فإن ذلك مما لا يدفع صحتَه علماء الإسلام وأهل التوارة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء[٢]. (١: ١٢٢).

١٦٦/ب ـ وذُكِر أن الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام ذرْوته من أقرب ذُرَا جبال الأرض إلى السماء، وأن آدم حين أهبِط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم؛ فكان آدم يأنس بذلك، وكانت الملائكة تهابه، فنُقِص من طول آدم لذلك[٣]. (١: ١٢٣).

ذكر من قال ذلك:

١٦٧ ـ حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا هشام بن حسان عن سَوَّارخَتن عطاء، عن عطاء بن أبي رَباح، قال: لما أهبط الله عزّ وجلّ آدم من الجنة كان رجْلاه في الأرض، ورأسُه في السماء، يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم، يأنس إليهم، فهابته الملائكة حتى شَكَتْ إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها، فخفضه إلى الأرض، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكا ذلك إلى الله عزّ وجلّ في دعائه وفي صلاته، فوُجِّه إلى مكة فصار موضع قدمه قرية، وخُطْوته مفازة، حتى انتهى إلى مكة، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة، فكانت على موضع البيت الآن، فلم يزلْ يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان، فرفِعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

عليه السلام فبناه ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾[1] . (١ : ١٢٣).

١٦٨ ـ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا مَعْمَر عن قتادة ، قال: وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسُه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقص إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم؛ إذ فقد أصواتَ الملائكة وتسبيحَهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله: يا آدم ! إنّي أهبطت لك بيتاً تطوف به كما يُطاف حول عرشي ، وتصلّي عنده كما يصلَّى عند عرشي. فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فخرج وَمُدّ له في خطوه ، فكان بين كلّ خطوة مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز بعد ذلك ، فأتى آدم عليه السلام البيت ، فطاف به ومَنْ بعده [من] الأنبياء[2]. (١ : ١٢٣).

١٦٩ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: حدثنا هشام بن محمد ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: لما حُطّ من طول آدم عليه السلام إلى ستين ذراعاً أنشأ يقول: ربِّ ، كنتُ جارَك في دارك؛ ليس لي ربّ غيرك ، ولا رقيب دونك ، آكل فيها رغداً ، وأسكن حيث أحببت ، فأهبطتَني إلى هذا الجبل المقدس ، فكنت أسمع أصوات الملائكة ، وأراهم كيف يحفّون بعرشك ، وأجِد ريحَ الجنة وطيبها ، ثم أهبطتَني إلى الأرض ، وحططتني إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عني الصوتُ والنظر ، وذهب عني ريح الجنة. فأجابه الله عزّ وجلّ: لمعصيتك يا آدم فعلتُ ذلك بك. فلما رأى الله تعالى عُرْيَ آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه ، ثم أخذ صوفه فغزلتْه حواء ، ونسجه هو وحواء ، فنسج آدم جُبّة لنفسه ، وجعل لحواء دِرْعاً وخِماراً ، فلبسا ذلك ، وأوحى الله تعالى إلى آدم أن لي حرماً بحِيَال عرشي ، فانطلق فابن لي فيه بيتاً ، ثم حُفَّ به كما رأيت ملائكتي يحفّون بعرشي ، فهنالك أستجيبُ لك ولولدك؛ مَنْ كان منهم في طاعتي ، فقال آدم: أيْ ربّ ، فكيف لي بذلك ، لست أقوى عليه ولا أهتدي له! فقيّض الله له ملَكاً؛ فانطلق به نحو مكة ، فكان آدم إذا مرّ بروضة ومكان

---

(١) هذا إسناد مرسل ضعيف وفي متنه نكارة.

(٢) إسناده مرسل وفي متنه نكارة فالصحيح أنه عليه السلام خلق بطول ستين ذراعاً.

يُعجبه قال للملَك: انزلْ بنا هاهنا ، فيقول له الملَك: مكانك ، حتى قدم مكة ، فكان كلُّ مكان نزل به صار عمراناً ، وكلّ مكان تعدّاه صار مفاوزَ وقفاراً ، فبنى البيت من خمسة أجْبُل: من طور سيناء وطور زيتون ولبنان والجوديّ ، وبنى قواعده من حراء ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملكُ إلى عرفات؛ فأراه المناسك كلَّها التي تفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة؛ فطاف بالبيت أسبوعاً ، ثم رجع إلى أرض الهند ، فمات على بَوْذ[١] . (١ : ١٢٤)

١٧٠ ـ حدثنا أبو همام ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثني زياد بن خيثمة عن أبي يحيى بائع القَتّ ، قال: قال لي مجاهد: لقد حدّثني عبد الله بن عباس أن آدم عليه السلام نزل حين نزل بالهند ، ولقد حجّ منها أربعين حجّة على رجليه ، فقلت له: يا أبا الحجاج ، ألا كان يركب؟ قال: فأيّ شيء كان يحمله! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وإن كان رأسه ليبلغ السماءَ ، فاشتكت الملائكة نَفَسَه ، فهمزه الرحمن همزةً؛ فتطأطأ مقدار أربعين سنة[٢] . (١ : ١٢٥) .

١٧١ ـ حدثني صالح بن حرب أبو مَعمر مولى بني هاشم ، قال: حدثنا ثُمامة بن عبيدة السلميّ ، قال: أخبرنا أبو الزبير ، قال: قال نافع: سمعت ابن عمر ، يقول: إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وهو ببلاد الهند: أن حُجَّ هذا البيت. فحجّ آدم من بلاد الهند ، فكان كلّما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوَتيْه مفازة ، حتى انتهى إلى البيت فطاف به ، وقضى المناسك كلَّها ، ثم أراد الرجوعَ إلى بلاد الهند فمضى ، حتى إذا كان بمأزمَيْ عرفات؛ تلقَّتْه الملائكة؛ فقالوا: بَرَّ حَجُّك يا آدم! فدخله من ذلك عجب ، فلما رأت الملائكة ذلك منه قالوا: يا آدم ، إنا قد حَجَجْنَا هذا البيت قبل أن تُخْلَق بألفي سنة ، قال: فتقاصرت إلى آدم نفسه[٣] . (١ : ١٢٥) .

١٧١/ أ ـ وذكر أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنَّة ، فلما صار إلى الأرض ، ويبس الإكليل؛ تحاتَّ ورقه فنبت منه أنواع الطيب.

---

(١) هذا إسناد ضعيف جداً وهو من الإسرائيليات والله أعلم.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

وقال بعضهم: بل كان ذلك ما أخبر الله عنهما، أنهما جعلا يخصِفان عليهما من ورق الجنة، فلما يبس ذلك الورق الذي خصَفاه عليهما تحاتَّ فنبت من ذلك الورق أنواعُ الطيب والله أعلم[١]. (١ : ١٢٥).

١٧٢ ـ وقال آخرون: [بل] لما علم آدم أنّ الله عزّ وجلّ مُهبِطُه إلى الأرض، جعل لا يمرُّ بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه، فلما يبس ورقها تحاتَّ، فكان ذلك أصل الطيب[٢]. (١ : ١٢٦).

ذكر من قال ذلك:

١٧٣ ـ حدثنا أبو همام، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي يحيى بائع القتّ قال: قال [لي] مجاهد: لقد حدَّثني عبد الله بن عباس: أن آدم حينَ خرج من الجنة كان لا يمرُّ بشيء إلا عبث به، فقيل للملائكة: دعُوه فليتزودْ منها ما شاء، فنزل حين نزل بالهند، وإن هذا الطيب الذي يُجاء به من الهند مما خرج به آدم من الجنة[٣]. (١ : ١٢٦).

ذكر من قال: كان على رأس آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة إكليل من شجر الجنة:

١٧٤ ـ حُدِّثت عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، قال: خرج آدم من الجنة، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة، وعلى رأسه تاج أو إكليل من شجر الجنة، قال: فأهبِط إلى الهند، ومنه كلّ طيب بالهند[٤]. (١ : ١٢٦).

١٧٥ ـ حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: هبط آدم عليه ـ يعني على الجبل الذي هبط عليه ـ ومعه ورق من ورق الجنة، فبثَّه في ذلك الجبل، فمنه كان أصلُ الطيب كلّه، وكلّ فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند[٥]. (١ : ١٢٦).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

وقال آخرون: بل زوّده الله من ثمار الجنة ، فثمارنا هذه من تلك الثمار.

ذكر من قال ذلك:

١٧٦ ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عديّ ، وعبد الوهاب ومحمد بن جعفر عن عوف ، عن قَسامة بن زُهير ، عن الأشعري ، قال: إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة ، وعلّمه صنعة كلِّ شيء ، فثماركم هذه من ثمار الجنة؛ غيرَ أنّ هذه تتغيَّر وتلك لا تتغيّر[1] . (١ : ١٢٧).

وقال آخرون: إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم عليه السلام.

ذكر من قال: إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها عَلِق بأشجارها طيب ريحه:

١٧٧ ـ حدثني الحارث بن محمد ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرنا هشام بن محمد ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: نزل آدم عليه السلام معه ريحُ الجنة ، فعلِق بشجرها وأوديتها وامتلأ ما هنالك طيباً ، فمن ثَمَّ يُؤتى بالطيب من ريح الجنة.

وقالوا: أنزل معه من طيب الجنة[2] . (١ : ١٢٧).

وقال: أنزل معه الحجر الأسود ، وكان أشدَّ بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة؛ طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومُرّ ، ولُبان ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاةَ والمِطرقة والكلبتان ، فنظر آدم حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال: هذا من هذا ، فجعل يكسِر أشجاراً قد عتَقت ويبست بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أوّلَ شيء ضربه مُدْية ، فكان يعمل بها ، ثم ضرب التنّور ، وهو الذي ورثه نوح ، وهو الذي فار بالعذاب بالهند. وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء ، فمن ثَمَّ صَلِعَ ، وأورث ولده الصَّلَع ونفرت من طوله دوابّ البرّ ، فصارتْ وحشاً من يومئذ ، وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات

---

(١) ضعيف.

(٢) في إسناده هشام وأبوه الكلبي متروكان.

الملائكة ، ويجد ريح الجنة ، فحُطَّ من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً ، فكان ذلك طوله إلى أن مات. ولم يُجمع حسنُ آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام.

وقيل: إن من الثمار التي زوّد الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام حين أُهْبِط إلى الأرض ثلاثين نوعاً: عشرة منها في القشور وعشرة لها نوىً ، وعشرة لا قشورَ لها ولا نوىً. فأما التي في القشور منها فالجوز ، واللوز ، والفستق ، والبندق؛ والخَشخاش ، والبلُّوط ، والشاهبلوط ، والرانج ، والرمان ، والموزُ. وأما التي لها نوىً منها فالخوخ ، والمشمش ، والإجّاص ، والرُّطَب ، والغبيراء ، والنبق ، والزُّعرور ، والعنّاب ، والمُقْل ، والشاهلوج. وأما التي لا قشور لها ولا نوىً فالتُّفّاح ، والسفرجل ، والكمّثرى ، والعنب ، والتوت ، والتين ، والأترج ، والخرنوب ، والخيار ، والبِطّيخ.

وقيل: كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرَّة من حنطة؛ وقيل: إن الحنطة إنما جاءه بها جبرئيل عليه السلام بعد أن جاع آدم ، واستطعم ربَّه ، فبعث الله إليه مع جَبْرئيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها في يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبرئيل: ما هذا؟ فقال له جبرئيل: هذا الذي أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مئة ألف درهم وثمانمئة درهم ، فقال آدم: ما أصنع بهذا؟ قال: انثره في الأرض ففعل ، فأنبته الله عزّ وجلّ من ساعته ، فجرت سنَّةً في ولده البذر في الأرض ، ثم أمره فحصَده ، ثم أمره فجمعه وفركه بيده ، ثم أمره أن يذرِّيَه ، ثم أتاه بحجرين فوضعَ أحدهما على الآخر فطحنه ، ثم أمره أن يعجنه ، ثم أمره أن يخبزه مَلَّةً ، وجمع له جبرئيل عليه السلام الحجر والحديد فقدحَه ، فخرجت منه النار ، فهو أول مَنْ خبز الملَّة[1]. (١ : ٢٩).

١٧٧/ أ ـ وهذا [القول] الذي حكيناه عن قائل هذا القول ، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا ، وذلك أن المثنّى بن إبراهيم حدثني أن إسحاق حدثه ، قال: حدثنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عُمارة ، عن المنهال بن عمرو ، وعن سعيد بن جُبير ، عن ابن

---

(١) ضعيف.

عباس ، قال: كانت الشجرةُ التي نهى الله عنها آدمَ وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذي وارى عنهما من سوءاتهما أظفارهما ، وطَفِقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يُلصقان بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولياً في الجنة ، فأخذت برأسه شجرةٌ من الجنة فناداه: يا آدم ، أمني تفرّ؟ قال: لا ، ولكني استحيتك يا ربّ ، قال: أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرّمتُ عليك! قال: بلى يا ربّ ، ولكن وعزّتك ما حسبتُ أن أحداً يحلف بك كاذباً ، قال: ـ وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ ـ قال: فبعزتي لأهبطنَّك إلى الأرض ، فلا تنال العيش إلا كدّاً. قال: فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رَغداً ، فأهبِط إلى غير رغد من طعام وشراب ، فعلِّم صنعة الحديد ، وأمِر بالحرْث فحرثَ وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حَصَدَه ، ثم داسه ، ثم ذرّاه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغْه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ[١]. (١ : ٢٩).

١٧٨ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال: أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحرث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾؛ فكان ذلك شقاؤه[٢]. (١ : ١٣٠).

١٧٨/أ ـ وقد قيل: إن آدم عليه السلام نزل معه السِّندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمِطْرقة[٣]. (١ : ١٣٠).

ذكر من قال ذلك:

١٧٩ : حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا يحيى بن واضح ، قال: حدثنا الحسين ، عن عِلْباء بن أحمر ؛ عن عِكْرمة ؛ عن ابن عباس قال: ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام: السِّندان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمِطْرقة[٤]. (١ : ١٣٠).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) إسناده مرسل ضعيف.

١٨٠ ـ ثم إن الله عزّ ذكره فيما ذكر أنزل آدم من الجبل الذي أهبطه عليه إلى سفحه ، وملّكه الأرض كلها ، وجميع ما عليها من الجنّ والبهائم والدوابّ والوحش والطير وغير ذلك ، وأن آدم عليه السلام لما نزل من رأس ذلك الجبل ، وفقد كلام أهل السماء ، وغابت عنه أصوات الملائكة ، ونظر إلى سعة الأرض وبسطتها ، ولم ير فيها أحداً غيرَه ، استوحش فقال: يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامرٌ يسبِّحك غيري[1]! (١ : ١٣١). فأجِيب بما حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال: أخبرنا إسحاق بن الحجاج ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهباً يقول: إن آدمَ لما أهْبِط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيرَه؛ قال: يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامر يسبِّح بحمدك ويقدس لك غيري! قال الله: إني سأجعل فيها من ولدك مَنْ يسبِّح بحمدي ويقدِّسني ، وسأجعل فيها بيوتاً تُرفع لذكري ، ويسبِّح فيها خلقي ، ويُذكر فيها اسمي ، وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصُّه بكرامتي ، وأوثره باسمي ، وأسمِّيه بيتي ، أُنْطقه بعظمتي ، وعليه وضعتُ جلالي؛ ثم أنا مع ذلك في كلّ شيء ومع كلّ شيء ، أجعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرُم بحرمته مَنْ حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرَّمه بحرمتي استوجب بذلك كرامتي ، ومن أخاف أهله فيه فقد أخْفَر ذمتي ، وأباح حرمتي. أجعله أوّل بيت وُضع للناس ببطن مكة مبارَكاً ، يأتونه شُعْثاً غبْراً على كلِّ ضامر ، من كل فجٍّ عميق ، يرجّون بالتلبية رجيجاً ، ويثُجّون بالبكاء ثجيجاً ، ويعِجّون بالتكبير عجيجاً ، فمن اعتمده ولا يريد غيره فقد وَفد إليّ وزارني وضافني ، وحقٌّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يُسْعِف كلاًّ بحاجته. تعمره يا آدم ما كنت حيّاً ، ثم تعمره الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرناً بعد قرن[2]. (١ : ١٣١).

١٨١ ـ ثم أمر آدم عليه السلام ـ فيما ذكر ـ أن يأتيَ البيت الحرام الذي أهبِط له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله ، وكان ذلك ياقوتة واحدة أو درّة واحدة؛ كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا معمر عن أبان: أن البيت أهبط ياقوتةً واحدة أو درة

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

واحدة ، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه ، فبوّأه الله عزّ وجلّ لإبراهيم فبناه. وقد ذكرتُ الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل[١]. (١ : ١٣٢).

١٨٢ ـ فذكر أن آدم عليه السلام بكى واشتد بكاؤه على خطيئته ، وندم عليها ، وسأل الله عزّ وجلّ قبول توبته ، وغفران خطيئته ، فقال في مسألته إياه : ما سأل من ذلك ، كما حدثنا أبو كُرَيب ، قال : حدثنا ابن عطية ، عن قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ﴾ قال : أيّ ربّ ! ألم تخلقني بيدك؟ قال : بلى ، قال : أي ربّ ! ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال : بلى ، قال : أيْ ربِّ ! ألم تسكنّي جنتك؟ قال : بلى ، قال : أيْ ربّ ! ألم تسبق رحمتك غضبَك؟ قال : بلى ، قال : أرأيت إن تبتُ وأصلحت؛ أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال : بلى ! قال : فهو قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[٢]. (١ : ١٣٢).

١٨٣ ـ حدثني بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيع عن سعيد ، عن قتادة ، قوله تعالى : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ذكر لنا أنه قال : يا ربّ ! أرأيت إن أنا تبتُ وأصلحت! قال : إذاً أرجعك إلى الجنة. قال : وقال الحسن : إنهما قالا : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣]. (١ : ١٣٢).

١٨٤ ـ حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازيّ ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان وقيس عن خُصَيف ، عن مجاهد ، في قوله عزّ وجلّ : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال : قوله : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٤]. (١ : ١٣٣).

١٨٥ ـ حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنا أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما ـ يعني من نعيم الجنة ـ مئتي سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا ، وهما يومئذ على بَوْذ؛ الجبل الذي أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مئة سنة[١] . (١ : ١٣٣).

١٨٦ ـ حدثنا أبو همام ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثني زياد بن خيثَمة عن أبي يحيى بائع القتّ؛ قال: قال لي مجاهد ، ونحن جلوس في المسجد: هل ترى هذا؟ قلتُ: يا أبا الحجاج ، الحجَر؟ قال: كذلك تقول؟ قلت: أوَ ليس حجَراً! قال: فو الله لحدثني عبدُ الله بن عباس أنها ياقوتة بيضاء ، خرج بها آدم من الجنة ، كان يمسح بِها دموعه ، [و] أن آدم لم ترقأ دموعه منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفيْ سنة ، وما قدر منه إبليس على شيء ، فقلت له: يا أبا الحجاج ، فمن أيّ شيء اسودّ؟ قال: كان الحُيَّض يلمسْنه في الجاهلية.

فخرج آدم عليه السلام من الهند يؤمّ البيت الذي أمره الله عزّ وجلّ بالمصير إليه، حتى أتاه، فطاف به ، ونَسَك المناسك ، فذكر أنه التقى هو وحوّاء بعرفات، فتعارفا بها ، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة ، ثم رجع إلى الهند مع حواء ، فاتخذا مغارة يأويان إليها في ليلهما ونهارهما ، وأرسل الله إليهما ملكاً يُعلّمهما ما يلبسانه ويستتران به ، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع. وقال بعضُهم: إنما كان ذلك لباسَ أولادهما ، فأما آدم وحواء فإن لباسَهما كان ما كانا خَصَفا على أنفسهما من ورَق الجنة. ثم إن الله عزّ ذكره مسح ظهر آدم عليه السلام بِنَعْمان من عرفة؛ وأخرج ذريّته ، فنثرهم بين يديه كالذرّ ، فأخذ مواثيقهم ، وأشهدَهم على أنفسهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[٢] . (١ : ١٣٣/ ١٣٤).

١٨٧ ـ حدثنا ابن وكيع ويعقوب بن إبراهيم ، قالا: حدثنا ابن عُليّة عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ ، قال: مسح ظهر آدم فخرج كلُّ نسمة هو خالقُها إلى يوم القيامة بنعمان ، هذا الذي وراء

---

(١) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروكان.

(٢) ضعيف.

عرفة ، وأخذ ميثاقهم : ألست بربكم؟ قالوا : بلى شهدنا .

واللفظ لحديث يعقوب[١] . (١ : ١٣٤) .

١٨٨ ـ حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، قال : لما خلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره مثل الذرّ ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي[٢] . (١ : ١٣٥) .

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدَحْنا .

ذكر من قال ذلك :

١٨٩ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حَكَّام ، قال : حدثنا عمرو بن قيس عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال : لما خلق الله عزّ وجلّ آدم مسح ظهره بِدَحْنا فأخرج من ظهره كلّ نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، قال : فيروْن يومئذ جَفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة[٣] . (١ : ١٣٥/ ١٣٦) .

وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه في السماء قبل أن يُهبطه إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة .

ذكر من قال ذلك :

١٩٠ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط ، عن السدّيّ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ، ثم إنه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية كهيئة الذرّ بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الذرّ سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي . فذلك حين يقول : «أصحاب اليمين»

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .

و«أصحاب الشمال». ثم أخذ الميثاق فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ، فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقيَّة[١]. (١ : ١٣٦).

ذكر الأحداث التي كانتْ في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

١٩١ ـ فكان أولَ ذلك قتلُ قابيل بن آدم أخاه هابيل ، وأهلُ العلم يختلفون في اسم قابيل ، فيقول بعضهم: هو قَيْن بن آدم ، ويقول بعضهم: هو قايين بن آدم. ويقول بعضهم: [هو] قاين. ويقول بعضهم: هو قابيل.

واختلفوا أيضاً في السبب الذي من أجله قتله:

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به موسى بن هارون الهمْدانيّ ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ـ في خبر ذكره ـ عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهمْدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله ، قال: كان لا يولد لآدم مولودٌ إلا ولد معه جارية ، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جاريةَ هذا البطن [الآخر] ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان ، يقال لهما قابيل وهابيل ، وكان قابيل صاحب زرْع ، وكان هابيل صاحب ضَرْع ، وكان قابيل أكبرَهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هابيل ، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال: هي أختي وُلدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحقّ أن أتزوّجها ، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل ، فأبى. وإنهما قرّبا قرباناً إلى الله أيّهما أحق بالجارية ، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم: يا آدم ، هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض؟ قال: اللهم لا ، قال: فإن لي بيتاً بمكة فائْتِه ، فقال آدم للسماء: احفظي ولديّ بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال: فأبت ، فقال لقابيل ، فقال: نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرُّك. فلما انطلق آدم؛ قرّبا قرباناً ، وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحقّ بها منك هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصيُّ والدي ، فلما قرّبا ، قرّب هابيل جَذَعة سمينة ، وقرّب

(١) ضعيف.

قابيلُ حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففرَكها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل ، وتركت قربان قابيل ، فغضِب وقال: لأقتلنّك حتى لا تنكح أختي ، فقال هابيل: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ ، إلى قوله: ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ ، فطلبه ليقتله ، فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال ، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخَ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يُدْفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدُهما صاحبَه ، فحفر له ، ثم حثا عليه ، فلما رآه قال: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ ، فهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ إلى آخر الآية: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ يعني: قابيل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله.

وقال آخرون: كان السبب في ذلك أنّ آدم كان يولد له من حواء في كلّ بطن ذكر وأنثى ، فإذا بلغ الذكر منهما زوّج منه [ولده] الأنثى التي وُلدت مع أخيه الذي ولد في البطن الآخر؛ قبله أو بعده.

فرغب قابيل بتوأمته عن هابيل(١). (١ : ١٣٧/ ١٣٨/ ١٣٩).

١٩٢ ـ كما حدثني القاسم بن الحسن ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج ، قال: أخبرني عبد الله بن عثمان بن خُثيم ، قال: أقبلت مع سعيد بن جُبَير أرمي الجمرة ، وهو متقنِّع متوكِّىء على يدي؛ حتى إذا وازينا بمنزل سمرة الصواف؛ وقف يحدّثني عن ابن عباس ، قال: نُهِيَ أن تنكح المرأة أخاها توأمها ، وينكحها غيرُه من إخوتها ، وكان يولد في كلّ بطن رجل وامرأة ، فوُلدت امرأة وسيمة ووُلِدت امرأة قبيحة ، فقال أخو الدميمة: أنكحني أختك وأنكحك أختي ، قال: لا ، أنا أحق بأختي ، فقربا قرباناً فتُقُبِّل من صاحب الكبش ، ولم يُتَقبَّلْ من صاحب الزرع ، فقتله ، فلم يزل ذلك الكبش محبوساً عند الله عزّ وجلّ حتى أخرجه في فداء إسحاق، فذبحه على هذا الصّفا، في ثَبِير ،

---

(١) ضعيف.

عند منزل سَمْرة الصواف ، وهو على يمينك حين ترْمي الجِمار[1] . (١ : ١٣٩).

١٩٣ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثنا محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأوّل: أن آدم عليه السلام كان يغشى حواء في الجنة قبل أن تصيب الخطيئة ، فحملت له بقيْن بن آدم وتوأمته ، فلم تجد عليهما وحَماً ولا وصَباً ، ولم تجد عليهما طلْقاً حين ولدتهما ، ولم تر معهما دماً لطهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وأصابا المعصية ، وهبطا إلى الأرض واطمأنا بها تغشّاها ، فحملت بهابيل وتوأمته ، فوجدت عليهما الوحمَ والوصب ، ووجدت حين ولدتهما الطلْق ورأت معهما الدم ، وكانت حواء ـ فيما يذكرون ـ لا تحمل إلا توأماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء لآدم أربعين ولداً لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وكان الرجل منهم أيّ أخواته شاء تزوج إلا توأمته التي تولد معه ، فإنها لا تحلّ له ، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء[2] . (١ : ١٣٩/ ١٤٠).

١٩٤ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: أن آدم أمر ابنه قيناً أن ينكح توأمته هابيل ، وأمر هابيل أن يُنكح أخته توأمته قيناً ، فسلّم لذلك هابيل ورضيَ ، وأبى ذلك قين وكره تكرُّماً عن أخت هابيل ، ورغب بأخته عن هابيل ، وقال: نحن ولادة الجنة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختي. ويقول بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول: بل كانت أخت قَيْن من أحسن الناس ، فضنّ بها عن أخيه ، وأرادها لنفسه ـ والله أعلم أيّ ذلك كان ـ فقال له أبوه: يا بنيَّ ! إنها لا تحلّ لك ، فأبى قين أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه: يا بنيّ ! فقرِّب قرباناً ، ويقرّب أخوك هابيل قرباناً ، فأيُّكما قبِل الله قربانه فهو أحقّ بها ، وكان قَين على بَذْر الأرض ، وكان هابيل على رعاية الماشية ، فقرّب قَين قمحاً ، وقرب هابيل أبكاراً من أبكار غَنَمه ـ وبعضهم يقول: قرّب بقرة ـ فأرسل الله جلّ وعزّ ناراً بيضاء، فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قين. وبذلك كان يُقبل القربان إذا قبله الله عزّ وجلّ؛ فلما قبل الله قربان هابيل ـ وكان في ذلك القضاء له بأخت قَيْن ـ

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

غضب قَيْن، وغلب عليه الكِبْر واستحوذ عليه الشيطان، فاتبع أخاه هابيل، وهو في ماشيته فقتله، فهما اللذان قصّ الله خبرهما في القرآن على محمد؛ فقال: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ ﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴾ إلى آخر القصة، قال: فلما قتله سُقِط في يديه، ولم يدر كيف يُواريه، وذلك أنه كان ـ فيما يزعمون ـ أولَ قتيل من بني آدم: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ إلى قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾[1] (١ : ١٤٠/ ١٤١).

١٩٥ ـ قال: ويزعم أهل التوراة: أن قيْناً حين قتل أخاه هابيل، قال الله له: أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري، ما كنت عليه رقيباً؛ فقال الله له: إن صوتَ دم أخيك ليناديني من الأرض! الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحتْ فاها، فتلقَّتْ دم أخيك من يدك، فإذا أنت عملت في الأرض، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكونَ فزعاً تائهاً في الأرض. فقال قين: عَظُمَتْ خطيئتي من أن تغفرها، قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض [وأتوارى] من قدامك، وأكون فزعاً تائهاً في الأرض، وكلّ من لقيَني؛ قتلني. فقال الله عزّ وجلّ: ليس ذلك كذلك؛ فلا يكون كلّ من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة، ولكن من قتل قيناً يجزى سبعة، وجعل الله في قين آية لئلا يقتله كلّ مَنْ وجده، وخرج قين من قدام الله عزّ وجلّ من شرقيّ عدن الجنة[2]. (١ : ١٤١).

وقال آخرون في ذلك: إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عزّ وجلّ أمرهما بتقريب قربان، فتقبل قربان أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فبغاه الذي لم يتقبَّل قربانه، فقتله.

ذكر من قال ذلك:

١٩٦ ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عوف عن أبي المغيرة، عن عبد الله بن عمرو، قال: إن ابنيْ آدم اللذيْن قربا قرباناً فتقبّل

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدُهما صاحب حرث ، والآخرُ صاحب غنم ، وأنهما أُمِرا أن يقرّبا قرباناً ، وأن صاحب الغنم قَرَّب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيّبة بها نفسه ، وأن صاحب الحرث قرّب ، شرَّ حرثه: الكوزر والزُّوان ، غير طيبة بها نفسه ، وأن الله عزّ وجلّ تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قصّ الله في كتابه وقال: أيمُ الله ، إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعه التحرُّج أن ينبسط إلى أخيه[1]. (١ : ١٤١/ ١٤٢).

١٩٧ ـ وقال آخرون بما حدثني به محمد بن سعد ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثني عمي ، قال: حدثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال: كان من شأنهما: أنه لم يكن مسكين يُتَصدّق عليه ، وإنما كان القربان يقرّبه الرجل ، فبينا ابنا آدم قاعدان إذ قالا: لو قربنا قرباناً! وكان الرجلُ إذا قرّب قرباناً فرضيَه الله عزّ وجلّ؛ أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقرّبا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً والآخر حراثاً، وإنّ صاحب الغنم قرّب خيرَ غَنمِه وأسمنها ، وقرّب الآخر بعض زرعه ، فجاءت النار فنزلت [بينهما] فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه: أتمشي في الناس ، وقد علموا أنك قرّبت قرباناً فتقبّل منك ورُدّ عليَّ قرباني! فلا والله لا ينظر الناس إليّ وإليك وأنت خير مني ، فقال: لأقتلنّك ، فقال له أخوه: ما ذنبي! إنما يتقبّل الله من المتقين[2]. (١ : ١٤٢).

١٩٧/ أ ـ وقال آخرون: لم تكن قصة هذين الرجلين في عهد آدم ، ولا كان القربان في عصره ، وقالوا: إنما كان هذان رجلين من بني إسرائيل ، وقالوا: إن أوّل ميِّت مات في الأرض آدم عليه السلام ، لم يمت قبله أحد[3]. (١ : ١٤٣).

ذكر من قال ذلك:

١٩٨ ـ حدثنا سفيان بن وكيع ، قال: حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو ، عن الحسن، قال: كان الرجلان اللذان في القرآن قال الله عزّ وجلّ فيهما: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ

---

(١) ضعيف.
(٢) إسناده ضعيف جداً.
(٣) ضعيف.

عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾ من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابنيْ آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات[١] . (١ : ١٤٣).

١٩٨/ أ - وقال بعضهم: إنّ آدم غشِيَ حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمئة سنة ، فولدت له قابيل وتوأمته قليما في بطن واحد ، ثم هابيل وتوأمته في بطن واحد ، فلما شبُّوا أراد آدم عليه السلام أن يزوّج أخت قابيل التي ولدت معه في بطن واحد من هابيل ، فامتنع من ذلك قابيل ، وقرّبا بهذا السبب قرباناً ، فتقبِّل قربان هابيل ، ولم يتقبّل قربان قابيل ، فحسده قابيل ، فقتله عند عقبة حِرى ثم نزل قابيل من الجبل ، آخذاً بيد أخته قليما ، فهرب بها إلى عدن من أرض اليمن[٢] . (١ : ١٤٣).

١٩٩ - حدثني بذلك الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرني هشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لما قتل قابيل أخاه هابيل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل بَوْذ إلى الحضيض، فقال آدم لقابيل: اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن منْ تراه ، فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابنٌ لقابيل أعمى ، ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه: هذا أبوك قابيل ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى: قتلت يا أبتاه أباك ، فرفع الأعمى يده ، فلطم ابنه فمات ابنه ، فقال الأعمى: ويل لي! قتلتُ أبي برميّتي ، وقتلت ابني بلطمتي!

وذكر في التوراة: أن هابيل قُتل وله عشرون سنة ، وأن قابيل كان له يوم قتله خمس وعشرون سنة[٣] . (١ : ١٤٣/ ١٤٤).

٢٠٠ - وذكر: أن قابيل لما قتل أخاه هابيل بكاه آدم عليه السلام فقال - فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي إسحاق الهمْدانيّ ، قال: قال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: لما قتل ابن آدم آخاه بكاه آدم ، فقال:

تَغَيَّرَتِ الْبِلاَدُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قبيحُ

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) في إسناده الكلبي وهو متروك.

تَغَيَّــر كُــلُّ ذِي طَعْــمٍ وَلَــوْنٍ وَقَــلَّ بَشَــاشَــةُ الــوجــه المليــحِ

قال: فأجيب آدم عليه السلام:

أبــا هــابيــلَ قَــدْ قُتِــلا جَمِيعــاً وصــار الحــيُّ كــالميْــت الــذبيــح
وجــاء بِشِــرَّةٍ قَــدْ كَــانَ مِنْهَــا علــى خَــوْفٍ فجــاء بهــا يَصِيــحُ[١]

(١: ١٤٥).

٢٠١ ـ وذكر: أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومئة بطن، أولهم قابيل وتوأمته قليما، وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث[٢]. (١: ١٤٥).

٢٠٢ ـ وأما ابن إسحاق فذُكر عنه ما قد ذكرتُ قبل؛ وهو أنّ جميعَ ما ولدته حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطناً، وقال: قد بلغنا أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض[٣]. (١: ١٤٥).

٢٠٣ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق، قال: فكان منْ بلغنا اسمه خمسة عشر رجلاً وأربع نسوة؛ منهم قين وتوأمته، وهابيل وليوذا وأشوث بنت آدم وتوأمها، وشيث وتوأمته، وحزورة وتوأمها؛ على ثلاثين ومئة سنة من عمره. ثم أباد بن آدم وتوأمته، ثم بالغ بن آدم وتوأمته، ثم أثاثي بن آدم وتوأمته، ثم توبة بن آدم وتوأمته، ثم بنان بن آدم وتوأمته، ثم شبوبة بن آدم وتوأمته، ثم حيان بن آدم وتوأمته، ثم ضرابيس بن آدم وتوأمته، ثم هدز بن آدم وتوأمته، ثم يحود بن آدم وتوأمته، ثم سندل بن آدم وتوأمته، ثم بارق بن آدم وتوأمته، كلُّ رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يُحْمَل به فيه[٤]. (١: ١٤٥/١٤٦).

٢٠٣/أ ـ وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيُومَرْت هو آدم، وزعم بعضهم: أنه ابن آدم لصلبه من حواء.

---

(١) ابن حميد (شيخ الطبري هنا) ضعيف جداً، وقد ذكر الحافظ ابن كثير هذه الرواية مع زيادة، ثم قال: هكذا أورده الحافظ ابن عساكر ولم ينبه على نكارته ولا غرابته وكان خليقاً وجديراً بذلك (قصص الأنبياء/ ٥٦).

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

وقال فيه غيرهم أقوالاً كثيرة ، يطول بذكر أقوالهم الكتاب ، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدُنا في كتابنا هذا ذِكْر الملوك وأيامهم ، وما قد شرطنا في كتابنا هذا أنّا ذاكروه فيه ، ولم يكن ذكرُ اختلاف المختلِفين في نسب ملك من جنس ما أنشأنا له صنعةَ الكتاب ، فإن ذكرْنا من ذلك شيئاً فلتعريف من ذكرنا؛ ليعرفه منْ لم يكن به عارفاً؛ فأما ذكر الاختلاف في نسبه فإنه غير المقصود به في كتابنا هذا[1]. (١ : ١٤٦).

٢٠٣/ب ـ وقد خالف علماءَ الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماءُ الفرس على اسمه وخالفه في عينه وصفته ، فزعم أن جُيومَرْت الذي زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام إنما هو جامر بن يافث ابن نوح ، وأنه كان معمراً سيِّداً ، نزل جبل دُنْبَاوَنْد من جبال طبَرِستان من أرض المشرق ، وتملَّك بها وبفارس ، ثم عظُم أمره وأمر ولده ، حتى ملكوا بابل ، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلَّها ، وأن جُيومَرْت منع من البلاد ما صار إليه ، وابتنى المدن والحصون وعمّرها ، وأعدَّ السلاح ، واتخذ الخيل ، وأنه تجبّر في آخر عمره ، وتسمى بآدم؛ وقال: من سماني بغير هذا الاسم ضربتُ عنقه ، وأنه تزوج ثلاثين امرأة ، فكثر منهنّ نسلُه ، وأن ماري ابنه وماريانة أخته ، ممن كان ولد له في آخر عمره ، فأعجب بهما وقدّمهما ، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما ، وأن ملكَه اتسع وعظُم[2]. (١ : ١٤٦/ ١٤٧).

٢٠٣/ج ـ وإنما ذكرت من أمر جُيومَرْت في هذا الموضع ما ذكرت ، لأنه لا تدافُعَ بين علماء الأمم أن جيومرت هو أبو الفرس من العجم؛ وإنما اختلفوا فيه: هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره؟ ثم مع ذلك فلأنّ ملكه وملك أولاده لم يزلْ منتظماً على سياق ، متسقاً بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يَزْدَجِرْد بن شهريار من ولد ولده بمَرْو ـ أبعده الله ـ أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فتأريخ ما مضى من سني العالم على أعمار ملوكهم أسهلُ بياناً ، وأوضح مناراً منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم؛ إذ

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

لا تُعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى آدم عليه السلام دامت لها المملكة ، واتصل لهم الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورؤوس تحامي عنهم من ناوأهم ، وتغالب بهم من عَازَّهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم على اتصال ودوام ونظام ، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم ، وغابرهم عن سالفهم سواهم ، فالتأريخ على أعمار ملوكهم أصحُّ مخرجاً ، وأحسن وضوحاً[1] . (١ : ١٤٨) .

٢٠٣/ د ـ وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول في عمر آدم عليه السلام ، وأعمار مَنْ كان بعده من ولده الذين خلفوه في النبوة والملك ، على قول من خالف قول الفرس الذين زعموا أنه جُيُومَرْت ، وعلى قول من قال: إنه هو جيومرت أبو الفرس ، وذاكر ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها ، فاتفقوا على مَنْ ملك منهم في زمان بعينه أنه كان هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا[2] . (١ : ١٤٨) .

٢٠٤ ـ فحدثنا محمد بن بشار ، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال: حدثنا عمر بن إبراهيم عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرَة بنُ جندَب ، عن النبي عليه [الصلاة و] السلام قال: «كانت حواء لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينّه عبد الحارث ، فعاش لها ولد فسمّتْه عبد الحارث ، وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان»[3] . (١ : ١٤٨) .

٢٠٥ ـ وحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: كانت حواء تلد لآدم فتُعبِّدهم لله عزّ وجلّ وتسميهم: عبد الله ، وعبيد الله ، ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت ، فأتاها إبليس وآدمَ عليه السلام؛ فقال: إنكما لو تسمّيانه بغير الذي تسميانه به لعاش ، فولدت له ذكراً ، فسمّياه عبد الحارث؛ ففيه أنزل الله عزّ ذكره ، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾؛ إلى قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) في متنه نكارة.

﴿ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ إلى آخر الآية[(١)]. (١ : ١٤٨/ ١٤٩).

٢٠٦ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا ابن فضيل عن سالم بن أبي حفصة ، عن سعيد بن جُبير: ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٢)]. (١ : ١٤٩).

٢٠٦/ أ ـ قال: ولما حملت حواء في أول ولد ولدتْه حين أثقلت؛ أتاها إبليسُ قبل أن تلد فقال: يا حواء! ما هذا في بطنك؟ فقالت: ما أدري مَنْ؟ فقال: أين يخرج؟ من أنفك؟ أو من عينك؟ أو من أذنك؟ قالت: لا أدري ، قال: أرأيتِ إن خرج سليماً أمطيعتي أنتِ فيما آمركِ به؟ قالت: نعم ، قال: سمّيه عبد الحارث ـ وقد كان يسمّى إبليس ـ لعنه الله ـ الحارث ـ فقالت: نعم ، ثم قالت بعد ذلك لآدم: أتاني آت في النوم فقال لي: كذا وكذا ، فقال: إن ذاك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، ثم أتاها إبليس لعنه الله فأعاد عليها ، فقالت: نعم ، فلما وضعته أخرجه الله سليماً فسمتْه عبد الحارث ، فهو قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[(٣)]. (١ : ١٤٩).

٢٠٧ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا جرير وابن فضيل عن عبد الملك ، عن سعيد بن جبير ، قال: قيل له: أشْرَكَ آدم؟ قال: أعوذ بالله أن أزعم أن آدم عليه السلام أشْرك! ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليسُ فقال لها: منْ أين يخرج هذا؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك؟ فقنّطها؛ ثم قال: أرأيت إن خرج سوياً ـ قال ابن وكيع: زاد ابن فضيل: «لم يضرّك ولم يقتلك» ـ أتطيعنني؟ قالت: نعم، قال: فسمّيه عبد الحارث ، ففعلت. زاد جرير: فإنما كان شركه في الإسم[(٤)]. (١/ ١٥٠).

٢٠٨ ـ حدثنا موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ: فولدت ـ يعني: حواء ـ غلاماً ، فأتاها إبليس فقال: سمّوه عبدي ، وإلا قتلته ، قال له آدم: قد أطعتُك وأخرجتَني من الجنة. فأبى أن

---

(١) في متنه نكارة.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

يطيعه؛ فسماه «عبد الرحمن» ، فسلَّط عليه إبليس لعنة الله فقتله ، فحملت بآخر فلما ولدته ، قال: سميه عبدي وإلا قتلته ، قال له آدم عليه السلام: قد أطعتك فأخرجتني من الجنة. فأبى فسماه صالحاً ، فقتله ، فلما كان الثالث قال لهما: فإذ غلبتموني فسمُّوه عبد الحارث ، وكان اسم إبليس الحارث ، ـ وإنما سمي إبليس حين أبْلَس (تحيَّر) ـ فذلك حين يقول الله عزّ وجلّ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآۚ﴾ ـ يعني: في الأسماء[1]. (١ : ١٥٠).

٢٠٨/أ ـ فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت؛ من أنه مات لآدم وحواء أولاد قبلهما ، ومَنْ لم نذكر أقوالهم ممن عددُهم أكثر من عدد مَنْ ذكرت قوله والرواية عنه قالوا خلاف قول الحسن الذي روي عنه أنه قال: أول من مات آدم عليه السلام[2]. (١ : ١٥٠).

٢٠٨/ب ـ وكان آدم مع ما كان الله عزّ وجلّ قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان فيها قد نبّأه ، وجعله رسولاً إلى ولده ، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها آدم عليه السلام بخطه ، علّمه إياها جبرئيل عليه السلام[3]. (١ : ١٥٠).

٢٠٩ ـ وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال: حدثنا عمّي ، قال: حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولانيّ ، عن أبي ذرّ الغفاريّ ، قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله جالس وحده ، فجلست إليه فقال لي: «يا أبا ذرّ ! إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما» ، فلما ركعتهما جلست إليه فقلت: يا رسول الله ! إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ قال: «خيرُ موضوع ، استكثر أو استقلّ» ، ثم ذكر قصة طويلة قال فيها: قلت: يا رسول الله ! كم الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» ، قال: قلت: يا رسول الله ! كم المرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمئة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً» ، يعني كثيراً طيباً ، قال: قلت يا رسول الله ! منْ كان أولهم؟ قال: «آدم» ، قال: قلت يا رسول الله ! وآدم نبيّ مرسل؟ قال:

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

«نعم خلقه الله بيده ، ونَفخ فيه من روحه ، ثم سواه قُبُلاً»[١]. (١ : ١٥٠/ ١٥١).

٢٠٩/ أ ـ وقيل: إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة[٢]. (١ : ١٥١).

ذكر ولادة حواء شيثاً

٢٠٩/ ب ـ ولما مضى لآدم من عمره مئة وثلاثون سنة ـ وذلك بعد قتل قابيل هابيل بخمس سنين ـ ولدت له حواء ابنه شيثاً ، فذكر أهل التوراة أن شيثاً ولد فرداً بغير توأم ، وتفسير «شيث» عندهم «هبة الله» ، ومعناه: أنه خلف من هابيل[٣]. (١ : ١٥٢).

٢١٠ ـ حدثني الحارث بن محمد ، قال: حدثني ابن سعد ، قال: أخبرنا هشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: ولدت حواء لآدم شيثاً وأخته عزورا ، فسمّى هبة الله ، اشتُقَّ له من هابيل ، قال لها جبرئيل حين ولدته: هذا هبة الله بدل هابيل ، وهو بالعربية شِثّ ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومئة سنة[٤]. (١ : ١٥٢).

٢١١ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق قال: لما حضرت آدم الوفاة ـ فيما يذكرون والله أعلم ـ دعا ابنه شيثاً فعهد إليه عهده ، وعلّمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق في كلّ ساعة منهنّ ، فأخبره أنّ لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته. وقال له: يا بنيّ إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين. وكتب وصيته ، فكان شيث ـ فيما ذكر ـ وصيَّ أبيه آدم عليه السلام ، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل الله عليه فيما روي عن رسول الله خمسين صحيفة[٥]. (١ : ١٥٢).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) في إسناده الكلبي وهو متروك.
(٥) ضعيف.

٢١٢ ـ حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال: حدثنا عميّ ، قال: حدثنا الماضي بن محمد عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولانيّ ، عن أبي ذرّ الغفاريّ ، قال: قلت: يا رسول الله ! كم كتاباً أنزله الله عزّ وجلّ؟ قال: «مئة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة»[١] . (١ : ١٥٣).

٢١٢/ أ ـ وإلى شيث أنسابُ بني آدم كلّهم اليوم؛ وذلك: أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث ، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد ، فأنسابُ الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام[٢] . (١ : ١٥٣).

٢١٢/ ب ـ وأما الفرس الذين قالوا إن جُيُومَرْت هو آدم؛ فإنهم قالوا: ولد لجيومَرْت ابنه ميشي ، وتزوج ميشي أخته ميشانه فولدت له سيامك بن ميشي ، وسيامي بنت ميشي ، فولد لسيامك بن ميشي بن جيومرت أفرواك ، وديس ، وبراسب ، وأجوب ، وأوراش بنو سيامك ، وأفري ، ودذي ، وبري وأوراشي بنات سيامك ، أمهم جميعاً سيامي بنت ميشي ، وهي أخت أبيهم.

وذكروا أن الأرض كلّها سبعة أقاليم ، فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتيه الناس برّاً أو بحراً فهو إقليم واحد ، وسكانه نسل ولد أفرواك بن سيامك وأعقابهم ، وأما الأقاليم الستة الباقية التي لا يوصل إليها اليوم براً أو بحراً فنسلُ سائر ولد سيامك ، من بنيه وبناته.

فولد لأفرواك بن سِيامك من أفرى بنت سِيامك هوشَنْك بيشداذ الملك ، وهو الذي خلَف جدّه جُيُومَرْت في الملك ، وأول منْ جمع له ملك الأقاليم السبعة ، وسنذكر أخباره إن شاء الله إذا انتهينا إليه. وكان بعضهم يزعم أن أوشَهنج هذا هو ابن آدم لصلبه من حواء[٣] . (١ : ١٥٣).

٢١٢/ جـ ـ وأما هشام الكلبيّ فإنه فيما حدّثتُ عنه قال: بلغنا والله أعلم ـ أول ملك مَلك الأرض أوشهنق بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح. قال:

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

والفرس تدَّعيه وتزعم: أنه كان بعد وفاة آدم بمئتي سنة، قال: وإنما كان هذا الملك فيما بلغنا بعد نوح بمئتي سنة، فصيَّره أهل فارس بعد آدم بمئتي سنة، ولم يعرفوا ما كان قبل نوح.

وهذا الذي قاله هشام قول لا وجه له؛ لأن هوشهنك الملك في أهل المعرفة بأنساب الفرس أشهر من الحجاج بن يوسف في أهل الإسلام، وكلّ قوم فهم بآبائهم وأنسابهم ومآثرهم أعلم من غيرهم؛ وإنما يُرجع في كل أمر التبس إلى أهله[1]. (١ : ١٥٤).

٢١٢/ د ـ وقد زعم بعض نسابة الفرس: أن أوشَهنج بيشداذ الملك هذا هو مهلائيل، وأن أباه فرواك هو قينان أبو مَهْلائيل، وأن سيامك هو أنوش أبو قينان، وأن ميشي هو شيث أو أنوش، وأن جُيُومَرت هو آدم.

فإن كان الأمر كما قال: فلا شك أن أوشَهنج كان في زمان آدم رجلاً، وذلك أن مَهْلائيل فيما ذكر في الكتاب الأول كانت ولادة أمه دينة بنت براكيل بن محويل بن خَنوخ بن قَيْن بن آدم إياه بعد ما مضى من عمر آدم ثلاثمئة سنة وخمس وتسعون سنة، فقد كان له حين وفاة آدم ستمئة سنة وخمس سنين، على حساب ما روي عن رسول الله ﷺ في عمر آدم أنه كان عمره ألف سنة.

وقد زعمت علماء الفرس: أن مُلْك أوشهنج هذا كان أربعين سنة. فإن كان الأمر في هذا الملك كالذي قاله النسابة الذي ذكرت عنه ما ذكرت؛ فلم يُبْعِد من قال: إن مُلْكه كان بعد وفاة آدم بمئتي سنة[2]. (١ : ١٥٤).

٢١٣ ـ حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمّي، قال: حدثني أبي عن أبيه، عن ابن عباس، قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾، قال ابن عباس: إن الله عزَّ وجلّ لما خلق آدم مسح ظهرَه، وأخرج ذريته كلّهم كهيئة الذرّ، فأنطقهم فتكلموا، وأشهدهم على أنفسهم، وجعل مع بعضهم النور. وأنه قال لآدم: هؤلاء ذريتك أُخِذ عليهم الميثاق: أني أنا ربهم لئلا يُشركوا بي شيئاً، وعليّ

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

رزقهم. قال آدم: فمن هذا الذي معه النور؟ قال: هو داود، قال: يا ربّ، كم كتبت له من الأجل؟ قال: ستين سنة، قال: كم كتبت لي؟ قال: ألف سنة، وقد كتبت لكل إنسان منهم كم يعمَّر، وكم يلبث، قال: يا رب زِدْه، قال: هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك، قال: نعم، وقد جفّ القلم عن سائر بني آدم، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة، فصار أجلُه مئة سنة، فلما عمِّر تسعمئة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت، فلما أن رآه آدم قال: مالكَ؟ قال له: قد استوفيتَ أجلك، قال له آدم: إنما عمّرت تسعمئة سنة وستين سنة، وبقي [لي] أربعون سنة، فلما قال ذلك للملَك، قال الملك: قد أخبرني بها ربي، قال: فارجع إلى ربك فسلْه، فرجع الملك إلى ربه فقال: مالك؟ قال: يا ربّ رجعتُ إليك لما كنت أعلم من تكرمتك إياه، قال الله عزّ وجلّ: ارجع فأخبره، أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة[1]. (١: ١٥٦/ ١٥٧).

٢١٤ ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، قال: أخرجهم من ظهر آدم، وجعل لآدم عمرَ ألف سنة، قال: فعرضوا على آدم، فرأى رجلاً من ذريته له نور، فأعجبه فسأله عنه فقال: هو داود، وقد جعل عمره ستين سنة، فجعل له من عمره أربعين سنة، فلما احتُضِر آدم عليه السلام جعل يخاصمهم في الأربعين السنة، فقيل له: إنك قد أعطيتها داود، قال: فجعل يخاصمهم[2]. (١: ١٥٧).

٢١٥ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب عن جعفر، عن سعيد، في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: أخرج ذريته من ظهره في صورة كهيئة الذرّ، فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم، قال: فعرض عليه روح داود في نور ساطع، فقال: مَنْ هذا؟ قال: هذا من ذريتك، نبيٌّ خلقته، قال: كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: زيدوه من عمري أربعين سنة، قال: والأقلام رطبة تجري، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون، وكان عمر آدم ألف سنة، فلما استكملها إلا الأربعين سنة بعث إليه

---

(١) هذا إسناد ضعيف جداً.

(٢) مرسل ضعيف.

مَلك الموت قال: يا آدم أمِرتُ أن أقبضك ، قال: ألم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: فرجع ملك الموت إلى ربه عزّ وجلّ فقال: إن آدم يدَّعي من عمره أربعين سنة ، قال: أخبرْ آدم أنه جعلها لابنه داود. والأقلام رطبة ، وأثبتت لداود [الأربعون][(١)]. (١ : ١٥٨).

٢١٦ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، بنحوه[(٢)]. (١ : ١٥٨).

٢١٧ ـ وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً ، وأوصى إلى ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته ، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث ، وأمره أن يخفيَه من قابيل وولده ، لأن قابيل قد كان قتل هابيل حسداً منه حين خصّه آدم بالعلم ، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم ، ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به[(٣)]. (١ : ١٥٨).

٢١٨ ـ ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم عليه السلام كله كان تسعمئة سنة وثلاثين سنة[(٤)]. (١ : ١٥٨).

٢١٩ ـ حدثنا الحارث قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرني هشام بن محمد ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: كان عمر آدم تسعمئة سنة وستاً وثلاثين سنة؛ والله أعلم[(٥)]. (١ : ١٥٨).

٢١٩/أ ـ والأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ والعلماء من سَلفنا ما قد ذكرت ، ورسول الله ﷺ كان أعلم الخلق بذلك.

وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال: كان عمره ألف سنة ، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له ، أكمل الله له عِدّة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب لداود ما وهب له من ذلك ، ولعلّ ما كان جعل من ذلك آدم عليه

---

(١) مرسل ضعيف.
(٢) مرسل ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

السلام لداود عليه السلام لم يُحسَب في عمر آدم في التوارة ، فقيل: كان عمره تسعمئة وثلاثين سنة.

فإن قال قائل: فإنّ الأمر وإن كان كذلك؛ فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فكان ينبغي أن يكون في التوراة تسعمئة سنة وستون؛ ليوافق ذلك ما جاءت به الأخبار عن رسول الله .

قيل: قد روينا عن رسول الله في ذلك أن الذي كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة ، وذلك في رواية لأبي هريرة عنه ، وقد ذكرناها قبل. فإن يكن ذلك كذلك ، فالذي زعموا أنه في التوراة من الخبر عن مدة حياة آدم عليه السلام موافق لما روينا عن رسول الله في ذلك[١]. (١ : ١٥٩).

٢٢٠ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق: أنه قال: لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفيَّ الرحمن ، فقبرته الملائكة ، وشيث وإخوته في مشارق الفردوس ، عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض ، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام ولياليهنّ ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية ، جعلها في معراج ، ومعها القرن الذي أخرج أبونا آدم من الفردوس؛ لكيلا يغفل عن ذكر الله عزّ وجلّ[٢]. (١ : ١٥٩).

٢٢١ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال: سمعته يقول: بلغني أن آدم عليه السلام حين مات بعث الله إليه بكفنه وحَنوطه من الجنة ، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيّبوه[٣]. (١ : ١٦٠).

٢٢٢ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن ذكوان ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أبيّ بن كعب ، قال: قال

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف. وشيخ الطبري متهم بالكذب وقد ذكره ابن إسحاق بلاغاً وفي متنه نكارة فالشمس والقمر لا تنكسفان لموت أحد من البشر كما صح والله أعلم.

(٣) ضعيف وانظر ما قبله.

رسول الله : «إن أباكم آدم كان طُوالاً كالنخلة السَّحوق ، ستين ذراعاً ، كثير الشعر ، موارَى العورة ، وأنه لما أصاب الخطيئة بدت له سوءته فخرج هارباً في الجنة فتلقاه شجرة ، فأخذت بناصيته ، وناداه ربّه : أفراراً مني يا آدم! قال : لا والله يا ربّ ولكن حياءً منك مما [قد] جنيت ، فأهبطه الله إلى الأرض ، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه بحَنوطه وكفنه من الجنة ، فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم إليه ، فقال : خَلِّي عني وعن رسل ربي ، فإني ما لقيت ما لقيتُ إلا منك ، ولا أصابني ما أصابني إلا فيك. فلما قبض غسلوه بالسِّدْر والماء وِتراً ، وكفنوه في وِتر من الثياب ، ثم لَحَدُوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده[١]. (١ : ١٦٠).

٢٢٣ ـ حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام [بن محمد] قال : أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرئيل صلى الله عليهما : صلِّ على آدم ، قال : تقدم أنت فصلّ على أبيك ، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفضيلاً لآدم[٢]. (١ : ١٦١).

٢٢٣/ أ ـ وقد اختُلف في موضع قبر آدم عليه السلام ، فقال ابن إسحاق ما قد مضى ذكره ، وأما غيره فإنه قال : دفن بمكة في غار أبي قُبَيس ، وهو غار يقال له غار الكنز[٣]. (١ : ١٦١).

٢٢٤ ـ وروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام قال : أخبرنا أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : لما خرج نوح من السفينة دَفَن آدم عليه السلام ببيت المقدس[٤]. (١ : ١٦١).

٢٢٥ ـ وروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : مات آدم عليه السلام على بَوْذ ـ قال أبو جعفر يعني الجبل الذي

---

(١) شيخ الطبري هنا ضعيف جداً وفي متن الخبر نكارة والله تعالى أعلم.
(٢) في إسناده الكلبي متروك.
(٣) ضعيف.
(٤) في إسناده الكلبي متروك.

أُهبط عليه ـ وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت رحمهما الله ، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت ، وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان ، حتى كان الطوفان ، فاستخرجهما نوح ، وجعلهما في تابوت ، ثم حملهما معه في السفينة ، فلما غاضت الأرض الماء ردّهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان ، وكانت حواء قد غَزَلت ـ فيما ذكر ـ ونسجت وعجنت وخبزت ، وعملت أعمال النساء كلها[١] . (١ : ١٦١) .

٢٢٦ ـ فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعضَ أمره ، وأنه كان وصيّ أبيه آدم عليه السلام في مُخَلَّفيه بعد مضيِّه لسبيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف .

وقيل: إنه لم يزل مقيماً بمكة يحجّ ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع ما أنزل الله عزّ وجلّ عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام ، وعمل بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا: لم تزل القبّة التي جعل الله لآدم في مكان البيت إلى أيام الطوفان ، وإنما رفعها الله عزّ وجلّ حين أرسل الطوفان. وقيل: إن شيثاً لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات ، فدفن مع أبويه في غار أبي قبيس ، وكان مولده لمضي مئتي سنة وخمس وثلاثين سنة ، من عمر آدم عليه السلام. وكانت وفاته وقد أتت له تسعمئة سنة واثنتا عشرة سنة. وولد لشيث أَنُوش ، بعد أن مضى من عمره ستمئة سنة وخمس سنين؛ فيما يزعم أهل التوراة[٢] . (١ : ١٦٢/ ١٦٣) .

٢٢٧ ـ وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدثنا سلمة بن الفضل ، عنه: نكح شيث بن آدم أخته حزورة بنت آدم ، فولدت له يانش بن شيث ، ونَعمة بنت شيث ، وشيث يومئذ ابن مئة سنة وخمس سنين ، فعاش بعد ما وُلد له يانش ثمانمئة سنة وسبع سنين.

وقام أَنُوش بعد مضيّ أبيه شيث لسبيله بسياسة الملك ، وتدبير مَنْ تحت يديه من رعيته مقام أبيه شيث ، ولم يزل ـ فيما ذُكِر ـ على منهاج أبيه: لا يوقَف منه

(١) في إسناده الكلبي متروك.
(٢) ضعيف.

على تغيير ولا تبديل. وكان جميعُ عمر أنوش ـ فيما ذكر أهل التوراة ـ تسعمئة سنة وخمس سنين[١] . (١ : ١٦٣).

٢٢٨ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: حدثني هشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: ولَد شيث أنُوش ونفراً كثيراً ، وإليه أوصى شيث ، ثمّ ولد لأنوش بن شيث بن آدم ابنُه قَيْنَان من أخته نَعمة بنت شيث بعد مضيّ تسعين سنة من عمر أنوش ، ومن عمر آدم ثلاثمئة سنة وخمس وعشرين سنة[٢] (١ : ١٦٣).

٢٢٩ ـ وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق: نكح يانش بن شيث أختَه نعمة بنت شيث ، فولدت له قَيْنان ، ويانش يومئذ ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعد ما ولد له قَيْنَان ثمانمئة سنة وخمس عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش يانش تسعمئة سنة وخمس سنين. ثم نكح قَيْنان بن يانش ـ وهو ابن سبعين سنة ـ دينة بنت براكيل بن محويل بن خَنُوخ بن قين بن آدم ، فولدت له مَهلائيل بن قَيْنان ، فعاش قينان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمئة سنة وأربعين سنة ، فكان كلّ ما عاش قَيْنان تسعمئة سنة وعشر سنين[٣] (١ : ١٦٤).

٢٣٠ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرني هِشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: ولَد أنوش قَيْنَان ، ونفراً كثيراً ، وإليه الوصية ، فولد قينان مهلائيل ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد مهلائيل يرد وهو اليارد ونفراً معه وإليه الوصية فولد يَرْد أخْنُوخ وهو إدريس النبي ونفراً معه ، فولد مهلائيل يردد وهو البارد ونفراً معه وإليه الوصية فولد أخْنُوخ مَتُوشَلخ ونفراً معه وإليه الوصية ، [فولد مَتُوشَلخ لمك ونفراً معه وإليه الوصية][٤] (١ : ١٦٤).

٢٣١ ـ وأما التوراة فما ذكره أهلُ الكتاب أنه فيها أنّ مولد مهلائيل بعد أن

(١) في الإسرائيليات ذكره الطبري نفسه هنا.
(٢) في إسناده الكلبي متروك.
(٣) ضعيف.
(٤) في إسناده الكلبي متروك.

مضت من عمر آدم ثلاثمئة سنة وخمس وتسعون سنة ، ومن عمر قَيْنان سبعون سنة.

ونكح مهلائيل بن قَيْنان ـ وهو ابن خمس وستين سنة ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ـ خالَتَه سمعن ابنة براكيل بن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم ، فولدت له يَرْد بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يَرْد ثمانمئة سنة وثلاثين سنة ، فوُلد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش مهلائيل ثمانمئة سنة وخمساً وتسعين سنة ، ثم مات[١]. (١ : ١٦٤).

٢٣٢ ـ وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يَرْد وُلد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمئة سنة وستون سنة ، وأنه كان على منهاج أبيه قَيْنان ، غير أنّ الأحداث بدتْ في زمانه[٢]. (١ : ١٦٤).

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

٢٣٣ ـ ذُكِر: أن قابيل لما قتل هابيل ، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أتاه إبليس ، فقال له: إن هابيل إنما قبل قُربانُه وأكلته النار ، لأنه كان يخدُم النار ويعبدها ، فانصبْ أنت أيضاً ناراً تكون لكَ ولعقبك. فبنَى بيتَ نار ، فهو أوّلُ مَنْ نَصَب النار وعبدها[٣]. (١ : ١٦٥).

٢٣٤ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: إن قيناً نكح أختَه أشوث بنت آدم ، فولدت له رجلاً وامرأة: خَنُوخ بن قين ، وعذب بنت قين ، فنكح خَنوخ بن قين أختَه عذَب بنت قين ، فولدت له ثلاثة نفر وامرأة: عيرد بن خَنُوخ ومحويل بن خَنُوخ وأنوشيل بن خنوخ ، ومَوليث بنت خنوخ ، فنكح أنُوشيل بن خنوخ موليث بنت خنوخ ، فولدت لأنوشيل رجلاً اسمه لامك ،

(١) ضعيف وهو من الإسرائيليات.
(٢) ضعيف وهو من الإسرائيليات.
(٣) ضعيف.

فنكح لامك امرأتين: اسم إحداهما عَدّى واسم الأخرى صَلّى ، فولدت له عَدّى تولين بن لامك ، فكان أول من سكن القباب ، واقتنى المال ، وتوبيش ، وكان أول من ضرب بالوَنج والصَّنْج ، وولدت رجلاً اسمه توبلقين ، فكان أول مَنْ عمل النحاس والحديد ، وكان أولادهم جبابرة وفراعنة ، وكانوا قد أعطُوا بسطة في الخلق؛ كان الرجل فيما يزعمون يكون ثلاثين ذراعاً. قال: ثم انقرض ولد قَين، ولم يتركوا عقباً إلا قليلاً ، وذرية آدم كلهم جهلتْ أنسابهم وانقطع نسلهم ، إلا ما كان من شيث بن آدم ، فمنه كان النسل ، وأنسابُ الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم ، فهو أبو البشر ، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقباً.

قال: ويقول أهل التوراة: بل نكح قَين أشوث ، فولدت له خَنوخ ، فولد لخنوخ عِيرد ، فولد عيرد محويل ، فولد محويل أنوشيل ، فولد أنوشيل ، لامك ، فنكح لامك عدّى وصلّى ، فولدتا له مَنْ سمَّيتُ. والله أعلم[١].

٢٣٥ ـ فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وعقبه إلا ما حكيتُ.

وأما غيره من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذي اتخذ الملاهيَ من ولد قايين رجل يقال له: توبال ، اتخذ في زمان مهلائيل بن قَيْنان آلات اللهو من المزامير والطبول والعيدان والطنابير والمعازف ، فانهمك ولد قايين في اللهو ، وتناهى خبرُهم إلى من بالجبل من نسل شيث ، فهمّ منهم مئة رجل بالنزول إليهم ، وبمخالفة ما أوصاهم به آباؤهم ، وبلغ ذلك يارد ، فوعظهم ونهاهم؛ فأبوْا إلا تمادياً ، ونزلوا إلى ولد قايين ، فأعجبوا بما رأوْا منهم ، فلما أرادوا الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقتْ من آبائهم ، فلما أبطؤوا بمواضعهم ، ظنّ من كان في نفسه زيغ ممن كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطاً ، فتسلَّلوا ينزلون عن الجبل ، ورأوا اللهو فأعجبهم ، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرّعات إليهم ، وصِرْن معهم ، وانهمكوا في الطغيان ، وفشت الفاحشة وشرب الخمر[٢]. (١ : ١٦٦).

٢٣٦ ـ حدثنا أحمد بن زُهَير ، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال: حدثنا داود ـ يعني ابن أبي الفرات ـ قال: حدثنا علباء بن أحمر عن عكرمة ، عن ابن

(١) شيخ الطبري هنا ضعيف جداً ومتن هذا الأثر من الإسرائيليات.

(٢) ضعيف وهو من الإسرائيليات.

عباس: أنه تلا هذه الآية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ قال: كانت فيما بين نُوح وإدريس، وكانت ألف سنة، وإن بَطنيْن من ولد آدم، كان أحدُهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل؛ وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام فآجر نفسه منه، وكان يخدُمه، واتخذ إبليس لعنه الله شيئاً مثل الذي يزمُر فيه الرِّعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثلَه، فبلغ ذلك مَنْ حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرّج النساء للرجال، قال: وينزل الرجال لهنّ. وإن رجلاً من أهل الجَبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء وصَباحتهن، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحولوا إليهن، فنزلوا عليهن، فظهرت الفاحشة فيهنّ، فهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[١]. (١ : ١٦٧).

٢٣٧ ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا ابن أبي غَنِيّة عن أبيه، عن الحَكَم: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾، قال: كان بين آدم ونوح ثمانمئة سنة، وكان نساؤهم أقبحَ ما يكون من النساء، ورجالُهم حسان، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسها، فأنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[٢]. (١ : ١٦٧).

٢٣٨ ـ حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: لم يمُتْ آدم حتى بلغ ولدُه وولدُ ولدِه أربعين ألفاً ببَوْذ.

ورأى آدم فيهم الزنى وشربَ الخمر والفساد، فأوصى ألاّ يناكح بنُو شيث بني قابيل، فجعل بنو شيث آدم في مغارة، وجعلوا عليه حافظاً، لا يقربه أحد من بني قابيل، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بني شيث، فقال مئة من بني شيث صِباح: لو نظرنا إلى ما فعل بنو عمّنا! يعنون بني قابيل. فهبطت المئة إلى

---

(١) مرسل ضعيف.

(٢) إسناده مرسل ضعيف.

نساء صباح من بني قابيل ، فاحتبس النساء الرجال ، ثم مكثوا ما شاء الله . ثم قال مئة آخرون : لو نظرنا ما فعل إخوتنا! فهبطوا من الجبل إليهم ، فاحتبسهم النساء . ثم هبط بنو شيث كلّهم ، فجاءت المعصية ، وتناكحوا واختلطوا ، وكثر بنو قابيل حتى ملؤوا الأرض ، وهم الذين غرقوا أيام نوح[١] . (١ : ١٦٧/ ١٦٨).

٢٣٩ ـ وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قيْنان ، وأنه هو أوشهنْج الذي ملك الأقاليم السبعة ، وبيّنت قَول مَنْ خالفهم في ذلك من نسابي العرب[٢] . (١ : ١٦٨).

٢٤٠ ـ فإن كان الأمر فيه كالذي قاله نسابو الفرس ، فإني حُدِّثت عن هشام بن محمد بن السائب : أنه هو أول مَنْ قطع الشجر ، وبنى البناء ، وأول من استخرج المعادن وفطَّن الناس لها ، وأمر أهلَ زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى مدينتين كانتا أوّلَ ما بُني على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل التي بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان ملكه أربعين سنة[٣] . (١ : ١٦٨).

٢٤١ ـ وأما غيره فإنه قال : هو أوّلُ مَن استنبط الحديد في ملكه ، فاتخذ منه الأدوات للصناعات ، وقدر المياه في مواضع المناقع ، وحضّ الناس على الحراثة والزراعة والحصاد واعتمال الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية ، واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ، وأن مُلْكَه كان أربعين سنة ، وأنه بنى مدينة الرَّيّ ، قالوا : وهي أوّل مدينة بنيت بعد مدينة جيومَرْت التي كان يسكنها بدُنْبَاوَند من طبرِستان[٤] . (١ : ١٦٨/ ١٦٩).

٢٤٢ ـ وقالت الفرس : إن أوشْهَنْج هذا وُلِد ملكاً ، وكان فاضلاً محموداً في سيرته وسياسة رعيّته ، وذكروا أنه أوّل من وَضع الأحكام والحدود ، وكان ملقَّباً بذلك ، يُدعَى فيشداذ ومعناه بالفارسية : أوّلُ مَنْ حكم بالعدل ، وذلك أن «فاش» معناه أوّل ، وأن «داذ» عدل وقضاء ، وذكروا أنه نزل الهند ، وتنقّل في البلاد ،

---

(١) في إسناده الكلبي وهو متروك .

(٢) ضعيف .

(٣) ضعيف .

(٤) ضعيف .

فلما استقام أمرُه واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجاً ، وخطب خطبة ، فقال في خطبته: إنه ورِث الملك عن جده جيُومَرت ، وإنه عذاب ونقمة على مَرَدة الإنس والشياطين. وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ، ومنعهم الاختلاط بالناس ، وكتب عليهم كتاباً في طِرْس أبيض أخذ عليهم فيه المواثيق ألاّ يعرضوا لأحد من الإنس ، وتوعّدهم على ذلك ، وقتل مردَتهم وجماعة من الغيلان ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال والأودية ، وأنه ملك الأقاليم كلها ، وأنه كان بين موت جيومَرت إلى مولد أوشهنْج وملْكه مئتان سنة وثلاث وعشرون سنة.

وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوشهنج ، وذلك أنهم دخلوا بموته مساكنَ بني آدم ، ونزلوا إليهم من الجبال والأودية[1]. (١ : ١٦٩).

٢٤٣ ـ ونرجع الآن إلى ذكر يرد ـ وبعضهم يقول هويارد ـ فولد يرد لمهلائيل من خالته سمعن بنت براكيل بن محويل بن خَنُوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم أربعمئة وستون سنة ، فكان وصيّ أبيه وخليفتَه فيما كان والد مهلائيل أوصى إلى مهلائيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى من عمر أبيه مهلائيل ـ فيما ذكروا ـ خمس وستون سنة ، فقام من بعد مَهْلَك أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم[2]. (١ : ١٦٩).

٢٤٤ ـ ثم نكح يَرْد ـ فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، وهو ابن مئة سنة واثنتين وستين سنة ـ بركنا بنت الدرمسيل بن محويل بن خَنُوخ بن قين بن آدم. فولدت له أَخْنُوخ بن يرد ـ وأخنوخ إدريس النبيّ ، وكان أوّل بني آدم أعطي النبوّة ـ فيما زعم ابن إسحاق ـ وخطّ بالقلم ، فعاش يَرْد بعد ما وُلد له أَخْنوخ ثمانمئة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كلّ ما عاش يرد تسعمئة سنة واثنتين وستين سنة ثم مات[3]. (١ : ١٧٠).

٢٤٥ ـ وقال غيره من أهل التوراة: ولد ليرد أَخْنُوخ ـ وهو إدريس ـ فنبأه الله عزَّ وجلّ ، وقد مضى من عمر آدم ستمئة سنة واثنتان وعشرون سنة ، وأنزل عليه

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

ثلاثون صحيفة. وهو أول من خطّ بعد آدم وجاهد في سبيل الله ، وقَطّع الثياب وخاطها ، وأوّل من سَبى من ولد قابيل ، فاسترقّ منهم ، وكان وصيّ والده يرْد فيما كان آباؤه أوصوْا به إليه ، وفيما أوصى به بعضهم بعضاً ، وذلك كلُّه من فعله في حياة آدم.

قال: وتوفِّيَ آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أخْنُوخ ثلاثمئة سنة وثمانيَ سنين ، تتمّةُ تسعمئة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم. قال: ودعا أخْنوخ قومَه ووعظَهم ، وأمرهم بطاعة الله عزّ وجلَّ ومعصية الشيطان ، وألا يُلابسوا ولَد قابيل ، فلم يقبلوا منه ، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قايين.

قال: وفي التوراة: إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلاثمئة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره ، وبعد خمسمئة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمر أبيه ، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمئة وخمساً وثلاثين سنة تمام تسعمئة واثنتين وستين سنة ، وكان عمرُ يارد تسعمئة واثنتين وستين سنة ، وولد أخْنُوخ وقد مضت من عمر يارد مئة واثنتان وستون سنة[١]. (١ : ١٧٠).

٢٤٦ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرني هشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: في زمان يَرْد عُملت الأصنام ، ورَجع مَنْ رجع عن الإسلام[٢]. (١ : ١٧٠).

٢٤٧ ـ وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال: حدثني عمي ، قال: حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولانيّ ، عن أبي ذرّ الغفاريّ ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرّ ! أربعة ـ يعني من الرسل ـ سريانيّون: آدم، وشيث ، ونوح، وأخْنُوخ، وهو أوّل من خطّ بالقلم ، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة»[٣]. (١ : ١٧١).

---

(١) هذا من الإسرائيليات ولا ندري لم ينقل الطبري رحمه الله كل هذه التفاصيل من التوراة.

(٢) في إسناده الكلبي متروك.

(٣) إسناده ضعيف جداً.

٢٤٧/أ ـ وقد زعم بعضهم: أن الله بعث إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه، وجمَع له عِلْم الماضين، وأن الله عزَّ وجلّ زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة، قال: فذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

وقال: يعني بالصحف الأولى [الصحف] التي أنزلت على ابن آدم هبة الله، وإدريس عليهما السلام[(١)] (١ : ١٧١).

٢٤٨ ـ وقال بعضُهم: ملك بيوَراسب في عهد إدريس، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه، فاتّخذه في ذلك الزمان سحراً، وكان بيوراسب يعمل به، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته أو أعجبته دابّة أو امرأة نفخ بقصَبة كانت له من ذهب، وكان يجيءُ إليه كلّ شيء يريده، فمن ثَمَّ تنفخ اليهود [في الشبّورات][(٢)] (١ : ١٧١).

٢٤٩ ـ وأما الفرس فإنهم قالوا: ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان بن خُبانداذ بن خُيايذار بن أوشهنج.

وقد اختلف في نسب طهمورث إلى أوشهنج، فنسبه بعضهم النسبة التي ذكرت. وقال بعض نسَّابة الفرس: هو طهمُورث بن أيونكهان بن أنكهد بن أسكهد بن أوشهنج[(٣)]. (١ : ١٧١).

٢٥٠ ـ وقال هشام بن محمَّد الكلبيّ ـ فيما حُدثتُ عنه: ذكر أهلُ العلم أن أولَ ملوك بابل طهمورث، قال: وبلغنا ـ والله أعلم ـ أن الله أعطاه من القوَّة ما خضع له إبليس وشياطينه، وأنه كان مُطيعاً لله، وكان ملكه أربعين سنة.

وأما الفرس فإنها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلّها، وعقد على رأسه تاجاً، وقال يوم ملك: نحن دافعون بعون الله عن خليقته المَرَدة الفَسَدة. وكان محموداً في ملكه، حَدِباً على رعيته، وأنه ابتنى سابور من فارس ونزلها، وتنقّل في البلدان، وأنه وثب بإبليس حتى ركبه، فطاف عليه في أداني الأرض

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

وأقاصيها ، وأفزعه ومردةَ أصحابه حتى تطايروا وتفرّقوا ، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس والفُرُش ، وأول من اتخذ زينةَ الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشي وحراستها من السباع والجوارح للصيد ، وكتَبَ بالفارسية ، وأن بيوَراسب ظهر في أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملّة الصابئين[١] . (١ : ١٧٢) .

٢٥١ ـ ثم رجعنا إلى ذكر أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام .

ثم نكح ـ فيما حدثنا به ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ـ عن ابن إسحاق ـ: أخنوخ بن يَرْد هدّانة ـ ويقال: أدّانة ـ ابنة باويل بن محويل بن خَنُوخ بن قَين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له مَتُوشلَخ بن أخْنوخ ، فعاش بعد ما ولد له مَتُوشَلَخ ثلاثمئة سنة ، وولد له بنون وبنات؛ فكان كل ما عاش أخنوخ ثلاثمئة سنة وخمساً وستين سنة ثم مات[٢] . (١ : ١٧٢) .

٢٥٢ ـ وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن التوراة: وُلد لأخْنُوخ بعد ستمئة سنة وسبع وثمانين سنة خَلَتْ من عمر آدم مَتُوشَلَخ ، فاستخلفه أخْنُوخ على أمر الله ، وأوصاه وأهل بيته قبل أن يُرفع ، وأعلمهم أن الله عزَّ وجلّ سيعذِّب ولد قايين ومَنْ خالطهم ومال إليهم ، ونهاهم عن مخالطتهم ، وذُكِر أنه كان أول من ركب الخيل ، لأنه اقتفى رسمَ أبيه في الجهاد ، وسلك في أيامه في العمل بطاعة الله طريق آبائه. وكان عمر أخْنُوخ إلى أن رفع ثلاثمئة سنة وخمساً وستين سنة. وولد له مَتُوشَلَخ بعد ما مضى من عمره خمس وستون سنة[٣] (١ : ١٧٢/ ١٧٣) .

٢٥٣ ـ ثم نكح ـ فيما حدثني ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ـ مُتوشلخ بن أخنوخ عربا بنت عزرائيل بن أنوشيل بن خَنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن مئة سنة وسبع وثلاثين سنة. فولدت له لمك بن مَتُوشلخ ، فعاش بعد ما ولد له لمك سبعمئة سنة ، فولد له بنون وبنات ، وكان كلّ ما عاش مَتُوشلخ تسعمئة

(١) في إسناده الكلبي متروك .

(٢) وهذا من الإسرائيليات .

(٣) ضعيف .

سنة وتسع عشرة سنة. ثم مات ونكح لمك بن متوشلخ بن أخنوخ بتنوس بنت براكيل بن محويل بن خنوخ بن قَين بن آدم عليه السلام، وهو ابن مئة سنة وسبع وثمانين سنة. فولدت له نوحاً النبي، فعاش لمك بعد ما ولد له نوح خمسمئة سنة وخمساً وتسعين سنة، [وولد له بنون وبنات]، فكان كلُّ ما عاش سبعمئة سنة وثمانين سنة، ثم مات. ونكح نوح بن لمك عمذرة بنت براكيل بن محويل بن خنُوخ بن قين بن آدم، وهو ابن خمسمئة سنة، فولدت له بنيه: سام، وحام، ويافث بني نوح[1]. (١: ١٧٣).

٢٥٤ ـ وقال أهل التوراة: ولد لمتُوشلَخ بعد ثمانمئة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم لمك، فأقام على ما كان عليه آباؤه: من طاعة الله وحفظ عهوده. قالوا: فلما حضرت مَتُوشلَخ الوفاة استخلف لمك على أمره، وأوصاه بمثل ما كان آباؤه يوصون به. قالوا: وكان لمك يَعظ قومه، وينهاهم عن النزول إلى ولد قايين فلا يتَّعظون، حتى نزل جميع مَنْ كان في الجبل إلى ولد قايين.

وقيل: إنه كان لمتُوشَلَخ ابن آخر غير لمَك، يقال له: صابىء ـ وقيل: إن الصابئين به سُمّوا صابئين ـ وكان عمر مَتُوشَلَخ تسعمئة وستين سنة، وكان مولد لمَك بعد أن مضى من عمر مَتُوشَلخ مئة وسبع وثمانون سنة. ثم ولد لمَك نوحاً بعد وفاة آدم بمئة سنة وست وعشرين سنة، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عزَّ وجلَّ آدم إلى مولد نوح عليه السلام، فلما أدرك نوح قال له لمَك: قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرُنا، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة؛ فكان نوح يدعو إلى ربّه، ويعظ قومَه فيستخفُّون به، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أنه قد أمهلهم؛ فأنظِرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا ويُنيبوا.

وقال آخرون غير من ذكرت قوله: كان نوح في عهد بِيوراسب، وكان قومه يعبدون الأصنام، فدعاهم إلى الله جلَّ وعزَّ تسعمئة وستة وخمسين سنة؛ كلَّما

---

(١) ضعيف.

مضى قرنٌ تبعهم قرن ، على ملّةٍ واحدة من الكفر ، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم[١]. (١ : ١٧٤).

٢٥٥ ـ حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام وقال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : وَلَد مَتُوشلَخ لمك ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولَد لمك نوحاً ، وكان للَمَك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ، ولم يكن أحد في ذلك الزمان ينهَى عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحاً ؛ وهو ابن أربعمئة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوّته مئة وعشرين سنة ، ثم أمره بصنعة السفينة فصنعَها وركبها وهو ابن ستمئة سنة ، وغرق من غرق ، ثم مَكث بعد السفينة ثلاثمئة سنة وخمسين سنة[٢]. (١ : ١٧٤).

٢٥٦ ـ وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جم الشيذ ـ والشيذ معناه عندهم : الشعاع ، لقّبوه بذلك فيما زعموا لجماله ـ وهو جم بن ويونجهان ، وهو أخو طمهورَث . وقيل : إنه ملَك الأقاليم السبعة كلَّها ، وسُخِّر له ما فيها من الجنّ والإنس ، وعُقِد على رأسه التاج . وقال حين قعد في ملكه : إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهاءنا وأحسن تأييدنا ، وسنُوسع رعيتنا خيراً . وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح ، ودلَّ على صنعة الإبريْسم والقَزّ وغيره مما يُغْزَل ، وأمر بنسج الثياب وصَبْغها ، ونحت السروج والأكُف وتذليل الدوابّ بها .

وذكر بعضُهم : أنه توارَى بعد ما مضى من ملكه ستمئة سنة وست عشرة سنة وستَّة أشهر ، فخلت البلادُ منه سنة ، وأنه أمر لمُضِيّ سنةٍ من ملكه إلى سنة خمس منه بصنعة السيوف والدروع والبيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد . ومن سنة خمسين من مُلْكه إلى سنة مئة بغزل الإبريْسم والقَزّ والقطن والكَتّان وكلّ ما يُستطاع غزلُه وحياكة ذلك وصبْغته ألواناً وتقطيعه أنواعاً ولبسه . ومن سنة مئة إلى سنة خمسين ومئة صنَّف الناس أربع طبقات : طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتَّاباً وصناعاً وحرّاثين ، واتخذ طبقة منهم خَدَماً ، وأمرَ كلّ

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف وفي إسناده الكلبي وأبوه متروكان .

طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذي ألزمها إياه. ومن سنة مئة وخمسين إلى سنة خمسين ومئتين حاربَ الشياطين والجنَّ وأثخنهم وأذلّهم وسُخِّروا له وانقادوا لأمره. ومن سنة خمسين ومئتين إلى سنة ست عشرة وثلاثمئة وكَّلَ الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال، وعملِ الرخام والجصّ والكَلْس والبناء بذلك، بالطين البنيان والحمامات، وصنعة النُّورة، والنّقْل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كلّ ما ينتفع به الناس، والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر، وأنواع الطيب والأدوية فنفذوا في كلّ ذلك لأمره. ثم أمر فصُنِعت له عَجَلة من زجاج، فصفّد فيها الشياطين وركبها، وأقبل عليها في الهواء من بلده، من دَنْبَاوند إلى بابل في يوم واحد، وذلك يوم هرمزأز فروردين ماه، فاتخذ الناس للأعجوبة التي رأوا من إجرائه ما أجرى على تلك الحال نوروز؛ وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً، والتنعم والتلذذ فيها، وكتب إلى الناس اليوم السادس، وهو خُرداذروز يخبرهم: أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله، فكان من جزائه إياه عليها أن جنَّبهم الحرَّ والبردَ والأسقام والهرَم والحسد، فمكث الناس ثلاثمئة سنة بعد الثلاثمئة والست عشرة سنة التي خلت من مُلْكه، لا يصيبهم شيء مما ذكر أن اللهَ جَلّ وعزّ جنّبهم إياه.

ثم إن جمَّ بَطَر بعد ذلك نعمة الله عنده، وجمع الإنس والجن، فأخبرهم أنه وليُّهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأسقام والهرم والموت، وجَحَد إحسان الله عزّ وجلّ إليه، وتمادى في غيّه فلم يُحِرْ أحد ممن حضره له جواباً، وفقد مكانه بهاءه وعزّه، وتخلّت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره، فأحسّ بذلك بِيوراسب الذي يسمى الضحاك فابتدر إلى جَم لينتهسه فهرب منه، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك، فامتلخ أمعاءه واسترطها، ونشره بمنشار.

وقال بعض علماء الفرس: إن جمَّ لم يزل محمودَ السيرة إلى أن بقيَ من ملكه مئة سنة فخلّط حينئذ، وادّعى الربوبية، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره، ووثب عليه أخوه اسفتور وطلبه ليقتله، فتوارى عنه، وكان في تواريه ملكاً ينتقل من موضع إلى موضع، ثم خرج عليه بيوراسب فغلَبه على ملكه، ونشره بالمنشار.

وزعم بعضُهم أن مُلْك جم كان سبعمئة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرين يوماً[١]. (١ : ١٧٥/ ١٧٦).

٢٥٧ ـ وقد ذكرت عن وهب بن منبّه ، عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصّة جم شاذ الملك ، ولولا أنّ تاريخه خلاف تاريخ جَم لقلت إنها قصة جَم. وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبّه: أنه قال: إن رجلاً ملك وهو فتىً شاب ، فقال: إني لأجدُ للمُلْك لذة وطعماً ، فلا أدري: أكذلك كلّ الناس أم أنا وجدتُه من بينهم؟ فقيل له: بل المُلْك كذلك ، فقال: ما الذي يقيمه لي؟ فقيل له: يقيمه لك أن تطيعَ الله فلا تعصيه. فدعا ناساً من خيار مَنْ كان في ملكه فقال لهم: كونوا بحضرتي في مجلسي؛ فما رأيتم أنه طاعة لله عزّ وجلّ فأمُروني أن أعمل به ، وما رأيتم أنه معصيةٌ لله فازجروني عنه أنزجر؛ ففعل ذلك هو وهم ، واستقام له ملكه بذلك أربعمئة سنة مطيعاً لله عزّ وجلّ. ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال: تركت رجلاً يعبد الله ملكاً أربعمئة سنة! فجاء فدخل عليه فتمثّل له برجل ، ففزع منه الملك ، فقال: من أنت؟ قال إبليس: لا تُرَعْ؛ ولكن أخبرني مَنْ أنت؟ قال الملك: أنا رجل من بني آدم ، فقال له إبليس: لو كنت من بني آدم لقد متَّ كما يموت بنو آدم؛ ألم تَر كمْ قد مات من الناس وذهب من القرون! لو كنتَ منهم لقد متَّ كما ماتوا؛ ولكنَّك إله ، فادعُ الناس إلى عبادتك. فدخل ذلك في قلبه ، ثم صعد المنبر ، فخطب الناس فقال: أيها الناس ، إني قد كنت أخفيت عنكم أمراً بَانَ لي إظهاره؛ لَكَمْ تعلمون أني ملكتكم منذ أربعمئة سنة ، ولو كنتُ من بني آدم لقد متُّ كما ماتوا؛ ولكني إلهٌ فاعبدوني! فأرعش مكانه ، وأوحى الله إلى بعض مَنْ كان معه فقال: أخبره أني قد استقمت له ما استقام لي ، فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي ، فبعزّتي حلفتُ لأسلِّطنّ عليه بخت ناصر؛ فليضربَنَّ عنقه ، وليأخذنّ ما في خزائنه. وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلّط عليه بخت ناصر؛ فلم يتحول الملك عن قوله ، حتى سلَّط الله عليه بخت ناصر ، فضرب عنقه ، وأوقر من خزائنه سبعين سفينة ذهباً.

---

(١) ضعيف.

قال أبو جعفر: ولكن بين بخت ناصر وجم دهر طويل؛ إلا أن يكون الضّحاك كان يُدعى في ذلك الزمان بخت ناصر[١]. (١: ١٧٦/ ١٧٧).

٢٥٨ - وأما هشام بن الكلبيّ فإني حُدّثت عنه أنه قال: ملك بعد طهْمورث جم، وكان أصبَحَ أهلِ زمانه وجهاً، وأعظمهم جسماً، قال: فذكروا أنه غبَرَ ستمئة سنة وتسع عشرة سنة مطيعاً لله مستعلياً أمره مستوثقة له البلاد. ثم إنه طَغى وبغى؛ فسلّط الله عليه الضَّحاك، فسار إليه في مئتي ألف، فهرب جم منه مئة سنة؛ ثم إن الضحاك ظفر به فنشره بمنشار. قال: فكان جميع ملك جم، منذ ملك إلى أن قتل سبعمئة وتسع عشرة سنة[٢]. (١: ١٧٧).

٢٥٩ - وقد روي عن جماعة من السلف: أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون؛ كلُّهم على ملة الحقّ، وأن الكفر بالله إنما حدث في القرن الذين بعث إليهم نوح عليه السلام، وقالوا: إن أول نبيّ أرسله الله إلى قوم بالإنذار والدعاء إلى توحيده نوح عليه السلام[٣][٤] (١: ١٧٨).

ذكر من قال ذلك:

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) لقد ذكر الإمام الطبري رحمه الله في هذا الفصل أموراً من الإسرائيليات سوّد بها صفحات كثيرة ولو استشهد بدلاً من ذلك بسور من القرآن الكريم وآياته في قصة نوح عليه السلام لكان خيراً وألف خير ولكنه رحمه الله ذكر تلك الإسرائيليات وغيرها من الأحاديث الضعيفة جداً (عفا الله عنا وعنه).
ومثل تلك التفاصيل لا تُعلم إلا عن طريق الصادق المصدوق ولو كان في ذكر تلك التفاصيل عبرة وعظة لنا لذكرها سبحانه في كتابه المبين.
وذكر الطبري أكثر هذه الآراء عن التابعين وأحياناً عن ابن عباس وهي مستقاة من الإسرائيليات ولا نعلق عليها كثيراً فهي واضحة وضوح الشمس وأحياناً يقول: قال نساب الفرس وهلم جراً.

ـ ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام ـ

٢٦٠ ـ قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وأن منهم مَن يقول: كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله من ركوب الفواحش وشرب الخمور والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عزّ وجلّ. وأنّ منهم من يقول: كانوا أهلَ طاعة بيوَراسب ، وكان بيوراسب أولَ من أظهر القول بقول الصابئين؛ وتبِعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام. وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد[١] . (١ : ١٧٩) .

٢٦٠/ أ ـ والعمل بما أمر الله به رسلَه وأنزله في صحف آدم وشيث وأخنُوخ. ونوح يوم ابتعثه الله نبيًّا إليهم ـ فيما ذكر ـ ابن خمسين سنة[٢] . (١ : ١٧٩) .

٢٦١ ـ وقيل أيضاً ما حدثنا به نصر بن علي الجهضميّ ، قال: حدثنا نوح بن قيس ، قال: حدثنا عَوْن بن أبي شدّاد ، قال: إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابنُ خمسين وثلاثمئة سنة ، فلبِث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمئة سنة[٣] . (١ : ١٧٩) .

٢٦٢ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: حدثنا هشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمئة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوّته مئة وعشرين سنة ، وركب السفينة وهو ابن ستمئة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمئة وخمسين سنة[٤] (١ : ١٧٩) .

٢٦٣ ـ قال أبو جعفر: فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله عزّ وجلّ يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، يمضي قرنٌ بعد قرن ، فلا يستَجيبون له ، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم ، فلما أراد الله عزّ وجلّ إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ ، فأمره الله تعالى ذكره أن يغرس شجرة فغرسها ، فعظمت وذهبت كلَّ مذهب ، ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة ، كما قال الله له: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ ، فقطَعها وجعل يعملها[١]. (١ : ١٨٠).

٢٦٤ ـ وحدثنا صالح بن مسمار المروزيّ ، والمثنى بن إبراهيم ، قالا: حدثنا ابن أبي مريم ، قال: حدثنا موسى بن يعقوب ، قال: حدثني فائد مولى عبيد الله ابن علي بن أبي رافع: أنّ إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره: أنّ عائشة زوج النبي أخبرته: أن رسول الله قال: «لو رحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبيّ». قال رسول الله : «كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الله عزَّ وجلّ ، حتى كان آخر زمانه غَرَس شجرة فعظمت وذهبت كلّ مذهب ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة فيمرّون فيسألونه فيقول: أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون: تعمل سفينة في البرّ فكيف تجري! فيقول: سوف تعلمون. فلما فرغ منها وفار التنور وكثُر الماء في السكك خشيَتْ أمّ الصبيّ عليه ـ وكانت تحبّه حبّاً شديداً ـ فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثَه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعتْه بيدها ، حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أمّ الصبيّ»[٢]. (١ : ١٨٠).

٢٦٥ ـ حدثني ابن أبي منصور ، قال: حدّثنا عليّ بن الهيثم ، عن المسيّب بن شَريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحاك ، قال: قال سلْمان الفارسيّ: عمل نوح السفينة أربعمئة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله ثلثمئة ذراع ، والذراع إلى المنكب[٣]. (١ : ١٨١).

٢٦٦ ـ فعمل نوح بوحي الله إليه ، وتعليمه إياه ، عملَها فكانت إن شاء الله كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد بن زريع ، قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال: ذُكِر لنا أن طول السفينة ثلاثمئة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

في السماء ثلاثون ذراعاً ، وبابها في عرضها[١]. (١ : ١٨١).

٢٦٧ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا عبد العزيز ، قال: حدثنا مبارك عن الحسن ، قال: كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومئتي ذراع ، وعرضها ستمئة ذراع.

٢٦٨ ـ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن مفضّل بن فضالة ، عن عليّ بن زيد بن جُدْعان ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال: قال الحواريون لعيسى بن مريم: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدّثنا عنها! فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب ، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفّه ، فقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم ، قال: هذا قبر حام بن نوح ، قال: فضرب الكثيب بعصاه وقال: قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ، وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام: هكذا هلكت؟ قال: لا ، ولكني متّ وأنا شابٌّ؛ ولكني ظننتُ أنها الساعة ، فمن ثَمَّ شبتُ. قال: حدِّثنا عن سفينة نوح ، قال: كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع وعرضها ستمئة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات: فطبقة فيها الدوابّ والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أرواث الدوابّ أوحى الله إلى نوح أن اغمزْ ذنَب الفيل ، فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بخرز السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضربْ بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنّور وسنّورة ، فأقبلا على الفأر. فقال له عيسى: كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت؟ قال: بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقع عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت. قال: ثم بعث الحمامة ، فجاءت بورق زيتون بمنقارها وطين برجلَيْها ، فعلم أنّ البلاد قد غرقت. قال: فطوْقها الخضرة التي في عنقها ، دعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فمن ثمّ تألف البيوت. قال: فقالت الحواريون: يا رسول الله ! ألا ننطلق به إلى أهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا؟ قال: كيف يتبعكم من لا رزق له؟ قال: فقال له: عُدْ بإذن الله ، فعاد تراباً[٢]. (١ : ١٨١ / ١٨٢).

---

(١) ضعيف.

(٢) كلاهما ضعيف.

٢٦٩ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرني هشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: نَجَر نوح السفينة بجبل بَوْذ ، من ثَمّ تبدّى الطوفان. قال: وكان طول السفينة ثلاثمئة ذراع بذراع جدّ أبي نوح ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وخرج منها من الماء ستة أذرع ، وكانت مطبّقة ، وجعل لها ثلاثة أبواب ، بعضها أسفل من بعض[١] . (١ : ١٨٢).

٢٧٠ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عمّن لا يتّهم ، عن عُبَيْد بن عُمَير الليثيّ: أنّه كان يحدّث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به ـ يعني قوم نوح بنوح ـ فيخنقُونه حتى يُغشى عليه ، فإذا أفاق؛ قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[٢] (١ : ١٨٢).

٢٧٠/أ ـ قال: ويقولون ـ فيما بلغني ـ: يا نوح قد صرت نجّاراً بعد النبوّة! قال: وأعقم الله أرحام النساء فلا يولدَ لهم[٣] (١ : ١٨٣).

٢٧١ ـ قال: ويزعم أهل التوراة: أن الله عزّ وجلّ أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور ، وأن يَطليَه بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً ، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً ، وأن يجعله ثلاثة أطباق: سُفْلاً ووسطاً وعلواً ، وأن يجعل فيه كُوّىً. ففعل نوح كما أمره الله عزّ وجلّ ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه: ﴿إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. وقد جعل التنّور آية فيما بينه وبينه ، فقال: إذا جاء أمرنا وفار التنّور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب. فلما فار التنور حَمَل نوح في الفلك مَن أمره الله تعالى به ـ وكانوا قليلاً كما قال ـ وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ، ذكراً وأنثى. فحمل فيه بنيه الثلاثة: سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر: نوحٌ وبنوه

---

(١) ضعيف وفي إسناده الكلبي وأبوه متروكان.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره الله به من الدوابّ ، وتخلف عنه ابنه يام ، وكان كافراً[١] . (١ : ١٨٣) .

٢٧٢ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مِهْران ، عن ابن عباس ، قال : سمعته يقول : كان أوّل ما حمل نوح في الفلك من الدوابّ الذرّة ، وآخرَ ما حمل الحمار . فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذَنَبه فلم تستقلّ رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك! ادخلْ ، فينهض فلا يستطيع ، حتى قال نوح : ويحك! ادخلْ وإن كان الشيطان معك ، قال كلمة زلّت عن لسانه ، فلما قالها نوح خَلّى الشيطان سبيلَه ، فدخل ودخل الشيطان معه ، فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدو الله! قال : ألم تقل : «ادخل وإن كان الشيطان معك!» قال : اخرج عني يا عدوّ الله ، فقال : مالك بدٌّ من أن تحملَني ، فكان ـ فيما يزعمون ـ في ظهر الفُلْك ، فلما اطمأنّ نوح في الفُلْك وأدخَل فيه كلَّ من آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها نوح بعد ستمئة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ، فلما دخل وحمل معه من حمل ، تحرك ينابيع الغَوْط الأكبر ، وفتحت أبواب السماء ، كما قال الله لنبيه : ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فدخل نوح ومن معه الفلك وغطَّاه عليه وعلى من معه بطبقةٍ ، فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن احتمل الماء الفلك أربعون يوماً وأربعون ليلة : ثم احتمل الماء كما يزعم أهل التوراة ، وكثر واشتدّ وارتفع؛ يقول الله عزَّ وجلّ لنبيه محمد : ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ ، والدُّسُر : المسامير ، مسامير الحديد. فجعلت الفلك تجري به وبمن معه في موج كالجبال ، ونادى نوح ابنَه الذي هلك فيمن هلك ، وكان في معزل حين رأى نوح من صدق موعود ربّه ما رأى ، فقال : ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وكان شقيّاً قد أضمر كفراً ، ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ وكان عهد الجبال وهي حرز من الأمطار إذا كانت ، فظنّ أن ذلك كما كان يكون ، قال [نوح] : ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ . وكثر الماء وطغى ، وارتفع فوق الجبال

(١) ضعيف.

ـ كما يزعم أهل التوراة ـ خمسة عشر ذراعاً ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، [من] كلّ شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوحٌ ومن معه في الفلك ، وإلاّ عوج بن عنق ـ فيما يزعم أهل الكتاب ـ فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال(١) . (١ : ١٨٤/ ١٨٥) .

٢٧٣ ـ حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أرسل الله المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة ، فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدوابّ والطير كلُّها إلى نوح ، وسُخّرت له ، فحمل منها كما أمره الله عزّ وجل : ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ ، وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال ، فركبوا فيها لعشر ليال مضيْنَ من رجب ، وخرجوا منها يوم عاشوراء من المحرّم ، فلذلك صام مَنْ صام يوم عاشوراء . وأخرج الماء نصفين ، فذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ يقول : منصبّ ، ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ يقول : شققنا الأرض ، ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فصار الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وارتفع الماء على أطول جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً ، فسارت بهم السفينة ، فطافت بهم الأرض كلَّها في ستة أشهر لا تستقرُّ على شيء ، حتى أتت الحرَم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ، ورُفع البيت الذي بناه آدم عليه السلام؛ رفع من الغرق ، ـ وهو البيت المعمور والحجر الأسود ـ على أبي قَبيس ، فلما دارت بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم ، حتى انتهت إلى الجوديّ ـ وهو جبل بالحضيض من أرض الموصل ـ فاستقرّت بعد ستة أشهر لتمام السبع ، فقيل بعد السبعة الأشهر : ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فلما استقرّت على الجوديّ ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ ؛ يقول : أنشفي مائك الذي خرج منك ، ﴿ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ ؛ يقول : احبسي ماءك ، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ نشّفته الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي ترون في الأرض ، فآخر ما بقي من الطوفان في الأرض ماءٌ بحِسْمَى بقي في الأرض أربعين

(١) ضعيف .

سنة بعد الطوفان ثم ذهب[١] (١ : ١٨٥/ ١٨٦).

وكان التنور الذي جعل الله تعالى ذكره آية ما بينه وبين نوح فوران الماء منه تنوراً كان لحوّاء من حجارة ، وصار إلى نوح.

٢٧٤ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدثنا هُشَيم عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال: كان تنّوراً من حجارة ، كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال: فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور ، فاركب أنت وأصحابك[٢] (١ : ١٨٦).

وقد اختلف في المكان الذي كان به التنور الذي جعل الله فوران مائه آية ما بينه وبين نوح ، فقال بعضهم: كان بالهند.

ذكر من قال ذلك:

٢٧٥ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عبد الحميد الحِمَّانيّ عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس: في ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قال: فار بالهند[٣]. (١ : ١٨٦).

٢٧٦ ـ وقال آخرون: كان ذلك بناحية الكوفة[٤] (١ : ١٨٦).

ذكر من قال ذلك:

٢٧٧ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا الحسن ، قال: حدثنا خَلَف بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال: نبعَ الماء في التنور ، فعلمتْ به امرأتهُ فأخبرته ، قال: وكان ذلك في ناحية الكوفة[٥] (١ : ١٨٧).

٢٧٨ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا القاسم ، قال: حدثنا علي بن ثابت عن السريّ بن إسماعيل ، عن الشعبيّ: أنه كان يحلف بالله: ما فار التنّور إلا من ناحية الكوفة[٦] (١ : ١٨٧).

---

(١) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروكان.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) ضعيف ولم يصح في ذلك خبر.

واختلف في عدد مَنْ ركب الفُلْك من بني آدم، فقال بعضهم: كانوا ثمانين نفساً.

ذكر من قال ذلك:

٢٧٩ ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقيّ، قال: حدثنا زيد بن الحُبَاب، قال: حدثني حسين بن واقد الخراسانيّ، قال: حدثنا أبو نَهيك، قال: سمعت ابنَ عباس يقول: كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً، أحدهم جُرْهم[١]. (١ : ١٨٧).

٢٨٠ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني الحجاج، قال: قال ابن جريج: قال ابنُ عباس: حمل نوحٌ معه في السفينة ثمانين إنساناً[٢]. (١ : ١٨٧).

٢٨١ ـ حدثني الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: قال سفيان: كان بعضهم يقول: كانوا ثمانين ـ يعني: القليل الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣]. (١ : ١٨٧).

٢٨٢ ـ حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال: أخبرَني أبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: حَمَل نوح في السفينة بنيه: سام، وحام، ويافِث. وكنائنه؛ نساء بنيه هؤلاء، وثلاثة وسبعين من بني شيث؛ ممن آمن به، فكانوا ثمانين في السفينة[٤]. (١ : ١٨٧).

وقال بعضهم: بل كانوا ثمانية أنفس.

ذكر من قال ذلك:

٢٨٣ ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذكر لنا: أنه لم يتمّ في السفينة إلا نوح وامرأته وثلاثة بنيه،

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروكان.

ونساؤهم ، فجميعهم ثمانية[١] . (١ : ١٨٨).

٢٨٤ ـ حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غَنِيَّة ، عن أبيه ، عن الحكم : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كنائنه[٢] . (١ : ١٨٨).

٢٨٥ ـ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : حُدّثتُ : أن نوحاً حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماءُ بنيه : يافث ، وحام ، وسام . فأصاب حامٌ امرأتَه في السفينة ، فدعا نوح أن تُغيَّر نطفته ، فجاء بالسّودان[٣] . (١ : ١٨٨).

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

ذكر من قال ذلك :

٢٨٦ ـ حدثني الحارث ، قال : حدثني عبد العزيز ، قال : حدثنا سُفيان ، عن الأعمش : ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كنائن ، وثلاثة بنين له[٤] (١ : ١٨٨).

٢٨٧ ـ وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسائهم[٥] (١ : ١٨٨).

ذكر من قال ذلك :

٢٨٨ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : حمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ونساءهم ، وستة أناسيّ ممن كان آمن به ، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم . وأرسل الله تبارك وتعالى الطوفان لمضي ستمئة سنة من عمر نوح ـ فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم ـ ولتتمة ألفي سنة ومئتي سنة وست وخمسين سنة من لَدُن أهبط آدم إلى الأرض[٦] (١ : ١٨٩).

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .
(٥) ضعيف .
(٦) ضعيف .

٢٨٩ - وقيل: إن الله عزّ وجلّ أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب ، وإن نوحاً أقام في الفلك إلى أن غاض الماء ، واستوت الفُلك على جبل الجوديّ بقَردي ، في اليوم السابع عشر من الشهر السادس. فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قَرْدي من أرض الجزيرة موضعاً ، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين؛ لأنه كان بنَى فيها بيتاً لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون ، فهي إلى اليوم تسمى سُوق ثمانين[١] (١ : ١٨٩).

٢٩٠ - حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: حدثني هشام بن محمد ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: هبط نوح عليه السلام إلى قرية ، فبنى كلُّ رجل منهم بيتاً ، فسميت سوق ثمانين ، فغرق بنو قابيل كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام.

قال أبو جعفر: فصار هو وأهله فيه ، فأوحى الله إليه: أنه لا يعيدُ الطوفانَ إلى الأرض أبداً[٢] (١ : ١٨٩).

٢٩١ - وقد حدثني عباد بن يعقوب الأسديّ ، قال: حدثنا المحاربيّ عن عثمان بن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال: قال رسول الله : «في أول يوم من رجب ركِب نوح السفينة ، فصام هو وجميع مَنْ معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فانتهى ذلك إلى المحرّم ، فأرست السفينة على الجوديّ يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والدواب فصاموا شكراً لله عزّ وجلّ»[٣]. (١ : ١٩٠).

٢٩٢ - حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج ، قال: كانت السفينة أعلاها الطير ، وسطها الناس ، وأسفلُها السباع وكان طولُها في السماء ثلاثين ذراعاً ، ودَفَعَتْ من عين وردة يوم الجمعة لعشر ليال مضيْن من رجب ، وأرستْ على الجوديّ يوم عاشوراء ، ومرّت بالبيت ، فطافت

---

(١) ضعيف.
(٢) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروكان.
(٣) ضعيف.

به سبعاً ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمَن ، ثم رجعت[(١)] (١ : ١٩٠) .

٢٩٣ ـ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثنا حجاج عن أبي جعفر الرازيّ ، عن قتادة ، قال: هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه: مَنْ كان منكم صائماً فليتمّ صومه ، ومن كان منكم مُفْطِراً فليَصُم[(٢)] (١ : ١٩٠) .

٢٩٤ ـ حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد عن قتادة ، قال: ذُكر لنا أنها ـ يعني: الفُلك ـ استقلّتْ بهم في عشر خَلَوْن من رجب ، فكانت في الماء خمسين ومئة يوم ، واستقرّت على الجوديّ شهراً ، وأهبط بهم في عشر خَلَوْن من المحرّم يوم عاشوراء[(٣)] (١ : ١٩٠) .

٢٩٥ ـ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال: ما كان زمان نوح شبرٌ من الأرض إلا إنسان يدعيه[(٤)] (١ : ١٩٠) .

٢٩٦ ـ ثم عاش نوح بعد الطوفان فيما حدثني نصر بن علي الجَهْضَميّ ، قال: أخبرنا نوح بن قيس ، قال: حدثنا عَوْن بن أبي شداد ، قال: عاش ـ يعني: نوحاً ـ بعد ذلك ـ يعني: بعد الألف سنة إلا خمسين عاماً التي لبثها في قومه ـ ثلاثمئة وخمسين سنة .

٢٩٦/ أ ـ وأما ابن إسحاق ، فإن ابن حُمَيد حدثنا ، قال: حدثنا سلَمة عنه ، قال: وعُمِّر نوح ـ فيما يزعم أهل التوراة ـ بعد أن أهبِط من الفلك ثلاثمئة سنة وثمانياً وأربعين سنة ، قال: فكان جميعُ عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم قبضه الله عَزّ وجَلّ إليه .

وقيل: إن ساماً ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة . وقال بعضُ أهل

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .

التوراة: لم يكن التناسل، ولا ولد لنوح ولدٌ إلا بعد الطوفان، وبعد خروج نوح من الفُلْك.

قالوا: إنما الذين كانوا معه في الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه، غير أنهم بادوا وهلكوا، فلم يبق لهم عَقِب، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من بني آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[1] (١ : ١٩١).

٢٩٧ ـ وقيل: إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعاً؛ كان أحدهما يقال له: كنعان، قالوا: وهو الذي غرق في الطوفان، والآخر منهما يقال له: عابر، مات قبل الطوفان[2] (١ : ١٩١).

٢٩٨ ـ حدثنا الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرني هشام، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: ولد لنوح سام، وفي ولده بياض وأُدْمَة، وحام وفي ولده سواد وبياض قليل، ويافث وفيهم الشُّقرة والحمرة، وكنعان وهو الذي غرِق، والعرب تسميه يام؛ وذلك قول العرب: إنما هامَ عمّنا يام؛ وأمّ هؤلاء واحدة[3] (١ : ١٩١).

٢٩٩ ـ فأما المجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان، ويقولون: لم يزل المُلْك فينا من عهد جيُومَرْت، وقالوا: جيُومَرْت هو آدم يتوارثه آخرٌ عن أول إلى عهد فيروز بن يَزْدجرْد بن شَهْريار، قالوا: ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع، ومُلْك القوم قد اضمحلّ، وكان بعضهمُ يقرّ بالطوفان ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه، وأن مساكن ولد جيومَرْت كانت بالمشرق، فلم يصل ذلك إليهم[4] (١ : ١٩٢).

٣٠٠ ـ وقد ذكرتُ اختلافَ الناس في جيومَرْت ومَن يخالف الفرس في عينه،

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروكان.
(٤) ضعيف.

ومن هو ، ومَنْ نسبه إلى نوح عليه السلام[١] (١ : ١٩٢).

٣٠١ ـ حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا ابن عَثْمة ، قال: حدَّثنا سعيد بن بشير ، عن قَتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة بن جُنْدُب ، عن النبي في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ قال: «سام وحام ويافث»[٢] (١ : ١٩٢).

٣٠٢ ـ ورُوي عن علي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ. وعن محمد بن صالح ، عن الشعبيّ قالا: لما هَبط آدم من الجنة ، وانتشر ولدُه أرّخ بنُوه من هبوط آدم؛ فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرَّخوا ببعث نوح ، حتى كان الغرق ، فهَلَك مَنْ هلك ممن كان على وجه الأرض. فلما هبط نوح وذريته وكلّ من كان في السفينة إلى الأرض قَسّم الأرض بين وِلده أثلاثاً: فجعل لسام وسطاً من الأرض ، ففيها بيتُ المقدس ، والنيل ، والفُرات ، ودجْلة ، وسَيْحان ، وجيحان ، وفَيْشون؛ وذلك ما بين فيشون إلى شرقيّ النيل ، وما بين منخر ريح الجنوب إلى منخر الشمال. وجعل لحام قسمه غربيَّ النيل ، فما وراءه إلى منخر ريح الدَّبُور. وجعل قسم يافث في فيشون فما وراءه إلى مَنْخَر ريح الصبا؛ فكان التاريخ: من الطوفان إلى نار إبراهيم ، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم ، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى أن بعث رسول الله [٣]. (١ : ١٩٣).

ذكر بيوراسب ، وهو الإزدهاق

٣٠٣ ـ والعرب تسميه الضحاك ، فتجعل الحرف الذي بين السين والزاي في الفارسية ضاداً ، والهاء حاءً ، والقاف كافاً ، وإياه عَنَى حبيب بن أوس بقوله:

مَـا نَـالَ مَـا قَـدْ نَـالَ فِـرْعَـوْنٌ وَلاَ هَـامَـانُ فـي الـدُّنْيَـا وَلاَ قَـارُونُ
بَـلْ كَـانَ كـالضَّحَّـاكِ فـي سَطَـوَاتِـهِ بـالعـالميـن ، وأنـت أفْـرِيـدُونُ

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

وهو الذي افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هانىء في قوله:

وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَعْبُدُهُ الْـ ـخَابِلُ والجِنّ في مَسَارِبِهَا

قال: واليمن تدّعيه[1] (١ : ١٩٤).

٣٠٤ ـ حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ـ فيما ذكر من أمر الضحاك هذا ـ قال: والعجم تدّعي الضّحّاك وتزعم أن جمّ كان زوّجَ أخته من بعض أشراف أهل بيته، وملّكه على اليمن، فولدت له الضحاك.

قال: واليمن تدّعيه، وتزعم أنه من أنفسها، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج، وأنه ملّكَ على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد بن عويج، وهو أولُ الفراعنة، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام[2] (١ : ١٩٤).

٣٠٥ ـ وأما الفرس فإنها تنسُب الإزدهاق هذا غير النسبة التي ذكر هشام عن أهل اليمن، وتذكر أنه بيوَراسب بن أروندَاسب بن زينكاو بن ويرَوْشك بن تاز بن فرواك بن سيامك بن مشا بن جيُومَرت.

ومنهم من ينسُبه هذه النسبة؛ غير أنه يخالف النطق بأسماء آبائه فيقول: هو الضحاك بن أندرماسب بن زنجدار بن وندرِيسج بن تاج بن فرياك بن ساهمك بن تاذي بن جيومَرت.

والمجوس تزعم: أن تاج هذا هو أبو العرب، ويزعمون: أن أم الضحاك كانت ودك بنت ويونجهان، وأنه قتل أباه تقرُّباً بقتله إلى الشياطين، وأنه كان كثيرَ المقام ببابل، وكان له ابنان يقال لأحدهما: سرهوار، وللآخر نفوار[3]. (١ : ١٩٥).

وقد ذكر عن الشعبيّ أنه كان يقول: هو «قرشت» مسخه الله «ازدهاق».

ذكر الرواية عنه بذلك:

٣٠٦ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلَمة بن الفضل عن يحيى بن العلاء،

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

عن القاسم بن سلْمان ، عن الشعبيّ ، قال: أبجد ، وهوّز ، وحطّي ، وكَلمن ، وسعفص ، وقرشت؛ كانوا ملوكاً جبابرة ، فتفكر قرشت يوماً ، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين! فمسخه الله فجعله «أجدهاق» ، وله سبعة أرؤس ، فهو الذي بدُنباوَند ، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم: أنه ملَك الأقاليم كلَّها ، وأنه كان ساحراً فاجراً [(١)] . (١ : ١٩٥/ ١٩٦).

٣٠٧ ـ وحدثت عن هشام بن محمد ، قال: ملَك الضحاك بعد جم ـ فيما يزعمون ، والله أعلَم ـ ألفَ سنة ، ونزل السّواد في قرية يقال لها: نَرْس في ناحية طريق الكوفة ، وملَك الأرضَ كلها ، وسار بالجَوْر والعسف ، وبسط يده في القتل ، وكان أولَ مَن سنّ الصَّلب والقطع ، وأوّلَ من وضع العُشور ، وضرب الدراهم ، وأول مَنْ تغنَّى وغُنِّيَ له . قال: ويقال إنه خرج في منكبه سِلْعتان فكانتا تضربان عليه ، فيشتدّ عليه الوجع حتى يطليَهُما بدماغ إنسان ، فكان يقتل لذلك في كلّ يوم رجلين ويَطْلى سِلْعتيه بدماغيهما ، فإذا فعل ذلك سكَن ما يجِد ، فخرج عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضَّحاكَ خبرُه راعه ، فبعث إليه: ما أمرك. وما تريد؟ قال: ألست تزعم أنك ملك الدنيا ، وأن الدنيا لك! قال: بلى ، قال: فليكن كَلَبُك على الدنيا ، ولا يكونَنّ علينا خاصة؛ فإنك إنما تقتلنا دون الناس. فأجابه الضحاك إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذيْن كان يقتلهما في كلّ يوم أن يُقسَّما على الناس جميعاً ، ولا يخصّ بهما مكان دون مكان.

قال: فبلغنا: أنّ أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذي رفع اللواء ، وأنّ ذلك اللواء لم يزل محفوظاً عند ملوك فارس في خزائنهم ، وكان فيما بلغنا جلدَ أسد ، فألبسه ملوكُ فارس الذهبَ والديباجَ تيَمُّناً به.

٣٠٧/ أ ـ قال: وبلغنا أنّ الضحاك هو نُمرود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وُلد في زمانه ، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه[(٢)] . (١ : ١٩٦).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

٣٠٧/ب ـ قال: وبلغنا أن أفريدون ـ هو من نسل جم الملك الذي كان [من] قبل الضحاك ، ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بدُنْباوَنْد ، خرج حتى ورد منزلَ الضحاك وهو عنه غائب بالهند ، فحوى على منزله وما فيه ، فبلغ الضحاك ذلك ، فأقبل وقد سلبه الله قوّته ، وذهبت دولتُه فوثب به أفريدُون فأوثقه وصيَّره بجبال. دُنباوَند؛ فالعجمُ تزعم: أنه إلى اليوم مُوثَق في الحديد يُعذَّب هناك[1] . (١ : ١٩٧) .

٣٠٨ ـ وذكر غيرُ هشام: أنّ الضحاك لم يكن غائباً عن مسكنه ، ولكن أفريدون بن أثفيان جاء إلى مسكن له في حِصْن يُدعَى زرنج ماه مهروز مهر ، فنكح امرأتين له: تسمى إحداهما: أروناز والأخرى سنوار. فوهل بيوراسب لما عاين ذلك ، وخرّ مُدلَّهاً لا يعقل ، فضرب أفريدون هامتَه بجُرْزٍ له ملتوي الرأس ، فزاده ذلك وهَلاً وعزوبَ عقل ، ثم توجَّه به أفريدُونُ إلى جبل دُنْبَاوند ، وشدَّه هنالك وثاقاً ، وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهرروز ـ وهو المِهرجان في اليوم الذي أوثق فيه بيوراسب ـ عيداً ، وعلا أفريدُون سرير الملك[2] (١ : ١٩٧) .

٣٠٩ ـ وذُكر عن الضحاك: أنه قال يومَ ملك وعُقد عليه التاج: نحن ملوك الدنيا ، المالكون لما فيها.

والفرس تزعم: أن الملْك لم يكن إلا للبطن الذي منه أوشهنْج وجم وطَهْمُورث ، وأن الضحاك كان غاصباً وأنه غصَب أهلَ الأرض بسحره وخبثه ، وهوَّل عليهم بالحيَّتين اللتين كانتا على مَنكِبيْه ، وأنه بنى بأرض بابل مدينة سماها حوب ، وجعل النَّبط أصحابَه وبطانته ، فلقي الناسُ منه كلَّ جهد ، وذَبَح الصبيان[3] . (١ : ١٩٨) .

٣١٠ ـ ويقول كثير من أهل الكتب: إن الذي كان على منكبيْه كان لحمتين طويلتين ناتئتين على منكبيه ، كلُّ واحدة منهما كرأس الثعبان ، وأنه كان بخبثه ومكره يسترهما بالثياب. ويذكر على طريق التهويل أنهما حيّتان يقتضيانه

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرّك العضو من الإنسان عند التهابه بالجوع والغضب. ومن الناس من يقول: كان ذلك حيّتين ، وقد ذكرتُ ما رُوي عن الشعبيّ في ذلك ، والله أعلم بحقيقته وصحته[١]. (١ : ١٩٨).

٣١١ ـ وذكر بعضُ أهل العلم بأنساب الفرْس وأمورهم: أنّ الناس لم يزالوا من بِيورَاسب هذا في جَهْد شديد ، حتى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجلٌ من العامة من أهل أصبَهان يقال له: كابي ، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بيوراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكبيه. وقيل: إنه لما بلغ الجزع من كابي هذا على ولده أخذ عصاً كانت بيده ، فعلّق بأطرافها جراباً كان معه ، ثم نصب ذلك العَلَم ، ودعا الناس إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربته ، فأسرع إلى إجابته خلق كثير؛ لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجَوْر ، فلما غلب كابي تفاءل الناس بذلك العلَم ، فعظّموا أمره ، وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم عَلَمهم الأكبر الذي يتبركون به ، وسموه دِرَفْش كابيان ، فكانوا لا يسيّرونه إلا في الأمور العظام ، ولا يُرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجِّهوا في الأمور العظام.

وكان من خبر كابي: أنه شخصَ عن أصبَهان بمن تبعه والتفَّ إليه في طريقه ، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه ، قُذف في قلب الضحاك منه الرُّعب ، فهرب عن منازله ، وخلّى مكانه ، وانفتح للأعاجم فيه ما أرادوا ، فاجتمعوا إلى كابي وتناظروا ، فأعلمهم كابي أنه لا يتعرض للملْك؛ لأنه ليس من أهله ، وأمرهم أن يملِّكوا بعض ولد جم ، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنْق بن فرواك الذي رسم الملك ، وسبق إلى القيام به ، وكان أفريدُون بن أثفيان مستخفياً في بعض النواحي من الضحاك ، فوافى كابي ومَنْ كان معه ، فاستبشرَ القومُ بموافاته ، وذلك أنه كان مُرشَّحاً للملك برواية كانت لهم في ذلك ، فملّكوه ، وصار كابي والوجوه لأفريدُون أعواناً على أمره ، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك ، واحتوى على منازل الضحاك ، اتَّبعه فأسره بدُنباوند في جبالها[٢]. (١ : ١٩٨/ ١٩٩).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

٣١٢ ـ وبعض المجوس تزعمُ أنه جعله أسيراً حبيساً في تلك الجبال ، موكَّلاً به قوم من الجنّ .

ومنهم من يقول : إنه قتله ، وزعموا : أنه لم يُسمَع من أمور الضحاك شيء يستحسَن غير شيء واحد؛ وهو أن بَليَّته لما اشتدت ودام جَوْرُه وطالت أيامه ، عظُم على الناس ما لقُوا منه ، فتراسل الوجوه في أمره ، فأجمعوا على المصير إلى بابه ، فوافى بابَه الوجوهُ والعظماء من الكُور والنواحي ، فتناظروا في الدخول عليه والتظلّم إليه ، والتأتّي لاستعطافه ، فاتفقوا على أن يقدِّموا للخطاب عنهم كابي الأصبهانيّ ، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم ، فأذِن لهم ، فدخلوا وكابي متقدّم لهم ، فمَثل بين يديه ، وأمسك عن السلام ، ثم قال : أيها الملك ، أيّ السلام أسلّم عليك؟ أسلام مَنْ يملك هذه الأقاليم كلّها ، أم سلام مَنْ يملك هذا الإقليم الواحد؟ ـ يعني : بابل ـ فقال له الضحاك : بل سلام مَنْ يملك هذه الأقاليم كلَّها ، لأني ملك الأرض . فقال له الأصبهانيّ : فإذا كنت تملك الأقاليم كلَّها ، وكانت يدك تنالها أجمع ، فما بالُنا قد خُصصْنا بمؤنتك وتحامُلك وإساءتك من بين أهل الأقاليم! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم؟ وعدَّد عليه أشياء كان يُمكنه تخفيفها عنهم ، وجرّد له الصدق والقول في ذلك ، فقدح في قلب الضحّاك قولُه ، وعمِل فيه حتى انخزل وأقرّ بالإساءة ، وتألّف القوْم ووعدهم ما يُحبُّون ، وأمرهم بالانصراف لينزلوا ويتّدعوا ، ثم يعودوا ليقضي حوائجهم ، ثم ينصرفوا إلى بلادهم[1] . (١ : ١٩٩/ ٢٠٠) .

٣١٣ ـ وزعموا : أن أمه ودك كانت شرّاً منه وأرْدَى ، وأنها كانت في وقت مُعاتبة القوم إياه بالقُرْب منه تتعرف ما يقولونه ، فتغتاظ وتُنكره ، فلما خرج القوم دخلت مُستشيطةً مُنكرة علَى الضحاك احتماله القوم ، وقالت له : قد بلغني كلّ ما كان وجُرْأةُ هؤلاء القوم عليك حتى قرّعوك بكذا ، وأسمعوك كذا ، أفلا دمَّرْتَ عليهم ودمدمتهم ، أو قطعت أيديهم!

فلما أكثرتْ على الضحاك قال لها مع عتوّة : يا هذه ! إنك لم تفكّري في شيء إلا وقد سبقتُ إليه؛ إلا أن القوم بَدَهوني بالحق ، وقَرّعوني به ، فلما هممت

---

(١) ضعيف .

بالسطوة بهم والوثوب عليهم تخيّل الحق فمثل بيني وبينهم بمنزلة الجبل ، فما أمكنني فيهم شيء ، ثم سكَّتها وأخرجها ، ثم جلس لأهل النواحي بعد أيام ، فوفّى لهم بما وعدهم ، وردّهم وقد لان لهم ، وقضى أكثرَ حوائجهم ، ولا يُعرَف للضحاك ـ فيما ذُكر ـ فعلة استحسنت [منه] غير هذه[١]. (١ : ٢٠٠).

٣١٤ ـ وقد ذُكر: أن عُمر الأجدهاق هذا كان ألف سنة ، وأن ملكه منها كان ستمئة سنة ، وأنه كان في باقي عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره. وقال بعضهم: إنه ملك ألف سنة ، وكان عمره ألف سنة ومئة سنة ، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهره وقتله[٢]. (١ : ٢٠٠/٢٠١).

٣١٥ ـ وقال بعض علماء الفرس: لا نعلم أحداً كان أطوَل عمراً ـ ممن لم يُذكر عمره في التوراة ـ من الضحاك هذا ، ومن جامر بن يافث بن نوح أبي الفرس؛ فإنه ذُكر أن عمره كان ألف سنة[٣]. (١ : ٢٠١).

٣١٦ ـ وإنما ذكرنا خبر بيوَراسب في هذا الموضع؛ لأنّ بعضهم زعم: أن نوحاً عليه السلام كان في زمانه ، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان في مملكته ، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتوّ والتمرّد على الله ، فذكرنا إحسانَ الله وأياديَه عند نوح عليه السلام بطاعته ربّه وصبْره على ما لقيَ منه من الأذى والمكروه في عاجل الدنيا ، بأن نجّاه ومن آمن معه واتبعه من قومه ، وجعل ذرِّيته هم الباقين في الدنيا ، وأبقى له ذكرَه بالثناء الجميل ، مع ما ذخر له عنده في الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنيء ، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم إياه وتمَرّدهم عليه ، وخلافهم أمره ، فسلبهم ما كانوا فيه من النعيم ، وجعلهم عبْرة وعظة للغابرين؛ مع ما ذَخَر لهم عنده في الآجل من العذاب الأليم[٤]. (١ : ٢٠١).

٣١٧ ـ قد ذكرنا قبلُ عن رسول الله ﷺ: أنه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

﴿ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾: إنهم سام، وحام، ويافث[١] (١ : ٢٠١).

٣١٨ - حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثنا عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبّه يقول: إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم، وإنّ حام أبو السودان، وإنّ يافث أبو الترك وأبو يأجوج ومأجوج، وهو بنو عمّ الترك[٢]. (١ : ٢٠١).

٣١٩ - وقيل: كانت زوجة يافث أربسيسة بنت مرازيل بن الدرمسيل بن محويل بن خَنُوخ بن قَيْن بن آدم عليه السلام، فولَدَت له سبعة نفر وامرأة.

فممّن ولدت له من الذكور جومر بن يافث وهو - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق - أبو يأجوج ومأجوج، ومارح بن يافث ووائل بن يافث، وحوّان بن يافث، وتوبيل بن يافث، وهوشل بن يافث، وترسل بن يافث، وشبكة بنت يافث. قال: فمن بني يافث كانت يأجوج ومأجوج والصقالبة والترك فيما يزعمون. وكانت امرأة حام بن نوح نحلب بنت مارب بن الدرمسيل بن محويل بن خَنُوخ بن قَين بن آدم. فولدت له ثلاثة نفر: كوش بن حام بن نوح، وقوط بن حام بن نوح، وكنعان بن حام. فنكح كوش بن حام بن نوح قرنبيل بنت بتاويل بن ترس بن يافث، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون. ونكح قوط بن حام بن نوح بختِ بنت بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح، فولدت له القبط - قبط مصر - فيما يزعمون. ونكح كنعان بن حام بن نوح أرتيل بنت بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح، فولدت له الأساود: نُوبة، وفزّان، والزَّنْج، والزَّغَاوة؛ وأجناس السودان كلّها[٣]. (١ : ٢٠٢).

٣٢٠ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق في الحديث قال: ويزعمُ أهل التوراة: أنّ ذلك لم يكن إلا عن دَعوة دعاها نوح على ابنه حام، وذلك أن نوحاً نام فانكشف عن عورته، فرآها حام فلم يغطّها، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوباً فواريا عورتَه، فلما هبّ من نومته علم ما صنع حام وسام

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

ويافث ، فقال: ملعون كنعان بن حام؛ عبيداً يكونون لإخوته ، وقال: يبارك الله ربّي في سام ، ويكون حام عبْد أخويه ، ويقرض الله يافث ، ويحُلّ في مساكن حام ، ويكون كنعان عبداً لهم. قال: وكانت امرأة سام بن نوح صليب بنت بتاويل بن محويل بن خَنُوخ بن قين بن آدم، فولدت له نفراً: أرفخشد بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام، وعويلم بن سام، وكان لسام إرم بن سام، قال: ولا أدري إرم لأم أرفخشد وإخوته أم لا؟

ورجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: فنكح لاوذ بن سام بن نوح شبكة بنت يافث بن نوح فولدت له فارس وجرجام وأجناس فارس ، ووُلد للاوذ مع الفرس طَسْم وعمليق ، ولا أدري أهو لأمّ الفرس أم لا؟ فعمليق أبو العماليق. كلهم أمم تفرقت في البلاد ، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ، ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان أهل البحرَيْن وأهل عمان منهم أمة يُسمَّوْن جاسم ، وكان ساكِني المدينة منهم ، بنو هِفّ وسعد بن هزَّان ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق. وأهل نجد منهم بديل وراحل وغِفار ، وأهل تيماء منهم. وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمُه الأرقم ، وكانوا ساكني نجد مع ذلك. وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم ، حيٌّ من عَبْس الأوَل.

قال: وكان بنو أُمَيْم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وَبار بأرض الرمل ، رمل عالج ، وكانوا قد كثروا بها ورَبُلوا؛ فأصابتهم من الله عزّ وجلّ نقمة من معصية أصابوها ، فهلكوا وبقيَت منهم بقية ، وهم الذين يقال لهم النِسناس.

قال: وكان طسم بن لاوذ ساكنَ اليمامة وما حولها ، قد كثروا بها وَرَبلُوا إلى البحرين؛ فكانت طسم والعماليق وأمَيْم وجاسم قوماً عَرَباً ، لسانهم الذي جُبِلوا عليه لسانٌ عربيّ. وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس ، يتكلمون بهذا اللسان الفارسيّ.

قال: وولد إرَم بن سام بن نوح عَوْص بن إرم ، وغَاثر بن إرم ، وحويل بن إرَم ، فولد عوص بن إرم غَاثر بن عوْص ، وعاد بن عوص ، وعَبيل بن عوص. وولد غَاثر بن إرم ثمود بن غاثر ، وجَدِيس بن غاثر. وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضَريّ ، فكانت العرب تقول لهذه الأمم: العرب العاربة ، لأنه

لسانهم الذي جُبِلوا عليه ، ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم: العرب المتعرّبة ، لأنهم إنما تكلّموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فعاد وثمود والعماليق وأمَيم وجاسم وجديس وطسم هم العرب؛ فكانت عاد بهذه الرمل إلى حَضْرَمَوْتَ واليمن كله ، وكانت ثمود بالحِجْر بين الحجاز والشام إلى وادي القُرَى وما حوله ، ولحِقَتْ جديس بطسم ، فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرَيْن ، واسم اليمامة إذ ذاك جَوّ ، وسكنت جاسم عُمانَ فكانوا بها[١]. (١ : ٢٠٢/ ٢٠٣/ ٢٠٤).

٣٢١ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرني هشام بن محمد ، قال: أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: لمّا ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحوّلوا إلى بابل فبنوْها ، وهي بين الفرات والصَّراة ، وكانت اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً ، وكان بابها موضع دُورَان اليوم ، فوق جسر الكوفة يَسْرَةً إذا عبَرت ، فكثروا بها حتى بلغوا مئة ألف ، وهم على الإسلام[٢]. (١ : ٢٠٣).

٣٢٢ ـ وقال غير ابن إسحاق: إن نوحاً دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده ، ودعا ليافث بأن يكون الملوك من ولده ، وبدأ بالدعاء ليافث وقدّمه في ذلك على سام ، ودعا على حام بأن يتغيّر لونه ، ويكون ولده عبيداً لولد سام ويافث.

قال: وذكر في الكتب: أنه رقّ على حام بعد ذلك ، فدعا له بأن يُرزَق الرأفة من إخوته ، ودعا من ولد ولده لكوش بن حام ولجامِر بن يافث بن نوح ، وذلك أن عدّة من ولد الولد لحقوا نوحاً فخدموه ، كما خدمه ولده لصلبه ، فدعا لعدّة منهم.

قال: فولد لسام عابر وعُلَيم وأشوذ وأرفخشد ولاوَذ وإرم ، وكان مقامه بمكة.

قال: فمن ولد أرفخشد الأنبياء والرسل وخيار الناس ، والعرب كلها ،

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

والفراعنة بمصر. ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلّها من الترك والخزَر وغيرهم، والفرس الذين آخرُ مَنْ مَلَك منهم يَزْدَجِرْد بن شهريار بن أبرويز، ونسبُه ينتهي إلى جيومرت بن يافث بن نوح.

قال: ويقال: إن قوماً من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نَزَعوا إلى جامر هذا، فأدخلهم جامر في نعمته ومُلكه، وأن منهم ماذي بن يافث، وهو الذي تُنسب السيوف الماذيّة إليه. قال: وهو الذي يقال: إن كيرش الماذويّ قاتل بلشصر بن أولمرودخ بن بختنصر من ولده.

قال: ومن ولد حام بن نوح النوبة، والحبشة، وفَزّان، والهند، والسند، وأهلُ السواحل في المشرق والمغرب.

قال: ومنهم نمرود، وهو نمرود بن كوش بن حام.

قال: وولد لأرفخْشد بن سام ابنه قينان، ولا ذِكْرَ له في التوراة، وهو الذي قيل: إنه لم يستحقّ أن يذكر في الكتب المنزلة، لأنه كان ساحراً، وسمى نفسه إلهاً، فسيقت المواليد في التوراة على أرفخشد بن سام ثم على شالَخ بن قينان بن أرفخشد من غير أن يذكر قينان في النسب، لما ذكر من ذلك.

قال: وقيل في شالَخ: إنه شالخ بن أرفخشد من ولد لقينان. وولد لشالَخ عابر. وولد لعابر ابنان: أحدهما فالغ، ومعناه بالعربية قاسم ـ وإنما سمى بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تبلبلت في أيامه ـ وسمي الآخر قحطان. فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالخ، فنزلا أرضَ اليمن، وكان قحطان أوَّل مَنْ ملك اليمن، وأول من سُلِّم عليه بـ «أبَيْتَ اللَّعْنَ»، كما كان يقال للملوك. وولد لفالغ بن عابر أرغوا ـ وولد لأرغوا ساروغ، وولد لساروغ ناحورا، وولد لناحورا تارَخ ـ واسمه بالعربية آزر ـ وولد لتارَخ إبراهيم صلوات الله عليه. وولد لأرفخشد أيضاً نمرود بن أرفخشد، وكان منزله بناحية الحِجْر. وولد للاوَذ بن سام طسم وجديس، وكان منزلهما اليمامة. وولد للاوَذ أيضاً عمليق بن لاوذ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة، ولحق بعض ولده بالشام؛ فمنهم كانت العماليق، ومن العماليق الفراعنة بمصر. وولد للاوَذ أيضاً أمَيم بن لاوذ بن سام، وكان كثير الولَد، فنزع بعضُهم إلى جامر بن يافث بالمشرق.

وولد لإرم بن سام عَوْص بن إرم ، وكان منزله الأحقاف. وولد لعوص عاد بن عوص.

وأما حام بن نوح ، فولد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان ، فمن ولد كوش نُمرود المتجبر الذي كان ببابل ، وهو نمرود بن كوش بن حام ، وصارت بقيةُ ولَد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفزّان.

قال: ويقال: إن مصرايم ولَدَ القبْط والبربر ، وإن قوطاً صار إلى أرض السند والهند فنزلها ، وإنّ أهلَها من ولده.

وأما يافث بن نوح فولد له جامر وموعج وموادى وبوان وثوبال وماشج وتيرش. ومن ولد جامر ملوك فارس. ومن ولد تيرش الترك والخزر. ومن ولد ماشج الأشبان. ومن ولد موعج يأجوج ومأجوج ، وهم في شرقيّ أرض الترك والخزر. ومن ولد بوان الصّقالبة وبرجان والأشبان ، كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقَع بها مَنْ وقع من ولد العيص وغيرهم؛ وقصد كلُّ فريق من هؤلاء الثلاثة: سام وحام ويافث أرضاً ، فسكنوها ودفعوا غيرَهم عنها[1]. (١: ٢٠٥/٢٠٦).

٣٢٣ ـ حدثني الحارث بن محمد ، قال: حدثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة وأهل العال من ولد سام بن نوح. وقال ابن عباس: والعرب والفرس والنَّبَط والهند والسّند من ولَد سام بن نوح[2]. (١: ٢٠٦).

٣٢٤ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا هشام بن محمد عن أبيه: قال: الهند والسند بنو توقير بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. ومُكران بن البند ، وجرهم ، اسمه هذرم بن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. وحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالخ. ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن

---

(١) ضعيف.

(٢) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروكان.

سام بن نوح ، في قول من نسبَه إلى غير إسماعيل. والفرس بنو فارس بن تيرش بن ناسور بن نوح. والنَّبَط بنو نبيط بن ماش بن إرم بن سام بن نوح. وأهل الجزيرة والعال من ولد ماش بن إرم بن سام بن نوح. وعمليق ـ وهو عَريب ـ وطسم وأمَيم بنو لوذ بن سام بن نوح. وعمْليق هو أبو العمالقة ، ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ، ما خلا صِنهاجة وكُتامة ، فإنهما بنو فريقيش بن قيس بن صيفيّ بن سبأ.

قال: وكان يقال لعاد في دهرهم عادُ إرَم ، فلما هلكت عاد قيل لثمود إرم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني إرم: إرمان؛ فهم النَّبَط ، فكلٌّ هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل ، حتى ملَكهم نُمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوْا وكلامهُم السريانية ، ثم أصبحوا ، وقد بلبَل الله ألسنتَهم ، فجعل لا يعرف بعضُهم كلامَ بعض ، فصار لبني سام ثمانية عشر لساناً ، ولبني حام ثمانية عشر لساناً ، ولبني يافث ستة وثلاثون لساناً ، ففهّم الله العربيةَ عاداً وعَبِيل وثمود وجَديس وعِمْليق وطَسْم وأمَيْم وبني يقطن بن عابر بن شالَخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

وكان الذي عقد لهم الألوية ببابل بوناظر بن نوح ، وكان نوح فيما حدثني الحارث ، قال: حدثنا ابن سعد ، قال: أخبرني هشام ، قال: أخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عباس: تزوج امرأة من بني قابيل ، فولدت له غلاماً ، فسمّاه بوناظر ، فولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون شمساً ، فنزل بنو سام المِجْدَل سرّة الأرض ، وهو ما بين ساتِيدَما إلى البحر ، وما بين اليمن إلى الشام ، وجعل الله النبوةَ والكتاب والجمال والأدْمة والبياض فيهم. ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدّبور ، ويقال لتلك الناحسة الداروم ، وجعل الله فيهم أدْمة وبياضاً قليلاً ، وأعمر بلادهم وسماءهم ، ورفع عنهم الطاعون ، وجعل في أرضهم الأثل والأراك والعُشَر والغار والنخل ، وجرت الشمس والقمر في سمائهم. ونزل بنو يافث الصّفون مجرى الشمال والصبا؛ وفيهم الحمرة والشقرة ، وأخلى الله أرضَهم فاشتدّ بردها ، وأخلى سماءهم ، فليس يجري فوقَهم شيء من النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدْي والفرقدين ، فابتُلوا بالطاعون. ثم لحقت عاد بالشِّحْر ، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ، فلحقتْهم

بعدُ مهْرَةُ بالشِّحْر. ولحقت عبيل بموضع يثرب. ولحقت العماليق بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء، ثم انحدر بعضُهم إلى يثرب، فأخرجوا منها عَبيل، فنزلوا موضع الجُحفة، فأقبل السيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت الجُحفة. ولحقت ثمود بالحجْر وما يليه فهلكوا ثَمَّ ولحقت طسم وجَديس باليمامة فهلكوا، ولحقت أميم بأرض أبَار فهلكوا بها، وهي بين اليمامة والشِّحْر، ولا يصلُ إليها اليوم أحد، غلبت عليها الجن. وإنما سميت أبار بأبار بن أُمَيم. ولحقت بنو يقطن بن عابر باليمن، فسمِّيت اليمن حيث تيامنوا إليها، ولحق قوم من بني كنعان بالشأم فسميت الشأم حيث تشاءموا إليها، وكانت الشأم يقال لها أرض بني كَنْعان، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها، ونفوْهم عنها، فكانت الشأم لبني إسرائيل. ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فقتلوهم، وأجلوْهم إلى العراق إلا قليلاً منهم، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشأم، وكان فالغ ـ وهو فالغ بن عابر بن أرفخشد بن سام بن نوح ـ هو الذي قسَم الأرض بين بني نوح كما سمينا[1]. (١ : ٢٠٧/٢٠٨/٢٠٩).

٣٢٥ ـ ويقال إن عمليق أول مَنْ تكلّم بالعربية حين ظَعنوا من بابل؛ فكان يقال لهم ولجُرهم: العربُ العاربة. وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح، وعاد وعَبِيل ابنا عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، والروم بنو لنطى بن يونان بن يافث بن نوح. ونمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح، وهو صاحب بابل؛ وهو صاحب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه[2]. (١ : ٢٠٧).

٣٢٦ ـ وأما الأخبار عن رسول الله وعن علماء سلفنا في أنساب الأمم التي هي في الأرض اليوم، فعلى ما حدثني أحمد بن بشير بن أبي عبد الله الوراق، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرة، قال: قال رسول الله : «سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش»[3]. (١ : ٢٠٩).

٣٢٧ ـ حدثني القاسم بن بشر بن معروف، قال: حدثنا روح، قال: حدثنا

---

(١) في إسناده هشام الكلبي وأبوه متروكان.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف (وانظر ١/ ٢١٠).

سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرة بن جندَب ، عن النبي ، قال: «ولد نوح ثلاثة : سام وحام ويافث ، فسام أبو العرب ، وحام أبو الزّنج ، ويافث أبو الروم»(١). (١ : ٢٠٩).

٣٢٨ ـ حدثنا أبو كُريب ، قال: حدثنا عثمان بن سعيد ، قال: حدثنا عبّاد بن العوّام عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة ، قال: قال رسول الله : «سام أبو العرب ، ويافث أبو الروم ، وحام أبو الحَبش»(٢). (١ : ٢٠٩).

٣٢٩ ـ حدثني عبد الله بن أبي زياد ، قال: حدثني روح ، قال: حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمُرة ، عن النبي ، قال: «ولد نوح سام وحام ويافث». قال عبد الله: قال رَوْح: أحفظ «يافث» ، وسمعت مرة «يافت»(٣). (١ : ٢٠٩).

٣٣٠ ـ وقد روي هذا الحديث عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سَمُرة وعمران بن حصين ، عن النبي (٤). (١ : ٢٠٩).

٣٣١ ـ حدثني عمران بن بكّار الكَلاعيّ قال: حدثنا أبو اليمان ، قال: حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، قال: سمعت سعيد بن المسيّب يقول: ولد نوح ثلاثة ، وولد كلّ واحد ثلاثة: سام ، وحام ، ويافث. فولَد سام العربَ وفارس والروم؛ وفي كلٍّ هؤلاء خير. وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج؛ وليس في واحد من هؤلاء خير ، وولَد حام القبْطَ والسودان والبربر(٥). (١ : ٢١٠).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

(٥) ضعيف. وهو إسناد مرسل وفي متنه نكارة ولقد سبق أن أخرج الطبري رواية الحسن عن سمرة (١/ ١٩٢).

وقلنا عندها: انظر (١/ ٢١٠) وسنذكر ها هنا إن شاء الله أقوال الأئمة في هذا الحديث ورواياته المختلفة لفظاً.

=

٣٣٢ ـ وروى عن ضَمْرة بن ربيعة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : ولَد حام كلَّ أسود جَعْد الشعر ، وولَد يافث كلَّ عظيم الوجه صغير العينين ، وولد سام كلَّ حسن الوجه حَسَن الشعر. قال : ودعا نوح على حام ألاّ يعدُو شَعْرُ ولده آذانَهم ، وحيثما لقي ولده ولدَ سام استعبدوهم[1] . (١ : ٢١٠).

٣٣٣ ـ وزعم أهلُ التوراة : أنّ سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمئة سنة ، ثم ولد لسام أرفخشد بعد أن مضى من عمر سام مئة سنة وسنتان ، فكان جميع عمْر سام ـ فيما زعموا ـ ستمئة سنة. ثم ولد لأرفخشد قينان ، وكان عمر أرفخشد أربعمئة سنة وثمانياً وثلاثين سنة. وولد قينان لأرفخشد بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة ، ثم ولد لقينان شالَخ بعد أن مَضَى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم يذكر مدة عمر قَيْنان في الكتب فيما ذكر لمَا ذكرنا من أمره قبل. ثم ولد لشالَخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان عمر شالخ كله أربعمئة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة.

ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمئة وأربعين سنة ، فلما كثر الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان همُّوا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرّقون ، أو صرْح عالٍ يحرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يغرقون ، فأراد الله عزّ وجلَّ أن يُوهن أمرَهم ، ويُخلِف ظنَّهم ويعلّمهم : أن

= وأخرج الترمذي (كتاب التفسير/ سورة الصافات/ ح٣٢٣١) عن الحسن عن سمرة بن جندب مرفوعاً. سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم.
وأخرجه كذلك في (كتاب المناقب/ ح٣٩٤٠) وقال : هذا حديث حسن وأخرجه أحمد في مسنده عن سمرة بن جندب (ح٢٠٩٩) وقال العلامة أرناؤوط : إسناده ضعيف ، الحسن مشهور بالتدليس ولم يصرح بسماعه هنا وذهب جماعة من أهل العلم إلى أنه لم يسمع من سمرة سوىٰ حديث واحد.
قلنا : وأخرج الطبراني في الكبير (١٨/ ١٤٦) عن عمران بن حصين وسمرة بن جندب : أن النبي قال : ولد نوح ثلاثة فسام أبو العرب وحام أبو الحبشة ويافث أبو الروم.
وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثوقون (المجمع ح٩٣٣) وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي (٢/ ٥٤٦) وإسناد أحمد كإسناد الحاكم من طريق الحسن عن سمرة معنعناً.

(١) ضعيف.

الحول والقوة له ، فبدّد شملهم ، وشتّت جمعهم ، وفرّق ألسنتهم. وكان عمر عابر أربعمئة سنة وأربعاً وسبعين سنة.

ثم ولد لفالغ أرغوا ، وكان عمر فالغ مئتين وتسعاً وثلاثين سنة ، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة ، ثم ولد لأرغوا ساروغ ، وكان عمر أرغوا مئتين وتسعاً وثلاثين سنة ، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة. ثم ولد لساروغ ناحور ، وكان عمر ساروغ مئتين وثلاثين سنة. وولد له ناحور ، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة.

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وكان هذا الاسم اسمه الذي سمّاه أبوه ، فلما صار مع نُمرود قَيِّماً على خِزانة آلهته سماه آزر. وقد قيل: إن آزر ليس باسم أبيه؛ وإنما هو اسم صنم؛ فهذا قولٌ يروى عن مجاهد. وقد قيل: إنه عيبٌ عابه به بمعنى «معوّج» ، بعد ما مضى من عمر ناحور سبع وعشرون سنة ، وكان عمر ناحور كله مئتين وثمانياً وأربعين سنة.

وولد لتارَخ إبراهيم ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ، وكان بعضُ أهل الكتاب يقول: كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومئتا سنة وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلْق آدم بثلاثة آلاف وثلاثمئة سنة وسبع وثلاثين سنة.

وولد لقحطان بن عابر يَعْرُب ، فولد يعرُب يَشْجُبَ بن يعرُب ، فولد يشجب سبأ بن يشجب ، فولد سبأ حمْيَرَ بن سبأ وكَهْلاَنَ بن سبأ وعمرو بن سبأ ، والأشعر بن سبأ وأنْمَار بن سبأ ومرّ بن سبأ وعاملة بن سبأ. فولد عمرو بن سبأ عديّ بن عمرو ، فولد عديّ لخم بن عديّ وجُذَام بن عَديّ[1]. (١ : ٢١٠/٢١١).

٣٣٤ ـ وقد زعم بعضُ نسَّابي الفرس: أن نوحاً هو أفريدون الذي قهر الازدهاق ، وسلَبه ملكَه. وزعم بعضُهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم عليه السلام الذي قضى له ببئر السبع ، الذي ذكر الله في كتابه. وقال بعضُهم: هو سليمان بن داود.

---

(١) ضعيف.

وإنما ذكرته في هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال: إنه نوح ، وإن قصته شبيهة بقصة نوح في أولاد له ثلاثة ، وعدله وحسن سيرته ، وهلاك الضحاك على يده. وأنه قيل: إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأنّ نوحاً إنما كان أرسل ـ في قول من ذكرت عنه أنه قال: كان هلاك الضحاك على يدي نوح ـ حين أرسل إلى قومه ، وهم كانوا قومَ الضحاك.

فأما الفرس فإنهم ينسبُونه النسبة التي أنا ذاكرها؛ وذلك أنهم يزعمون: أن أفريدون من ولد جم شاذ الملك الذي قتله الازدهاق ، على ما قد بَيَّنا من أمره قبلُ ، وأن بينه وبين جم عَشَرة آباء[1]. (١ : ٢١١/ ٢١٢).

٣٣٥ ـ وقد حُدِّثت عن هشام بن محمد بن السائب ، قال: بلغنا: أن أفريدون ـ وهو من نسل جم الملك الذي كان من قبل الضحاك ، قال: ويزعمون أنَّه التاسع من ولَده ، وكان مولده بدُنْباوند ـ خرج حتى ورد منزلَ الضحاك ، فأخذه وأوثقه ، وملك مئتي سنة ، وردّ المظالم ، وأمرَ الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان ، ونظر إلى ما كان الضحاك غَصَب الناس من الأرضين وغيرها ، فردَّ ذلك كلَّه على أهله ، إلا ما لم يجد له أهلاً ، فإنه وقَفه على المساكين والعامة. قال: ويقال: إنه أوّل مَنْ سمى الصوافي ، وأولُ من نظر في الطبّ والنجوم ، وإنه كان له ثلاثة بنين: اسم الأكبر سَلم ، والثاني طوج ، والثالث إيرج ، وأن أفريدُون تخوّف ألا يتفق بنوه ، وأن يبغيَ بعضُهم على بعض ، فقسَّم ملكه بينهم ثلاثاً ، وجعل ذلك في سهامٍ كتب أسماءهم عليها ، وأمرَ كلَّ واحد منهم فأخذ سهماً ، فصارت الروم وناحيةُ المغرب لسلْم ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت للثالث ـ وهو إيرج ـ العراق والهند ، فدفع التاج والسرير إليه ، ومات أفريدُون فوثب بإيرَج أخواه فقتلاه ، وملكا الأرض بينهما ثلاثمئة سنة.

قال: والفرس تزعُم: أنّ لأفريدون عشرَة آباء ، كلهم يسمى أثفيان باسم واحد. قالوا: وإنما فعلوا ذلك خوفاً من الضحّاك على أولادهم ، لرواية كانت عندهم ، بأنَّ بعضهم يغلب الضحاك على ملكه ، ويُدرك منه ثأر جم ، وكانوا يعرَفون ويميّزون بألقاب لقِّبوها ، فكان يقال للواحد منهم: أثفيان صاحب البقر

(١) ضعيف.

الحمر، وأثفيان صاحب البقر البُلْق، وأثفيان صاحب البقر الكدْر. وهو أفريدون بن أثفيان بُوكاو ـ وتفسيره: صاحب البقر الكثير ـ ابن أثفيان نيككاو ـ وتفسيره: صاحب البقر الجياد، ابن أثفيان سيركاو ـ وتفسيره صاحب البقر السمان العظام ـ ابن أثفيان بوركاو ـ وتفسيره صاحب البقر التي بلون حمير الوحش ـ ابن أثفيان أحشين كاو ـ وتفسيره: صاحب البقر الصفر ـ ابن أثفيان سياه كاو ـ وتفسيره صاحب البقر السود ـ ابن أثفيان أسبيذكاو ـ وتفسيره صاحب البقر البيض ـ ابن أثفيان كيركاو ـ وتفسيره: صاحب البقر الرمادية ـ ابن أثفيان رمين ـ وتفسيره: كلّ ضرب من الألوان والقطعان ـ ابن أثفيان بنفر وسن ابن جم الشاذ [1]. (١: ٢١٢/٢١٣).

٣٣٦ ـ وقيل: إن أفريدُون أوّل من سُمّي بالكيِّيّة فقيل له: كَيْ أفريدون، وتفسير الكييّة: أنها بمعنى التنزيه، كما يقال: روْحاني، يعنون به: أن أمرَه أمر مخلص منزّه يتصل بالروحانية. وقيل: إن معنى «كَيْ» أي: طالب الدخل، ويزعم بعضهم: أن «كَيْ» من البهاء، وأن البهاء تغشّى أفريدُون حين قتل الضحاك؛ وتذكر العجم من الفرْس: أنه كان رجلاً جسيماً وسيماً بهيّاً مجرباً، وأن أكثر قتاله كان بالجرزْ، وأن جُرْزه كان رأسه كرأس الثور، وأن ملك ابنه إيرَج العراق ونواحيها كان في حياته، وأن أيام إيرَج داخلة في ملك أفريدون، وأنه ملك الأقاليم كلَّها، وتنقل في البلدان، وأنه لما جلس على سريره يوم الملك قال: نحن القاهرون بعون الله وتأييده للضحّاك، القامعون للشيطان وأحزابه، ثم وعظ الناسَ، فأمرهم بالتناصف وتعاطي الحقّ وبذل الخير بينهم، وحثّهم على الشكر والتمسك به، ورتّب سبعة من القوهياريين ـ وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب ـ وصيّرَ إلى كلٍّ واحد منهم ناحية من دُنْبَاوند وغيرها على شبيه بالتمليك. قالوا: فلما ظفر بالضَّحاك قال له الضحاك: لا تقتلْني بجدّك جم، فقال له أفريدُون منكراً لقوله: لقد سمتْ بك همتك، وعظُمت في نفسك حين قدّرتها لهذا، وطمعت لها فيه! وأعلمه أن جدَّه كان أعظم قدراً من أن يكون مثله كفئاً له في القَود، وأعلمه أنه يقتله بثور كان في دار جَدّه. وقيل: إن أفريدُون أول من ذلّل الفيَلة وامتطاها، ونَتَج البغال، واتخذ الإوزّ والحمام، وعالج

---

(١) ضعيف وفي إسناده هشام الكلبي متروك.

الدّرياق ، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم ، وأنه قسّم الأرضَ بين أولاده الثلاثة : طوج وسَلْم وإيرَج ، فملَّك طُوجاً ناحية الترك والخزَر والصين ، فكانوا يسمونها صين بُغَا ، وجمع إليها النواحيَ التي اتصلت بها ، وملّك سَلْماً ابنه الثاني الروم والصقالبة والبُرْجان وما في حدود ذلك ، وجعل وسط الأرض وعامرها ـ وهو إقليم بابل ، وكانوا يسمونها خنارث بعد أن جمع إلى ذلك ما اتّصل به من السند والهند والحجاز وغيرها ـ لأيرج وهو الأصغر من بنيه الثلاثة ، وكان أحبَّهم إليه. وبهذا السبب سُمِّي إقليم بابل إيرانشهر ، وبه أيضاً نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد ، وصار ملوك خنارث والترك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضاً بالدماء والترات.

وقيل : إن طوجاً وسَلْماً لمَّا علما أن أباهما قد خصّ إيرَج وقدّمه عليهما أظهرا له البغضاء ، ولم يزل التحاسد ينمِي بينهم إلى أن وثب طُوج وسَلْم على أخيهما إيرَج ، فقتلاه متعاونين عليه ، وأن طوجا رماه بوَهَق فخنقه ، فمن أجل ذلك استعملت الترك الوَهَق ، وكان لإيرَج ابنان؛ يقال لهما : وندان وأسطوبة ، وابنة يقال لها : خوزك ، ويقال : خوشك ، فقتل سَلْم وطوج الابنين مع أبيهما ، وبقيت الابنة[1]. (١ : ٢١٣/ ٢١٤).

٣٣٧ ـ وقيل : إن اليوم الذي غلب فيه أفريدون الضحاك كان روزمهر من مهرماه ، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً لارتفاع بليّة الضحاك عن الناس ، وسماه المِهرجان؛ فقيل : إن أفريدُون كان جباراً عادلاً في ملكه ، وكان طولُه تسعة أرماح ، كلُّ رمح ثلاثة أبواع ، وعرض حُجْرته ثلاثة أرماح ، وعرض صدره أربعة أرماح ، وأنه كان يتبَع مَنْ كان بقيَ بالسودان من آل نمرود والنَّبَط ، وقصدهم حتى أتى على وجوههم ، ومحا أعلامَهم وآثارهم؛ وكان ملكه خمسمئة سنة[2]. (١ : ٢١٤/ ٢١٥).

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

٣٣٧/ أ ـ قد ذكرنا قبلُ ما كان من أمر نوح عليه السلام وأمر ولَده واقتسامهم

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

الأرضَ بعده ، ومساكنَ كلِّ فريق منهم ، وأيّ ناحية سكن من البلاد. وكان ممن طغا وعتا على الله عزّ وجلّ بعد نوح ، فأرسل الله إليهم رسولاً فكذبوه وتمادوا في غيِّهم ، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح: أحدهما عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، وهي عاد الأولى ، والثاني ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العربَ العاربة[1] . (١ : ٢١٦).

٣٣٧/ ب ـ فأما عاد فإنّ الله عزّ وجلّ أرسل إليهم هودَ بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح. ومن أهل الأنساب مَنْ يزعم: أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفَخْشَد بن سام بن نوح ، وكانوا أهلَ أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لإحداها: صدّاء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء. فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره ، وتَرْك ظلم الناس ، فكذّبوه وقالوا: مَن أشدُّ منا قوّة! فلم يؤمن بهودٍ منهم إلاّ قليل ، فوعظهم هود إذ تمادوْا في طغيانهم ، فقال لهم: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُواْ الَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فكان جوابهم له أن قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَٰعِظِينَ﴾ . وقالوا له: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ ، فحبس الله عنهم ـ فيما ذكر ـ القَطْرَ سنين ثلاثاً؛ حتى جهِدوا ، فأوفدوا وفداً ليستسقوا لهم[2] . (١ : ٢١٦/ ٢١٧).

٣٣٨ ـ وأما ابن إسحاق فإنه قال كما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عنه: أن عاداً لما أصابهم من القحط ما أصابهم قالوا: جهِّزوا منكم وفداً إلى مكة فيستسقوا لكم ، فبعثوا قَيْل بن عتر ولُقَيم بن هزّال بن هزيل بن عُتَيْل بن صدّ بن عاد الأكبر ، ومَرْثَد بن سعد بن عُفير ـ وكان مسلماً يكتم إسلامه ـ وجُلْهُمَةَ بن الخبيريّ ، خال معاوية بن بكر أخا أمه ، ثم بعثوا لقمان بن عاد ابن فلان ابن فلان ابن صدّ بن عاد الأكبر ، فانطلق كلُّ رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه ، حتى بلغ عدةُ وفدهم سبعين رجلاً ، فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

بكر وهو بظاهر مكة خارجاً من الحرم ، فأنزلهم وأكرمهم ، وكانوا أخوالَه وصهره. وكانت هزيلة بنت بكر أختَ معاوية بن بكر لأبيه وأمه كلهدة بنت الخيبري عند لُقَيْم [بن هزّال بن عُتَيْل بن صد بن عاد الأكبر] ، فولدت له عبيد بن لُقَيم بن هزال وعمرو بن لُقيم بن هزّال وعامر بن لُقَيم بن هزّال وعُمَير بن لقيم بن هزال ، فكانوا في أخوالهم بمكة عند آل معاوية بن بكر ، وهم عاد الأخيرة التي بقيَت من عاد الأولى. فلما نزل وفد عادٍ على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر ، وتغنّيهم الجرادتان ـ قينتان لمعاوية بن بكر ـ وكان مسيرُهم شهراً ، ومقامهم شهراً ، فلما رأى معاوية بن بكر طولَ مقامهم ، وقدْ بعثهم قومُهم يتغوَّثون بهم من البلاء الذي أصابهم ، شقَّ ذلك عليه فقال: هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء مقيمون عندي ، وهم ضيفي نازلون عليّ ، والله ما أدري: كيف أصنع بهم! أستحي أن آمرَهم بالخروج إلى ما بُعثوا إليه ، فيظنُّوا أنه ضيقٌ مني بمقامهم عندي ، وقد هلك مَنْ وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً ، أو كما قال.

فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين ، فقالتا: قل شعراً نغنّيهم به لا يدرون مَنْ قاله ، لعلّ ذلك أن يحرّكهم! فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه بذلك:

ألا يا قيلُ ، وَيْحَك قم فَهَيْنِمْ ... لعلّ الله يَسْقِينَا غَمَامَا
فيسقِي أرضَ عادٍ ، إنَّ عاداً ... قد أمسوا لا يُبِينُون الكَلاما
من العطشِ الشَّديد ، فليس نرجو ... به الشيخَ الكبيرَ ولا الغلاما
وقَدْ كانَتْ نساؤُهُمُ بخيرٍ ... فقد أمستْ نِساؤُهُمُ عَيَامَى
وإنّ الوحشَ تأتيهمْ جهاراً ... ولا تخشَى لعادِي سِهاما
وأنتم ها هنا فيما اشْتَهَيْتُمْ ... نهارَكُمُ وليلَكمُ التَّماما
فقبِّح وفدكُمْ من وَفْدِ قومٍ ... ولا لُقُّوا التحيَّة والسلاما!

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنّتهم به الجرادتان. فلما سمع القوم ما غنَّتا به ، قال بعضهم لبعض: يا قوم إنما بعثكم قومُكم يتغوَّثون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم ، وقد أبطأتمْ عليهم ، فادخلُوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم ، فقال مَرْثَد بن سعد بن عُفير: إنكم والله لا تُسْقَوْن بدعائكم؛ ولكنْ إن أطعتم

نبيِّكم ، وأنبْتم إليه سُقِيتم. فأظهر إسلامه عند ذلك ، فقال لهم جُلهُمَة بن الخيبريّ ، خال معاوية بن بكْر حين سمع قوله ، وعرف أنه قد تبع دين هود وآمن به :

أبَا سَعْدٍ فإنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ ذَوِي كرمٍ وأمُّك مِنْ ثَمُودِ
فإنّا لَنْ نُطِيعَك مَا بقِينَا ولَسْنَا فاعلينَ لِمَا تُرِيدُ
أتأمرنا لنترك آل رِفْدٍ وزَمْل وآل صُدٍّ والعُبُود
ونترك دينَ آباءٍ كرام ذوي رأيٍ ونَتْبَعُ دينَ هُودِ

ورفد وزمل وصدّ قبائل من عاد ، والعبود منهم. ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر : احبسا عنّا مَرْثد بن سعد فلا يقدمنّ معنا مكة ؛ فإنه قد اتبع دينَ هود ، وترك ديننا. ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد ، فلما ولَّوا إلى مكة خرج مَرْثد بن سعد من منزل معاوية ، حتى أدركهم بها قبل أن يدعُوا الله بشيء مما خرجوا له. فلما انتهى إليهمْ قام يدعو الله ، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون. فقال : اللهمَّ أعطِني سُؤلي وحدي ، ولا تُدخلْني في شيء مما يدعوك به وفد عاد. وكان قَيْل ابن عتر رأس وفد عاد. وقال وفد عاد : «اللهمَّ أعطِ قيْلاً ما سألك ، واجعلْ سُؤلنا مع سؤله». وقد كان تخلَّف عن وفد عاد لقمان بن عاد ، وكان سيدَ عاد ، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال : اللهمَّ إني جئتك وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي. وقال قيل بن عتر حين دعا : يا إلهنا ، إن كان هود صادقاً فاسقِنا فإنا قد هلكنا. فأنشأ الله سحائب ثَلاثاً : بيضاء وحمراء ، وسوداء ، ثم ناداه مُناد من السحاب : يا قيْل ، اخترْ لنفسك وقومك من هذا السحاب. فقال : قد اخترتُ السحابة السوداء ، فإنها أكثرُ السحاب ماءً ، فناداه مناد : اخترت رماداً رِمْدَداً ، لا تُبقي من عاد أحداً ، لا والداً تترك ولا ولداً ، إلاّ جعلته هَمِداً ، إلاّ بني اللُّوذيّة المُهْدَى - وبنو اللُّوذِيّة بنو لُقَيْم بن هَزّال بن هُزَيل بن هزيلة بنت بكر ؛ كانوا سُكّاناً بمكة مع أخوالهم ، لم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة ، ومَن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد.

وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختار قَيْل بن عتر بما فيها من النقمة إلى عاد ، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له : المغيثُ. ولما رأوْها استبشروا بها ، وقالوا : ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ ، يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿بَلْ هُوَ مَا

﴿ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ ، أي كلَّ شيء أمرت به. فكان أول من أبصر ما فيها أنها ريح ـ فيما يذكرون ـ امرأة من عاد يقال لها مَهْدد ، لما تبيّنت ما فيها صاحت ثم صَعِقت ، فلما أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مَهْدَد؟ قالت: رأيت ريحاً فيها كشُهُب النار ، أمامها رجالٌ يقودونها. فسخّرها الله عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ ، كما قال الله: والحُسُومُ: الدائمة؛ فلم تَدَعْ من عادٍ أحداً إلا هلك.

فاعتزل هود ـ فيما ذُكر ـ ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يُصيبه ومن معه منها إلا ما تَلين عليه الجلود ، وتلتذّ الأنفس؛ وإنها لتمُرُّ من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة. وخرج وَفْد عاد من مكَّة حتى مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ، فنزلوا عليه ، فبيناهم عنده ، إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمرة مُسْيَ ثالثة من مصاب عاد ، فأخبرهم الخبرَ ، فقالوا: فأين فارقت هوداً وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر؛ فكأنهم شكُّوا فيما حدَّثهم ، فقالت هزيلة بنت بكر: صدقَ وربِّ مكَّة. ومثوِّب بن يعْفر بن أخي معاوية بن بكر معهم. وقد كان قيل ـ فيما يزعمون والله أعلم ـ لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد ، وقَيْل بن عتر حين دعوا بمكة: قد أعطيتم مُنَاكم فاختاروا لأنفسكم ، إلا أنه لا سبيلَ إلى الخلد ، فإنه لا بدَّ من الموت ، فقال مَرْثَد بن سعد: يا ربّ ، أعطني برّاً وصدقاً ، فأعطيَ ذلك ، وقال لقمان بن عاد: أعطني عُمْراً ، فقيل له: اختر لنفسك ، إلاّ إنه لا سبيل إلى الخُلْد: بقاء أَبْعار ضأن عُفر ، في جبل وعر ، لا يُلقى به إلا القطر ، أم سبعة أنسر إذا مضى نَسْر حلوتَ إلى نسر؟ فاختار لقمان لنفسه النسور ، فَعُمِّر ـ فيما يزعمون ـ عُمْرَ سبعة أنسر؛ يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكَر منها لقوّته؛ حتى إذا مات أخذ غيرَه ، فلم يزلْ يفعل ذلك ، حتى أتى على السابع. وكان كلُّ نَسر فيما زعموا يعيش ثمانين سنة ، فلمَّا لم يبق غيرُ السابع قال ابن أخ للقمان: أي عمّ ، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر؛ فقال له لقمان: أي ابن أخي: هذا لُبَدٌ ـ ولُبَد بلسانهم الدهر ـ فَلمَّا أدرك نَسر لقمان ، وانقضى عمره ، طارت النسور غداةً من رأس الجبل ، ولم ينهض فيها لُبَد ، وكانت نسور لقمان تلك لا تغيب عنه؛ إنما هي بعينه. فلما لم ير لقمان لُبداً نهض مع النسور؛ نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبَد ، فوجد لقمان في نفسه

وَهْناً لم يكن يجده قبل ذلك ، فلمّا انتهى إلى الجبل رأى نسره لُبداً واقعاً من بين النسور ، فناداه: انهضْ لُبَد ، فذهب لُبَد لينهض فلم يستطع ، عريت قوادمه وقد سقطت؛ فماتا جميعاً.

وقيلَ لقيل بن عتر حين سمع ما قيل له في السحاب: اخترْ لنفسك كما اختار صاحباك ، فقال: أختارُ أن يصيبَني ما أصاب قومي ، فقيل: إنه الهلاك ، قال: لا أبالي؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم. فأصابه ما أصاب عاداً من العذاب فهلك ، فقال مَرْثَد بن سعد بن عُفير حين سمع من قول الراكب الذي أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك:

عَصَتْ عادٌ رسولَهُمُ فَأمْسوْا ... عطاشاً ما تَبُلُّهُمُ السماءُ
وسُيِّرَ وَفْدُهُمْ شهراً لِيُسقوْا ... فأَرْدَفَهُمْ مع العَطَشِ العَمَاءُ
بكفرِهِمْ بربِّهِمُ جِهاراً ... علَى آثارِ عَادِهِم العفاءُ
ألا نَزَعَ الإلهُ حُلومَ عادٍ ... فإنَّ قلوبهمْ قفْرٌ هَواءُ
مِنَ الخَبرِ المُبَيَّن أنْ يَعُوهُ ... وما تُغْني النصِيحةُ والشّفَاءُ
فنفسي وَابْنَتَايَ وَأُمُّ وَلدِي ... لنَفْسِ نَبِيِّنَا هودٍ فداءُ
أتانا والقلوبُ مُصمَّداتٌ ... على ظُلَمٍ وقد ذَهَبَ الضِّيَاءُ
لَنَا صَنَمٌ يقال له صَمُودٌ ... يقابله صُدَاءٌ والْهباءُ
فأبصَرَهُ الذينَ له أنابوا ... وأَدْرَكَ مَنْ يُكذِّبه الشَّقاء
فَإنِّي سَوْفَ ألحَقُ آلَ هودٍ ... وإخْوَته إذَا جَنَّ المَساءُ[١]

(١: ٢٢٠/ ٢٢١/ ٢٢٢/ ٢٢٣/ ٢٢٤).

٣٣٩ ـ وقيل: إن رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان الخَلَجان.

حدثني العباس بن الوليد ، قال: حدثنا أبي عن إسماعيل بن عياش ، عن محمد بن إسحاق ، قال: لما خرجت الريحُ على عاد من الوادي ، قال سبعة رَهْط منهم ، أحدهم الخَلَجان: تعالوْا حتى نقومَ على شَفير الوادي فنردها ، فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ، ثم ترمي به فتندقّ عنقه ، فتتركهم كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ حتى لم يبق منهم إلاّ

(١) ضعيف.

الخلجان، فمال إلى الجبل، فأخذ بجانب منه، فهزّه فاهتزّ في يده، ثم أنشأ يقول:

لَـمْ يَبْـقَ إلاَّ الخَلجـانُ نفسُـهُ نـالَـكَ مِـنْ يَـوْمٍ دَهَـانِـي أمْسُـهُ
بِثَـابِـتِ الْـوَطءِ شَـديـدٍ وَطْسُـهُ لَـوْ لَـم يَجِئنـي جئتُـهُ أجُسُّـهُ

فقال له هود: ويحك يا خلَجان! أسلِم تَسْلَم، فقال له: وما لي عند ربك إن أسلمت؟ قال: الجنة، قال: فما هؤلاء الذين أراهم في هذا السحاب كأنهم البُخْت، قال هود: تلك ملائكة ربّي، قال: فإن أسلمت أيُعيذني ربك منهم؟ قال: ويلك! هل رأيت ملِكاً يعيذ من جنده! قال: لو فعل ما رضيت، قال: ثم جاءت الريح فألحقته بأصحابه؛ أو كلاماً هذا معناه.

قال أبو جعفر: فأهلك الله الخَلَجان، وأفنى عاداً خلا مَنْ بقيَ منهم، ثم بادوا بعد، ونجّى الله هوداً ومَن آمن به. وقيل: كان عمر هودٍ مئة سنة وخمسين سنة[1] (١ : ٢٢٤/ ٢٢٥).

٣٤٠ ـ حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد بن المفضل، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قال: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾؛ إنّ عاداً أتاهم هود، فوعظهم وذكرهم بما قصّ الله في القرآن، فكذّبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيَهم العذاب فقال لهم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾؛ وإن عاداً أصابهم حين كفروا قَحْط من المطر، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً؛ وذلك أن هوداً دعا عليهم، فبعث الله عليهم الريحَ العقيم، وهي الريح التي لا تُلقح الشجر، فلما نظروا إليها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فلما دنتْ منهم نظروا إلى الإبل والرجال، تَطيرُ بهم الريح بين السماء والأرض، فلما رأوْها تبادروا إلى البيوت، حَتَّى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها، ثم أخرجتهمْ من البيوت، فأصابتهم ﴿ فِى يَوْمِ نَحْسٍ ﴾، والنحس هو الشؤمُ ﴿ مُّسْتَمِرٍّ ﴾ استمرّ عليهم بالعذاب ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾، حسمت كلّ شيء مرّت به، حتى أخرجتْهم من البيوت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ ﴾ عن البيوت، ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾، انقعر من أصوله. ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ خوت

---

(١) ضعيف.

فسقطت ، فلما أهلَكَهم الله أرسل عليهم طيراً سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ، فألقتهم فيه ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ﴾ . ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ ، فإنها عتت على الخزنة فغلبتهم ، فلم يعلموا كم كان مكيالها؟ فذلك قوله : ﴿ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ . والصرصر : ذاتُ الصوت الشديد[١] .

٣٤١ ـ حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : إن عاداً لما عذّبهم الله بالريح التي عُذِّبوا بها ، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعُروقها وتهدم عليهم بيوتهم ، فمن لم يكن في بيتٍ هبَّتْ به الرِّيح حتى تقطعه بالجبال ، فهلكوا بذلك كلهم[٢] . (١ : ٢٢٦) .

٣٤٢ ـ وأما ثمود فإنهم عتوْا على ربّهم ، وكفروا به ، وأفسدوا في الأرض ؛ فبعث الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ بن عبيد بن خَادر بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، رسولاً يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة .

وقيل : صالح ، هو صالح بن أسِف بن كماشج بن إرم بن ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح .

فكان من جوابهم له أن قالوا له : ﴿ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ . وكان الله عزّ وجلّ قد مدّ لهم في الأعمار ، وكانوا يسكنون الحِجْر إلى وادي القرى ، بين الحجاز والشام ، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمرّدهم وطغيانهم ، فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الإجابة ، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له : إن كنت صادقاً فائتِنا بآية[٣] . (١ : ٢٢٦/٢٢٧) .

٣٤٣ ـ فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رُفيْع ، عن أبي الطفيل ؛

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .

قال: قالت ثمود لصالح: ائتنا بآية إن كنت من الصادقين. قال: فقال لهم صالح: اخرجوا إلى هَضْبة من الأرض؛ فإذا هي تتمخّض كما تتمخّض الحامل، ثم تفرّجت فخرجت من وسطها الناقة، فقال صالح عليه السلام: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ فلما ملّوها عقروها، فقال لهم: ﴿تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾. قال عبد العزيز: وحدثني رجل آخر: أن صالحاً قال لهم: إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمْراً، واليوم الثاني صُفْراً، واليوم الثالث سُوداً، فصبّحهم العذاب، فلما رأوا ذلك تحنّطوا واستعدّوا[1]. (١ : ٢٢٧).

٣٤٤ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن أبي بكر بن عبد الله، عن شهر بن حوشب، عن عمرو بن خارجة، قال: قلنا له: حدِّثنا حديث ثمود، قال: أحدِّثكم عن رسول الله عن ثمود. كانت ثمود قوم صالح عمّرهم الله عزّ وجلّ في الدنيا، فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المَدر فيتهدَّم والرجل منهم حيّ، فلما رأوْا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فرِهين، فنحتوها وجابوها وجوّفوها، وكانوا في سَعة من معايشهم، فقالوا: يا صالح، ادع لنا ربَّك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله. فدعا صالح ربَّه، فأخرج لهم الناقة فكان شربُها يوماً وشربهم يوماً معلوماً، فإذا كان يوم شِرْبها خلُّوا عنها وعن الماء، وحلبوها لبناً؛ ملؤوا كلَّ إناء ووعاء وسقاء، فإذا كان يوم شِرْبهم صرَفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئاً، فملؤوا كلّ إناء ووعاء وسقاء، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى صالح أنّ قومَك سيعقرون ناقتك، فقال لهم؛ فقالوا: ما كنا لنفعل، قال: إلاّ تعقروها أنتم أوشك أن يولَد فيكم مولود يعقرها، قالوا: ما علامةُ ذلك المولود؟ فو الله لا نجده إلا قتلناه، قال: فإنه غلام أشقرُ أزرق أصهب أحمر، قال: فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفئاً، فجمع بينهما مجلس، فقال أحدهما لصاحبه: ما يمنعك أن تزوِّج ابنَك؟ قال: لا أجد له كفئاً، قال: فإن ابنتي كفءٌ له؛ وأنا أزوّجك، فزوّجه فولد منهما ذلك المولود.

---

(١) ضعيف.

وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولودٌ فيكم؛ اختاروا ثمانيَ نسوة قوابل من القرية ، وجعلوا معهنّ شُرَطاً كانوا يطوفون في القرية؛ فإذا وجدوا المرأة تمخَض نظروا ما ولدُها؟ فإن كان غلاماً قتلنه ، وإن كانت جارية أعرَضْن عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة ، وقلن : هذا الذي يريد رسول الله صالح ، فأراد الشُّرَطُ أن يأخذوه ، فحال جدّاه بينه وبينهم . وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه ، وكان شرَّ مولود ، وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشبّ في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشبّ في الشهر شبابَ غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : استعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدَّيْه ، فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم في القريـة ، بل كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه يبيت بالليل؛ فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكّرهم ، فإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه[١] . (١ : ٢٢٨/ ٢٢٩).

٣٤٥ ـ قال حجاج : قال ابن جريج : لما قال لهم صالح عليه السلام : إنه سيولد غلام يكون هلاكُهم على يديه ، قالوا : فكيف تأمرنا؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنّا لم نقتل أولادنا لكان لكلّ واحد منا مثلُ هذا ، هذا عمل صالح! فائْتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا وكذا فنرصده عند مصَلاَّه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم الصخرة فرضختهم فأصبحوا رُضْخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم؛ فإذا هم رُضْخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أي عباد الله ، أما رضيَ صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم! فاجتمع أهل القرية على عَقْر الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

قال أبو جعفر : ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله ، قال : فأرادوا أن

(١) ضعيف .

يمكروا بصالح ، فمشوْا حتى أتوا على سَرَب على طريق صالح ، فاختبأ فيه ثمانية ، وقالوا: إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فبيّتناهم ، فأمر الله عزّ وجلّ الأرضَ فاستوت عليهم ، قال: فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة ، وهي على حوضها قائمة ، فقال الشقيّ لأحدهم: ائتها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاظمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاظمه أمرها؛ حتى مشى إليها وتطاول فضرب عرقوبيْها ، فوقعت تركض. فأتى رجلٌ منهم صالحاً فقال: أدرك الناقة فقد عُقِرت. فأقبل؛ فخرجوا يتلقوْنه ويعتذرون إليه: يا نبي الله ، إنما عقرها فلان؛ إنه لا ذنب لنا ، قال: انظروا هل تُدركون فصيلَها! فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب! فخرجوا يطلبونه. فلما رأى الفصيلُ أمه تضطرب أتى جبلاً ـ يقال له: القارة ـ قصيراً فصعده وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الجبل ، فطال في السماء حتى ما تناله الطير ، قال: ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكَى حتى سالت دموعُه ، ثم استقبل صالحاً ، فرغا رغوة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى. فقال صالح: لكلّ رغوة أجل يوم؛ تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غيرُ مكذوب؛ إلا أن آية العذاب أنّ اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرّة ، واليوم الثاني محمرّة ، واليوم الثالث مسودّة ، فلما أصبحوا إذا وجوهُهم كأنما طُليت بالخَلوق ، صغيرُهم وكبيرهم ، ذكَرهُم وأنثاهم ، فلما أمسَوْا صاحُوا بأجمعهم: ألا قد مضى يومٌ من الأجَل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرّة؛ كأنما خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجُّوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب. فلما أمسوْا صاحوا بأجمعهم: ألا قد مضى يومان من الأجَل ، وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودّة كأنما طُليت بالقار ، فصاحوا جميعاً: ألا قد حضركم العذاب ، فتكفّنوا وتحنّطوا وكان حَنوطهم الصَّبر والمقْر ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوْا أنفسَهم إلى الأرض ، فجعلوا يقلِّبون أبصارهم إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرَّة ، لا يدرون من حيث يأتيهم العذاب؛ من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعاً وفرقاً؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحةٌ من السماء فيها صوت كلّ صاعقة وصوت كلّ شيء له صوتٌ في الأرض ، فتقطَّعت

قلوبُهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين[1] . (١ : ٢٢٩/ ٢٣٠) .

فأما أهلُ التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا ثمود ولا لهود وصالح في التوراة. وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه.

قال: ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لذكرت من شعر شعراء الجاهلية الذي قيل في عاد وثمود وأمورهم بعضَ ما قيل. ما يعلَم به مَنْ ظنّ خلاف ما قلنا في شهرة أمرهم في العرب صحة ذلك.

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحاً عليه السلام توفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وأنه أقام في قومه عشرين سنة.

قال أبو جعفر: نرجع الآن إلى:[2] . (١ : ٢٣٢) .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

٣٤٦ ـ إذ كنا قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتأريخ السنين التي مضت قبل ذلك. وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالَخ بن قيْنان بن أرفخْشَد بن سام بن نوح.

واختلفوا في الموضع الذي كان منه ، والموضع الذي وُلد فيه ، فقال بعضهم: كان مولده بالسُّوس من أرض الأهواز ، وقال بعضهم: كان مولده ببابل من أرض السَّواد. وقال بعضهم: كان بالسواد بناحية كُوثَى. وقال بعضهم: كان مولده بالوَرْكاء بناحية الزوابي وحدود كَسْكر ، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نُمْرود من ناحية كُوثى. وقال بعضهم: كان مولده بحرّان ، ولكن أباه تارخ نقَله إلى أرض بابل. وقال عامة السلف من أهل العلم: كان مولد إبراهيم عليه السلام

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

في عهد نمرود بن كوش. ويقول عامة أهل الأخبار: كان نمرود عاملاً للازدهاق الذي زعم بعض من زعم أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إليه على أرض بابل وما حولها. وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون: كان ملكاً برأسه، واسمه الذي هو اسمه فيما قيل: زرهي بن طهماسلفان[١]. (١ : ٢٣٣).

٣٤٧ ـ وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق ـ فيما ذكر لنا والله أعلم ـ أن آزر كان رجلاً من أهل كُوثَى، من قرية بالسواد سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملكُ المشرق لنمرود الخاطىء، وكان يقال له: الهاصر، وكان مُلْكه ـ فيما يزعمون ـ قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل، قال: وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس.

قال: ويقال: لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا على ثلاثة ملوك: نُمْرود بن أرغوا، وذي القرنين، وسليمان بن داود[٢]. (١ : ٢٣٣).

وقال بعضهم: نمرود هو الضحّاك نفسه.

٣٤٨ ـ حدّثت عن هشام بن محمد، قال: بلغنا والله أعلم: أنَّ الضحاك هو نُمرود، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه[٣]. (١ : ٢٣٤).

٣٤٩ ـ حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي صالح وعن أبي مالك، عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهمْدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ: إن أول ملكٍ مَلَكَ في الأرض شرقها وغربها نُمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة: نمرود، وسليمان بن داود، وذو القرنين، وبخت نصّر: مؤمنان وكافران[٤]. (١ : ٢٣٤).

---

(١) لو كان في تعيين الموضع الذي ولد فيه عليه السلام منفعة للمكلفين لبين الشرع لنا ذلك.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

٣٥٠ ـ وقال ابن إسحاق فيما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سَلمة ، عن ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبيّ قبله إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله تعالى ذكره ما أراد أتى أصحابُ النجوم نمرود ، فقالوا له : تعلَّم أنا نجد في علمنا : أن غلاماً يُولد في قريتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينَكم ، ويكسر أوثانكم ، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا. فلما دخلت السنة التي وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حُبلى بقريته ، فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها ، وذلك أنها كانت جارية ـ حَدَثة فيما يذكر ـ لم يعرف الحبل في بطنها ، فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح ، فلما وجدت أمّ إبراهيم الطَّلْق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام ، وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود ، ثم سَدّت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل ، فتجده حيّاً يمصّ إبهامه. يزعمون ـ والله أعلم ـ أن الله جعل رزقَ إبراهيم عليه السلام فيها ما يجيئه من مصّه ، وكان آزر فيما يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل ، فقالت : ولدت غلاماً فمات. فصدّقها فسكت عنها ، وكان اليوم ـ فيما يذكرون ـ على إبراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة؛ ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر شهراً ، حتى قال لأمه : أخرجيني أنظر ، فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لَرَبّي ، مالي إله غيره. ثم نظر في السماء ورأى كوكباً ، فقال : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ ، ثم أتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴾ ، ثم اطلع للقمر فرآه بازغاً فقال : ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ . فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كلّ شيء رآه قبل ذلك ، فقال : ﴿ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ .

ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه وبَرِيء من دين قومه إلا أنه لم يبادهم بذلك ، فأخبره أنه ابنه ، فأخبرته أمّ إبراهيم عليه السلام أنه ابنه ، فأخبرته بما كانت صنعت في شأنه ، فسرّ بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً ، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول: مَنْ يشتري ما يضرّه ولا ينفعه! فلا يشتريها منه أحد ، فإذا بارتْ عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب فيه رؤوسها ، وقال: اشربي ـ استهزاء بقومه ، وبما هم عليه من الضلالة ـ حتى فشا عَيْبه إياها ، واستهزاؤه بها في قومه وأهل قريته . من غير أن يكون ذلك بلغ نمرودَ الملك . ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يباديَ قومه بخلاف ما همْ عليه وبأمر الله والدعاء إليه ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ ، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي طَعين ، أو لسقم كانوا يهربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذي يريد . فلما خرجوا عنه خالفَ إلى أصنامهم التي كانوا يعبدون من دون الله ، فقرَّب لها طعاماً؛ ثم قال: ألا تأكلون! ما لكم لا تنطقون! تعييراً في شأنها واستهزاء بها[١] . (١ : ٢٣٤/ ٢٣٥/ ٢٣٦).

٣٥١ ـ وقال في ذلك غير ابن إسحاق ما حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السديّ ، في خبر ذكره عن أبي صالح ، وعن أبي مالك ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن أناس من أصحاب النبي : كان من شأن إبراهيم عليه السلام: أنه طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففزع من ذلك فزعاً شديداً ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عنه ، فقالوا: يخْرُج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك مُلكك ـ وكان مسكنه ببابل الكوفة ـ فخرج من قريته إلى قرية أخرى ، فأخرج الرجال وترك النساء ، وأمر ألاَّ يُولد مولود ذكر إلا ذبحه ، فذبح أولادهم . ثم إنه بدت له حاجة في المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أبا إبراهيم ، فدعاه فأرسله . فقال له: انظر لا تواقعْ أهلك ، فقال له

(١) ضعيف.

آزر: أنا أضَنُّ بديني من ذلك ، فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها؛ فقرّبها إلى قرية بين الكوفة والبصرة ، يقال لها: أور ، فجعلها في سَرَب ، فكان يتعاهدها بالطعام والشراب وما يصلحها. وإن الملك لما طال عليه الأمر قال: قول سحرة كذابين ، ارجعوا إلى بلدكم ، فرجعوا. وولد إبراهيم فكان في كلّ يوم يمرّ كأنه جمعة ، والجمعة كالشهر ، والشهر كالسنة من سرعة شبابه ، ونسيَ الملك ذلك ، وكبر إبراهيم ولا يرى أنّ أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه ، فقال أبو إبراهيم لأصحابه: إن لي ابناً قد خبأته ، أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به؟ قالوا: لا ، فائْتِ به. فانطلق فأخرجه ، فلما خرج الغلام من السَّرَب نظر إلى الدوابّ والبهائم والخلق ، فجعل يسأل أباه: ما هذا؟ فيخبره عن البعير أنه بَعير ، وعن البقرة أنها بقرة ، وعن الفرس أنه فرس ، وعن الشاة أنها شاة ، فقال: ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم ربّ ، وكان خروجه حينَ خرج من السَّرب بعد غروب الشمس ، فرفع رأسَه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري ، فقال: ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾ ، فلم يلبث أن غاب ، فقالَ ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ ، أي لا أحبُّ رَبّاً يغيب. قال ابن عباس: وخرَج في آخر الشهر ، فلذلك لم ير القمر قبل الكواكب ، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغاً قد طلع فقال: ﴿ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ يقول: غاب ، ﴿ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ، فلما أصبح ورأى الشمس بازغة ، قال: ﴿ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ ، فلما غابت قال الله له: أسلم ، قال: قد أسلمت لرب العالمين. ثم أتى قومه فدعاهم فقال: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ . يقول: مخلصاً: فجعل يدعو قومَه وينذرهم.

وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطيها ولَدَه فيبيعونها ، وكان يعطيه فينادي: مَنْ يشتري ما يضرّه ولا ينفعه؟ فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ، ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هي ، ثم دعا أباه فقال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ قال: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ . قال: أبداً. ثم قال له أبوه: يا إبراهيم ، إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا ، فلما كان يوم العيد ، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، يقول: أشتكي رجليّ ، فتوطؤوا رجليه ،

وهو صريع ، فلما مضوْا نادى في آخرهم وقد بقِيَ ضَعْفي الناس: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴾ فسمعوها منه ، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة ، فإذا هو في بهْو عظيم ، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه ، بعضها إلى جنب بعض ، كلّ صنم يليه أصغرُ منه ، حتى بلَغوا باب البهو وإذا هم قد صنعوا طعاماً ، فوضعوه بين يدي الآلهة ، قالوا: إذا كان حينُ نرجع رجعنا ، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا. فلما نظر إليهم إبراهيم عليه السلام ، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال: ألا تأكلون؟ فلما لم تجبه قال: ما لكم لا تنطقون! فراغ عليهم ضرباً باليمين ، فأخذ حديدةً فبقَر كلَّ صنم في حافتيْه ، ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر ، ثم خرج فلما جاء القوم إلى طعامهم ، ونظروا إلى آلهتهم ، قالوا: ﴿ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾[1] . (١ : ٢٣٦/ ٢٣٧/ ٢٣٨).

٣٥١/ أ - فكان جماعة من أهل التأويل ، منهم قَتادة والسُّديّ يقولون في ذلك: لعلّهم يشهدون عليه أنه هو الذي فعل ذلك ، وقالوا: كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة[2] . (١ : ٢٣٩).

٣٥٢ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سُلَيم ، عن مجاهد ، قال: تلوتُ هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال: أتدري يا مجاهد مَن الذي أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار؟ قال: قلت: لا ، قال: رجل من أعراب فارس ، قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن ، وهل للفرس أعراب؟ قال: نعم ، الكرْدُ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار[3] . (١ : ٢٤٠).

٣٥٣ - حدثني يعقوب ، قال: حدثنا ابن عُلَيّة ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله: ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾ قال: قالها رجل من أعراب فارس - يعني الأكراد[4] . (١ : ٢٤٠).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

٣٥٤ ـ وحدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج ، قال: أخبرني وَهب بن سليمان ، عن شعيب الجُبّائيّ ، قال: إن اسمَ الذي قال حرّقوه «هينون» ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[1] (١ : ٢٤١).

٣٥٥ ـ ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فأمر نمرود ، بجمْع الحطب ، فجمعوا له صلاب الحطب من أصناف الخشب ، حتى أن كانت المرأة من قرية إبراهيم ـ فيما يُذكر ـ لتنذر في بعض ما تطلب مما تحبّ أن تدرك: لئن أصابته لتحطبنّ في نار إبراهيم التي يحرَق بها احتساباً في دينها ، حتى إذا أرادوا أن يُلقُوه فيها قدّموه وأشعلوا في كل ناحية من الحطب الذي جمعوا له ، حتى إذا اشتعلت النار ، واجتمعوا لقذفه فيها ، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثَّقَلين ـ فيما يذكرون ـ إلى الله عزّ وجلّ صيحةً واحدة: أيّ ربنا! إبراهيم ليس في أرضك أحدٌ يعبدك غيره ، يحرَق بالنار فيك! فَائْذَنْ لنا في نُصرته ، فيذكرون ـ والله أعلم ـ أن الله عزّ وجلّ حين قالوا ذلك قال: إن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصُره ، فقد أذنت له في ذلك ، فإنْ لم يدعُ غيري فأنا وليُّه ، فخلُّوا بيني وبينه ، فأنا أمنعه ، فلما ألقوْه فيها قال: ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ، فكانت كما قال الله عزّ وجلّ[2]. (١ : ٢٤١).

٣٥٦ ـ وحدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السديّ قال ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ ، قال: فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطباً حتى أنْ كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعنّ حطباً لإبراهيم ، فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب حتى أن كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدة وهجَها وحرّها ، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء ، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا! إبراهيم يحرَق فيك. فقال: أنا أعلم به ، فإن دعاكم فأغيثوه. وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهمّ أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

الأرض ، ليس في الأرض أحد يعبُدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل! فقذفوه في النار ، فناداها فقال: ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . وكان جَبْرئيل هو الذي ناداها. وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها ، فلم تبق يومئذ نار في الأرض إلا طَفِئَتْ ، ظنت أنها تُعنى ، فلما طفئت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو ورجل آخر معه ، وإذا رأس إبراهيم في حجْره يمسح عن وجهه العرق ، وذكر أن ذلك الرجل ملك الظلّ ، وأنزل الله ناراً وانتفع بها بنو آدم ، فأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه[1] . (١ : ٢٤١/ ٢٤٢) .

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.

٣٥٧ ـ قال: وبعَث الله عزّ وجلّ ملك الظلّ في صورة إبراهيم ، فقعد فيها إلى جنبه يؤنسه ، فمكث نُمرود أياماً لا يشكّ إلا أن النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه ، ثم ركب فمرّ بها وهي تحرق ما جمعوا لها من الحطب ، فنظر إليها ، فرأى إبراهيم جالساً فيها إلى جنبه رجلٌ مثله ، فرجع من مركبه ذلك ، فقال لقومه: لقد رأيتُ إبراهيم حيّاً في النار ، ولقد شُبِّه عليّ ، ابنُوا لي صَرْحاً يشرِف بي على النار حتى أستثبت ، فبنوْا له صَرْحاً ، فأشرف عليه فاطّلع منه إلى النار ، فرأى إبراهيم جالساً فيها ، ورأى الملك قاعداً إلى جنبه في مثل صورته ، فناداه نمرودُ: يا إبراهيم ! كبيرٌ إلهك الذي بلغْت قدرتُه وعزته أنْ حال بين ما أرى وبينك ، حتى لم تضرّك يا إبراهيم ، هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم ، قال: هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرّك؟ قال: لا ، قال: فقم واخرج منها ، فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها ، فلما خرج إليه قال: يا إبراهيم ! مَن الرجلُ الذي رأيتُ معك في مثل صورتك قاعداً إلى جنبك؟ قال: ذلك مَلَك الظل ، أرسله إليّ ربي ليكون معي فيها ليؤنسني ، وجعلها عليّ برداً وسلاماً. فقال نمرود ـ فيما حدثت ـ: يا إبراهيم ! إني مقرّب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزّته وقدرته ،

---

(١) شيخ الطبري لم نجد له ترجمة وقد رواه مرسلاً ، وأما عبارة: (اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري) فكذلك أخرجه أبو يعلى ولفظه: (لما ألقي إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك).
وفي إسناده أبو هشام الرفاعي قال البخاري: رأيتهم مجتمعين على ضعفه.

ولما صنع بك حين أبيت إلا عبادتَه وتوحيده؛ إني ذابح له أربعة آلاف بقرة. فقال له إبراهيم: إذاً لا يقبَل الله منك ما كنتَ على شيء من دينك هذا حتى تفارقه إلى ديني! فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع تركَ ملكي، ولكنِّي سوف أذبحها له، فذبحها نمرود، ثم كفّ عن إبراهيم، ومنعه الله عزّ وجلّ منه[١]. (١: ٢٤٢/ ٢٤٣).

٣٥٨ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير عن مغيرة، عن الحارث، عن أبي زُرْعة، عن أبي هريرة، قال: إن أحسنَ شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وحده يرشحُ جبينه، فقال عند ذلك: نعم الربُّ ربُّك يا إبراهيم[٢]! (١: ٢٤٣).

٣٥٩ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا مُعْتَمر بن سليمان التيميّ، عن بعض أصحابه قال: جاء جَبْرئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو يُوثَق ويقمَط ليلقى في النار، قال: يا إبراهيم، ألك حاجة؟ قال: أمّا إليك فلا[٣]. (١: ٢٤٣).

٣٦٠ ـ حدثني أحمد بن المقدام، قال: حدثني المعتمر، قال: سمعت أبي قال: حدثنا قتادة، عن أبي سليمان، قال: ما أحرقَت النار من إبراهيم إلا وثاقه[٤]. (١: ٢٤٣).

٣٦٠/ أ ـ قال أبو جعفر: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، قال: واستجاب لإبراهيم عليه السلام رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمرود وملئهم، فآمن له لوط ـ وكان ابن أخيه ـ وهو لوط بن هاران بن تارخ، وهاران هو أخو إبراهيم، وكان لهما أخ ثالث يقال له: ناحور بن تارخ، فهاران أبو لوط، وناحور أبو بتويل، وبتويل أبو لابان، وربقا بنت بتويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب، وليا وراحيل زوجتا يعقوب ابنتا لابان. وآمنت به سارَة وهي ابنة عمه، وهي سارة بنت هاران الأكبر عمّ إبراهيم، وكانت لها أخت

---

(١) ضعيف.
(٢) شيخ الطبري ضعيف وقد رواه موقوفاً.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

يقال لها: ملكا امرأة ناحور[١]. (١ : ٢٤٤).

وقد قيل: إن سارَة كانت ابنة ملك حرّان.

ذكر من قال ذلك:

٣٦١ - حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قال: انطلق إبراهيم ولوط قِبَل الشأم، فلقي إبراهيم سارة، وهي ابنة ملك حَرَّان، وقد طعنت على قومها في دينهم، فتزَوجها على ألاّ يغيّرها، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه، فقال له: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه. ثم إن إبراهيم ومَنْ كان معه من أصحابه الذين اتبعوا أمره أجمعوا لفراق قومهم، فقالوا: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، أيها المعبودون من دون الله ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ أيها العابدون ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾. ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربّه وخرج معه لوطٌ مهاجراً، وتزوج سارة ابنة عمه، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه، والأمان على عبادة ربه حتى نزل حرّان، فمكث بها ما شاء الله أن يمكث، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر، وبها فرعون من الفراعنة الأولى. وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال، وكانت لا تعصي إبراهيم شيئاً، وبذلك أكرمها الله عزّ وجلّ، فلما وصفت لفرعون ووصف له حسنها وجمالها أرسل إلى إبراهيم، فقال: ما هذه المرأة التي معك؟ قال: هي أختي، وتخوّف إبراهيم إن قال هي امرأتي أن يقتلَه عنها. فقال لإبراهيم: زيّنها، ثم أرسلْها إليّ حتى أنظر إليها، فرجع إبراهيم إلى سارة وأمرها فتهيأت، ثم أرسلها إليه، فأقبلت حتى دخلت عليه، فلما قعدت إليه تناولها بيده، فيبست إلى صدره، فلما رأى ذلك فرعون أعظمَ أمرها، وقال: ادعي الله أن يطلق عني، فو الله لا أريبك ولأحسنَنّ إليك، فقالت: اللهمّ إن كان صادقاً فأطلق يده، فأطلق الله يده، فردّها إلى إبراهيم، ووهب لها هاجر، جارية كانت له قبطية[٢]. (١ : ٢٤٤/ ٢٤٥).

---

(١) ضعيف.
(٢) مرسل ضعيف.

٣٦١/ أ ـ قال أبو جعفر: رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.

قال: وكانت هاجر جارية ذات هيئة، فوهبتها سارة لإبراهيم، وقالت: إني أراها امرأة وضيئة فخذها، لعلَّ الله يرزقك منها ولداً، وكانت سارّة قد مُنِعت الولد فلا تلد لإبراهيم حتى أسنّت، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يَهبَ له من الصالحين، وأخرت الدعوة حتى كِبِر إبراهيم وعقمت سارة، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر، فولدت له إسماعيل عليهما السلام[1]. (١ : ٢٤٧).

٣٦٢ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: سألت الزهريّ: ما الرحم التي ذكر رسول الله لهم؟ قال: كانت هاجر أم إسماعيل منهم. فيزعمون ـ والله أعلم ـ أن سارة حزنت عند ذلك على ما فاتها من الولد حزناً شديداً، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشأم، وهاب ذلك الملك الذي كان بها، وأشفق من شرّه حتى قدمها، فنزل السَّبْعَ من أرض فلسطين، وهي بريّة الشأم، ونزل لوط بالمؤتفكة، وهي من السَّبْع على مسيرة يوم وليلة. وأقرب من ذلك، فبعثه الله عز وجل نبيّاً، وأقام إبراهيم فيما ذكر لي بالسَّبع، فاحتفر به بئراً واتخذ به مسجداً، فكان ماء تلك البئر معيناً طاهراً، فكانت غنمه ترِدُها. ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرَّملة وإيليا، ببلد يقال له قَطّ ـ أو قِطّ ـ فلما خرج من بين أظهرهم نضب الماء فذهب. واتبعه أهلُ السبع، حتى أدركوه وندموا على ما صنعوا، وقالوا: أخرجْنا من بين أظهرنا رجلاً صالحاً، فسألوه أن يرجع إليهم، فقال: ما أنا براجع إلى بلد أخْرِجت منه، قالوا له: فإن الماء الذي كنت تشرب منه ونشرب معك منه قد نضِب فذهب، فأعطاهم سبع أعنز من غنمه، فقال: اذهبوا بها معكم، فإنكم لو قد أوردتموها البئر، قد ظهر الماء، حتى يكون مَعيناً طاهراً كما كان، فاشربوا منها، فلا تَغترفنّ منها امرأةٌ حائض، فخرجوا بالأعنز، فلما وقفت على البئر ظهر إليها الماء، فكانوا يشربون منها وهي على ذلك، حتى أتت امرأة طامث، فاغترفتْ منها، فنكص ماؤها إلى الذي هو عليه اليوم، ثم ثبت.

---

(١) ضعيف.

قال: وكان إبراهيم يُضيف من نزل به، وكان الله عزّ وجلّ قد أوسع عليه، وبسط له في الرزق والمال والخدم، فلما أراد الله عزّ وجلّ هلاك قوم لوط، بعث إليه رسلَه يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم، وكانوا قد عملوا من الفاحشة ما لم يسبقهم به أحدٌ من العالمين، مع تكذيبهم نبيهم، وردّهم عليه ما جاءهم به من النصيحة من ربِّهم، وأمرت الرسل أن ينزلوا على إبراهيم، وأنْ يبشّروه وسارة بإسحاق، ومنْ وراء إسحاق يعقوب، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيفُ قد حُبِس عنه خمس عشرة ليلة حتى شقَّ ذلك عليه ـ فيما يذكرون ـ لا يضيفه أحد، ولا يأتيه، فلما رآهم سرّ بهم رأى ضيفاً لم يضفه مثلهم حسناً وجمالاً، فقال: لا يخدم هؤلاء القوم أحدٌ إلا أنا بيدي، فخرج إلى أهله، فجاء كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ قد حَنَذه ـ والحناذ: الإنضاج يقول الله جل ثناؤه: ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ فقرّبه إليهم، فأمسكوا أيديهم عنه، ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ حين لم يأكلوا من طعامه، ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ سارة ﴿قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ لما عرفت من أمر الله عزّ وجلّ، ولما تعلم من قوم لوط، فبشّروها ﴿بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ بابن، وبابن ابن، فقالت ـ وَصَكّت وَجْهَهَا، يقال: ضربت على جبينها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾. وكانت سارَة يومئذ ـ فيما ذكر لي بعض أهل العلم ـ ابنةَ تسعين سنة، وإبراهيم ابن عشرين ومئة سنة، ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب يولد من صلب إسحاق وأمنَ ما كان يخاف، قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾[1]. (١: ٢٤٧/٢٤٨/٢٤٩).

٣٦٣ ـ حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج، قال: أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائيّ، قال: أُلقيَ إبراهيمُ في النار وهو ابن ست عشرة سنة، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين، وولدته سارة وهي ابنة تسعين سنة، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين، فلما علمتْ سارة بما أراد بإسحاق مرِضت يومين، وماتت اليوم الثالث، وقيل: ماتت سارة

---

(١) مرسل ضعيف.

وهي ابنة مئة وسبع وعشرين سنة[١]. (١ : ٢٤٩).

٣٦٤ - حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ، قال: بعث الله الملائكة لتهلك قومَ لوط، فأقبلت تمشي في صورة رجال شباب، حتى نزلوا على إبراهيم، فتضيّفوه، فلما رآهم إبراهيمُ أجَلّهمْ، فراغ إلى أهله، فجاء بعجل سمين فذبحه، ثم شواه في الرَّضْف وهو الحنيذ حين شواه، وأتاهم فقعد معهم، وقامت سارة تخدمهم، فذلك حين يقول جلّ ثناؤه: (وامرأته قائمة وهو جالس) في قراءة ابن مسعود، فلما قرَّبه إليهم قال: ألا تأكلون! قالوا: يا إبراهيم، إنا لا نأكل طعاماً إلا بثمن، قال: فإن لهذا ثمناً، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوَّله وتحمدونه على آخره، فنظَر جبرئيل إلى ميكائيل، فقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلاً، ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يقول: لا يأكلون، ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت: عجباً لأضيافنا! هؤلاء إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم، وهم لا يأكلون طعامنا![٢] (١ : ٢٤٩/ ٢٥٠).

ذكر أمر بناء البيت

٣٦٥ - قال: ثم إن الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق - فيما ذكر - ببناء بيت له يعبد فيه، ويذكر. فلم يدر إبراهيم في أيّ موضع يبني؛ إذ لم يكن بيّن له ذلك، فضاق بذلك ذرعاً، فقال بعضُ أهل العلم: بعث الله إليه السكينة لتدلّه على موضع البيت، فمضت به السكينة، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل، وهو طفل صغير.

وقال بعضهم: بل بعث الله إليه جَبرئيل عليه السلام، حتى دلّه على موضعه، وبيّن له ما ينبغي أن يعمل[٣]. (١ : ٢٥١).

---

(١) ضعيف.
(٢) هذا إسناد ضعيف.
(٣) ضعيف.

ذكر من قال: الذي بعثه الله إليه لذلك السكينة:

٣٦٦ ـ حدثنا هنّاد بن السريّ، قال: حدثنا أبو الأحوص عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعرة: أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب، فقال: ألا تخبرني عن البيت، أهو أول بيت وضع في الأرض؟ فقال: لا، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم، ومَنْ دخله كان آمناً، وإن شئت أنبأتك كيف بُنِيَ. إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى إبراهيم أن ابنِ لي بيتاً في الأرض، فضاق إبراهيم بذلك ذرعاً، فأرسل عزّ وجلّ السكينة، وهي ريح خَجُوج ولها رأسان، فاتبع أحدُهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوَّتْ على موضع البيت كتطوّي الحية، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرّ السكينة، فبنى إبراهيم وبقيَ حَجَر، فذهب الغلام يبني شيئاً، فقال إبراهيم: أبْغِني حجراً كما آمرك؛ فانطلق الغلام يلتمس له حجراً، فأتاه به، فوجده قد ركّب الحجر الأسود في مكانه، فقال: يا أبت، مَن أتاك بهذا الحَجَر؟ فقال: أتاني به مَنْ لم يتّكل على بنائك، أتاني به جبرئيل من السماء. فأتماه[1]. (١ : ٢٥٢).

٣٦٧ ـ حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: حدثنا مؤمّل، قال: حدثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرّب، عن عليّ عليه السلام قال: لما أمِرَ إبراهيمُ ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر، فلما قدم مكة رأى على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس، فكلَّمه؛ وقال: يا إبراهيم! ابْنِ على ظلّي ـ أو على قَدْري ـ ولا تزد ولا تنقص، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر، فقالت هاجر: يا إبراهيم، إلى مَنْ تَكلُنَا؟ قال: إلى الله، قالت: انطلق فإنه لا يُضيعنا، قال: فعطش إسماعيل عطشاً شديداً، فصعِدت هاجَر الصفا، فنظرتْ فلم تر شيئاً، ثم أتت المرْوَة فنظرتْ فلم تر شيئاً، ثم رجعتْ إلى الصَّفَا، فنظرتْ فلم تر شيئاً، حتى فعلتْ ذلك سبع مرات، فقالت: يا إسماعيل، مُتْ حيث لا أراك. فأتته وهو يفحص برجله من العطش، فناداها جبرئيل، فقال: مَنْ أنت؟ قالت: أنا هاجر، أم ولد إبراهيم، قال: إلى مَنْ وكلَكما؟ قالت: وكلَنا إلى الله، قال: وكَلَكما إلى كافٍ، قال: ففحص الغلام

---

(١) ضعيف.

الأرضَ بإصبعه ، فنبعت زمزم ، فجعلت تحبس الماء ، فقال: دعيه ، فإنها رَواء[١] . (١ : ٢٥٢).

٣٦٨ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السديّ ، قال: لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل: أن طهرا بيتي للطائفين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاوِل لا يدريان أين البيت ، فبعث الله عز وجل ريحاً يقال لها ريح الخَجُوج ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنَست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعا الأساس ، فذلك حين يقول عزّ وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[٢] . (١ : ٢٥٢).

٣٦٩ ـ وحدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعرة ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول: لما أمر الله إبراهيمَ بعمارة البيت والأذان بالحج في الناس خرَج من الشأم ومعه ابنه إسماعيل ، وأم إسماعيل هاجَر ، وبعث الله معه السكينة ، وهي ريح لها لسان تكلّم به ، يغدو معها إبراهيم إذا غدت ، ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فلما أتت موضع البيت استدارت به ، ثم قالت لإبراهيم: ابْنِ عليَّ ، ابْنِ عليّ ، ابْنِ عليّ ، فوضع إبراهيم الأساس ورفع البيت هو وإسماعيل ، حتى انتهيا إلى موضع الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل: يا بنيّ ، ابغ لي حجَراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجَر ، فلم يرضَه وقال: أبغي غير هذا ، فذهب إسماعيل ليلتمس له حَجَراً ، فجاءه وقد أتِيَ بالركن ، فوضعه في موضعه ، فقال: يا أبت ، مَنْ جاءك بهذا الحجر؟ قال: مَنْ لم يكلْني إليك يا بُنيّ[٣] ! (١ : ٢٥٣).

وقال آخرون: إنَّ الذي خرج مع إبراهيم من الشام لدلالته على موضع البيت جَبرَئيل عليه السلام ، وقالوا: كان إخراجه هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان من غيرة سارَة بسبب ولادة هاجر منه إسماعيل.

---

(١) هذا إسناد موقوف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

ذكر من قال ذلك:

٣٧٠ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السدى بالإسناد الذي قد ذكرناه: أن سارَة قالت لإبراهيم: تسرّ هاجر ، فقد أذنت لك فوطئها ، فحملت بإسماعيل ، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق ، فلما ولدته وكبر اقتتل هو وإسماعيل ، فغضبت سارة على أمّ إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ، ثم إنها دعتها فأدخلتها. ثم غضبت أيضاً فأخرجتها ثم أدخلتها ، وحلفت لتقطعنّ منها بَضْعة؛ فقالت: أقطع أنفها ، أقطع أذنها ، فيشينها ذلك ، ثم قالت: لا بل أخفضها ، فقطعت ذلك منها ، فاتخذت هاجر عند ذلك ذيلاً تعفي به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء ، واتخذت ذيولاً ، ثم قالت: لا تساكِني في بلد. وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتيَ مكة ، وليس يومئذ بمكة بيت ، فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما ، وقالت له هاجَر: إلى من تركتنا ها هنا؟ ثم ذكر خبرها ، وخبر ابنها[1]. (١: ٢٥٣/ ٢٥٤).

٣٧١ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمَة ، عن ابن إسحاق ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عزّ وجلّ لما بوّأ لإبراهيم مكانَ البيت ومعالمَ الحرَم ، فخرج وخرج معه جَبرئيل ، يقال: كان لا يمرّ بقرية إلا قال: بهذه أمرت يا جَبرئيل؟ فيقول: جَبرئيل ، امضه ، حتى قدم به مكة ، وهي إذ ذاك عِضاه سَلَم وسَمُر ، وبها أناس يقال لهم: العماليق ، خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ رَبْوة حمراء مَدرة ، فقال إبراهيم لجَبرَئيل: أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم ، فعمد بهما إلى موضع الحِجْر ، فأنزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾ إلى ـ ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾. ثم انصرف إلى أهله بالشأم وتركهما عند البيت ، قال: فظمىء إسماعيل ظمأ شديداً ، فالتمست له أمه ماء فلم تجده ، فاستمعت: هل تسمع صوتاً؟ لتلتمس له شراباً ، فسمعت كالصوت عند الصفا ، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ثم سمعت صوتاً نحو المرْوة ، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ويقال: بل قامت على الصفا

(١) ضعيف.

تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم عمِدت إلى المرْوة ففعلت ذلك. ثم إنها سمعت أصواتَ سباع الوادي نحو إسماعيل حيث تركتْه ، فأقبلت إليه تشتدّ ، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده ، فشرب منها ، وجاءتها أمّ إسماعيل فجعلتها حسْياً، ثم استقت منها في قربَتها تذخَرُه لإسماعيل ، فلولا الذي فعلت ما زالت زمزم مَعيناً طاهراً ماؤها أبداً. قال مجاهد: ولم نزل نسمع: أن زمزم هَزْمَةُ جَبرَئيل بعقبِه لإسماعيل حين ظمىء[١]. (١: ٢٥٤/ ٢٥٥).

٣٧٢ ـ فقال إبراهيم ـ فيما ذكر لنا ـ ما حدثنا به ابن حُمَيد قال: حدثنا جرير عن قابوس بن أبي ظَبْيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، قيل له: أذِّن في الناس بالحجّ ، قال: يا رب ! وما يبلغ صوتي؟ قال: أذِّن وعليّ البلاغ ، فنادى إبراهيم: يا أيها الناس كتب عليكم الحجُّ إلى البيت العتيق ، قال: فسمعه ما بين السماء والأرض: أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يُلبُّون![٢] (١: ٢٦٠).

٣٧٣ ـ حدثنا الحسن بن عرفة ، قال: حدثنا محمد بن فضيل بن غَزْوان الضبّي عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال: لما بنى إبراهيم البيتَ أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: أن أذِّنْ في الناس بالحج ، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربَّكم قد اتخذ بيتاً، وأمركم أن تحجُّوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء؛ من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شيء: لَبَّيْك اللهم لبّيك[٣]! (١: ٢٦٠).

٣٧٤ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا يحيى بن واضح ، قال: حدثنا الحسين بن واقد عن أبي الزبير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ ، قال: قام إبراهيم عليه السلام خليل الله على الحجَر فنادى: يا أيها الناس ، كتب عليكم الحجّ ، فأسمَع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام

(١) ضعيف.

(٢) هذا إسناد ضعيف وأخرجه الحاكم موقوفاً وصحح إسناده (المستدرك ٢١/ ٣٨٨).

(٣) ضعيف.

النساء ، فأجابه مَنْ آمن ممن سبق في علم الله أن يحجَّ إلى يوم القيامة : لبّيك اللهم لبّيك![١] (١ : ٢٦٠/ ٢٦١) .

٣٧٥ - حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سُفيان عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحج ، فقال : يا ربّ ! كيف أقول؟ قال : قل : لَبَّيْك اللهم لبيك ، قال : فكانت أولَ التلبية[٢] . (١ : ٢٦١) .

٣٧٦ - حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة : أنّ عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثيّ : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحجّ؟ قال : بلغَني أنه لما رفع هو وإسماعيل قواعد البيت ، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك ، وحضر الحجّ استقبل اليمن ، فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك! ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته فأجيب : أن لبّيك اللهمّ لبيك! ثم إلى المغرب فدعا إلى الله وإلى حجّ بيته ، فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك! ثم إلى الشأم فدعا إلى الله عزّ وجلّ وإلى حج بيته فأجيب : أن لبّيك اللهمّ لبيك ؛ ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية ، فنزل به منىً ومن معه من المسلمين ، فصلَّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بهم حتى أصبح ، فصلّى بهم صلاة الفجر ، ثم غَدا بهم إلى عرفة ، فقالَ بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس جَمَع بين الصلاتين : الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف من عَرفة ، فوقف بهم على الأراك ، وهو الموقف من عرفة الذي يقف عليه الإمام يُريه ويعلِّمه ، فلما غَرَبت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين : المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها وبمن معه ، حتى إذا طلع الفجر صَلّى بهم صلاة الغداة ، ثم وقف به على قُزَح من المزدلفة فيمن معه ، وهو الموقف الذي يقف به الإمام حتى إذا أسفر دفَع به وبمن معه يُريه ويعلّمه كيف يصنع ، حتى رمى الجمرة الكبرى ، وأراه المنحَر من منى ، ثم نحر وحلق ، ثُم أفاض به من مِنى ليُريَه كيف يطوف ،

---

(١) هذا إسناد ضعيف .

(٢) ضعيف .

ثم عاد به إلى منى ليُريَه كيف يرمي الجمار ، حتى فرغ له من الحج وأذن به في الناس[١] . (١ : ٢٦٢).

قال أبو جعفر: وقد رُويَ عن رسول الله وعن بعض أصحابه أن جبْرئيل هو الذي كان يُرِي إبراهيم المناسك إذا حجّ.

ذكر الرواية بذلك عن رسول الله :

٣٧٧ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى ـ وحدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال: حدثنا عبيد الله بن موسى ـ قال: أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي قال: أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراحَ به إلى منى ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمنى ، ثم غدا به إلى عرفات ، فأنزله الأراك ـ أو حيث ينزل الناس ـ فصلّى به الصلاتين جميعاً: الظهر والعصر ، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلِّي أحدٌ من الناس المغرب ، أفاض حتى أتى به جمعاً ، فصلّى به الصلاتين جميعاً: المغرب والعشاء ، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلّي أحد من الناس الفجر صلّى به ، ثم وقفَ حتى إذا كان كأبطأ ما يصلي أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى منى ، فرمى الجمرة ، ثم ذبح وحلق ، ثم أفاض إلى البيت ، ثم أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمد : ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢] (١ : ٢٦٢).

٣٧٨ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عمْران بن محمد بن أبي ليلى ، قال: حدثني أبي ، عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله نحوه[٣] . (١ : ٢٦٢).

٣٧٨/ أ ـ ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .

واختلف السّلَف من علماء أمة نبينا في الذي أمرَ إبراهيم بذبحه من ابنيه ، فقال بعضهم: هو إسحاق بن إبراهيم ، وقال بعضهم: هو إسماعيل بن إبراهيم ،

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف .

(٣) ضعيف .

وقد روي عن رسول الله كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نَعْدُه إلى غيره ، غيرَ أنّ الدليلَ من القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه أنه قال : «هو إسحاق» أوضح وأبين منه على صحة الأخرى[١] (١ : ٢٦٣) .

٣٧٩ ـ والرواية التي رويت عنه أنه قال : «هو إسحاق» حدثنا بها أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن جُدْعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن النبي في حديث ذكر فيه : ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : «هو إسحاق»[٢] . (١ : ٢٦٣) .

وقد روي هذا الخبر عن غيره من وجه أصلح من هذا الوجه ، غير أنه موقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله .

ذكر من قال ذلك :

٣٨٠ ـ حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : «هو إسحاق»[٣] . (١ : ٢٦٣) .

٣٨١ ـ وأما الرواية التي رُوِيت عنه أنه هو إسماعيل ، فما حدثنا محمد بن عمار الرازي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، قال : حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابيّ ، عن عبد الله بن محمد العُتبيّ من ولد عُتْبة بن أبي سفيان ، عن أبيه ، قال : حدثني عبد الله بن سعيد ، عن الصُّنابحي ، قال : كنا عند معاوية بن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق؟ فقال : على الخبير سقطتم ، كنا عند رسول الله ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عُدْ عليّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول الله ، فقيل له : وما الذبيحان يا رسول الله؟ فقال : (إنّ عبد المطلب لما أُمِر بحفر زمزم نَذر لله : لئن سهَّل الله له أمرَها ليذبحنّ أحد ولده) ، قال : فخرج السهم على عبد الله ،

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .

فمنعه أخوالهُ وقالوا: افْد ابنَك بمئة من الإبل ، ففداه بمئة من الإبل وإسماعيل الثاني[١] . (١ : ٢٦٣/ ٢٦٤).

ونذكر الآن من قال من السلف: إنه إسحاق ، ومن قال: إنه إسماعيل.

ذكر من قال هو إسحاق:

٣٨١/أ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسحاق[٢] . (١/ ٢٦٤).

٣٨٣ - حدثنا الحسين بن يزيد الطَّحّان ، قال: حدثنا ابن إدريس ، عن داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق[٣] . (١ : ٢٦٤).

٣٨٤ - حدثني يعقوب ، قال: حدثنا ابن علية ، عن داود ، عن عكرمة ، قال: قال ابن عباس: الذبيح هو إسحاق[٤] . (١ : ٢٦٤).

٣٨٥ - حدثنا ابن المثنى ، قال: حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسحاق[٥] . (١ : ٢٦٤).

٣٨٦ - حدثنا ابن المثنى ، قال: حدثنا محمد بن جعفر ، قال: حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال: أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله[٦] . (١ : ٢٦٤).

٣٨٧ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا إبراهيم بن المختار ، قال: حدثنا

---

(١) قال الحافظ وهذا حديث غريب جداً (٧/ ٢٩٨٩).
(٢) موقوف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) إسناده صحيح إلى ابن مسعود وهو موقوف وروي مرفوعاً ولا يصح ، فقد أخرجه الطبري (١٠٢٧٨) وقال الهيثمي: وأبو عبيدة لم يسمع من ابن مسعود (ح١٣٧٦٨).

محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن الزهريّ ، عن العلاء بن جارية الثقفيّ ، عن أبي هريرة ، عن كعب ، في قوله : ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : من ابنه إسحاق[١] . (١ : ٢٦٥).

٣٨٨ ـ حدثنا ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار : أن الذي أمر بذبحه إبراهيم من ابنيه إسحاق[٢] . (١ : ٢٦٥).

٣٨٩ ـ حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب ، أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفيّ ، أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبيّ؟ قال أبو هريرة : بلَى ، قال كعب : لما أرِيَ إبراهيمُ ذبحَ إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحداً منهم أبداً ، فتمثّل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبحه دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق؟ قالت : غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به ، قالت سارة : فلِمَ غدا به؟ قال : غدا به ليذبحه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبح ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ! قالت سارة : فلم يذبحه؟ قال : زعم أن ربَّه أمره بذلك ، قالت سارَة ؛ فهذا حسنٌ بأن يطيعَ ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارّة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على أثر أبيه ، فقال له : أين أصبح أبوك غادياً بك؟ قال : غدا بي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ، ما غَدا بك لبعض حاجته ، ولكنه غدا بك ليذبحك .

قال إسحاق : ما كان أبي ليذبحني ، قال : بلى ، قال : لم؟ قال : زعم أن ربَّه أمره بذلك ، قال إسحاق : فو الله لئن أمره بذلك ليُطيعنَّه ، فتركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غادياً بابنك؟ قال : غدوت به لبعض حاجتي ، قال : أما والله ما غدوتَ به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه؟ قال : زعمت أن ربَّك

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .

أمرك بذلك ، قال: فوالله لئن كان أمرني ربي لأفعلنّ ، قال: فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلّم إسحاق أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم. قال إبراهيم لإسحاق: قم أي بُنَيَّ ، فإن الله قد أعفاك ، فأوحى الله إلى إسحاق: إني أعطيك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق: اللهمّ فإني أدعوك أن تستجيب لي: أيما عبدٍ لقيَك من الأولين والآخرين لا يشرِك بك شيئاً فأدخِلْه الجنة[1]. (١: ٢٦٥/٢٦٦).

٣٩٠ ـ حدثني عمرو بن علي ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال: حدثنا سفيان عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال: قال موسى: يا ربّ ، يقولون: يا إلَه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فيم قالوا ذلك؟ قال: إن إبراهيم لم يعدل بي شيئاً قطّ إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جادَ لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلّما زدتُه بلاء زادني حسن ظن[2]. (١: ٢٦٦).

٣٩١ ـ حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا مؤمّل ، قال: حدثنا سفيان عن زيد ابن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال: قال موسى: أي ربّ بمَ أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم؟ فذكر نحوه[3]. (١: ٢٦٦).

٣٩٢ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابِط ، قال: هو إسحاق[4]. (١: ٢٦٦).

٣٩٣ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان عن سفيان ، عن أبي سنان الشيبانيّ ، عن ابن أبي الهذيل ، قال: الذبيح هو إسحاق[5]. (١: ٢٦٦).

٣٩٤ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا سفيان بن عقبة عن حمزة الزيات ، عن أبي إسحاق ، عن أبي ميسرة ، قال: قال يوسفُ للملك في وجهه ترغب أن تأكل

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله![١] (١ : ٢٦٦/٢٦٧).

٣٩٥ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا وكيع عن سفيان ، عن أبي سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، قال: قال يوسف للملك ، فذكر نحوه[٢]. (١ : ٢٦٧).

٣٩٦ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ، في خبر ذكَره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمدانيّ ، عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي : أن إبراهيم عليه السلام أريَ في المنام فقيل له: أوْف نذرك الذي نذرت: إن رزقك الله غلاماً من سارَة أن تذبحه[٣]. (١ : ٢٦٧).

٣٩٧ ـ حدثني يعقوب ، قال: حدثنا هشيم ، قال: حدثنا زكرياء وشعبة عن أبي إسحاق ، عن مسروق في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: هو إسحاق[٤]. (١ : ٢٦٧).

ذكر من قال هو إسماعيل:

٣٩٨ ـ حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال: حدثنا يحيى بن يمان عن إسرائيل ، عن ثُوَير ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال: الذبيح إسماعيل[٥]. (١ : ٢٦٧).

٣٩٩ ـ حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا يحيى ، قال: حدثنا سفيان ، قال: حدثنا بيان عن الشعبي ، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: إسماعيل[٦]. (١ : ٢٦٧).

٤٠٠ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا يحيى بن واضح ، قال: حدثنا

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) ضعيف.

أبو حمزة محمد بن ميمون السكريّ عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: إن الذي أمر بذبحه إبراهيم إسماعيل[(١)]. (١ : ٢٦٧).

٤٠١ - حدثني يعقوب، قال: حدثنا هشيم عن علي بن زيد، عن عمار مولى بني هاشم، وعن يوسف بن مِهران، عن ابن عباس قال: هو إسماعيل، يعني: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[(٢)]. (١ : ٢٦٨).

٤٠٢ - حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن عليّة، قال: حدثنا داود عن الشعبي، قال: قال ابن عباس: هو إسماعيل[(٣)]. (١ : ٢٦٨).

٤٠٣ - وحدثني به يعقوب مرة أخرى، قال: حدثنا ابن عُلَيَة، قال: سئل داود بن أبي هند: أيّ ابني إبراهيم أُمِر بذبحه؟ فزعم أن الشعبيّ قال: قال ابن عباس: هو إسماعيل[(٤)]. (١ : ٢٦٨).

٤٠٤ - حدثنا ابن المثنّى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدّثنا شعبة عن بَيان، عن الشعبيّ، عن ابن عباس: أنه قال في الذي، فداه الله بذبح عظيم، قال: هو إسماعيل[(٥)]. (١ : ٢٦٨).

٤٠٥ - حدثنا يعقوب، قال: حدثنا ابن عُلَيّة، قال: حدثنا ليث عن مجاهد عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾، قال: هو إسماعيل[(٦)]. (١ : ٢٦٨).

٤٠٦ - وحدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن أبي رباح، عن عبد الله بن عباس، أنه قال: المفدّى إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق، وكذبت اليهود[(٧)]. (١ : ٢٦٨).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) ضعيف.
(٧) ضعيف.

٤٠٧ ـ وحدثني محمد بن سنان القزاز ، قال: حدّثنا أبو عاصم عن مبارك ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس: الذي فداه الله عزّ وجل قال: هو إسماعيل[١]. (١ : ٢٦٨).

٤٠٨ ـ حدثني محمد بن سنان ، قال: حدثنا حجاج عن حماد ، عن أبي عاصم الغنويّ ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مثله[٢]. (١ : ٢٦٨).

٤٠٩ ـ حدثني إسحاق بن شاهين ، قال: حدثني خالد بن عبد الله عن داود ، عن عامر ، قال: الذي أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل[٣]. (١ : ٢٦٩).

٤١٠ ـ حدثنا ابن المثنّى ، قال: حدثني عبد الأعلى ، قال: حدثنا داود عن عامر أنه قال في هذه الآية: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال: هو إسماعيل ، قال: وكان قَرْنا الكبش مَنُوطين بالكعبة[٤]. (١ : ٢٦٩).

٤١١ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبيّ ، قال: الذبيحُ إسماعيل[٥]. (١ : ٢٦٩).

٤١٢ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان عن إسرائيل ، عن جابر ، عن الشعبيّ ، قال: رأيتُ قرني الكبش في الكعبة[٦]. (١ : ٢٦٩).

٤١٣ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فَضالة ، عن علي بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مِهران ، قال: هو إسماعيل[٧]. (١ : ٢٦٩).

٤١٤ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان ، قال: حدثنا سفيان عن ابن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) ضعيف.
(٧) ضعيف.

أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال: هو إسماعيل[١]. (١ : ٢٦٩).

٤١٥ ـ حدثني يعقوب ، قال: حدثنا هشيم ، قال: أخبرنا عوف عن الحسن: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال: هو إسماعيل[٢]. (١ : ٢٦٩).

٤١٦ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: سمعت محمد بن كعب القرظيّ وهو يقول: إن الذي أمر الله عزّ وجلّ إبراهيمَ بذبحه من ابنيه إسماعيل ، وإنّا لنجدُ ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ في قصة الخبر عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه: أنه إسماعيل ، وذلك أن الله عزّ وجلّ يقول حين فَرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ويقول: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾؛ يقول: بابن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه من الله من الموعود ما وَعده ، وما الذي أُمِر بذبحه إلا إسماعيل[٣]. (١ : ٢٧٠).

٤١٧ ـ حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدثنا سَلَمَة ، قال: حدثنا محمد بن إسحاق عن بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القرظيّ: أنه حدّثهم: أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة إذ كان معه بالشأم ، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنتُ أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم ، فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء اليهود. فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك. قال محمد بن كعب القرظي: وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر: أيّ ابنيْ إبراهيمَ أمر بذبحه. فقال: إسماعيل. والله يا أمير المؤمنين إن يَهود لتَعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما أمر به ، فهم يجحدون ذلك ، ويزعمون: أنه إسحاق ، لأنّ إسحاق أبوهم[٤]. (١ : ٢٧٠).

٤١٨ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن البصريّ : أنه كان لا يشكّ في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل[١] . (١ : ٢٧٠).

٤١٩ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت محمد بن كعب القرظيّ يقول ذلك كثيراً[٢] . (١ : ٢٧٠).

٤٢٠ ـ وأما الدلالة من القرآن التي قلنا : إنها على أن ذلك إسحاق أصحّ ، فقوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومَه مهاجراً إلى ربّه إلى الشام مع زوجته سارة ، فقال : ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ، وذلك قبل أن يعرف هاجر ، وقبل أن تصير له أم إسماعيل ، ثم أتبع ذلك ربنا عزَّ وجلَّ الخبر عن إجابته دعاءه ، وتبشيره إياه بغلام حليم ، ثم عن رؤيا إبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعيَ ، ولا يُعْلَم في كتاب ذكرٌ لتبشير إبراهيم بولَد ذكَر إلا بإسحاق ، وذلك قوله : ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ وقوله : ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ ثم ذلك كذلك في كلِّ موضع ذُكر فيه تبشير إبراهيم بغلام؛ فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارَة ، فالواجبُ أن يكون ذلك في قوله : ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ نظير ما في سائر سور القرآن من تبشيره إياه به من زوجته سارة .

وأما اعتلال من اعتلَّ بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق ، وقد أتته البشارة من الله قَبْل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده ، فإنها علّة غير موجبة صحةَ ما قال ، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك إسحاق السعيَ . وجائز أن يكون يعقوب وُلد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه ، وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتلّ في ذلك بقرْن الكبش أنه رآه معلقاً في الكعبة ، وذلك أنه غيرُ مستحيل أن يكون حُمِل من الشأم إلى الكعبة فعلِّق هنالك[٣] . (١ : ٢٧١).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه

والسبب في أمر الله عزَّ وجلَّ إبراهيم بذبح ابنه الذي أمره بذبحه فيما ذُكر: أنه إذ فارق قومَه هارباً بدينه مهاجراً إلى ربه متوجِّهاً إلى الشأم من أرض العراق دعا الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً من سارَة فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يعني بذلك ولداً صالحاً من الصالحين] كما أخبر الله تعالى عنه فقال: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. فلما نزل به أضيافُه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى المؤتفكة قوم لوط بشَّروه بغلام حليم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره، فقال إبراهيم إذ بشر به: هو إذاً لله ذبيحٌ. فلما ولد الغلام وبلغ السعي قيل له: أوْفِ بنذرك الذي نذرتَ لله.

ذكر من قال ذلك:[1] (١ : ٢٧٢).

٤٢١ ـ حدثني موسى بن هارون، قال: حدثني عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك. وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْداني، عن عبد الله ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله قال: قال جبرئيل عليه السلام لسارة: أبشري بولد اسمه إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فضربتْ جبينها عجباً، فذلك قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ وقالت: ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٧٢ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾. قالت سارة لجبْرَائيل: ما آية ذلك؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزّ أخضَر، فقال إبراهيم: هو إذاً لله ذبيح، فلما كبر إسحاق أتِيَ إبراهيم في النوم فقيل له: أوْفِ بنذرك الذي نذرتَ؛ إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تذبحه. فقال لإسحاق: انطلق فقرِّبْ قرباناً إلى الله. وأخذ سكيناً وحبلاً، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب بهِ بين الجبال قال له الغلام: يا أبت، أين قربانك؟ قال: يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى.

(١) ضعيف.

قال: يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، قال له إسحاق: اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عن ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه سارة فتحزن، وأسرعْ مَرّ السكين على حَلقي ليكون أهونَ للموت عليّ، وإذا أتيتَ سارة فاقرأ عليها السلام. فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبّله وقد ربطه وهو يبكي، وإسحاق يبكي، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق، ثم إنه جرّ السكين على حلقه فلم يُحِك السكين، وضرب الله عزَّ وجلَّ صفيحة من نحاس على حلْق إسحاق، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه، وحزّ في قَفاه قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ يقول: سلما لله الأمر، فنودي يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا بالحق. التفت، فإذا بكبش، فأخذه وخلّى عن ابنه، فأكبّ على ابنه يقبّله وهو يقول: يا بنيّ اليوم وُهبتَ لي، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر، فجزعت سارة وقالت: يا إبراهيم، أردت أن تذبح ابني ولا تعلمني![1] (١: ٢٧٢/ ٢٧٣).

٤٢٢ - حدّثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق، قال: كان إبراهيم فيما يقال: إذا زارها - يعني هاجر - حُمِل على البراق يغدُو من الشأم، فيقيل بمكة، ويروح من مكة، فيبيت عند أهله بالشأم، حتى إذا بلغ معه السعيَ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أُري في المنام أنّه يذبحه[2]. (١: ٢٧٣/ ٢٧٤).

٤٢٣ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمر بذبح ابنه قال له: يا بنيّ خذ الحبل والمُدْية، ثم انطلق بنا إلى هذا الشِّعب ليحطب أهلك منه، قبل أن يذكر له شيئاً مما أمر به. فلما وجه إلى الشِّعب اعترضه عدوّ الله إبليس ليصدّه عن أمر الله في صورة رجل، فقال: أين تريد أيها الشيخ؟ قال: أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، فقال: والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك، فأمرك بذبح بنيّك هذا، فأنت تريد ذبحه، فعرفه إبراهيم؛ فقال: إليك عنّي، أي عدوّ الله، فو الله لأمضينّ لأمر ربي فيه، فلما

---

(١) هذا إسناد ضعيف ولم يعتبره الطبري نفسه صحيحاً إذ قال في بداية تفسيره (ولا أظنه صحيحاً).

(٢) ضعيف.

يئس عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراءَ إبراهيم يحمل الحبل والشَّفرة، فقال له: يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: يحطب أهلنا من هذا الشّعب، قال: والله ما يريد إلا أنْ يذبحك، قال: لِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به ربه، فسمعاً وطاعةً. فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهي في منزلها، فقال لها: يا أمّ إسماعيل، هل تدرين أين ذهب إبراهيم بإسماعيل؟ قالت: ذهب به يحطبنا من هذا الشِّعب، قال: ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كَلاّ هو أرحمُ به وأشد حبّاً له من ذلك، قال: إنّه يزعم أن الله أمره بذلك، قالت: إن كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله. فرجع عدوّ الله بغيظه لم يصب من آل إبراهيم شيئاً مما أراد، وقد امتنع منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله، وأجمعوا لأمر الله بالسمع والطاعة، فلما خلا إبراهيم بابنه في ـ الشِّعب وهو فيما يزعمون شعب ثَبِير ـ قال له: يا بنيّ، إني أرى في المنام أني أذبحك. قال: يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين[1]. (١: ٢٧٤/ ٢٧٥).

٤٢٤ ـ قال ابن حميد: قال سلمة: قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم: إن إسماعيل قال له عند ذلك: يا أبت إن أردت ذبحي فاشدد رباطي، لا يُصبْك منّي شيءٌ فينقص أجري، فإن الموت شديد، وإني لا آمن أن أضطربَ عنده إذا وجدت مسّه، واشحذْ شفرتك حتى تُجهز عليّ فتريحني، وإذا أنت أضجعتَني لتذبحني فكبَّني لوجهي على جبيني ولا تُضجعْني لشقيّ، فإني أخشى إن أنت نظرت في وجهي أن تدركك رقةٌ تحولُ بينك وبين أمر الله فيّ، وإن رأيت أن ترُدَّ قميصي على أمّي فإنه عسى أن يكون هذا أسلَى لها عنِّي، فافعل. قال: يقول له إبراهيم: نعْمَ العونُ أنت يا بنيّ على أمر الله. قال: فرَبطه كما أمره إسماعيل فأوثقه، ثم شحذ شفرَته ثم تلّه للجبين واتقى النظر في وجهه، ثم أدخل الشَّفرة لحلقه فقلبها الله لقفاها في يده، ثم اجتنبها إليه ليفرغ منه، فنودي: أن يا إبراهيم قد صدَّقت الرؤيا، هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه، يقول الله عزَّ وجلَّ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ وإنما تتَلّ الذبائح على خدودها، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل في إشارته على أبيه بما أشار إذ قال: كبني

(١) ضعيف.

على وجهي قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[(١)] (١ : ٢٧٥).

٤٢٥ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار، عن قَتادة بن دعامة، عن جعفر بن إياس، عن عبد الله بن عباس، قال: خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً. فأرسل إبراهيم ابنه فاتَّبع الكبش، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات، فأفلته عنده، فجاء الجمرة الوسطى، فأخرجه عندها، فرماه بسبع حصيات، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى، فرماه بسبع حصيات، فأخرجه عندها، ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه، فو الذي نَفسُ ابن عباس بيده، لقد كان أول الإسلام، وإن رأسَ الكبش لمعلَّق بقرنيه في ميزاب الكعبة، وقد وَخُش - يعني: قد يبس[(٢)]. (١ : ٢٧٥/٢٧٦).

٤٢٦ - حدثني محمد بن سنان القزاز، قال: حدثني حجاج عن حماد، عن أبي عاصم الغنوي، عن أبي الطُّفَيل، قال: قال ابن عباس: إن إبراهيم لما أُمِر بالمناسك عَرَض له الشيطان عند المسْعى فسابقه، فسبقه إبراهيم، ثم ذهب به جَبرئيل عليه السلام إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم تلّه للجبين، وعلى إسماعيل قميص أبيض، فقال له: ياأبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غير هذا فاخلعه عني، فأكفنّي فيه، فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبش أعْيَن أبيض أقرن فذَبحه، فقال ابن عباس: لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش[(٣)] (١ : ٢٧٦).

٤٢٧ - حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثني أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: حدثنا الحسن، قال، حدثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾، قال: وضع وجهه للأرض قال: لا تذبحني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني؛ فلا تجهز عليّ؛ اربط

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

يديّ إلى رقبتي ، ثم ضع وجهي للأرض[١] (١ : ٢٧٦).

٤٢٨ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ عليه السلام: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: كبش أبيض أقرن أعيَن مربوط بسَمُر في ثبير[٢]. (١ : ٢٧٦).

٤٢٩ ـ حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: أخبرني ابن جُريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: كبش. قال عبيد بن عمَير: ذبح بالمقام ، وقال مجاهد: ذبح بمنى في المنحر[٣]. (١ : ٢٧٧).

٤٣٠ ـ حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا عبد الرحمن ، قال: حدثنا سفيان عن ابن خُثَيم ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتُقبِّل منه[٤]. (١ : ٢٧٧).

٤٣١ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال: كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشاً أملحَ ، صوفه مثل العهن الأحمر[٥] (١ : ٢٧٧).

٤٣٢ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان ، عن رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال: كان وعلاً[٦]. (١ : ٢٧٧).

٤٣٣ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول: ما فُدِيَ إسماعيلُ إلا بتيس كان من الأرْوَى ، أهبِط عليه من ثَبير ، وما يقول الله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ لذبيحته فقط ، ولكنه

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) ضعيف.

الذبح على دينه ، فتلك السنَّة إلى يوم القيامة ، فاعلموا : أن الذبيحةَ تدفع ميتة السوء ، فضحُّوا عباد الله[١]. (١ : ٢٧٧).

٤٣٤ ـ وقَد قال أمية بن أبي الصّلْت في السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبح ابنه شعْراً ، ويحقق بقيله ما قال في ذلك الرواية التي رويناها عن السديّ ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذرٍ كان منه ، فأمره الله بالوفاء به ، فقال :

وَلإبْـرَاهِيـمَ المُـوَفِّـي بـالنَّـذْ ... ر احْتِسَـابـاً وَحَـامِـلِ الأجْـزَالِ
بِكْـرِهِ لـم يكـن لِيَصْبِـرَ عنـه ... أوْ يَـرَاهُ فـي مَعْشَـرٍ أقْيَـالِ
أيْ بُنَـيَّ إنِّـي نَـذَرْتُـكَ للـ ... ـه شَحِيطاً فاصْبِرْ فِدىً لـك خـالي
وَاشْـدُدِ الصَّفْـدَ لا أحِيـدُ عَـنِ السِّـ ... ـكِّيـنِ حيْـدَ الأسِيـرِ ذي الأغْـلالِ
وَلَـهُ مُـدْيَـةٌ تَخَـايَـلُ فـي اللَّحْـ ... ـم جـذَامٌ حَنِيَّـةٌ كَـالْهِـلاَلِ
بَيْنَمَـا يَخْلَـعُ السَّـرَابِيـلَ عَنْـهُ ... فكَّـهُ رَبُّـهُ بكَبْـشٍ جُـلاَلِ
فخـذَنْ ذا فَـأَرْسِـلِ ابْنَـكَ إنِّـي ... للَّـذِي قـد فَعَلْتُمَـا غَيْـرُ قَـالِ
وَالِـدٌ يَتَّقِـي وَآخَـرُ مَـوْلُـو ... د فَطَـارَا مِنْـهُ بِسمْـعٍ فَعَـالِ
رُبَّمَـا تَجْـزَعُ النُّفُـوسُ مِـنَ الأمْـ ... ـرِ لَـهُ فَـرْجَـةٌ كحَـلِّ الْعِقَـالِ

[٢] (١ : ٢٧٧/٢٧٨).

٤٣٥ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين ـ يعني ابن واقد ـ عن زيد ، عن عكرمة : قوله عزَّ وجلَّ : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ : قال : أسلما جميعاً لأمر الله ؛ رضي الغلام بالذبح ورضي الأب بأن يذبحه . قال : يا أبت اقذفني للوجه كيلا تنظر إليّ فترحمني ، وأنظر أنا إلى الشفرة فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحتي ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ ، فلما فعل ذلك ناديناه ﴿أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٣]. (١ : ٢٧٨).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

ذكر ابتلاء الله إبراهِيم بكلمات

٤٣٦ ـ وكان مما امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به ـ بعد ابتلائه إياه بما كان من أمره وأمر نُمرود بن كوش ، ومحاولته إحراقه بالنار وابتلائه بما كان من أمره إياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعي ورجا نفعه ومعونته على ما يقرّبه من ربه عزّ وجلّ ورفعه القواعد من البيت ، ونسكه المناسك ـ ابتلاؤه جلّ جلالُه بالكلمات التي أخبر الله عنها أنه ابتلاه بهنّ فقال : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[1] (١ : ٢٧٨/ ٢٧٩).

٤٣٦/ أ ـ وقد اختلف السَّلف من علماء الأمة في هذه الكلمات التي ابتلاه الله بهنَّ فأتمهنّ ، فقال بعضهم : ذلك ثلاثون سهماً ، وهي شرائع الإسلام .

ذكر من قال ذلك :[2] (١ : ٢٧٩).

٤٣٧ ـ حدثنا محمد بن المثنّى ، قال : حدثنا عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ ، قال : قال ابن عباس : لم يُبْتَلَ أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلاه الله تعالى بكلماتٍ فأتمهنَّ ، قال : فكتب الله تعالى له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ : عَشْرٌ منها في الأحزاب ، وعشر منها في بَرَاءَةَ ، وعَشْر منها في المؤمنين ، وسأل سائل ، وقال : إنَّ هذا الإسلام ثلاثون سهماً[3] . (١ : ٢٧٩).

٤٣٨ ـ حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطيّ ، قال : حدثنا خالد الطحان عن داود ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتُليَ أحد بهذا الدين فقام به كلّه غير إبراهيم عليه السلام؛ ابتُلي بالإسلام فأتمّه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ فذكر عشراً في براءة ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ . . . ﴾ وعشراً في الأحزاب : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ وعشراً في سورة المؤمنين إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ، وعشراً في

---

(١) ضعيف وانظر تعليقنا في قسم الصحيح.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

سأل سائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[١]. (١ : ٢٧٩).

٤٣٩ ـ وحدثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال: حدثنا عليّ بن الحسن ، قال: حدثنا خارجة بن مصعب عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: الإسلام ثلاثون سهماً ، وما ابتُلي أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ، قال الله تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ ، فكتب الله له براءة من النار[٢] (١ : ٢٨٠).

وقال آخرون: ذلك عشر خصال من سنن الإسلام، خمس منهنَّ في الرأس، وخمس في الجسد.

ذكر من قال ذلك:

٤٤٠ ـ حدثني الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق ، قال: أخبرنا معمَر ، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ ۞وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾، قال: ابتلاه الله عزَّ وجل بالطهارة: خمس في الرأس، وخمس في الجسد؛ في الرأس: قصُّ الشارب؛ والمضمضة، والاستنشاق، والسِّواك، وفرْق الرأس. وفي الجسد: تقليم الأظفار ، وحلْق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسْل أثر الغائط والبول بالماء (١ : ٢٨٠).

٤٤١ ـ حدثني المثنى ، قال: حدثنا إسحاق ، قال: حدثنا عبد الرزاق عن مَعْمَر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبي بَزّة ، عن ابن عباس بمثله ، غير أنه لم يذكر أثر البول[٣]. (١ : ٢٨٠).

٤٤٢ ـ حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا سليمان بن حرب ، قال: حدثنا أبو هلال ، قال: حدثنا قتادة في قوله تعالى: ﴿ ۞وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ ، قال: ابتلاه بالختان ، وحَلْق العانة ، وغسل القُبُل والدُّبر ، والسواك ، وقصّ الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط. قال أبو هلال: ونسيت خَصْلة[٤]. (١ : ٢٨٠).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

٤٤٣ ـ حدثني عبدان المروزيّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن مطر ، عن أبي الجَلْد ، قال : ابتُلي إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء هن في الإنسان سنّة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقصّ الشارب ، والسواك ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ، وحلق العانة ، وغسل الدّبر والفرج[١] (١ : ٢٨٠/ ٢٨١).

وقال آخرون نحو قول هؤلاء ، غير أنهم قالوا : ستٌّ من العشر في جَسد الإنسان ، وأربع منهن في المشاعر.

ذكر من قال ذلك :

٤٤٤ ـ حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن حرب ، قال : حدثنا ابن لَهيعَة عن ابن هبيرة ، عن حَنَش ، عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ست في الإنسان ، وأربع في المشاعر ، فالتي في الإنسان : حلْق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والغُسل يوم الجمعة ، وأربع في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة[٢]. (١ : ٢٨١).

وقال آخرون : [بل] ذلك قوله : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومناسك الحج.

ذكر من قال ذلك :

٤٤٥ ـ حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح : قوله : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، منهنّ إني جاعلك للناس إماماً وآيات النسك[٣]. (١ : ٢٨١).

٤٤٦ ـ حدثني أبو السائب : قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت إسماعيل ابن أبي خالد عن أبي صالح مولى أم هانىء في قوله : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ

---

(١) ضعيف.

(٢) قال الشوكاني : وقد ثبت عن رسول الله في الصحيح وغيره من طريق جماعة من الصحابة مشروعية تلك العشر لهذه الأمة.
ولم يصح عن النبي : أنها الكلمات التي ابتلي بها إبراهيم.

(٣) ضعيف.

﴿بِكَلِمَٰتٍ﴾ ، قال: منهن: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، ومنهن آيات النسك ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾[١]. (١ : ٢٨١).

٤٤٧ ـ حدثني محمد بن عمرو ، قال: أخبرنا أبو عاصم ، قال: حدثني عيسى بن أبي نَجيح ، عن مجاهد في قوله: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ قال: قال الله لإبراهيم: إني مبتليك بأمر فما هو؟ قال: تجعلني للناس إماماً ، قال: نعم ، ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، قال: تجعل البيت مثابة للناس ، قال: نعم ، قال: وتجعل هذا البلد أمْناً ، قال: نعم ، [قال]: وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمَّةً مسلمة لك ، قال: نعم ، [قال]: وترينا مناسكنا وتتوب علينا ، قال: نعم ، [قال]: وترزق أهله من الثمرات من آمن [منهم]؟ قال: نعم[٢]. (١ : ٢٨٢).

٤٤٨ ـ حدثني القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن ابن جُريج ، عن مجاهد بنحوه. قال ابن جريج: فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكْرمة[٣]. (١ : ٢٨٢).

٤٤٩ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد: ﴿۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال: ابتلى بالآيات التي بعدها: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٤]. (١ : ٢٨٢).

٤٥٠ ـ حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شِبْل عن ابن أبي نَجيح ، قال: أخبرني به عكرمة ، قال: فعرضته على مجاهد فلم ينكره[٥]. (١ : ٢٨٢).

٤٥١ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

أسباط ، عن السُّدي: الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيم: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾[١]. (١ : ٢٨٢/ ٢٨٣).

٤٥٢ ـ حدثت عن عمار بن الحسن ، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ قال: الكلمات: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، وقوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ ، وقوله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ ، وقوله: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ الآية ، وقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية . قال فذلك كلُّه من الكلمات التي ابتلي بهنّ إبراهيم[٢]. (١ : ٢٨٣).

٤٥٣ ـ حدثني محمد بن سعد ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثني عمي ، قال: حدثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال: منهن ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ، ومنهنَّ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ ، ومنهنّ الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكن البيت ، ومحمد بعث في ذريتهما[٣]. (١ : ٢٨٣).

وقال آخرون: بل ذلك مناسك الحجّ خاصّة.

ذكر من قال ذلك:

٤٥٤ ـ حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا سَلْم بن قتيبة ، قال: حدثنا عمر بن نبهان عن قَتادة ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ قال: مناسك الحج[٤]. (١ : ٢٨٣).

٤٥٥ ـ حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد ، عن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

قَتادة ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ قال : هي المناسك[١] . (١ : ٢٨٤) .

٤٥٦ ـ حُدثت عن عمار بنِ الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال : بلَغنا عن ابن عباس أنه قال : إنّ الكلمات التي ابتلى بهنّ إبراهيمُ هي المناسك[٢] . (١ : ٢٨٤) .

٤٥٧ ـ حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازيّ ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيريّ ، قال : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق ، عن التميميّ ، عن ابن عباس قوله : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : مناسك الحجّ[٣] . (١ : ٢٨٤) .

٤٥٨ ـ حدثني ابن المثنى ، قال : حدثني الحِمَّانيّ ، قال : حدثنا شريك عن أبي إسحاق ، عن التميميّ ، عن ابن عباس مثله[٤] . (١ : ٢٨٤) .

٤٥٩ ـ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قَتادة ، قال : قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك[٥] . (١ : ٢٨٤) .

وقال آخرون : بل ابتلاه بأمور ، منهنَّ الخِتان .

ذكر من قال ذلك :

٤٦٠ ـ حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلْم بن قتيبة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن الشعْبيّ : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ ﴾ ، قال : منهن الختان[٦] . (١ : ٢٨٤) .

٤٦١ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبيّ يقول . . . فذكر مثله[٧] . (١ : ٢٨٤) .

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .
(٥) ضعيف .
(٦) ضعيف .
(٧) ضعيف .

٤٦٢ ـ حدثني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أبو أحمد، قال: حدثنا يونس بن أبي إسحاق، قال: سمعتُ الشعبي ـ وسأله أبو إسحاق عن قوله عَزّ وَجّل: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ ـ قال: منهنّ الختان يا أبا إسحاق[١]. (١ : ٢٨٥).

وقال آخرون: ذلك الخلالُ الستّ: الكوكب، والقمر، والشمس، والنار، والهجرة، والختان، التي ابتلي بهنّ أجمع فصبرَ عليهنّ.

ذكر من قال ذلك:

٤٦٣ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة عن أبي رَجَاء، قال: قلتُ للحسن: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾، قال: ابتلاه بالكوكب فرضي عنه، وابتلاه بالقمر فرضي عنه، وابتلاه بالشمس فرضي عنه، وابتلاه بالنار فرضي عنه، وابتلاه بالهجرة، وابتلاه بالختان[٢]. (١ : ٢٨٥).

٤٦٤ ـ حدّثنا بشر، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، قال: حدثنا سَعيد عن قَتادة، قال: كان الحسنُ يقول: إن الله ابتلاه بأمرٍ فصبر عليه؛ ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر، فأحسن في ذلك، وعرَف أن ربَّه دائم لا يزول، فوجَّه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من المشركين؛ وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصَبر على ذلك، وابتلاه بذبح ابنه وبالختان، فصَبر على ذلك[٣]. (١ : ٢٨٥).

٤٦٥ ـ حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرَّزّاق، قال: أخبرنا مَعْمَر، عمّن سمع الحسن يقول في قوله: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾، قال: ابتلاه [بذبح ولده، وبالنارو] بالكوكب، وبالشمس، وبالقمر[٤]. (١ : ٢٨٥).

٤٦٦ ـ حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا سَلْم بن قُتَيْبَة، قال: حدثنا أبو هلال عن الحسن: ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾، قال: ابتلاه بالكوكب، وبالشمس

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

وبالقمر ، فوجده صابراً[١] . (١ : ٢٨٥) .

٤٦٧ ـ حدثنا أحمد بن إسحاق بن المختار ، قال : حدثني غسّان بن الربيع ، قال : حدثنا عبد الرحمن ـ وهو ابن ثَوْبَان ـ عن عبد الله بن الفضل ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هُرَيْرة ، قال : قال رسول الله : «اختتن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقَدُوم»[٢] . (١ : ٢٨٦) .

وقد روي عن النبي في الكلمات التي ابتلي بهنّ إبراهيم خبران :

٤٦٨ ـ أحدهما : ما حدثنا أبي كريب ، قال : حدثنا الحسن بن عطية ، قال : حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله : ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ قال : «أتدرون ما وفّى؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : «وفّى عملَ يومه أربعَ ركعات في النهار»[٣] . (١ : ٢٨٦) .

٤٦٩ ـ والآخر منهما ما حدّثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا رشْدين بن سعد ، قال : حدثنا زبان بن فائد عن سَهْل بن مُعاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبيّ يقول : «ألا أخبرُكم لم سمى الله إبراهيم خليله : ﴿ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾؟ لأنه كان يقول كُلَّما أصبح ، وكلّما أمسى : ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ . . .﴾ حتى ختم الآية[٤] . (١ : ٢٨٦) .

أمر نمرود بن كوش بن كنعان

٤٧٠ ـ ونرجع الآن إلى الخبر عن عدوّ الله وعدو إبراهيم ـ الذي كذَّب بما جاء به من عند الله ، وردَّ عليه النصيحة التي نَصحها له جهلاً منه ، واغتراراً بحلم الله تعالى عنه ـ نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وما آل إليه أمره في عاجل دنياه حين تمرَّد على ربه ، مع إملاء الله إياه ، وتركه تعجيل العذابَ له على كفره به ، ومحاولته إحراق خليله بالنار حين دعاه إلى توحيد الله والبراءة من

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) في إسناده جعفر بن الزبير متروك الحديث (٩٣٣).

(٤) ضعيف.

الآلهة والأوثان ، وأنّ نمرودَ لما تطاول عُتُوُّه وتمرّده على ربِّه مع إملاء الله تعالى له ـ فيما ذكر ـ أربعمئة عام ، لا تزيده حجج الله التي يحتجّ بها عليه ، وعبرُه التي يُريها إياه إلا تمادياً في غيّه ، عذبه الله ـ فيما ذكر ـ في عاجل دنياه قدر إملائه إياه من المدة بأضعف خلْقه ، وذلك بعوضة سلطها عليه [توغلت في خياشيمه فمكث أربعمئة سنة يعذب بها في حياته الدنيا][1] . (١ : ٢٨٧) .

ذكر الأخبار الواردة عنه بما ذكرت من جهله وما أحلّ الله به من نقمته :

٤٧١ ـ حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزّاق ، قال : أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم : أنّ أولَ جبار كان في الأرض نُمرود ، وكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام ، فخرج إبراهيم يمتارُ مع من يمتارُ ، فإذا مرّ به ناس قال : مَنْ ربُّكم؟ قالوا : أنت ، حتى مرّ به إبراهيم ، قال : من ربك؟ قال : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾ .

قال : فردَّه بغير طعام ، قال : فرجع إبراهيمُ إلى أهله فمرَّ على كثيبٍ أعفر ، فقال : هلاّ آخذُ من هذا فآتيَ به أهلي فتطيبَ أنفسهم حين أدخل عليهم! فأخذ منه ، فأتى أهلَه . قال : فوضع متاعه ثم نام ، فقامت امرأتُه إلى متاعه ففتحته فإذا هي بأجود طعام رآه أحدٌ ، فصنعت له منه ، فقرّبته إليه ـ وكان عهد أهله ليس عندهم طعام ـ فقال : منْ أين هذا؟ قالت : من الطعام الذي جئتَ به ، فعلم أن الله قد رزقه ، فحمِد الله .

ثم بعث الله إلى الجبار مَلَكاً : أن آمنْ بي وأتركك على ملكك ، قال : فهل ربّ غيري؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك ، فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى عليه ، فقال له المَلك : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ، فجمع الجبّار جموعَه ، فأمر الله الملك ، ففتح عليهم باباً من البَعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها من كثرتها ، فبعثها الله عليهم ، فأكلت لحومَهم وشربت دماءهم ، فلم يبق إلا العظام ، والملك كما هو لم يُصبْه من ذلك شيء ، فبعث الله عليه بعوضةً فدخلتْ في منخره ، فمكث أربعمئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس به مَنْ جمع يديه ثم ضرب

(١) ضعيف .

بهما رأسه. وكان جبَّاراً أربعمئة عام، فعذبه الله أربعمئة سنة كملكه وأماته الله، وهو الذي بنى صرْحاً إلى السماء، فأتى الله بنيانه من القواعد، وهو الذي قال الله: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾[1]. (١: ٢٨٧/ ٢٨٨).

٤٧٢ ـ حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السدّي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مرّة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ، قال: أمر الذي حاجّ إبراهيم في ربه بإبراهيم، فأخرِج ـ يعني من مدينته ـ قال: فأخْرِج فلقي لوطاً على باب المدينة ـ وهوابن أخيه ـ فدعاه فآمن به، وقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم، فأخذ أربعة أفرُخ من فراخ النسور؛ فربَّاهن باللحم والخمر، حتى إذا كبرن وغلظن واستعجلن، قرنهنّ بتابوت، وقعد في ذلك التابوت، ثم رفع رجلاً من لحم لهنّ، فطرن به، حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض، فرأى الجبال تدبُّ كدبيب النمل، ثم رفع لهنّ اللحم، ثم نظر فرأى الأرض محيطاً بها بحر كأنها فَلْكة في ماء، ثم رفع طويلا فوقع في ظلمة؛ فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته، ففزع فألقى اللحم فاتبعتْه منقضّات، فلما نظرت الجبال إليهنَّ وقد أقبلن منقضَّاتٍ وسمعن حفيفهنّ فزعت الجبال، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن، وذلك قوله عزَّ وجلّ: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾، وهي في قراءة ابن مسعود: (وَإِن كَادَ مَكْرُهُمْ) فكان طيرانهنَّ به من بيت المقدس، ووقوعهنّ في جبل الدخان، فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بناء الصرح، فبني حتى إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر ـ بزعمه ـ إلى إله إبراهيم، فأحدث ولم يُحدِث، وأخذ الله بنيانه من القواعد: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، يقول: من مأمنهم، وأخذهم من أساس الصرح، فتنقض [بهم]، ثم سقَطَ فتبلبلت ألسن الناس من يومئذ من الفزع، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً، فلذلك سميت بابل، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك السُّريانية[2]. (١: ٢٨٨/ ٢٨٩).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

٤٧٣ ـ حدثنا ابنُ وكيع ، قال: حدثنا أبو داود الحفَرِيّ عن يعقوب ، عن حفص بن حميد ـ أو جعفر ـ عن سعيد بن جُبير: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ ، قال: نمرود صاحب النسور ، أمر بتابوت فجُعل وجَعَل معه رجلاً. ثم أمر بالنسور فاحتملته ، فلمّا صعد قال لصاحبه: أيّ شيء ترى؟ قال: أرَى الماء والجزيرة ـ يعني الدنيا ـ ثم صعد وقال لصاحبه: أيّ شيء ترى؟ قال: ما نزداد من السماء إلا بعداً ، قال: اهبط ، وقال غيره: نُودي: أيها الطاغية ، أين تريدُ؟ فسمعت الجبال حفيفَ النسور ، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول ، فهو قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾[١]. (١ : ٢٩٠).

٤٧٤ ـ حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا محمد بن أبي عديّ عن شُعْبة ، عن أبي إسحاق ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن دانيل ، أن عليّاً عليه السلام قال في هذه الآية: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ ، قال: أخذ ذلك الذي حاجّ إبراهيم في ربه نَسْريْن صغيرين ، فربَّاهما حتى استغلظا واستعلجا فشبّا ، قال: فأوثق رجْلَ كلّ واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوّعهما وقعد هو ورجلُ آخر في التابوت ، قال: ورفع في التابوت عصاً على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه: انظر ماذا ترى؟ قال: أرى كذا وكذا ، حتى قال: أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال: صوّبْ ، فصوّبها ، فهبطا. قال: فهو قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴾ ، قال أبو إسحاق: ولذلك هي في قراءة عبد الله: (وَإِن كَادَ مَكْرُهُمْ).

فهذا ما ذكر من خبر نمرود بن كوش بن كنعان[٢]. (١ : ٢٩٠).

٤٧٥ ـ وقد قال جماعة: إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا مَلك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يدفعُه أهل العلم بسيَر الملوك وأخبار الماضين ، وذلك أنهم لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيمَ كان في عهد الضحاك بن أندرماسب الذي قد ذكرنا بعضَ أخباره فيما مضى ، وأن ملك شرق الأرض وغربها يومئذ كان

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

الضحاك. وقد قال بعض مَنْ أشكل عليه أمر نمرود ممن عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر في ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عمن رُوِي عنه: أنه قال: ملك الأرض كافران ومؤمنان، فأمّا الكافران فنمرود وبختنصّر، وأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، وقولَ القائلين من أهل الأخبار: إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها في عهد إبراهيم نمرود: هو الضحاك، وليس الأمر في ذلك عند أهل العلم بأخبار الأوائل، والمعرفة بالأمور السوالف، كالذي ظَنّ، لأن نسب نمرودَ في النَّبَط معروف، ونسب الضحاك في عَجم الفرس مشهور، ولكنّ ذوي العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمور السالفين من الأمم ذكروا: أن الضّحاك كان ضمّ إلى نمرود السَّواد وما اتصل به يمنة ويَسرة، وجعله وولده عُمّاله على ذلك، وكان هو يتنقَّل في البلاد، وكان وطنه الذي هو وطنُه ووطن أجداده دُنْباوند، من جبال طَبرستان، وهنالك رمى به أفريدُون حين ظفر به وقهره موثقاً بالحديد، وكذلك بختنصّر كان أصبهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة من قبل لُهراسب، وذلك أنّ لُهراسب كان مشتغلاً بقتال الترك، مقيماً بإزائهم ببلْخ، وهو بَناها ـ فيما قيل ـ لمَّا تطاول مكثُه هنالك لحرب الترك، فظنّ مَنْ لم يكن عالماً بأمور القوم بتطاول مدة ولايتهم أمرَ الناحية لمن ولوا له: أنهم كانوا هم الملوك، ولم يدَّع أحدٌ من أهل العلم بأمور الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النَّبط كان ملكاً برأسه على شِبْرٍ من الأرض، فكيف يملكُ شرق الأرض وغربها! ولكنَّ العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر في كتب التأريخات، يزعمون: أنَّ ولاية نمرود إقليمَ بابل من قبَل الازدهارق بِيوراسب دامت أربعمئة سنة، ثم لرجل من نسله من بعد هلاك نمرود، يقال له نَبطَ بن قعود مئة سنة، ثم لداوص بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة، ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مئة وعشرين سنة، ثم لنمرود بن بالش من بعد بالش سنة وأشهراً. فذلك سبعمئة سنة وأشهر، وذلك كله في أيام الضحاك، فلما ملك أفريدُون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرّد النَّبَطَ وطردهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، لما كان منهم من معاونتهم بِيوراسب على أموره، وعَمَل نمرود وولده له.

وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكَّر لهم ، وتغيَّر عما كان لهم عليه[١] . (١ : ٢٩٠/٢٩١/٢٩٢) .

ذكر لوط بن هاران وقومه

ونعود الآن إلى ذكر الخبر عن بقية الأحداث التي كانت في أيام إبراهيم .

٤٧٦ ـ وكان من الكائن أيام حياته من ذلك ما كان من أمر لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم عليهما السلام وأمر قومه من سَدُوم ، وكان من أمره فيما ذكر : أنه شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم خليل الرحمن ، مؤمناً به ، متبعاً له على دينه ، مهاجراً إلى الشام ، ومعهما سارَة بنت ناحور .

وبعضهم يقول : هي سارة بنت هيبال بن ناحور ، وشخص معهم ـ فيما قيل ـ تارخ أبو إبراهيم مخالفاً لإبراهيم في دينه ، مقيماً على كفره حتى صاروا إلى حرّان ، فمات تارخ وهو [آزر] أبو إبراهيم بحرّان على كفره وشَخَص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ، ثم مضوْا إلى مصر ، فوجدوا بها فرعوناً من فراعنتها ، ذُكر : أنه كان سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وقد قيل : إن فرعون مصر يومئذ كان أخاً للضحاك ، كان الضّحاك وجّهه إليها عاملاً عليها من قِبَله ـ وقد ذكرتُ بعض قصته مع إبراهيم فيما مضى قبلُ ـ ثم رجعوا عَوْداً على بدئهم إلى الشأم ، وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين ، وأنزل ابنَ أخيه لوطاً الأردنّ ، وأن الله تعالى أرسل لوطاً إلى أهل سَدوم ، وكانوا أهل كفرٍ بالله وركوب فاحشة ، كما أخبر الله عن قوم لوط : ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾[٢] (١ : ٢٩٢/٢٩٣) .

٤٧٧ ـ وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر في ناديهم ، فإن أهلَ العلم اختلفوا فيه ، فقال بعضهم : كانوا يحذفون مَن مرّ بهم .

وقال بعضهم : كانوا يتضارَطُون في مجالسهم .

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف .

وقال بعضهم: كان بعضهم ينكح بعضاً فيها.

ذكر من قال: كانوا يحذفون من مرّ بهم:

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عمر بن أبي زائدة، قال: سمعتُ عكْرمة يقول في قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، قال: كانوا يؤذون أهلَ الطريق، يحذِفون مَنْ مَرّ بهم[١]. (١: ٢٩٣).

٤٧٨ ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي عن عمر بن أبي زائدة، قال: سمعت عكرمة، قال: الحذف[٢]. (١: ٢٩٤).

٤٧٩ ـ حدثنا موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس ـ وعن مُرة الهَمدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، قال: كانوا كلّ من مرّ بهم حذفوه، وهو المنكر[٣]. (١: ٢٩٤).

ذكر من قال: كانوا يتضارطون في مجالسهم:

٤٨٠ ـ حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفّاويّ، قال: حدثنا محمد بن ربيعة، قال: حدثنا رَوْح بن غُطَيف الثقَفيّ عن عمرو بن مُصعَب، عن عُرْوة بن الزبير، عن عائشة في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، قالت: الضراط[٤]. (١: ٢٩٤).

ذكر من قال كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم:

٤٨١ ـ حدثنا ابن وكيع، وابنُ حميد، قالا: حدثنا جرير عن منصور، عن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف

مجاهد في قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ ، قال: كان بعضُهم يأتي بعضاً في مجالسهم[١] . (١ : ٢٩٤).

٤٨٢ ـ حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال: حدثنا ثابت بن محمد الليثي ، قال: حدثنا فضَيْل بن عياض عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد في قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ ، قال: كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس[٢] . (١ : ٢٩٤).

٤٨٣ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا حكّام عن عمرو ، عن منصور ، عن مجاهد مثله[٣] . (١ : ٢٩٤).

٤٨٤ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا أبي عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال: كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم[٤] . (١ : ٢٩٥).

٤٨٥ ـ حدثني محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال: حدثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال: حدثنا الحسن ، قال: حدثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ ، قال: المجالس ، والمنكر إتيانهم الرجال[٥] . (١ : ٢٩٥).

٤٨٦ ـ حدثنا بشر ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد عن قَتادة ، قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ ، قال: كانوا يأتون الفاحشة في ناديهم[٦] . (١ : ٢٩٥).

٤٨٧ ـ حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ قال: ناديهم: المجالس ، والمنكر: عملهُم الخبيث الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون الراكب فيأخذونه فيركبونه ، وقرأ:

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) ضعيف.

﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ وقرأ: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١]. (١ : ٢٩٥).

٤٨٨ ـ وقد حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن ابن أبي نَجيح، عن عمرو بن دينار: قوله: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ما نزا ذَكرٌ على ذكر حتى كان قوم لوط[٢]. (١ : ٢٩٥).

٤٨٩ ـ قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال: عَنَى بالمنكَر الذي كانوا يأتونه في ناديهم في هذا الموضع حذفُهم مَنْ مَرّ بهم وسخريتهم منه للخبر الوارد بذلك عن رسول الله ؛ الذي حدثناه أبو كريب، وابن وكيع، قالا: حدَّثنا أبو أسامة عن حاتم بن أبي صغيرة، عن سماك بن حَرْب، عن أبي صالح مولى أمّ هانىء، عن أم هانىء عن رسول الله في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، قال: كانوا يحذِفون أهلَ الطريق ويسخرون منهم، وهو المنكر الذي كانوا يأتونه[٣]. (١ : ٢٩٥/٢٩٦).

٤٩٠ ـ حدثنا أحمد بن عبدة الضَّبيّ، قال: حدثنا سليمان بن حَيان، قال: أخبرنا أبو يونس القُشَيريّ عن سماك بن حرب، عن أبي صالح، عن أمّ هانىء، قالت: سألت النبي عن قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، قال: كانوا يحذِفون أهلَ الطريق ويسخرون منهم[٤]. (١ : ٢٩٦).

٤٩١ ـ حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حدثنا أسد بن موسى، قال: حدثنا سعيد بن زيد، قال: حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، قال: حدثنا سماك بن حرب عن باذام أبي صالح مولى أم هانىء، عن أم هانىء، قالت: سألت النبي عن هذه الآية: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾، فقال: كانوا يجلسون بالطريق فيحذفون أبناءَ السبيل ويسخرون منهم، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) هذا إسناد ضعيف والحديث أخرجه الترمذي (٣١٩٠) والحاكم (٢/٤٠٩) والطبراني (٢٤/١٠٠١) من طريق سماك بن حرب عن أبي صالح وأبو صالح ضعفه البخاري وغيره. وسماك لا يحتج بحديثه إذا انفرد وقد تغير بأخرة وتصحيح الحاكم له غير صحيح والله أعلم.
(٤) ضعيف.

الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التي كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار ، ويتوعَّدهم ـ على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه ـ العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيدُه ولا يزيدهم وعظُه إلا تمادياً وعتوّاً واستعجالاً لعذاب الله ، إنكاراً منهم وعيده ، ويقولون له: ﴿ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ ، حتى سأل لوط ربّه عزّ وجلّ النصرة عليهم لما تطاول عليه أمره وأمرهم وتماديهم في غيهم ، فبعث الله عزّ وجلّ لما أراد خزيهم وهلاكهم ونصرة رسوله لوط عليهم جَبْرئيل عليه السلام ومَلَكَيْن آخرين معه[١] . (١ : ٢٩٦) .

وقد قيل: إن الملَكين الآخرين كان أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل فأقبلوا ـ فيما ذكر ـ مُشاةً في صورة رجال شباب .

ذكر بعض من قال ذلك[٢] : (١ : ٢٩٦) .

٤٩٢ ـ وكان جداله إياهم في ذلك ـ فيما بلغنا ـ ما حدثنا به ابن حميد ، قال: حدثنا يعقوب القميّ ، قال: حدثنا جعفر عن سعيد ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال: لما جاءه جبرئيل ومن معه ، قالوا لإبراهيم: ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾ . قال لهم إبراهيم: أتهْلِكون قريةً فيها أربعمئة مؤمن؟ قالوا: لا ، قال: أفتهلكون قريةً فيها ثلاثمئة مؤمن؟ قالوا: لا ، قال: أفتهلكون قريةً فيها مئتا مؤمن؟ قالوا: لا ، قال: أفتهلكون قرية فيها مئة مؤمن؟ قالوا: لا ، قال: أفتهلكون قريةً فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا: لا ، قال: أفتهلكون قريةً فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم ، واطمأنّت نفسُه[٣] . (١ : ٢٩٧) .

٤٩٣ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا الحِمّانيّ عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال: قال الملَك لإبراهيم: إن كان فيها

---

(١) الحديث ضعيف وكذلك رواه الترمذي من طريق حاتم هذا مختصراً إلى قوله ويسخرون منهم وقال: هذا حديث حسن. إنما نعرفه من طريق حاتم بن أبي صغيرة عن سماك (ح ٣١٩٠).
قلنا: وليس الحديث حسناً ولا صحيحاً كما بينا في الرواية السابقة. والله أعلم.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

خمسة يصَلُّون رُفع عنهم العذاب[١]. (١ : ٢٩٨).

٤٩٤ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: حدثنا محمد بن ثَور عن معمر ، عن قتادة: ﴿ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال: بلغنا أنه قال لهم يومئذ: أرأيتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين؟ قالوا: إن كان فيهم خمسون لن نعذّبهم ، قال: وأربعون؟ قالوا: وأربعون ، قال: وثلاثون؟ قالوا: وثلاثون ، حتى بلغ عشرة ، قالوا: وإن كانوا عشرة؟ قال: مامن قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ، فلما علم إبراهيمُ حالَ قوم لوط بخبر الرسل قال للرسل: ﴿ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾ إشفاقاً منه عليه ، فقالت الرسل: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾[٢]. (١ : ٢٩٨).

ثم مضت رسلُ الله نحو أهل سَدوم ، قرية قوم لوط ، فلما انتهوا إليها ذُكر: أنهم لَقُوا لوطاً في أرض له يعمل فيها ، وقيل: إنهم لَقُوا عند نهرها ابنةَ لوط تستقي الماء.

ذكر من قال: لقوا لوطاً:

٤٩٥ ـ حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد عن قَتادة ، عن حُذيفة: أنه لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم ـ والله أعلم: لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ، قال: فأتوه، فقالوا: إنا مُضيفوك الليلة. فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال: أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية؟ واللهِ ما أعلم على ظهر الأرض أناساً أخبثَ منهم. قال: فمضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأنذرتهم[٣]. (١ : ٢٩٨/ ٢٩٩).

٤٩٦ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا الحكم بن بشير ، قال: حدثنا عمرو بن قيس الملائيّ عن سعيد بن بشير ، عن قَتادة قال: أتت الملائكةُ لوطاً وهو في مزرعة له ، وقال الله تعالى للملائكة: إن شهد لوط عليهم أربعَ شهادات ، فقد

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

أذنت لكم في هَلَكتهم ، فقالوا: يا لوط ، إنا نريد أن نضيفك الليلة ، قال: وما بلغكم أمرهم؟! قالوا: وما أمرهم؟ فقال: أشهد بالله أنها لشرُّ قرية في الأرض عملاً ، يقول ذلك أربع مرّات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله[١] . (١ : ٢٩٩).

ذكر من قال: إنما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت من سَدُوم ابنة لوط دون لوط

٤٩٧ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السدّي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي ، قال: لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ، فأتوْها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سَدوم لقُوا ابنةَ لوط تستقي من الماء لأهلها ـ وكانت له ابنتان: اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى رعزيا ـ فقالوا لها: يا جارية ، هل من منزل؟ قالت: نعم ، فمكانكم لا تدخلوا حتى آتيَكم ـ فرِقَتْ عليهم من قومها ـ فأتتْ أباها ، فقالت: يا أبتاه ، أرادكَ فتيان على باب المدينة ، ما رأيت وجوَه قوم هي أحسنُ منهم ، لا يأخذهم قومُك فيفضحوهم ـ وقد كان قومُه نهوْه أن يُضيِّف رجلاً ـ فقالوا له: خَلِّ عنا فلنضِف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلمْ أحد إلا أهلَ بيت لوط ، فخرجت امرأتُه فأخبرت قومَها فقالت: إنَّ في بيت لوط رجالاً ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسناً قطّ ، فجاءه قومُه يهرعون إليه[٢] . (١ : ٢٩٩/ ٣٠٠).

---

(١) ضعيف.

(٢) هذا إسناد لم يصححه الطبري نفسه ولا يصح ولقد أخرج الحاكم في مستدركه (٢/ ٥٦٢/ ح ٤١١٣) من طريق عمرو بن طلحة ثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة بن مسعود وعن أناس من أصحاب النبي مرفوعاً قال: لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط وأتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها وكان له ابنتان. . . إلخ الحديث.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه (المستدرك ٢/ ٥٦٢).
قلنا: وتصحيحه فيه نظر فإسناده مركب جمعه السدي من طرق ثلاث (ابن عباس وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي).
=

فأمّا أنّه كان في أيام ملوك الطوائف؛ فإنّ ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة.

وكان لهم في ذلك الزمان مَلِكٌ يقال له: دقينوس، يعبد الأصنام ـ فيما ذكر عنه ـ فبلغه عن الفتية خلافُهم إيّاه في دينه، فطلبهم، فهربوا منه بدينهم، حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له ـ فيما حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ـ: نيحلوس[1]. (٢ : ٧).

٧٩٨ ـ وكان سببُ إيمانهم وخلافهم به قومهم فيمَا حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: حدّثنا عبد الرزاق، قال: حدّثنا معمَر، قال: أخبرني إسماعيل بن سدوس: أنه سمع وهب بن منبّه يقول: جاء حواريّ عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلَها، فقيل له: إن علَى بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجدَ له، فكره أن يدخلَها، فأتى حمّاماً، وكان فيه قريباً من تلك المدينة، فكان يعمل فيه، يؤاجِر نفسه من صاحب الحمّام. ورأى صاحب الحمّام في حمّامه البركة، ودرّ عليه الرزق، فجعل يعرض عليه [الإسلام] وجعل يسترسل إليه. وعَلِقه فتيةٌ من أهل المدينة وجعل يُخبرهم خبرَ السماء والأرض وخبر الآخرة، حتى آمنوا به وصدّقوه، وكانوا على مثلِ حاله في حسن الهيئة، وكان يشرُط على صاحب الحمّام: أنَّ الليل لي، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت. فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة، فدخل بها الحمّام، فعيّره الحواريّ، فقال: أنت ابنُ الملك وتدخلُ ومعك هذه الكذا! فاستحيا، فذهب. فرجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك، وسبّه وانتهره، ولم يلتفت حتى دخل، ودخلت معه المرأة فماتا في الحمّام جميعاً، فأتِي الملك فقيل له: قتل صاحبُ الحمّام ابنَك. فالتُمِسَ، فلم يُقدرْ عليه فهرب. قال: من كان يصحبه؟ فسمّوا الفتية؛ فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة، فمرُّوا بصاحبٍ لهم في زرع له؛ وهو على مثل أمرهم، فذكروا أنهم التُمسوا، وانطلق معهم ومعه الكلب؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت ها هنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله،

---

(١) ضعيف.

فتروْن رأيَكم. فضرب على آذانهم ، فخرج المَلك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف؛ فكلَّما أراد رجل أن يدخلَ أُرعِب ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتَهم؟ قال: بلى ! قال: فابنِ عليهم باب الكهف ، فدعْهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً. ففعل فغبروا ـ بعد ما بني عليهم باب الكهف ـ زماناً بعد زمان.

ثم إنّ راعياً أدركه المطر عند الكهف ، فقال: لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمي من المطر! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخِل فيه ، وردّ الله إليهم أرواحَهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدَهم بورِق يشتري لهم طعاماً ، فكلَّما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكره ، حتى دخل على رجل ، فقال: بعني بهذه الدراهم طعاماً ، قال: ومن أين لك هذه الدراهم! قال: خرجت وأصحابٌ لي أمس ، فآوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال: هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنَّى لك بها! فرفعه إلى الملك ـ وكان ملكاً صالحاً ـ فقال: من أينَ لك هذه الورِق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس حتى أدركَنا الليل في كهف كذا وكذا ، ثم أمروني أن أشتريَ لهم طعاماً. قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف ، قال: فانطلَقوا معه حتى أتوْا بابَ الكهف ، فقال: دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم ، فلما رأوْه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلّما دخل رجل أُرعِب ، فلم يقدروا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوْا عندهم كنيسة ، واتَّخذوها مسجداً يصلُّون فيه[1]. (٢: ٦/ ٧/ ٨/ ٩).

٧٩٩ ـ حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال: حدّثنا عبد الرزَّاق ، قال: أخبرنا معمَر عن قَتادة ، عن عِكْرمة ، قال: كان أصحابُ الكهف أبناءَ ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، فتفرّدوا بدينهم ، واعتزلوا قومَهم ، حتى انتهوْا إلى الكهف ، فضرب الله على سُمْخَانِهم. فلبثوا دهراً طويلاً ، حتى هلكت أمَّتهم ، وجاءتْ أمّةٌ مسلمة ، وكان ملكهم مسلماً ، واختلفوا في الروح والجسد ، فقال قائل: تبعث الروح والجسد جميعاً ، وقال قائل: تُبْعث الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئاً. فشقّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المُسوح ، وجلس

---

(١) ضعيف.

الليلةَ قوم ما رأيت مثلهم قطّ أحسن وجوهاً ، ولا أطيب ريحاً . فجاؤوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ، فقالوا: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة ، فطمست أعينهم فقالوا: يا لُوط جئتنا بقوم سَحَرة؛ سحرونا كما أنت حتى نصبح ، قال: فاحتمل جَبْرَئيل قريات لوط الأربع ، في كلّ قرية مئة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهلُ السماء الدنيا أصواتَ ديكتهم ثم قلبهم ، فجعل الله عاليَها سافلَها[1] . (١ : ٣٠٢).

٥٠٣ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: حدثنا محمد بن ثَور ، وحدّثنا الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرَّزَّاق ـ جميعاً عن مَعْمَر ـ عن قتادة ، قال: قال حُذيفة: لما دخلوا عليه ذهبت عجوزُه ، عجوزُ السوء ، فأتت قومها فقالت: قد تضيّفَ لوطاً [الليلة] قوم ما رأيت قوماً قطّ أحسن وجوهاً منهم ، قال: فجاؤوا يهرعون إليه ، فقام مَلَكٌ فلزّ الباب ـ يقول: فسدّه ـ فاستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فضربهم جبرئيل بجناحه ، فتركهم عمياناً ، فباتوا بشرّ ليلة ، ثم قالوا: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ﴾ ، قال: فبلغنا أنها سمعت صوتاً ، فالتفتت فأصابها حجر وهي شاذّة من القوم معلوم مكانَها[2] . (١ : ٣٠٣).

٥٠٤ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السّديّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مُرَّة الهمْدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي : لما قال لوط: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ، بسط حينئذ جبرئيل جناحه ففقأ أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً ، يقولون: النجاء النجاء! فإنّ في بيت لوط أسحر قوم في الأرض؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ وقالوا للوط: ﴿ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ ، يقول: سرْ بهم فامضوا حيث تؤمرون ، فأخرجهم الله تعالى إلى الشأم. وقال لوط: أهلكوهم الساعة. فقالوا: إنا لم نؤمر إلا بالصبح ،

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

أليس الصبح بقريب! فلما أن كان السَّحَر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾[1]. (١ : ٣٠٣).

٥٠٥ ـ حدثنا المثنّى ، قال: أخبرنا إسحاق ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدثني عبد الصمد: أنه سمع وهب بن مُنَبِّه: كان أهل سَدوم الذين فيهم لوط قومَ سوْء قد استغْنوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذّبوهم ، فأتوا إبراهيم ، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى في كتابه ، فلما بشروا سارة بالولد قاموا ، وقام معهم إبراهيم يمشي ، فقال: أخبروني لمَ بعثتم؟ وما خَطْبكم؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم سَدُوم لندمّرها فإنهم قوم سوء ، قد استغنوْا بالرجال عن النساء. قال إبراهيم: أرأيتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحاً؟ قالوا: إذاً لا نعذبهم ، فلم يزل [ينقص] حتى قال أهل البيت ، قالوا: فإن كان فيهم بيت صالح ، قال: فلوط وأهل بيته ، قالوا: إن امرأته هواها معهم ، فلما يئس إبراهيم انصرف ومضوْا إلى أهل سَدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنُهم وجمالُهم ، فأرسلت إلى أهل القرية: أنه قد نزل بنا قومٌ لم نر قوماً قطّ أحسنَ منهم ولا أجمل؛ فتسامعوا بذلك ، فغشُوا دارَ لوط من كل ناحية ، وتسوّروا عليهم الجدران ، فلقيَهم لوط فقال: يا قوم لا تفضحون في ضيفي وأنا أزوّجكم بناتي فهن أطهرُ لكم ، فقالوا: لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهنّ ، فقال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ ، فوجَد عليه الرسل ، فقالوا: إن ركنك لشديد ، ﴿وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ ، فمسح أحدهم أعينهم بجناحه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا: سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قصَّ الله تعالى في القرآن ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحَيه حتى بلغ أسفلَ الأرضين ، فقلبها فنزلت حجارة من السماء ، فتتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ، ونجّي لوطاً وأهله إلا امرأته[2]. (١ : ٣٠٤).

٥٠٦ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا جابر بن نوح ، قال: حدثنا الأعمش ، عن مجاهد ، قال: أخذ جبرئيل قوم لوط من سَرْحهم ودورهم ، حملهم

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف ، وهو مرسل.

بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها[١]. (١ : ٢٠٤).

٥٠٧ ـ وحدثنا أبو كريب مرة أخرى عن مجاهد ، فقال: أدخل جبرئيل جناحَيه تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرحهم ومواشيهم ثم رفعها[٢]. (١ : ٢٠٥).

٥٠٨ ـ حدثني المثنى ، قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شِبْلٌ ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال: كان يقول: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ ، قال: لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحيه ، ثم حملها على خوافي جناحيه[٣]. (١ : ٣٠٥).

٥٠٩ ـ حدثني المثنى ، قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شبل ، قال: وحدّثني هذا ابن أبي نجيح عن إبراهيم بن أبي بكر ـ قال: ولم يسمعه ابن أبي نجيح من مجاهد ـ قال: فحملها على خوافي جناحيه بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهلُ السماء نباح كلابهم ، ثم قَلَبَها ، فكان أول ما سقط منها شرافها ، فذلك قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[٤]. (١ : ٣٠٥).

٥١٠ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: حدثنا محمد بن ثَوْر عن معمر ، عن قتادة ، قال: بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهلُ السماء ضواغيَ كلابهم ، ثم دمَّر بعضَها على بعض ، فجعل عاليَها سافلها ، ثم أتبعتهم الحجارة ، قال قتادة: وبلغنا: أنهم كانوا أربعة آلاف ألف[٥]. (١ : ٣٠٥).

٥١١ ـ حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد عن قتادة ،

---

(١) لم نعلم عن هذه التفاصيل في خبر مرفوع صحيح والله أعلم.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

(٥) ضعيف.

قال: وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جَوِّ السماء حتى سمعت الملائكة ضواغيَ كلابهم ثم دمرّ بعضها على بعض ، ثم أتبع شُذَّانَ القوم صخراً ، قال: وهي ثلاث قرى يقال لها سَدوم ، وهي بين المدينة والشأم ، قال: وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف ، قال: وذكر لنا أن إبراهيم كان يُشرف ثم يقول: سَدُوم يوماً هالك[1]. (١ : ٣٠٥).

٥١٢ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ بالإسناد الذي قد ذكرناه: لما أصبحوا ـ يعني: قوم لوط ـ نزل جبرئيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا ، حتى سمع أهلُ السماء نباحَ كلابهم وأصواتَ ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك حين يقول: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾؛ المنقلبة حين أهوى بها جبرئيل عليه السلام الأرض فاقتلعها بجناحيه ، فمن لم يمت حين أسقط الأرض أمطر الله تعالى عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذّاً في الأرض ، وهو قول الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ ، ثم تتبّعهم في القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[2] (١ : ٣٠٦).

٥١٣ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني ابن إسحاق ، قال: حدثني محمد بن كعب القرظيّ ، قال: حُدِّثت أن الله تعالى بعث جبرئيل إلى المؤتكفة (قرية قوم لوط التي كان لوط فيهم) ، فاحتملها بجناحيه ثم أصعد بها حتى إن أهل السماء الدنيا ليسمعون نابحة كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة ، يقول الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ ، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات ، وكُنَّ خمس قريات: صبعة ، وصعرة ، وعمرة ، ودوما ، وسَدوم هي القرية العظمى ، ونجّى الله تعالى لوطاً ومَنْ معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك[3]. (١ : ٣٠٦/ ٣٠٧).

---

(١) ضعيف.

(٢) رحم الله الطبري يكثر من إسناد السدي والسدي يكثر من الإسرائيليات والله أعلم.

(٣) يرحم الله الإمام الطبري لو اكتفى بتفسير الآيات تفسيراً لغوياً لكفاه عن كل هذه التفاصيل =

ذكر وفاة سارة بنت هاران ، وهاجر أم إسماعيل وذكر أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

٥١٤ ـ قد ذكرنا فيما مضى قبل ما قيل في مقدار عمر سارة أمّ إسحاق؛ فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهلُ العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشأم[1] . (١ : ٣٠٨).

٥١٥ ـ وقيل: إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كَنْعان في حَبْرون ، فدفنت في مزرعة اشتراها إبراهيم ، وقيل: إن هاجر عاشت بعد سارة مدة.

فأما الخبر فبغير ذلك ورد. حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل.

ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل ، فقال لسارة: ائذني لي أنطلق إلى ابني فأنظر إليه ، فأخذت عليه عهداً ألاّ ينزل حتى يأتيَها ، فركب البُراق ، ثم أقبل وقد ماتت أمُّ إسماعيل ، وتزوج إسماعيلُ امرأة من جُرْهُم[2] . (١ : ٣٠٨).

٥١٦ ـ وإن إبراهيم عليه السلام كثر ماله ومواشيه ، وكان سبب ذلك فيما حدثنا به موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل: أن إبراهيم عليه السلام احتاج ـ وقد كان له صديق يعطيه ويأتيه ـ فقالت له سارة: لو أتيت خُلَّتك فأصبت لنا منه طعاماً! فركب حماراً له ، ثم أتاه ، فلما أتاه تغيّب منه ، واستحَيا إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائباً ، فمرَّ على بطحاء ، فملأ منها خُرْجه ، ثم أرسل الحمار إلى أهله ، فأقبل الحمار وعليه حنْطة جيدة ، ونام إبراهيم عليه السلام فاستيقظ ، وجاء إلى أهله ، فوجد سارة قد جعلت له طعاماً ، فقالت: ألا تأكل؟ فقال: وهل من شيء؟ فقالت: نعم من الحنطة التي جئت بها من عند خليلك ، فقال: صدقت من

= المأخوذة من روايات أهل الكتاب والقرآن نزل بلسان عربي مبين يفهمه الصحابة الأجلاء ومنهم تعلم التابعون ومن بعدهم والله أعلم.

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

عند خليلي جئت بها ، فزرعها فنبتت له ، وزكا زرْعه وهلكت زروع الناس ، فكان أصلُ ماله منها ، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول: مَنْ قال: لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ؛ فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبى فرجع ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ . فلما كثر مالُ إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في المسكن والمرعى ، وكان مسكنه ما بين قرية مدين ـ فيما قيل ـ والحجاز إلى أرض الشأم ، وكان ابن أخيه لوط نازلاً معه ، فقاسم ماله لوطاً ، فأعطى لوطاً شطره فيما قيل ، وخيّره مسكناً يسكنه ومنزلاً ينزله غير المنزل الذي هو به نازل ، فاختار لوط ناحية الأردنّ فصار إليها ، وأقام إبراهيم عليه السلام بمكانه ، فصار ذلك فيما قيل سبباً لآثاره بمكة وإسكانه إياها إسماعيل ، وكان ربما دخل أمصار الشأم.

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها ـ فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ـ قطورا بنت يقطن؛ امرأة من الكنعانيين ، فولدت له ستة نفر: يقسان بن إبراهيم ، وزمران بن إبراهيم؛ ومديان بن إبراهيم ، ويسبق بن إبراهيم ، وسوح بن إبراهيم ، وبسر بن إبراهيم ، فكان جميع بني إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق ، وكان إسماعيل بكْره أكبر ولده ، قال: فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوذان بن جرهم بن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر ولِفّها ، وولد زمران بن إبراهيم المزامير الذين لا يعقلون ، وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبي ، فهو وقومه من ولده بعثه الله عزّ وجلّ إليهم نبيّاً[1]. (١ : ٣٠٨/٣٠٩).

٥١٧ ـ حدثني الحارث بن محمد ، قال: حدثنا محمد بن سعد ، قال: حدثنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه ، قال: كان أبو إبراهيم من أهل حران ، فأصابته سَنة من السنين ، فأتى هُرمز جرد بالأهواز ، ومعه امرأته أم إبراهيم ، واسمها توتا بنت كرينا بن كوثى ، من بني أرفخشد بن سام بن نوح[2]. (١ : ٣١٠).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

٥١٨ ـ وحدثني الحارث ، قال: حدثنا محمد بن سعد ، قال: حدثنا محمد بن عمر الأسلميّ عن غير واحد من أهل العلم قال: اسمها أنموتا من ولد أفراهم بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح. وكان بعضهم يقول: اسمها انمتلى بنت يكفور[١]. (١ : ٣١٠).

٥١٩ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال: نهر كُوثَى كَراه كرينا جدّ إبراهيم من قبل أمه ، وكان أبوه على أصنام الملك نمرود ، فولد إبراهيم بهُرمزجرد ، ثم انتقل إلى كُوثَى من أرض بابل ، فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه ، دعاهم إلى عبادة الله ، وبلغ ذلك الملك نمرود فحبسه في السجن سبع سنين ، ثم بنى له الحِير بجصّ ، وأوقد له الحطب الجزل ، وألقى إبراهيم فيه ، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل! فخرج منها سليماً لم يكلَم[٢]. (١ : ٣١١).

٥٢٠ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا محمد بن سعد ، قال: حدثنا هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: لما هرب إبراهيم من كُوثَى ، وخرج من النار ولسانه يومئذ سريانيّ ، فلما عبرَ الفرات من حَرّان غيّر الله لسانه فقيل: عبرانيّ ، أي حيث عبر الفرات ، وبعث نمرود في أثره ، وقال: لا تَدَعوا أحداً يتكلَّم بالسريانية إلا جئتموني به ، فلقُوا إبراهيم عليه السلام فتكلم بالعبرانية ، فتركوه ولم يعرفوا لغته[٣]. (١ : ٣١٠).

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

٥٢١ ـ فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم ، أرسل إليه ملك الموت في صورة شيخ هرم.

فحدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ بالإسناد الذي ذكرته قبل: كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ،

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

ويضيفهم ، فبينا هو يطعم الناس إذا هو بشيخ [كبير] يمشي في الحرّة، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه ، فيدخلها عينَه وأذنَه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره ، وكان إبراهيم قد سأل ربه عزّ وجلّ ألاّ يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى مِنْ حاله ما رأى: ما بالك يا شيخ تصنع هذا؟ قال: يا إبراهيم ، الكِبَر ، قال: ابن كم أنت؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين ، فقال إبراهيم: إنما بيني وبينك سنتان ، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك ؟! قال: نعم ، قال إبراهيم: اللهم اقبضني إليك قبل ذلك ، فقام الشيخ فقبض روحَه ، وكان ملك الموت.

ولما مات إبراهيم عليه السلام ـ وكان موته وهو ابن مئتي سنة ، وقيل ابن مئة وخمس وسبعين سنة ـ دفن عند قبر سارة في مزرعة حبْرُون[1] . (١ : ٣١٢).

٥٢٢ ـ وكان مما أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من الصحف فيما قيل عشر صحائف ، كذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال: أخبرني عمي عبد الله بن وهب، قال: حدثني الماضي بن محمد عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولانيّ ، عن أبي ذرّ الغفاريّ ، قال: قلت: يا رسول الله ، كم كتاب أنزله الله؟ قال: مئة كتاب وأربع كتب: أنزل الله عزَّ وجلَّ على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى شيث خمسين صحيفة ، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل جلّ وعزّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، قلت: يا رسول الله ، فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلها:

أيها الملك المسلّط المبتلَى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لتردَّ عني دعوةَ المظلوم؛ فإني لا أردُّها وإن كانت من كافر.

وكانت فيها أمثال: وعلى العاقل مالم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات؛ ساعة يناجي فيها ربَّه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله عزّ وجلّ ، وساعة يحاسب فيها نفسها فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في

---

(١) ضعيف ، وهو من الإسرائيليات.

المطعم والمشرب ، وعلى العاقل ألاّ يكون ظاعناً إلاَّ في ثلاث: تزوّد لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، ولذة في غير محرّم ، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شانه ، حافظاً للسانه ، ومَنْ حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاَّ فيما يعنيه[١] . (١ : ٣١٢/٣١٣).

٥٢٣ ـ وكان لإبراهيم ـ فيما ذكر ـ أخَوَان يقال لأحدهما: هاران ، وهو أبو لوط ، وقيل: إن هاران هو الذي بنى مدينة حَرَّان ، وإليه نسبت ـ والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل هو أبو لابان ورفقا ابنة بتويل ، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل ، وليّا وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان[٢] . (١ : ٣١٣).

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

٥٢٤ ـ قد مضى ذكْرُنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل ، وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها. ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جُرْهم ، فكان من أمرها ماقد تقدم ذكره ، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك ، ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مُضاض بن عمرو الجُرْهميّ ، وهي التي قال لها إبراهيم إذ قدم مكة ، وهي زوجة إسماعيل: قولي لزوجك إذا جاء: قد رضيتُ لك عتبة بابك.

فحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً ، وأمهم السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهميّ: نابت بن إسماعيل ، وقيدر بن إسماعيل ، وأدبيل بن إسماعيل ، ومبشا بن إسماعيل ، ومسمع بن إسماعيل ، ودما بن إسماعيل ، وماس بن إسماعيل ، وأدد بن إسماعيل ، ووطور بن إسماعيل ، ونفيس بن إسماعيل ، وطما بن إسماعيل ، وقيدمان بن إسماعيل.

قال: وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومئة سنة ، ومن نابت وقيدر

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

نشر الله العرب ، ونبّأ الله عزّ وجلّ إسماعيل ، فبعثه إلى العماليق ـ فيما قيل ـ وقبائل اليمن.

وقد يُنطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق ، فيقول بعضهم في قيدر: قيدار ، وفي أدبيل: أدبال ، وفي مبشا: مبشام ، وفي دما: ذوما ومسا ، وحداد ، وتيم ، ويطور ، ونافس ، وقادمن.

وقيل: إن إسماعيل لما حضرتْه الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوّج ابنته من العيص بن إسحاق ، وعاش إسماعيل فيما ذكر مئة وسبعاً وثلاثين سنة ، ودفن في الحِجْر عند قبر أمه هاجر[١]. (١ : ٢١٤).

٥٢٥ ـ حدثني عبدة بن عبد الله الصفار ، قال: حدثنا خالد بن عبد الرحمن المخزوميّ عن مبارك بن حَسَّان صاحب الأنماط ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال: شكا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حَرَّ مكة فأوحى الله تعالى إليه: إني فاتح لك باباً من الجنة يجري عليك روْحها إلى يوم القيامة ، وفي ذلك المكان تدفن[٢]. (١ : ٢١٥).

ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده

٥٢٦ ـ إذ كان التأريخ غيرَ متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم؛ وذلك أن الفرس كان مُلْكهم متصلاً دائماً من عهد جيومرت الذي قد وصفت شأنه وخبره ، إلى أن زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس ، أمة نبينا محمد . وكانت النبوة والملك متصلَيْن بالشأم ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيى بن زكرياء وبعد عيسى بن مريم عليهما السلام. وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيى وعيسى عليهما السلام سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله[٣]. (١ : ٣١٦).

٥٢٧ ـ فأما سائر الأمم غير الفرس ، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التأريخ

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

بهم؛ إذ لم يكن لهم ملك متَّصل في قديم الأيام وحديثه إلا مالا يمكن معه سياق التأريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم ، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذي ذكرت ، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم؛ فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايتنا هذه معلوم مبلغه. وقد كان لليمن ملوك لهم ملْك ، غير أنه كان غَير متصل ، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد ، وبين الأول والآخر فترات طويلة ، لا يقِف على مبلغها العلماء؛ لقلة عنايتهم كانت بها ، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر ، إذا لم يكن من الأمر الدائم ، فإن دام منه شيء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عاملٌ لغيره في الموضع الذي هو به لا يملكه بنفسه ، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن نمارة بن لخم؛ فإنهم كانوا على فرْج ثغر العرب للفرس من الحيرة إلى حدّ اليمن طولاً وإلى حدود الشأم وما اتصل بذلك عرضاً ، فلم يزل ذلك دائماً لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان النعمانَ بن المنذر ، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على ثغر العرب إلى إياس بن قَبيصة الطائيّ[1]. (١ : ٣١٦).

٥٢٨ ـ فحدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس ، فولدت له عيص بن إسحاق ، ويعقوب بن إسحاق ، يزعمون: أنهما كانا تَوْءمَيْن وأن عيصاً كان أكبرهما ، ثم نكح عيص بن إسحاق ابنةَ عمه بسمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم ، فولدت له الروم بن عيص ، فكلُّ بني الأصفر من ولده. قال: وبعض الناس يزعم: أن الأشبان من ولده ، ولا أدري أمن ابنة إسماعيل أم لا .

ونكح يعقوب بن إسحاق ـ وهو إسرائيل ـ ابنة خاله ليًا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس ، فولدت له روبيل بن يعقوب ، وكان أكبر ولده ، وشمعون بن يعقوب ، ولاوي بن يعقوب ، ويهوذا بن يعقوب ، وزبالون بن يعقوب ، ويسحر بن يعقوب ، ودينة ابنة يعقوب. وقد قيل في يسحر: إن اسمه «يشحر». ثم توفيت ليا بنت ليان فخلف يعقوب على أختها راحيل بنت ليان بن بتويل بن إلياس ، فولدت له يوسف بن يعقوب ، وبنيامن بن يعقوب ـ وهو بالعربية شداد ـ وولد له

---

(١) ضعيف.

من سُرِّيَّتَيْن؛ اسم إحداهما: زلفة، واسم الأخرى: بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفثالي بن يعقوب، وجاد بن يعقوب، وأشر بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلاً[1]. (١ : ٣١٧).

٥٢٩ ـ وقد قال بعض أهل التوراة: إن رفقا زوجة إسحاق هي ابنة ناهر بن آزر عمّ إسحاق، وإنها ولدت له ابنيه عيصاً ويعقوب في بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألاّ ينكح امرأةً من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان بن ناهر خاطباً، فأدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسِّداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتعرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل، وكانت له ابنتان: ليا وهي الكبرى، وراحيل وهي الصغرى، فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا، إلا أني أخدُمك أجيراً حتى تستوفيَ صداق ابنتك، قال: فإنّ صداقها أن تخدمني سبع حجج، قال يعقوب: فزوجني راحيل وهي شرطي، ولها أخدُمك، فقال له خاله: ذلك بيني وبينك، فرعَى له يعقوب سبع سنين، فلما وفّى له شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا، وأدخلها عليه ليلاً، فلما أصبح وجد غير ما شرط، فجاءه يعقوب وهو في نادي قومه فقال له: غررتَني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين، ودلّست عليّ غير امرأتي، فقال له خاله: يا بن أختي، أردت أن تُدخِل على خالك العار والسُّبَّة، وهو خالُك ووالدك، ومتى رأيتَ الناسَ يزوّجون الصغرى قبل الكبرى! فهلمَّ فاخدُمني سبع حجج أخرى، فأزوّجك أختَها ـ وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة ـ فرعى له سبعاً، فدفع إليه راحيل، فولدت له ليا أربعة أسباط: روبيل، ويهوذا، وشمعان، ولاوي، وولدت له راحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما، وكان لابان دفع إلى ابنتيه حين جهزهما إلى يعقوب أَمَتَيْن فوهبتا الأمتين ليعقوب، فولدت كلُّ واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط، وفارق يعقوب خاله، وعاد حتى نازل أخاه عيصاً[2]. (١ : ٣١٨).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

٥٣٠ ـ وقال بعضهم: ولد ليعقوب دان ونفثالي من زلفة جارية راحيل؛ وذلك: أنها وهبتها له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها ، وأن ليا وهبت جاريتها بلهة ليعقوب منافسة لراحيل في جاريتها ، وسألته أن يطلب منها الولد ، فولدت له جاد ، وأشير ، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين ، فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامرأتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص ، فلم ير منه إلا خيراً ، وكان العيص فيما ذكر لحق بعمه إسماعيل ، فتزوج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام ، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشأم ، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم ، وكان العيص فيما ذكر يسمَّى آدم لأدْمته ، قال: ولذلك سمي ولده ولد الأصفر ، وكانت ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهيم ابنيه العيص ويعقوب ـ بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة ـ توأمين في بطن واحد ، والعيص المتقدم منهما خروجاً من بطن أمه ، فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص ، وكانت رفقا أمهما تميل إلى يعقوب ، فزعموا أن يعقوب ختل العيص في قربان قرّباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سنُّ إسحاق ، وضعف بصره، فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له ، فغاظ ذلك العيص وتوعّده بالقتل ، فخرج يعقوب هارباً منه إلى خاله لابان ببابل ، فوصله لابان وزوّجه ابنتيه ليا وراحيل ، وانصرف بهما وبجاريتيهما وأولاده الأسباط الاثني عشر وأختهم دينا إلى الشأم إلى منزل آبائه ، وتألف أخاه العيص حتى نزل له البلاد وتنقل في الشأم ، حتى صار إلى السواحل ، ثم عبر إلى الروم فأوطنها ، وصار الملوك من وَلده وهم اليونانية ـ فيما زعم هذا القائل[(١)]. (١: ٣١٨/ ٣١٩).

٥٣١ ـ حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزيّ ، قال: حدثنا أبي ، قال: أخبرنا أسباط عن السديّ ، قال: تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن ، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها ، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص ، فقال عيص: والله لئن خرجتَ قبلي لأعترضنّ في بطن أمي ولأقتلنّها ،

(١) ضعيف.

فتأخرّ يعقوب ، وخرج عيص قبله ، وأخذ يعقوب بعقب عيص ، فخرج فسمي عيصاً لأنه عصى ، فخرج قبل يعقوب ، وسمي يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقِب عيص ، وكان يعقوب أكبرهما في البطن ، ولكنَّ عيصاً خرج قبله ، وكبر الغلامان ، فكان عيص أحبَّهما إلى أبيه ، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه ، وكان عيص صاحب صيد ، فلما كبر إسحاق وعميَ ، قال لعيص: يا بنيّ أطْعمني لحم صيد واقترب مني أدع لك بدعاء دعا لي به أبي ، وكان عيص رجلاً أشعر ، وكان يعقوب رجلاً أجْرَد ، فخرج عيص يطلب الصيد ، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب: يا بنيّ ، اذهب إلى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوه ، والبس جلده وقدِّمه إلى أبيك ، وقل له: أنا ابنك عيص ، ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال: يا أبتاه كُلْ ، قال: مَنْ أنت؟ قال: أنا ابنك عيص ، قال: فمسَّه ، فقال: المسُّ مسُّ عيص ، والريحُ ريح يعقوب ، قالت أمه: هو ابنك عيص فادع له ، قال: قدّم طعامك ، فقدّمه فأكل منه ، ثم قال: ادن مني ، فدنا منه ، فدعا له أن يجعل في ذريته الأنبياء والملوك ، وقام يعقوب ، وجاء عيص فقال: قد جئتك بالصيد الذي أمرتَني به ، فقال: يا بني قد سبقك أخوك يعقوب ، فغضب عيص وقال: والله لأقتلنّه ! قال: يا بني قد بقيت لك دعوة فهلمّ أدع لك بها ، فدعا له فقال: تكونَ ذريتُك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحدٌ غيرهم ، وقالت أم يعقوب ليعقوب: الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص ، فانطلق إلى خاله ، فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار ، ولذلك سمي إسرائيل ، وهو سريّ الله ، فأتى خالَه وقال عيص: أما إذْ غلبتني على الدعوى فلا تغلبني على القبر ، أن أدفَن عند آبائي: إبراهيم وإسحاق ، فقال: لئن فعلتَ لتُدفنَنّ معه.

ثم إن يعقوب عليه السلام هوى ابنَة خاله ـ وكانت له ابنتان ـ فخطب إلى أبيهما الصغرى منهما ، فأنكحها إياه على أن يرعَى غنَمه إلى أجل مسمّى ، فلما انقضى الأجل زفّ إليه أختها ليا ، قال يعقوب: إنما أردت راحيل ، فقال له خاله: إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير ، ولكن ارعَ لنا أيضاً وانكحها ، ففعل ، فلما انقضى الأجل زوّجه راحيل أيضاً ، فجمع يعقوب بينهما ، فذلك قول الله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

يقول: جمع يعقوب بين ليا وراحيل ، فحملت ليا فولدت يهوذا ، وروبيل ،

وشمعون ، وولدت راحيل يوسف ، وبنيامين ، وماتت راحيل في نفاسها ببنيامين ، يقول: من وجع النفاس [الذي ماتت فيه].

وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعاً من الغنم ، فأراد الرجوع إلى بيت المقدس ، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة ، فقالت امرأة يعقوب ليوسف: خذ من أصنام أبي لعلنا نستنفق منه فأخذ ، وكان الغلامان في حجْر يعقوب ، فأحبهما وعطف عليهما ليُتْمهما من أمهما ، وكان أحبَّ الخلق إليه يوسف عليه السلام ، فلما قدموا أرض الشأم ، قال يعقوب لراع من الرعاة: إن أتاكم أحدٌ يسألكم: مَنْ أنتم؟ فقولوا: نحن ليعقوب عبد عيص ، فلقيهم عيص فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن ليعقوب عبد عيص ، فكفّ عيص عن يعقوب ، ونزل يعقوب بالشام ، فكان همّه يوسف وأخوه فحسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له ، ورأى يوسف في المنام كأنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رآهم ساجدين له ، فحدث أباه بها فقال: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[1]. (١ : ٣١٩/ ٣٢٠/ ٣٢١).

ذكر أيوب عليه السلام

٥٣٢ ـ ومن ولده ـ فيما قيل ـ أيوب نبي الله؛ وهو فيما حدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عمّن لا يُتّهم ، عن وهب بن منبّه: أن أيوب كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم[2]. (١ : ٣٢٢).

٥٣٣ ـ وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول: هو أيوب بن موص بن رعويل بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم.

وكان بعضهم يقول: هو أيوب بن موص بن رعويل ، ويقول: كان أبوه ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أحرقه نمرود ، وكانت زوجته التي أمر بضربها

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

بالضِّغْث ابنةً ليعقوب بن إسحاق ، يقال: لها ليا؛ كان يعقوب زوّجها منه[١] . (١ : ٣٢٢).

٥٣٤ ـ وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد ، قال: حدثنا أبي ، قال: أخبرنا غياث بن إبراهيم ، قال: ذكر ـ والله أعلم ـ أن عدوّ الله إبليس لقِيَ امرأة أيوب ـ وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب ـ فقال: يا ليا ابنة الصدّيق وأخت الصدّيق. وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران[٢] . (١ : ٣٢٢).

٥٣٥ ـ وقيل: إن زوجته التي أمِر بضربها بالضِّغْث هي رحمة بنت أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ، وكانت لها البَثَنيَّة من الشام كلها بما فيها ، وكان ـ فيما ذكر ـ عن وهب بن منبه في الخبر الذي حدثنيه محمد بن سهل بن عسكر البخاريّ ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام ، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال: سمعت وهب بن منبّه يقول: إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه ، فأدركه البغيُ والحسد ، فسأل الله أن يسلِّطه عليه ليفتنه عن دينه ، فسلَّطه الله على ماله دون جسده وعقله ، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماءهم ، وكان لأيوب البَثَنِيَّة من الشام كلّها بما فيها بين شرقها وغربها ، وكان بها ألف شاة برعاتها ، وخمسمئة فَدّان يتبعها خمسمئة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة كل فَدّان أتان ، لكل أتان ولد؛ بين اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك. فلما جمعهم إبليس ، قال: ماذا عندكم من القوة والمعرفة؟ فإني قد سُلِّطت على مال أيوب؛ فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال ، فقال كلُّ مَنْ عنده قوة على إهلاك شيء ما عنده. فأرسلهم فأهلَكوا ماله كلّه ، وأيوب في كلّ ذلك يحمد الله ولا يَثنيه شيء أصيب به من ماله عن الجدّ في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه ، والصبر على ما ابتلاه به. فلما رأىٰ ذلك من أمره ابليس لعنه الله سأل الله تعالى أن يسلطه على ولده فسلّطه عليهم ، ولم يجعل له سلطاناً على جسده وقلبه وعقله ، فأهلك ولده كلّهم ، ثم جاء إليه متمثلاً بمعلّمهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحاً مشدوخاً يُرقِّقه حتى رقّ أيوب فبكى ،

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه ، فسُرّ بذلك إبليس ، واغتنمه من أيوب عليه السلام.

ثم إنّ أيوب تاب واستغفر ، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله عزّ وجلّ ، فلما لم يثن أيوب عليه السلام ما حلّ به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه ، والجدّ في طاعته ، والصبر على ما ناله ، سأل الله عزّ وجلّ إبليسُ أن يسلِّطه على جسده ، فسلطه على جسده خلا لسانَه وقلبه وعقله؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطاناً ، فجاءه وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده ، فصارَ من جملة أمره إلى أن أنتن جسده ، فأخرجه أهلُ القرية من القرية إلى كُناسة خارج القرية لا يقرَبه أحد إلا زوجته ، وقد ذكرت اختلاف الناس في اسمها ونسبها قبل.

ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبّه:

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه ، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه ، فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه واتهموه من غير أن يتركوا دينه؛ يقال لأحدهم بلدد ، وللآخر اليفز وللثالث صافر. فانطلقوا إليه وهو في بلائه فبكّتوه ، فلما سمع أيوب عليه السلام كلامَهم أقبل على ربّه يستغيثه ويتضرّع إليه ، فرحمه ربُّه ورفع عنه البلاء ، وردَّ عليه أهله ومَاله ومثلهم معهم ، وقال له: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾؛ فاغتسل به فعاد كهيئته قبل البلاء في الحسن والجمال[١]. (١ : ٣٢٢/ ٣٢٣/ ٣٢٤).

٥٣٦ ـ فحدثني يحيى بن طلحة اليربوعيّ ، قال: حدثنا فُضيل بن عياض عن هشام ، عن الحسن ، قال: مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كُناسة لبني إسرائيل سبعَ سنين وأشهراً ، ما يسأل الله عزّ وجلّ أن يكشف ما به ، قال: فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال: لو كان لربِّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا! فعند ذلك دعا[٢]. (١ : ٣٢٤).

٥٣٧ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة عن يونس ، عن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

الحسن ، قال: بقيَ أيوب عليه السلام على كُناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً اختلف فيها الرواة[١] . (١ : ٣٢٤).

فهذه جملة من خبر أيوب ، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره ، وأنه كان نبيّاً في عهد يعقوب أبي يوسف عليهم السلام.

وذُكر: أن عُمْر أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حومل ، وأن الله عزّ وجلّ بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيّاً ، وسماه ذا الكِفل وأمره بالدعاء إلى توحيده ، وأنه كان مقيماً بالشأم عُمْرَه حتى مات ، وكان عمرُه خمساً وسبعين سنة ، وأن بشراً أوصى إلى ابنه عبدان ، وأن الله عزّ وجلّ بعث بعده شُعَيْبَ بن صيفون بن عيفا بن نابت بن مدين بن إبراهيم إلى أهل مدين.

وقد اختُلف في نسب شُعَيْب فنسبه أهل التوراة النسب الذي ذكرت ، وكان ابن إسحاق يقول: هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، حدثني بذلك ابن حُميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق.

وقال بعضهم: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض مَنْ كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه ، وهاجر معه إلى الشأم ، ولكنه ابن بنت لوط؛ فجدة شعيب ابنة لوط[٢] . (١ : ٣٢٤/ ٣٢٥).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

لم يذكر الطبري رحمه الله تعالىٰ رواية مرفوعة صحيحة السند في قصة أيوب عليه السلام وما ورد في ذلك صحيحاً عند غيره ذكرناه في قسم الصحيح والجدير بالذكر هنا أن نشير إلى رواية لم يخرجها الطبري في تأريخه إلا أنه أخرج نحوها مفرقاً كما سبق وهي رواية ضعيفة أيضاً.

فقد أخرج ابن أبي حاتم والطبري في تفسيره (جامع البيان/ ٢٣/ ١٦٧) من طريقه مع ابن يزيد عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك مرفوعاً أن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة حتى رفضه القريب والبعيد والعبيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان ويروحان فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين قال صاحبه وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به . . . إلى آخر الرواية).

والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه من طريق نافع بن يزيد به (كتاب الجنائز/ ح ٢٨٩٨).

=

ذكر خبر شعيب ﷺ

وقيل: إن اسم شعيب يزون، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب في نسبه، وكان ـ فيما ذكر ـ ضرير البصر[1]. (١ : ٣٢٥).

٥٣٨ ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسديّ، قال: حدثنا أسيد بن زيد الجصاص، قال: أخبرنا شريك عن سالم، عن سعيد بن جُبَيْر في قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾، قال: كان أعمى[2]. (١ : ٣٢٥).

٥٣٩ ـ حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْليّ، قال: حدثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق بن المنذر وعبد الملك بن يزيد، قالوا: حدثنا شريك عن سالم، عن سعيد، مثله[3]. (١ : ٣٢٦).

٥٤٠ ـ حدثني أحمد بن الوليد، قال: حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن

= وحديث أنس هذا رواه أبو يعلى (ح ٣٣١٧) والبزار (ح ٢٣٥٧) والحاكم (٢/ ٥٨٢) وصححه على شرط الشيخين وقال الهيثمي: رواه أبو يعلىٰ والبزار ورجال البزار رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٨/ ٢٠٨/ ح ٣٨٠٠).
قلنا: ولكن الحافظ ابن كثير رحمه الله قال: وهذا غريب رفعه جداً والأشبه أن يكون موقوفاً (البداية والنهاية ١/ ٣١٠) وجاء في حاشية المطالب العالية لابن حجر تحقيق المحدث الأعظمي/ قال المؤلف في المسندة: قال البزار: لا نعلم رواه عن الزهري عن أنس إلا عقيل ولاعنه إلا نافع.
وصححه ابن حيان من طريق ابن وهب عن نافع بن يزيد به... إلى أن قال (الأعظمي): قلت: ورواه ابن المبارك عن يونس عن عقيل عن الزهري مرسلاً أطول مما هنا (زيادات نعيم/ ص ٤٨) (المطالب العالية ٣/ح ٣٤٦٠) وصحح البوصيري إسناده في الإتحاف/ ح ٨٧٩٦).

(١) ضعيف.
(٢) من الإسرائيليات والخبر لا يصح مرفوعاً وسيأتي موقوفاً ومع ذلك فهو من الأخبار المتلقاة عن كعب الأحبار وهو من الإسرائيليات والعلماء على أن الأنبياء محفوظون عن عاهة العمىٰ أو الصمم ونحوها والله أعلم.
(٣) ضعيف.

الصباح ، قالا : سمعنا شريكاً يقول في قوله : ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : أعمى[١] . (١ : ٣٢٦).

٥٤١ ـ حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله[٢] . (١ : ٣٢٦).

٥٤٢ ـ حدثني المثنى ، قال : حدثنا الحِمّانيّ ، قال : حدثنا عبّاد عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضرير البصر[٣] .

٥٤٣ ـ حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا إبراهيم بن مهدي المِصِّيصيّ ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضعيف البصر[٤] . (١ : ٣٢٦).

٥٤٤ ـ حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو نعَيْم ، قال : حدثنا سفيان ، قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ ، قال : كان ضعيف البصر . قال سفيان : وكان يقال له : خطيب الأنبياء ، وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبيّاً إلى أهل مدين ، وهم أصحاب الأيكة ـ والأيكة الشجر الملتفّ ـ وكانوا أهلَ كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم ، وكان الله عزّ وجلّ وسَّع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب عليه السلام : ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ .

فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه[٥] . (١ : ٣٢٦).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) باطل لا أصل له ، وفي رواية للخطيب عن شداد بن أوس مرفوعاً بكى شعيب من حب الله حتى عَمِي/ قال الذهبي هذا حديث باطل لا أصل له /ميزان الاعتدال/ رقم الترجمة (٩٢١/ ١٣٣١)، وأخرجه ابن الجوزي في «العلل» (١/ ٦١) وقال : هذا حديث لا أصل له.
(٥) ضعيف.

٥٤٥ ـ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فكان رسول الله ـ فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة ـ إذا ذكره قال : «ذاك خطيب الأنبياء» ، لحسْن مراجعته قومَه فيما يرادّهم به[١]. (١ : ٣٢٧).

٥٤٦ ـ فلما طال تماديهم في غَيِّهم وضلالهم ، ولم يردّهم تذكير شُعيب إياهم ، وتحذيرهم عذاب الله [لهم] وأراد الله تبارك وتعالى هلاكهم ، سلط عليهم ـ فيما حدثني الحارث ـ قال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صَغيرة ، قال : حدثني يزيد الباهليّ ، قال : سألتُ عبد الله بن عباس عن هذه الآية : ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ، فقال عبد الله بن عباس : بعث الله وَبَدَةً وحرّاً شديداً ، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت ، فدخل [عليهم] أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرّاباً إلى البريّة فبعث الله عزّ وجلّ سحابة ، فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذة ، فنادى بعضُهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل الله عليهم ناراً ، قال عبد الله بن عباس : فذاك عذابُ يوم الظلة ؛ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢]. (١ : ٣٢٧).

٥٤٧ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثني جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بُعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيْكة من شجر ملتفّ ، فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يعذّبهم بعث عليهم حرّاً شديداً ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء بَرْدها ، فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً ، قال : فذلك قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾[٣]. (١ : ٣٢٧).

٥٤٨ ـ حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو سفيان ، عن معمرَ بن راشد ، قال : حدثني رجل من أصحابنا عن بعض العلماء ، قال : كانوا ـ يعني قوم شعيب ـ عطَّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطَّلوا حدّاً فوسع

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

الله عليهم في الرزق ، فجعلوا كلما عطلوا حداً وسع الله عليهم في الرزق حتى إذا أراد الله هلاكهم سلَّط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقارُّوا ، ولا ينفعهم ظل ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجدَ روحاً ، فنادى أصحابَه : هلمُّوا إلى الروْح ، فذهبوا إليه سراعاً؛ حتى إذا اجتمعوا؛ ألهبها الله عليهم ناراً ، فذلك عذاب يوم الظلة[١] . (١ : ٣٢٨) .

٥٤٩ ـ حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية في قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ ، قال : أصابهم حرٌّ قلقلهم في بيوتهم ، فنشأت سحابة كهيئة الظُّلَّةِ فابتدروها ، فلما ناموا تحتها أخذتهم الرّجفة[٢] . (١ : ٣٢٨) .

٥٥٠ ـ حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ـ جميعاً عن ابن أبي نَجيح ـ عن مجاهد في قوله : ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ ، قال : ظلال العذاب[٣] . (١ : ٣٢٨) .

٥٥١ ـ حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ ، قال : أظلّ العذابُ قوم شُعيب ، قال ابن جريج : لما أنزل الله تعالى عليهم أول العذاب أخذهم منه حرٌّ شديد ، فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها برد وَروْح وريح طيبة ، فصبَّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذاباً ، فذلك قوله : ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٤] . (١ : ٣٢٨) .

٥٥٢ ـ حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ، قال : بعث الله عزّ وجلّ إليهم ظلة من سحاب ، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة؛ حتى إذا اجتمعوا كلُّهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمَى

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .

عليهم الشمس ، فاحترقوا كما يحترق الجراد في المِقْلَى[(١)]. (١ : ٣٢٩).

٥٥٣ ـ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثنا أبو تُمَيْلة عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال: مَنْ حدّثك من العلماء ما عذاب يوم الظلة ، فكذّبه[(٢)]. (١ : ٣٢٩).

٥٥٤ ـ حدثني محمود بن خداش ، حدثنا حماد بن خالد الخياط ، قال: حدثنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ ، قال: كان مما ينهاهم عنه حذف الدراهم ـ أو قال: قطع الدراهم (الشكّ من حماد)[(٣)]. (١ : ٣٢٩).

٥٥٥ ـ حدثنا سهل بن موسى الرازيّ ، قال: حدثنا ابن أبي فُدَيْك عن أبي مودود قال: سمعت محمد بن كعب القرظيّ يقول: بلغني: أن قومَ شعيب عُذّبوا في قطع الدراهم ، ثم وجدت ذلك في القرآن: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾[(٤)]. (١ : ٣٢٩).

٥٥٦ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا زيد بن حُبَاب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظيّ؛ قال: عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾[(٥)]. (١ : ٣٢٩).

ذكر يعقوب وأولاده

٥٥٦/ أ ـ ذكروا ـ والله أعلم ـ أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعدما ولد له العيص ويعقوب مئة سنة ، ثم توفي وله مئة وستون سنة فقبرَه ابناه: العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في مزرعة حَبْرون ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مئة

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

وسبعاً وأربعين سنة ، وكان ابنهُ يوسف قد قُسم له ولأمّه من الحسن مالم يقسم لكثير من أحد من الناس[(١)] . (١ : ٣٣٠) .

٥٥٧ ـ وقد حدثني عبد الله بن محمد وأحمد بن ثابت الرازيان ، قالا : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت [البنانيّ] عن أنس ، عن النبي ، قال : «أعطي يوسف وأمّه شَطْر الحسن»[(٢)] . (١ : ٣٣٠) .

٥٥٧/ أ ـ وأن أمه راحيل لما ولدتْه دفعه زوجها يعقوب إلى أخته تحضنه ، فكان من شأنه وشأن عمّته التي كانت تحضنه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها صارت مِنْطقة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكِبَر ، فكان من أختانها مَن وليها كان له سلَماً لا ينازَع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنتْه عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يحبّ أحد شيئاً من الأشياء حبَّها إياه ، حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات ، ووقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أخيَّة سلِّمِي إليّ يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، قالت : والله ما أنا بتاركته؛ قال : فوالله ما أنا بتاركه . قالت : فدعه عندي أياماً أنظر إليه وأسكن عنه ، لعلّ ذلك يسلّيني عنه ـ أو كما قالت ـ فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا مَنْ أخذها ومن أصابها ، فالتُمست ثم قالت : كشِّفوا أهل البيت ، فكشَّفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لي لَسَلَم أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر . فقال لها : أنت وذاك ، إن كان فعل ذلك فهو سَلَم لك ، ما أستطيع غير ذلك فأمسكته ، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت ، قال : فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[(٣)] . (١ : ٣٣٠/ ٣٣١) .

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .

٥٥٧/ ب ـ قال أبو جعفر: فلما رأت إخوة يوسف شدةَ حبّ والدهم يعقوب إياه في صباه وطفولته وقلّة صبره عنه حسدوه على مكانه منه، وقال بعضهم لبعض: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾، يعنون بالعصبة الجماعة، وكانوا عشرة: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١]. (١: ٣٣١).

٥٥٨ ـ ثم كان من أمره وأمر يعقوب ماقد قصَّ الله تبارك وتعالى في كتابه من مسألتهم إياه إرساله إلى الصحراء معهم، ليسعى وينشط ويلعب، وضمانِهم له حفظَه، وإعلام يعقوب إياهم حزنَه بمغيبه عنه، وخوفه عليه من الذئب، وخداعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف، ثم إرساله معهم وخروجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه في غيابة الجب، فكان من أمره حينئذ ـ فيما ذُكر ـ ما حدثنا ابنُ وكيع، قال: حدثنا عمرو بن محمد العنقزيّ، عن أسباط، عن السديّ قال: أرسله ـ يعني يعقوبُ يوسفَ ـ معهم، فأخرجوه وبه عليهم كرامة، فلما برزوا إلى البريّة أظهروا له العداوة، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه، فجعل لا يرى منهم رحيماً، فضربوه حتى كادوا يقتلونه، فجعل يصيح ويقول: يا أبتاه يا يعقوب! لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الإماء! فلما كادوا يقتلونه، قال يهوذا: أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه! فانطلقوا به إلى الجبّ ليطرحوه، فجعلوا يُدْلونه في البئر فيتعلق بشفيرها، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال: يا إخوتاه، ردُّوا عليّ قميصي أتوارَى به في الجبّ! فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك، قال: إني لم أر شيئاً، فدلّوه في البئر حتى إذا بلغ نصفَها ألقوه إرادةَ أن يموت، فكان في البئر ماء، فسقط فيه، ثم أوى إلى صخرة فيها، فقام عليها، فلما ألقَوْه في الجبّ جعل يبكي، فنادوْه، فظنّ أنّها رحمة أدركتهم، فأجابهم، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة فيقتلوه، فقام يهوذا، فمنعهم وقال: قد أعطيتموني موثِقاً ألاّ تقتلوه، وكان يهوذا يأتيه بالطعام[٢]. (١: ٣٣١/ ٣٣٢).

٥٥٩ ـ ثم خَبَرُه تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه السلام وهو في الجب

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

لَيُنَبِّئَنَّ إخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يَشْعُرونَ بالوحي الذي أوحي إلى يوسف ، كذلك روي ذلك عن قتادة. حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانيّ ، قال: حدثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ ، قال: أوحي إلى يوسف وهو في الجبّ أن ينبّئهم بما صنعوا به ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك الوحي[1]. (١ : ٣٣٢).

٥٦٠ - حدثني المثنّى ، قال: حدثنا سويد ، قال: أخبرنا ابن المبارك عن معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال: أن سينبّئهم[2]. (١ : ٣٣٣).

٥٦١ - وقيل معنى ذلك: وهم لا يشعرون أنه يوسف ، وذلك قول يروى عن ابن عباس؛ حدثني بذلك الحارث ، قال: حدثنا عبد العزيز ، قال: حدثنا صدقة بن عبادة الأسديّ عن أبيه ، قال: سمعت ابن عباس يقول ذاك ، وهو قول ابن جريج[3]. (١ : ٣٣٣).

٥٦٢ - حدثنا بشرْ بن مُعَاذ ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد عن قتادة ، قال: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ ، تباشروا به حين أخرجوه - وهي بئر بأرض بيت المقدس معلوم مكانها[4]. (١ : ٣٣٣).

٥٦٣ - وقد قيل: إنما نادى الذي أخرج يوسف من البئر صاحباً له يسمى بُشْرى ، فناداه باسمه الذي هو اسمه ، كذلك ذكر عن السُّدِّيّ ، حدثنا الحسن بن محمد ، حدثنا خلف بن هشام ، قال: حدثنا يحيى بن آدم عن قيس بن الربيع ، عن السديّ في قوله: ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ ، قال: كان اسم صاحبه بشرى[5]. (١ : ٣٣٣).

٥٦٤ - حدثني المثنّى ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال: حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السّديّ في قوله: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ ، قال: اسم الغلام

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

بشرى ، كما تقول: يا زيد[١] . (١ : ٣٣٤) .

٥٦٥ ـ ثم خبره عزّ وجلّ عن السيارة وواردهم الذي استخرج يوسف من الجبّ إذ اشتروه من إخوته ﴿بِثَمَنٍۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ ، على زُهْد فيه وإسرارهم إياه بضاعة ، خيفة ممن معهم من التجار مسألتهم الشركة فيه ، إن هم علموا: أنهم اشتروه[٢] . (١ : ٣٣٤) .

كذلك قال في ذلك أهل التأويل :

٥٦٦ ـ حدثني محمد بن عمرو ، قال: حدثنا أبو عاصم ، قال: حدثنا عيسى [عن] ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗ﴾ ، قال: صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم: إنا استبضعناه خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بثمنه ، وتبعهم إخوته يقولون للمُدلي وأصحابه: استوثقوا منه لا يأبَق ، حتى وقفوه بمصر فقال: مَنْ يبتاعني ويبشّر! فاشتراه الملك ، والملك مُسلم[٣] . (١ : ٣٣٤) .

٥٦٧ ـ حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا شبابة ، قال: حدثنا ورقاء عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بنحوه؛ غير أنه قال: خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته ، يقولون للمدلي وأصحابه: استوثقوا منه لا يأبق حتى وقفوه بمصر[٤] . (١ : ٣٣٤) .

٥٦٨ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط ، عن السديّ: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗ﴾ ، قال: لما اشتراه الرجلان فرِقوا من الرفقة أن يقولوا: اشتريناه فيسْأَلُونَهم الشركة فيه فقالوا: إن سألونا: ما هذا؟ قلنا: بضاعة استبضعناه أهل الماء ، فذلك قوله: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗ﴾[٥] . (١ : ٣٣٤) .

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .
(٥) ضعيف .

٥٦٨/ أ ـ فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس ، وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام.

وقيل: إنهم باعوه بعشرين درهماً ، ثم اقتسموها ـ وهم عشرة ـ درهمين درهمين ، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن؛ لأن الدراهم حينئذ ـ فيما قيل ـ إذا كانت أقلَّ من أوقية وزنها أربعون درهماً لم تكن توزن ، لأن أقلّ أوزانهم يومئذ كانت أوقية.

وقد قيل: إنهم باعوه بأربعين درهماً. وقيل: باعوه باثنين وعشرين درهماً[١]. (١ : ٣٣٥).

٥٦٩ ـ وذكر: أن بائعه الذي باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوبب بن عفقان بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام ، حدثنا بذلك ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس[٢]. (١ : ٣٣٥).

٥٧٠ ـ وأما الذي اشتراه بها ، وقال ﴿لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ ، فإن اسمه ـ فيما ذكر عن ابن عباس ـ قُطْفير. حدثني محمد بن سعد ، قَال: حدثني أبي ، قال: حدثني عمي ، قال: حدثني أبي عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال: كان اسم الذي اشتراه قطفير[٣]. (١ : ٣٣٥).

٥٧١ ـ وقيل: إن اسمه أطفير بن رُوحيب ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الرَّيان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق[٤]. (١ : ٣٣٥).

٥٧٢ ـ فأما غيره فإنه قال: كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريَّان بن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح[١]. (١ : ٣٣٥).

٥٧٣ ـ وقد قال بعضهم: إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتَّبع يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعدُ حيٌّ ، ثم ملك بعده قابوس بن مُصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل[٢]. (١ : ٣٣٦).

٥٧٤ ـ وذكر بعضُ أهل التوراة: أن في التوراة: أنّ الذي كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وأنه أقام في منزل العزيز الذي اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وأنه لما تمّتْ له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر؛ الوليد بن الريّان ، وأنه مات يوم مات وهو ابن مئة سنة وعشر سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة. وأن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب أوصى إلى يوسف عليه السلام[٣]. (١ : ٣٣٦).

٥٧٥ ـ وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله ، فلما اشترى أطفير يوسف ، وأتى به منزله ، قال لأهله واسمها ـ فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ـ راعيل: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فيكفينا إذا هو بلغ وفهم الأمورَ بعضَ ما نحن بسبيله من أمورنا: ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ ، وذلك أنه كان ـ فيما حدثنا به ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ـ رجلاً لا يأتي النساء ، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في مُلك ودنيا ، فلما خلا من عمْر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عزّ وجلّ الحكم والعلم[٤]. (١ : ٣٣٦).

٥٧٦ ـ حدثني المثنى ، قال: حدثنا أبو حذيفة ، قال: حدثنا شبل ، عن ابن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

أبي نَجيح ، عن مجاهد: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ، قال: العقل والعلم قبل النبوة[١]. (١ : ٣٣٦).

٥٧٧ ـ ﴿وَرَٰوَدَتْهُ﴾ حين بلغ من السنّ أشدّه ﴿ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ـ وهي راعيل امرأة العزيز أطفير ـ ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ عليه وعليها للّذي أرادت منه ، وجعلت ـ فيما ذكر ـ تذكر ليوسف محاسنه تشوقه بذلك إلى نفسها[٢]. (١ : ٣٣٧).

ذكر من قال ذلك.

٥٧٨ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾. قال: قالت له يا يوسف: ما أحسن شعرَك! قال: هو أول ما ينتثر من جسدي ، قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال: هي أولُ ما يسيل إلى الأرض من جَسدي ، قالت: يا يوسف ما أحسنَ وجهك! قال: هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطمعته فهمّت به وهمّ بها ، فدخلا البيتَ وغلّقت الأبواب ، وذهب ليحلّ سراويله فإذا هو بصورة يعقوب قائماً في البيت قد عضّ على إصبعه يقول: يا يوسف لا تواقعها ، فإنما مثَلُك مالم تواقعها مثلُ الطير في جوِّ السماء لا يطاق ، ومثلك إن واقعتَها مثَله إذا مات وقع في الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. ومثَلك مالم تواقعها مثلُ الثور الصَّعْب الذي لا يعمل عليه ، ومثَلك إن واقعتها مثل الثور حين يموت فيدخل النمل في أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه. فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتدّ ، فأدركته فأخذت بمؤخر قميصه من خلْفه فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف ، واشتدّ نحو الباب[٣]. (١ : ٣٣٧).

٥٧٩ ـ وقد حدثنا أبو كريب وابن وكيع وسهل بن موسى ، قالوا: حدثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمان ، عن ابن أبي مليْكة ، عن ابن عباس: سئل عن همّ يوسف ما بلغ؟ قال: حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الحائز[٤]. (١ : ٣٣٧).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

٥٨٠ - حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال: أخبرنا عبد الله بن أبي مُلَيكة ، قال: قلت لابن عباس: ما بلغ من همّ يوسف؟ قال: استلقتْ له وجلس بين رجليها ينزع ثيابَه ، فصرف الله تعالى عنه ما كان همّ به من السوء بما رأى من البرهان الذي أراه الله ، فذلك - فيما قال بعضُهم - صورة يعقوب عاضّاً على إصبعه[١] . (١ : ٣٣٨) .

٥٨٠/ أ - وقال بعضهم: بل نودي من جانب البيت: أتزني فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ولا ريش له!

وقال بعضهم: رأى في الحائط مكتوباً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ فقام حين رأى بُرْهان ربه هارباً يريد باب البيت فراراً مما أرادته ، واتبعته راعيل فأدركتْه قبل خروجه من الباب ، فجذبته بقميصه من قِبَل ظهره ، فقدّت قميصَه وألفى يوسف وراعيل سيّدها - وهو زوجها أطفير - جالساً عند الباب ، مع ابن عمّ لراعيل[٢] . (١ : ٣٣٨) .

٥٨١ - كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ . قال: كان جالساً عند الباب وابن عمها معه ، فلما رأته قالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ إنه راودني عن نفسي ، فدفعته عن نفسي فأبيت فشققت قميصه. قال يوسف: بل هي رَاوَدتْني عن نَفْسي ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتني فشقَّتْ قميصي ، فقال ابن عمها: تبيان هذا في القميص ، فإن كان القميص ، ﴿قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ، وإن كان القميص ﴿قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ ، فأتى بالقميص ، فوجده قدّ من دُبر ، قال: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[٣] . (١ : ٣٣٨) .

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف ، وإسناده ضعيف جداً ولم يثبت في حديث مرفوع صحيح أن الشاهد هو ابن عمها وأنه كان جالساً مع سيدها عند الباب والله أعلم.

٥٨٢ ـ حدثني محمد بن عمارة ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوْف الشاميّ ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت : ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، قال : فغضب وقال : ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾[1] . (١ : ٣٣٩) .

وقد اختلف في الشاهد الذي شهد من أهلها ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ ، فقال بعضهم ما ذكرت عن السديّ .

٥٨٣ ـ وقال بعضهم : كان صبيّاً في المهد ، وقد روى في ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ، قال : «تكلم أربعة وهم صغار» ، فذكر فيهم شاهد يوسف[2] . (١ : ٣٣٩) .

٥٨٤ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم[3] . (١ : ٣٣٩) .

٥٨٥ ـ وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقدّه من دبره .

ذكر بعض من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ قال : قميصه مشقوق من دُبره فتلك الشهادة ، فلما رأى زوجُ المرأة قميص يوسف قُدَّ من دبر قال لراعيل زوجته : ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ، ثم قال ليوسف : أعرض عن ذكر ما كان منها من مراودتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد ، ثم قال لزوجته : ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[4] . (١ : ٣٣٩) .

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .

٥٨٦ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال: والشغاف جِلْدة على القلب يقال لها: لسان القلب ، يقول: دخل الحبّ الجلد حتى أصاب القلب ، ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ﴾ امرأة العزيز ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ وتحدُّثهن بينهنّ بشأنها وشأن يوسف ، وبلغها ذلك ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ يتّكئن عليه إذا حضرنها من وسائد ، وحضرنها فقدّمت إليهنّ طعاماً وشراباً وأترُجّاً ، وأعطتْ كُلَّ واحدة منهن سكيناً تقطع به الأترجّ[1]. (١ : ٣٤٠).

٥٨٧ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ ، تقول: بعدما حلّ السراويل استعصم ، لا أدري ما بدا له! ثم قالت لهنّ: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ منْ إتْيانها ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ ، فاختار السجن على الزنى ومعصية ربه ، فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾[2]. (١ : ٣٤١).

٥٨٨ ـ وقد قيل: إن السبب الذي من أجله بدا له في ذلك ، ما حدثنا به ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد عن أسباط ، عن السديّ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ، قال: قالت المرأة لزوجها: إنّ هذا العبد العبرانيّ قد فضَحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فإما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستني ، فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ، فذكر أنهم حبسوه سبع سنين[3]. (١ : ٣٤٢).

ذكر من قال ذلك:

٥٨٩ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا المحاربيّ عن داود ، عن عكرمة: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ، قال: سبع سنين ، فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز ، أدخِل معه السجن الذي حبس فيه فتيان للملك صاحب مصر الأكبر؛

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

وهو الوليد بن الريّان؛ أحدهما كان صاحبَ طعامه، والآخر كان صاحب شرابه[١]. (١ : ٣٤٢).

٥٩٠ ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السديّ، قال: حبسه الملك، وغضب على خبّازه؛ بلغه أنه يريد أن يَسُمَّه فحبسه، وحبس صاحب شرَابه؛ ظن أنه مالأه على ذلك، فحبسهما جميعاً، فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ ﴾[٢]. (١ : ٣٤٢).

٥٩١ ـ فلما دخل يوسف قال فيما حدثني به ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السديّ، قال: لما دخل يوسف السجن، قال: إني أعبِّر الأحلام، فقال أحدُ الفتيين لصاحبه: هَلُمَّ فلنجرّب هذا العبد العبرانيّ، فتراءيا له، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً. فقال الخباز: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ ﴾، وقال الآخر: ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ ﴾، ﴿ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[٣]. (١ : ٣٤٣).

٥٩٢ ـ وكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلا السجن محلب ـ وهو الذي ذكر أنه رأى فوق رأسه خبزاً ـ واسم الآخر نبو، وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمراً، فلم يَدَعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل ما سألاه عنه فقال: ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ ﴾ ـ وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر خمراً ـ ﴿ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ ﴾. فلما عبّر لهما ما سألاه تعبيره، قالا: ما رأينا شيئاً[٤]. (١ : ٣٤٣).

٥٩٣ ـ فحدثني الحارث، قال: حدثنا عبد العزيز، قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعيّ، عن بسطام بن مسلم، عن مالك بن دينار، قال: قال يوسف للساقي: ﴿ ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾، قال: قيل: يا يوسف، اتخذتَ من دوني وكيلاً! لأطيلنَّ حبسَك، قال: فبكى يوسف وقال: يا ربّ أنسي قلبي كثرة البلوى

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

فقلت كلمة ، فويل لإخوتي![١]. (١ : ٣٤٤).

٥٩٤ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال: قال النبي : «لو لم يقل يوسف ـ يعني الكلمة التي قال ـ ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عزّ وجلّ»[٢]. (١ : ٣٤٤).

٥٩٥ ـ فلبث في السجن ، فيما حدثني الحسن بن يحيى ، قال: أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمران أبو الهُذَيل الصنعانيّ ، قال: سمعت وهبا يقول: أصاب أيوب البلاء سبعَ سنين ، وتُرك يوسف في السجن سبع سنين ، وعذّب بختنصَّر فحوّل في السباع سبع سنين[٣]. (١ : ٣٤٤).

ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته

٥٩٦ ـ فحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال: إن الله عزّ وجلّ أرىَ الملك في منامه رؤيا هالتْه ، فرأى: ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ ، فجمع السحرة والكهنة والحازة ، والقافة ، فقصّها عليهم ، فقالوا: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ من الفتيين وهو نبو ، ﴿وَادَّكَرَ﴾ حاجة يوسف ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ ، يعني بعد نسيان: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ ، يقول: فأطلقون ، فأرسلوه فأتى يوسف فقال: ﴿أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾ ؛ فإن الملكَ رأى ذلك في نومه[٤]. (١ : ٣٤٥).

٥٩٧ ـ فحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو عن أسباط ، عن السديّ ، قال: قال ابن عباس: لم يكن السجنُ في المدينة ، فانطلق الساقي إلى يوسف ، فقال:

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ. . .﴾ الآيات[١]. (١ : ٣٤٥).

٥٩٨ ـ فلما قال ذلك يوسف قال له جَبْرَئِيل: ما حدّثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسألهنّ: هل راودتُنَّ يوسفَ عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾. قال: فقال له جَبْرَئِيل: ولا يوم هممتَ بها؟ فقال: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[٢]. (١ : ٣٤٦/ ٣٤٧).

٥٩٩ ـ حدثنا ابن حميد قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبة الضبيّ في قوله: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ﴾، قال: على حفظ الطعام. ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يقول: إني حفيظ لما استودعتني، عليم بسني المجاعة، فولاه الملك ذلك[٣]. (١ : ٣٤٧).

٦٠٠ ـ وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: لما قال يوسف للملك: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ قال الملك: قد فعلت، فولاه ـ فيما يذكرون ـ عملَ إطفير، وعزَل إطفير عما كان عليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قال: فذُكر لي ـ والله أعلم ـ: أن إطفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك الريّان بن الوليد زوّج يوسفَ امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت عليه قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين! قال: فيزعمون أنها قالت: أيها الصدّيق لا تلمني، فإني كنت امرأةً ـ كما ترى ـ حسناء جميلة ناعمة، في ملك ودنيا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنتَ كما جعلك الله في حسنك وهيئتك، فغلبَتْني نفسي على ما رأيت، فيزعمون: أنه وجدها عذراء، وأصابها فولدت له

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

رجلين: أفراييم بن يوسف ومنشا بن يوسف[١]. (١: ٣٤٧).

٦٠١ ـ فحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو عن أسباط، عن السديّ، قال: أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها، فبعث بنيه إلى مصر، وأمسك أخا يوسف بنيامين، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم له منكرون، فلما نظر إليهم قال: أخبروني: ما أمرُكم؟ فإني أنكر شأنكم! قالوا: نحن قوم من أرض الشأم، قال: فما جاء بكم؟ قالوا: جئنا نمتار طعاماً، قال: كذبتم، أنتم عيون! كم أنتم؟ قالوا: عشرة، قال: أنتم عشرة آلاف، كلُّ رجل منكم [أمير] ألف. فأخبروني خبركم، قالوا: إنا إخوة، بنو رجل صدِّيق، وإنا كنا اثني عشر، وكان أبونا يحب أخاً لنا، وإنه ذهب معنا إلى البرّية فهلك فيها، وكان أحبَّنا إلى أبينا، قال: فإلى مَنْ سكن أبوكم بعده؟ قالوا: إلى أخ لنا أصغر منه. قال: فكيف تخبرونني أن أباكم صدِّيق وهو يحب الصغير منكم دون الكبير! ائتوني بأخيكم هذا حتى أنظرَ إليه: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ۝٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾[٢]. (١: ٣٤٨).

٦٠١/أ ـ قال: فضعوا بعضَكم رهينة حتى ترجعوا، فوضعوا شمعون. (١: ٣٤٩).

٦٠٢ ـ فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم، قالوا: ما حدثنا به ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو عن أسباط، عن السديّ: فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا: يا أبانا، إن ملكَ مصر أكرمنا كرامةً؛ لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته، وإنه ارتهن شمعون وقال: ائتوني بأخيكم هذا الذي عطف عليه أبوكم بعد أخيكم الذي هلك، ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى﴾ ولا تقربوا بلادي أبداً. قال يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾. قال: فقال لهم يعقوب: إذا أتيتم ملِك مصر فأقرئوه مني السلام وقولوا له: إن أبانا يصلِّي عليك، ويدعو لك بما أوليتَنا[٣]. (١: ٣٤٩/ ٣٥٠).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

٦٠٣ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: خرجوا حتى إذا قدموا على أبيهم ، وكان منزلهم ـ فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم ـ بالعربات من أرض فلسطين بغَوْر الشأم. وبعضهم يقول: بالأولاج من ناحية الشِّعب أسفل من حِسْمى فلسطين ، وكان صاحب بادية ، له إبل وشاء. فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب ﴿قَالُواْ﴾ له: ﴿يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ فوق حمل أباعرنا ، ولم يكل لكلٍّ واحد منا إلا كيل بعير ، ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا﴾ بنيامين يكتَلْ لنفسه ، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وإنا له لحافظون ، فقال لهم يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ .

ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعَهم الذي قدموا به من مصر ، وجدوا ثمن طعامهم الذي اشتروه به رُدَّ إليهم ، فقالوا لوالدهم: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ آخرَ على أحمال إبلنا[1]. (١ : ٣٥٠).

٦٠٤ ـ وقد حدثني الحارث ، قال: حدثنا القاسم ، قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج ، ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ ، قال: كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا: أرسل معنا أخانا نزدد حمل بعير ، قال ابن جريج: قال مجاهد: ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾: حمل حمار ، قال: وهي لغة؛ قال الحارث: قال القاسم: يعني مجاهد أن الحمار يقال له في بعض اللغات: «بعير»[2]. (١ : ٣٥٠/ ٣٥١).

٦٠٥ ـ ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضمّ إليه أخاه لأبيه وأمه ، فحدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو عن أسباط ، عن السديّ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ، قال: عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل جاءهم بمثُل فَقال: لِيَنَمْ كلّ أخوين منكم على مِثال ، فلما بقي الغلام وحده قال يوسف: هذا ينام معي على فراشي ، فبات معه ، فجعل يوسفَ يَشُمُّ ريحه ، ويضمّه إليه حتى أصبح؛ وجعل روبيل يقول: ما رأينا

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

مثل هذا إن نجونا منه[١]. (١ : ٣٥١/ ٣٥٢).

٦٠٦ ـ وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما دخلوا ـ يعني ولد يعقوب ـ على يوسف قالوا: هذا أخونا الذي أمرتَنا أن نأتيَك به، قد جئناك به، فذكر لي: أنه قال لهم: قد أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، أو كما قال.

ثم قال: إني أراكم رجالاً، وقد أردت أن أكرمكم، فدعا صاحب ضيافته فقال: أنزل كلَّ رجلين على حدة، ثم أكرمْهما وأحسنْ ضيافتَهما. ثم قال: إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثان، فسأضمه إليّ فيكون منزله معي، فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى، وأنزل أخاه معه فآواه إليه، فلما خلا به قال: إني أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشيء فعلوه بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتك؛ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾، يقول له: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾، فلا تحزن.

فلما حمّل يوسف إبل إخوته ما حمَّلها من الميرة وقضى حاجتهم ووفّاهم كيلهم، جعل الإناءَ الذي كان يكيل به الطعام ـ وهو الصُّواع ـ في رحل أخيه بنيامين[٢]. (١ : ٣٥٢).

٦٠٧ ـ حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حمّل لهم بعيراً بعيراً، وحمل لأخيه بنيامين بعيراً باسمه كما حمل لهم، ثم أمر بسقاية الملك ـ وهو الصُّوَاع ـ وزعموا أنها كانت من فضة، فجُعلت في رحل أخيه بنيامين، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية، أمر بهم فأدرِكوا واحتُبِسوا، ثم نادى منادٍ: أيتها العير إنكم لسارقون، [قفوا]. وانتهى إليهم رسوله فقال لهم ـ فيما يذكرون ـ: ألم نكرم ضيافتَكم، ونوفِّكم كيلَكم، ونحسن منزلَكم، ونفعل بكم مالم نفعل بغيركم، وأدخلناكم علينا في بيوتنا، وصار لنا عليكم حرمة! أو كما قال لهم. قالوا: بلى، وما ذاك؟ قال: سقاية الملك

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

فقدناها ، ولا يتهم عليها غيركم. قالوا: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ . وكان مجاهد يقول. كانت العير حميراً[١] . (١ : ٣٥٢).

٦٠٨ ـ حدثني بذلك الحارث ، قال: حدثنا عبد العزيز ، قال: حدثنا سفيان ، قال: أخبرَني رجل عن مجاهد: وكان فيما نادى به منادي يوسف: مَنْ جاء بصُواع الملك فله حمْلُ بعير من الطعام ، وأنا بإيفائه ذلك زعيم ـ يعني «كفيل» ـ وإنما قال القوم: ﴿ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذي كان كيل لهم المرة الأولى في رحالهم ، فردوه إلى يوسف ، فقالوا: لو كنا سارقين لم نردد ذلك إليكم ـ وقيل: إنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم ، فلذلك قالوا ذلك ـ فقيل لهم: فما جزاء من كان سرق ذلك؟ فقالوا: جزاؤه في حكمنا بأن يسلَّم لفعله ذلك إلى مَنْ سرقه حتى يسترقّه[٢] . (١ : ٣٥٣).

٦٠٩ ـ حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد بن زُريع ، قال: حدثنا سعيد عن قتادة ، قال: ذكر لنا: أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأثماً مما قَرفَهم به ، حتى بقيَ أخوه ـ وكان أصغر القوم ـ قال: ما أرى هذا أخذ شيئاً. قالوا: بلى فاستبرئه ، ألاَ وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم. ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ ، يعني في حكم الملك ، ملك مصر ، وقضائه لأنه لمن يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْترَقّ السارق بما سرق ، ولكنّه أخذه بكيد الله له حتى أسلمه رفقاؤه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم[٣] . (١ : ٣٥٤).

٦١٠ ـ وقد قيل: إن يوسف كان سرق صنماً لجده أبِي أمّه ، فكسره ، فعيّروه بذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن عمرو البصريّ ، قال: حدثنا الفيض بن الفضل ، قال:

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

حدثنا مسْعَر عن أبي حُصَين ، عن سعيد بن جبير : ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ ، قال : سرق يوسف صنماً لجده أبي أمه فكسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيبونه بذلك[١] . (١ : ٣٥٤) .

٦١١ ـ وقد حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت أبي قال : كان بنو يعقوب على طعام ، إذ نظر يوسف إلى عَرْق فخبأه فعيّروه بذلك ﴿ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ ، فأسرّها في نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم ، فقال : ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يُبْدِ ذلك لهم قولاً[٢] . (١ : ٣٥٥) .

٦١٢ ـ فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو عن أسباط ، عن السديّ ، قال : لما استخرِجت السرِقة من رحْل الغلام انقطعت ظهورُهم ، وقالوا : يا بَني راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء! متى أخذتَ هذا الصواع؟ فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرّية ، وَضَع هذا الصُّواع في رَحْلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ، فقالوا : لا تذكر الدراهم فتؤخذ بها . فلما دخلوا على يوسف دعا بالصُّواع ، فنقر فيه ثم أدناه من أذنه ، ثم قال : إن صُواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه . فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال : أيها الملك ، سل صُواعك هذا عن أخي أين هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حيّ ، وسوف تراه . قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي فسوف يستنقِذني . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك ، إني أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحقِّ من الذي سرقه فجعله في رحلي . فنقره ، فقال : إن صواعي هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألني : مَنْ صاحبي؟ فقد رأيتَ مع من كنت! قالوا : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يُطاقوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتتركنا أو لأصيحنَّ صيحة لا تبقى بمصر حامل إلا ألقتْ مافي بطنها ، وقامت كلُّ شعرة في جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه ، فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فمسّه ـ وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فمسَّه الآخر ذهب غضبه ـ فقال

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف .

روبيل: مَنْ هذا؟ إن في هذا البلد لَبَزْرا من بزْر يعقوب ، فقال يوسف: من يعقوب؟ فغضب روبيل وقال: أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه إسرائيل الله بن ذبيح الله بن خليل الله ، قال يوسف: أنت إذاً كنت صادقاً.

قال: ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ، ورأوا: أنه لا سبيلَ لهم إلى تخليصه صاروا إلى مسألته تخليتَه ببدلٍ منه يعطونه إياه ، فقالوا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ في أفعالك ، فقال لهم يوسف: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴾ إن نأخذ بريئاً بسقيم!

فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، ﴿ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ﴾ لا يفترق منهم أحد ، ولا يختلط بهم غيرهم. فقال كبيرهم: ـ وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون ـ: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أن نأتيه بأخينا بنيامين إلاّ أن يحاط بنا أجمعين! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ ﴾ التي أنا بها ﴿ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ ﴾ في الخروج منها وترك أخي بنيامين بها ﴿ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ـ وقد قيل معنى ذلك: أو يحكم الله لي بحرب مَنْ منعني من الإنصراف بأخي ـ ﴿ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ﴾ فأسلمناه بجريرته ﴿ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ﴾ لأن صُواع الملك لم يوجد إلا في رحله ، ﴿ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴾ ، يعنون بذلك أنا إنما ضمنَّا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه سبيل ، ولم نكن نعلم أن يسرق فيُسترقّ بسرقته ، ﴿ وَسْـَٔلِ ﴾ أهل ﴿ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾ فسرق ابنك فيها ، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك ، فإنك تخبر بحقيقة ذلك[1]. (١ : ٣٥٥/ ٣٥٦/ ٣٥٧).

٦١٣ ـ وقد حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا حَكّام عن عيسى بن يزيد ، عن الحسن ، قال: قيل: ما بلغ وَجْد يعقوب على ابنه؟ قال: وجْد سبعين ثَكْلى ،

---

(١) ضعيف الإسناد إلا أن المعنى صحيح وهو تفسير للآية سوىٰ أن روبيل وشمعون مأخوذان من الإسرائيليات.

قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مئة شهيد ، قال: وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار[١]. (١ : ٣٥٧).

٦١٤ ـ وحدثنا ابن حميد مرّة أخرى ، قال: حدثنا حَكّام عن أبي معاذ ، عن يونس ، عن الحسن ، عن النبي مثله[٢]. (١ : ٣٥٧).

٦١٥ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن المبارك بن مجاهد ، عن رجل من الأزد ، عن طلحة بن مُصرَّف اليامِيّ ، قال: أنبئت أن يعقوبَ بن إسحاق دخل عليه جار له فقال: يا يعقوب ، مالي أراك قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السنّ ما بلغ أبوك؟ قال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من همّ يوسف وذكره ، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي! قال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لي. قال: فإني قد غفرت لك ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال: ﴿ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾.

ثم أمر يعقوب بنيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسّس الخبر عن يوسف وأخيه ، فقال لهم: ﴿ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ ﴾ ، يفرج به عنا وعنكم الغمَّ الذي نحن فيه. فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾. وكانت بضاعتهم المزجاة التي جاؤوا بها معهم ـ فيما ذكر ـ دراهم رديّة زُيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة. وكان بعضهم يقول: كانت حلَق الغرارة والحبل ونحو ذلك. وقال بعضهم: كانت سمناً وصوفاً. وقال بعضهم: كانت صنوبراً وحبة الخضراء ، وقال بعضهم: كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل ، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويُوفِيَهم بذلك من كيل الطعام مثل الذي كان يعطيهم في المرتين قبل ذلك ، ولا ينقصهم ، فقالوا له: ﴿ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴾[٣]. (١ : ٣٥٧/٣٥٨).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

٦١٦ ـ حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآمُلِيّ ، قال : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ولم يزل يبكي حتى ذهب بصره ، قال الحسن : والله ما علَى الأرض خليفةٌ أكرم على الله من يعقوب[1]. (١ : ٣٥٨).

٦١٧ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ : ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ ، قال : بفضل ما بين الجياد والرديّة . وقد قيل : إن معنى ذلك : ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ برد أخينا إلينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾[2]. (١ : ٣٥٩).

٦١٨ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر أنهم لما كلّموه بهذا الكلام ، غلبتْه نفسه فارفضّ دمعُه باكياً ، ثم باح لهم بالذي كان يكتم منهم ، فقال : ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ﴾ . ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ، ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ما صنعوا . فلما قال لهم يوسف ذلك قالوا له : ها أنت يوسف! قال : ﴿أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]. (١ : ٣٥٩).

٦١٩ ـ فحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن شريح عن أبي أيوب الهوزنيّ ، حدّثه ، قال : استأذنت الريح بأن تأتيَ يعقوب بريح يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ، ففعلت ، فقال يعقوب : ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾[4]. (١ : ٣٦٠).

٦٢٠ ـ حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع عن إسرائيل ، عن ابن سنان ، عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ قال : هاجت ريحٌ فجاءت بريح يوسف من مسيرة ثمان ليال ،

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .

فقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾[١]. (١ : ٣٦٠).

٦٢١ - حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قال: ذُكِر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً، يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان، وقد أتى لذلك زمان طويل[٢]. (١ : ٣٦٠).

٦٢٢ - حدثنا القاسم، قال: حدثنا الحسين، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾، قال: بلغنا أنه كان بينهم يومئذ ثمانون فرسخاً، وقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ وقد كان فارقه قبل ذلك سبعاً وسبعين سنة. ويعني بقوله: ﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾: لولا أن تسفّهوني فتنسبوني إلى الهرم وذهاب العقل، فقال له مَنْ حضره من ولده حينئذ: تالله إنك من ذكر يوسف وحبّه ﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ - يعنون: في خطئك القديم.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ - يعني: البريد الذي أبرده يوسف إلى يعقوب - يبشر بحياة يوسف وخبره، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب[٣]. (١ : ٣٦٠).

٦٢٣ - حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السُّديّ، قال: قال يوسف: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص ملطخاً بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره بأنه حيّ، فأقرّ عينه كما أحزنته؛ فهو كان البشير.

فلما أن جاء البشيرُ يعقوبَ بقميص يوسف ألقاه على وجهه، فعاد بصيراً بعد العمى، فقال لأولاده: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وذلك أنه كان قد علم - من صدق تأويل رؤيا يوسف التي رآها: أنّ الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون - مالم يكونوا يعلمون. فقالوا ليعقوب: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾. فقال لهم يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

قيل: إنه أخّر الدعاء لهم إلى السَّحَر. وقيل إنه أخّر ذلك إلى ليلة الجمعة[١] (١ : ٣٦١).

٦٢٤ ـ حدثنا أحمد بن الحسن الترمذيّ ، قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقيّ ، قال: حدثنا الوليد بن مسلم ، قال: حدثنا ابن جريج عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال يعقوب: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ ، يقول: حتى تأتيَ ليلة الجمعة»[٢]. (١ : ٣٦١).

٦٢٥ ـ فلما دخل يعقوب وولده وأهاليهم على يوسف آوى إليه أبويه ، وكان دخولهم عليه قبل دخولهم مصر ـ فيما قيل ـ لأن يوسف تلقاهم. حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السديّ ، قال: حملوا إليه أهليهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر كلّم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر قال: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾[٣]. (١ : ٣٦١).

٦٢٦ ـ حدثني الحارث ، قال: حدثنا عبد العزيز ، قال: حدثنا جعفر بن سليمان عن فرقد السبَخيّ ، قال: لما أُلقِيَ القميص على وجهه ارتدَّ بصيراً ، وقال: ائتوني بأهلكم أجمعين ، فحمِل يعقوب وإخوة يوسف ، فلما دنا يعقوب أخبرَ يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه ، قال: وركب معه أهلُ مصر ـ وكانوا يعظِّمونه ـ فلما دنا أحدهما من صاحبه ـ وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من وَلده ، يقال له: يهوذا ـ قال: فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال: يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ، فقال: لا ، هذا ابنك يوسف ، قال: فلما دنا كلُّ واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام ، فمنع ذلك ، وكان يعقوب أحقَّ بذلك منه وأفضل. فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان ، فلما أن دخلوا

---

(١) ضعيف.

(٢) هذا إسناد ضعيف ، وقال الحافظ ابن كثير وهذا غريب من هذا الوجه وفي رفعه نظر والأشبه أن يكون موقوفاً على ابن عباس (قصص الأنبياء/ ٢٠٨) وقال الشيخ عبد الرزاق: منكر.

(٣) ضعيف.

مصر رفع أبويه على السرير وأجلسهما عليه[١]. (١ : ٣٦٢).

٦٢٦/ أ ـ وقد اختلف في اللذين رفعهما يوسف على العرش ، وأجلسهما عليه ، فقال بعضهم: كان أحدهما أبوه يعقوب ، والآخر أمه راحيل ، وقال آخرونَ: بلْ كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك. وخرّ له يعقوب وأمه وولد يعقوب سجَّداً[٢]. (١ : ٣٦٢).

٦٢٧ ـ وقيل: كان بين أن أرِيَ يوسف رؤياه هذه ومجيء تأويله أربعون سنة.

ذكر بعض من قال ذلك[٣]: (١ : ٣٦٢).

٦٢٨ ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال: حدثنا معتَمر عن أبيه ، قال: حدثنا أبو عثمان عن سلمان الفارسيّ ، قال: كان بين رؤيا يوسف إلى أن رأى تأويلها أربعون سنة[٤]. (١ : ٣٦٣).

وقال بعضهم: كان بين ذلك ثمانون سنة.

ذكر بعض من قال ذلك:

٦٢٩ ـ حدثنا عمرو بن علي ، قال: حدثنا عبد الوهاب الثقفيّ ، قال: حدثنا هشام عن الحسن ، قال: كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة ، لم يفارق الحزنُ قلبَه ودموعُه تجري على خدَّيه ، وما على الأرض يومئذ أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ من يعقوب[٥]. (١ : ٣٦٣).

٦٣٠ ـ حدثنا الحسن بن محمد ، قال: حدثنا داود بن مِهْران ، قال: حدثنا عبد الواحد بن زياد عن يونس ، عن الحسن ، قال: أُلْقِيَ يوسف في الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومئة سنة[٦]. (١ : ٣٦٣).

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.
(٦) ضعيف.

٦٣١ : حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك بن فَضَالة عن الحسن ، قال : أُلْقِيَ يوسف في الجبّ ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله شمله ، ورأى تأويل رؤياه ثلاثاً وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومئة سنة[١]. (١ : ٣٦٣).

٦٣٢ ـ وقال بعض أهل الكتاب : دخل يوسف مصر وله سبع عشرة سنة ، فأقام في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون ملك مصر ، واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وأنّ هذا الملك آمن ، ثم مات ، ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح. وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإيمان بالله فلم يستجب إليه ، وإن يوسف أوصَى إلى أخيه يهوذا ، ومات وقد أتت له مئة وعشرون سنة ، وأنّ فِراق يعقوب إياه كان اثنتين وعشرين سنة ، وأن مقام يعقوب معه بمصر كان بعد موافاته بأهله سبع عشر سنة ، وأن يعقوب لما حضرتْه الوفاة أوصى إلى يوسف ـ وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله. وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمَل جسده حتى يدفنه بجنب أبيه إسحاق، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتى دفنه بالشام، ثم انصرف إلى مصر، وأوصى يوسف أن يُحمل جسده حتى يدفَن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه[٢]. (١ : ٣٦٣/ ٣٦٤).

٦٣٣ ـ وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذُكر لي ـ والله أعلم ـ : أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانيَ عشرة سنة.

قال : وأهلُ الكتاب يزعمون : أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأنّ يعقوب بقيَ مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه. قال :

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

وقبر يوسف ـ كما ذكر لي في ـ صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء[1]. (١ : ٣٦٤).

٦٣٤ ـ وقال بعضهم: عاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابن مئة وعشرين سنة. قال: وفي التوراة: أنه عاش مئة سنة وعشر سنين.

وولد ليوسف أفراييم بن يوسف ومنشا بن يوسف، فولد لإفراييم نون، فولد لنون بن إفراييم يوشع بن نون وهو فتى موسى، وولد لمنشا موسى بن منشا.

وقيل: إن موسى بن منشا نبّيء قبل موسى بن عمران.

ويزعم أهل التوراة: أنه الذي طلب الخضر[2]. (١ : ٣٦٤).

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

٦٣٥ ـ قال أبو جعفر: كان الخضِر ممن كان في أيام أفريدون الملك بن أثفيان في قول عامّة أهل الكتاب الأوّل، وقبل موسى بن عمران. وقيل: إنه كان على مقدمة ذي القَرْنين الأكبر، الذي كان أيام إبراهيم خليل الرحمن، وهو الذي قضى له ببئر السبع ـ وهي بئر كان إبراهيم احتفرها لماشيته في صحراء الأردنّ ـ وإنّ قوماً من أهل الأردنّ ادّعوا الأرض التي كان احتفر بها إبراهيم بئره، فحاكمهم إبراهيم إلى ذي القرنين الذي ذكر أن الخَضِر كان على مقدمته أيامَ سَيْره في البلاد، وإنه بلغ مع ذي القرنين نهرَ الحياة، فشرب من مائه وهو لا يعلم، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه، فخلِّد، فهو حيّ عندهم إلى الآن.

وزعم بعضهم: أنه من ولد مَن كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن، واتبعه على دينه، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها. وقال: اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، قال: وكان أبوه ملكاً عظيماً.

وقال آخرون: ذو القرنين الذي كان على عهد إبراهيم هو أفريدون بن

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

أثفيان ، قال: وعلى مقدمته كان الخضر[١] . (١ : ٣٦٥) .

٦٣٦ ـ وقال عبد الله بن شَوْذب فيه ، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ قال: حدثنا محمد بن المتوكل ، قال: حدثنا ضَمْرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شَوْذب ، قال: الخضر من ولد فارس ، وإلياس من بني إسرائيل ، يلتقيان في كلّ عام بالموسم[٢] . (١ : ٣٦٥) .

٦٣٧ ـ وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني ابن إسحاق ، قال: بلغني أنه استخلف الله عزّ وجلّ في بني إسرائيل رجلاً منهم ، يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله عزّ وجلَّ لهم الخضر نبيّاً. قال: واسم الخضر ـ فيما كان وهب بن منبّه يزعم عن بني إسرائيل ـ أورميا بن خلقيا ، وكان من سِبْط هارون بن عمران. وبين هذا الملك الذي ذكره ابن إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام[٣] . (١ : ٣٦٦) .

٦٣٧/ أ ـ وقول الذي قال: إن الخضر كان في أيام أفريدون وذي القرنين الأكبر وقبل موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله مَنْ قال: إنه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب إبراهيم ، فشرب ماء الحياة ، فلم يبعث في أيام إبراهيم نبيّاً ، وبعث أيام ناشية بن أموص؛ وذلك أنّ ناشية بن أموص الذي ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكاً على بني إسرائيل ، كان في عهد بشتاسب بن لهراسب ، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور والأزمان ما لا يجهله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم ، وسأذكر مبلغَ ذلك إذا انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى.

وإنما قلنا: قول من قال: كان الخضر قبل موسى بن عمران أشبهُ بالحق من القول الذي قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبّه ، للخبر الذي رَوَى عن رسول الله أبيّ بن كعب: أنّ صاحب موسى بن عمران ـ وهو العالم الذي أمره الله تبارك وتعالى بطلبه ؛ إذ ظن أنه لا أحدَ في الأرض أعلم منه ـ هو الخضر ،

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

ورسول الله كان أعلمَ خلق الله بالكائن من الأمور الماضية ، والكائن منها ، والذي لم يكن بعد[1] . (١ : ٣٦٦) .

٦٣٨ ـ حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَـٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ . . . ﴾ الآية ، قال : لما ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر ، فلما استقرّت بهم الدار ، أنزل الله عزّ وجلّ عليه : أن ذكِّرهم بأيام الله . فخطب قومه ، فذكَر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكَّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكّرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم [الله] في الأرض ، فقال : وكلم الله موسى نبيكم تكليماً ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل عليّ محبة منه ، وآتاكم الله من كلّ ما سألتموه ، فنبيكم أفضلُ أهل الأرض وأنتم تقرؤون التوراة . فلم يترك نعمةً أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرَّفها إياهم ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هو كذلك يا نبيّ الله ، وقد عرفْنا الذي تقول ، فهل على الأرض أحدٌ أعلم منك يا نبيّ الله؟ قال : لا ، فبعث الله عزّ وجلّ جبرئيل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول : وما يدريك أين أضع علمي؟ بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم منك ـ قال ابن عباس : هو الخضر ـ فسأل موسى ربه أن يريَه إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً فخذه فادفعه إلى فتاك ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك منك ؛ فثَمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب .

فلما طال سفر موسى نبي الله ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه : ﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ لك . قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرباً . فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدّم عصاه يفرج بها عنه الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من الماء إلا يبس حتى يكون صخرة ، فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر

(١) ضعيف .

البحر ، فلقي الخضر بها ، فسلَّم عليه ، فقال الخضر: وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض! ومن أنت؟ قال: أنا موسى ، فقال له: الخضر صاحبُ بني إسرائيل؟ قال: نعم ، فرحَّب به وقال: ما جاء بك؟ قال: جئت على أن تعلِّمني مما علمت رشداً ، قال: ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ، يقول: لا تطيق ذلك ، قال موسى: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ . قال: فانطلق به ، وقال له: لا تسألني عن شيء أصنعُه حتى أبين لك شأنه ، فذلك قوله: ﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ . فركبا في السَّفينة يريدان أن يتعديا إلى البرّ ، فقام الخضر ، فخرق السفينة فقال له موسى: ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ . . . ثم ذكر بقية القصّة[1] . (١ : ٣٦٩/ ٣٧٠/ ٣٧١) .

٦٣٩ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا يعقوب القمي ، عن هارون بن عنترة عن أبيه ، عن ابن عباس قال: سأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ فقال: أي ربّ ! أيُّ عبادك أحبُّ إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني ، قال: فأيّ عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى ، قال: أيّ رب ! أيُّ عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علْم الناس إلى علمه ، عسى أن يُصيب كلمة تهديه إلى هدى ، أو تردَّه عن ردىً ، قال: ربّ فهل في الأرض أحد ـ قال أبو جعفر: أظنه قال: ـ أعلم مني؟ قال: نعم ، قال: ربّ ، فمن هو؟ قال: الخضر ، قال: وأين أطلبه؟ قال: على الساحل ، عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت ، قال: فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكره الله عزّ وجلّ وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلَّم كلُّ واحد منهما على صاحبه ، فقال له موسى: إني أريد أن تستصحبني ، قال: لن تطيق صحبتي ، قال: بلى ، قال: فإن صحبتني: ﴿ فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ ، إلى قوله: ﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .

قال: فكان قول موسى في الجدار لنفسه، ولطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله

(١) ضعيف.

في السفينة وفي الغلام لله عزّ وجلّ. ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ، فأخبره بما قال الله: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ . . . ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ . . . ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ . . ﴾ الآية. قال: فسار به في البحر حتى انتهى به إلى مجمع البحرين ، وليس في الأرض مكان أكثر ماءً منه ، قال: وبعث ربك الخُطّاف ، فجعل يستقي منه بمنقاره ، فقال لموسى: كم ترى هذا الخُطّاف رزأ من هذا الماء؟ قال: ما أقلَّ ما رزأ! قال: يا موسى فإنّ علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقى هذا الخُطّاف من هذا الماء. وكان موسى عليه السلام قد حدّث نفسه أنه ليس أحدٌ أعلمَ منه ، أو تكلم به؛ فمن ثَمّ أمِر أن يأتي الخضر[1]. (١ : ٣٧١/ ٣٧٢).

٦٤٠ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، قال: جلست عند ابن عباس وعنده نفرٌ من أهل الكتاب ، فقال بعضهم: يا أبا العباس ! إن نَوْفا ابن امرأة كعب ، ذكر عن كعب: أن موسى النبي عليه السلام الذي طلب العالم إنما هو موسى بن منشا. قال سعيد: فقال ابن عباس: أنوْفٌ يقول هذا؟ قال سعيد: فقلت له: نعم ، أنا سمعت نوْفاً يقول ذلك ، قال: أنت سمعته يا سعيد؟ قال: قلت: نعم ، قال: كذب نوْف. ثم قال ابن عباس: حدثني أبيّ بن كعب عن رسول الله : أن موسى نبيّ إسرائيل سأل ربه تبارك وتعالى فقال: أيْ رب ، إن كان في عبادك أحدٌ هو أعلم مني فادللني عليه ، فقال له: نعم في عبادي مَنْ هو أعلم منك ، ثم نعَت له مكانه ، وأذن له في لقائه ، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه ، ومعه حوت مليح قد قيل له: إذا حَيِيَ هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك ، وقد أدركتَ حاجتك.

فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتى جهده السير ، وانتهى إلى الصخرة وإلى ذلك الماء ، وذلك الماء ماء الحياة ، مَنْ شرب منه خُلِّد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا أدركته الحياة وحيي ، فلما نزلا منزلاً ومسّ الحوتُ الماءَ حيي ، فاتخذ سبيله في البحر سرباً ، فانطلق فلما جاوزا بمنقلة قال

(١) شيخ الطبري هنا ضعيف واتهمه بعضهم بالكذب وأما أصل القصة فصحيح كما ذكرنا في قسم الصحيح.

موسى لفتاه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾. قال الفتى وذكر: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾. قال ابن عباس: وظهر موسى على الصخرة حتى انتهيا إليه، فإذا رجل متلفف في كساء له، فسلم عليه موسى، فرد عليه السلام، ثم قال له: ومَنْ أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران، قال: صاحب بني إسرائيل؟ قال: نعم أنا ذلك، قال: وما جاء بك إلى هذه الأرض؛ إنَّ لك في قومك لَشُغْل! قال له موسى: جئتك لتعلّمني مما عُلّمتَ رشداً، قال: إنك لن تستطيع معي صبراً، وكان رجلاً يعمل على الغيب قد علم ذلك، فقال موسى: بلى، قال: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾، أي إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تُحِطْ من علم الغيب بما أعلم. ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وإن رأيتُ ما يخالفني. قال: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي فلا تسألني عن شيء وإن أنكرتَه حتى أحدث لك منه ذكراً، أي: خبراً. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرّضان الناس، يلتمسان مَنْ يحملهما حتى مرّت بهما سفينة جديدة وثيقة، لم يمرّ بهما شيء من السفن أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها، فسألا أهلَها أن يحملوهما، فحملوهما، فلما اطمأنّا فيها، ولجّجت بهما مع أهلها، أخرج منقاراً له ومطْرقة، ثم عمد إلى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقها، ثم أخذ لوحاً فطبّقه عليها، ثم جلس عليها يرقعها، قال له موسى: فأيّ أمر أفظعُ من هذا! ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾! حملونا وآوونا إلى سفينتهم، وليس في البحر سفينة مثلها، فلم خرقتها! قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾، أي بما تركت من عهدك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾. ثم خرجا من السفينة، فانطلقا حتى أتيا أهلَ قرية، فإذا غلمان يلعبون، فيهم غلامٌ ليس في الغلمان غلام أظرفُ ولا أترفُ ولا أوضأ منه، فأخذ بيده، وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمغه فقتله. قال: فرأى موسى أمراً فظيعاً لا صبرَ عليه، صبيّ صغير قتله بغير جناية ولا ذنب له! فقال: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾، أي صغيرة ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾، أي: قد أعذرت في شأني. ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾: فهدمه ثم

قعد يبنيه ، فضجر موسى مما رآه يصنع من التكلف لما ليس عليه صبر ، فقال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: قد استطعمناهم فلم يُطعمونا ، واستضفناهم فلم يُضيفونا ، ثم قعدتَ تعمل في غير صنيعة ، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً [في عمله] ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ - وفي قراءة أبيّ بن كعب: (كل سفينةٍ صالحةٍ) ﴿غَصْبًا﴾ ، وإنما عِبتها لأردّه عنها ، فسلمتْ منه حين رأى العيبَ الذي صنعتُ بها. ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ - إلى -﴿مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ . فكان ابن عباس يقول: ما كان الكنز إلا علماً[1]. (١ : ٣٧٣/ ٣٧٤/ ٣٧٥).

٦٤١ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال: قيل لابن عباس: لم نسمع لفتى موسى بذكر من حديث وقد كان معه! فقال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى ، قال: شرب الفتى من ماء الخلد فخلّد ، فأخذه العالم فطابق به سفينة ، ثم أرسله في البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن له أن يشرب منه فشرب[2]. (١ : ٣٧٥).

٦٤٢ - حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد ، عن شعبة ، عن قتادة قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ ، ذُكر لنا: أن نبيَّ الله موسى لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون ، جمع بني إسرائيل فخطبهم فقال: أنتم خيرُ أهل الأرض وأعلمُهم قد أهلك الله عدوكم ، وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة ، قال: فقيل له: إن هاهنا رجلاً هو أعلم منك قال: فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه ، فتزودا مملوحة في مكتل لهما ، وقيل لهما: إذا نسيتما ما معكما لقيتما

---

(١) شيخ الطبري ضعيف متهم بالكذب عند بعضهم ، وعند دراستنا لروايات ابن حميد الرازي هذا في التأريخ وجدناه يروي روايات طويلة كما عند الثقات إلا أنه يأتي بزيادة منكرة ولو يسيرة.

(٢) ضعيف ، وإسناده ضعيف جداً وفي متنه نكارة.

رجلاً عالماً يقال له الخضر ، فلما أتيا ذلك المكان ، رد الله إلى الحوت روحَه فسرَّب له من الجُدّ حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً ، قال: ومضى موسى وفتاه ، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَـٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا﴾ ـ إلى قوله ـ: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، فلقيا رجلاً عالماً يقال له: الخِضر ، فذُكر لنا أن نبيّ الله قال: إنما سمي الخِضر خضراً لأنه قعد على فروة بيضاء فاهتزّت به خضراء[1] . (١ : ٣٧٥/ ٣٧٦) .

٦٤٢/ أ ـ فهذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله وعن السلف من أهل العلم تنبىء عن أن الخِضرَ كان قبل موسى وفي أيامه ، ويدلّ على خطأ قول من قال: إنه أورميا بن خلقيا ، لأن أورميا كان في أيام بختنصَّر ، وبين عهدي موسى وبختنصّر من المدة ما لا يشكل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم؛ وإنما قدمنا ذكره وذكر خبره لأنه كان في عهد أفريدون فيما قيل؛ وإن كان قد أدرك على هذه الأخبار التي ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منوشهر وملكه ، وذلك: أن موسى [إنما] نُبِّىء في عهد منوشهر ، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون ، فكلّ ما ذكرنا من أخبار مَنْ ذكرنا أخباره من عهد إبراهيم إلى الخبر عن الخضر عليهما السلام ، فإن ذلك كله ـ فيما ذكر ـ كان في ملك بِيُوَراسب وأفريدون ، وقد ذكرنا فيما مضى قبل أخبارَ أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما[2] . (١ : ٣٧٦) .

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

٦٤٣ ـ قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم وموالدهم. فحدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق ، قال: ثم إن لاوى بن يعقوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر ، فولدت له عَرشون بن لاوى ومرزى بن لاوى [ومردى بن لاوى] وقاهث بن لاوى. فنكح قاهث بن لاوى فاهى ابنة مسين بن بتويل بن إلياس. فولدت له يصهر بن قاهث ، فتزوج يصهر

---

(١) إسناده مرسل.
(٢) ضعيف.

شميث ابنة بتاديت بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم. فولدت له عمران بن يصهر، وقارون بن يصهر، فنكح عمران يحيب ابنة شمويل بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم. فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران[١]. (١ : ٣٨٥).

٦٤٤ ـ وقال غير ابن إسحاق: كان عمرُ يعقوب بن إسحاق مئة وسبعاً وأربعين سنة، وولد لاوى له، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة، وولد للاوى قاهث بعد أن مضى من عمر لاوى ست وأربعون سنة، ثم ولد لقاهث يصهر، ثم ولد ليصهر عمرم ـ وهو عمران ـ وكان عمر يصهر مئة وسبعاً وأربعين سنة، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة. ثم ولد لعمران موسى، وكانت أمه يوخابد ـ وقيل: كان اسمها باختة ـ وامرأته صفورا ابنة يترون، وهو شعيب النّبي. وولد موسى جرشون وإيليعازر، وخرج إلى مدين خائفاً وله إحدى وأربعون سنة، وكان يدعو إلى دين إبراهيم، وتراءى الله بطور سيناء، وله ثمانون سنة.

وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني، وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد، فرعون يوسف الأول. فلما نودي موسى أُعلم أن قابوس بن مصعب قد مات، وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه، وكان أعتى من قابوس وأكفر وأفجر، وأمِر بأن يأتيَه هو وأخوه هارون بالرسالة.

قال: ويقال: إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران مئة سنة وسبعاً وثلاثين سنة، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون سنة، ثم صار موسى إلى فرعون رسولاً مع هارون، وكان من مولد موسى إلى أن خرج ببني إسرائيل عن مصر ثمانون سنة، ثم صار إلى التيه بعد أن عبَر البحر، فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مئة وعشرين سنة[٢]. (١ : ٣٨٥/ ٣٨٦).

٦٤٥ ـ وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

ابن إسحاق ، قال: قبض الله يوسف ، وهلَك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملْك مصر ، فنشر الله بها بني إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض ـ كما ذكر لي ـ في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام ، متمسِّكين به؛ حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً في ملكه منه. وكان اسمه ـ فيما ذكروا لي ـ الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشدّ غلظة ، ولا أقسى قلباً ، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه ، يعذّبهم فيجعلهم خدَماً وخوَلاً ، وصنَّفهم في أعماله ، فصنف يبنون ، وصنف يحرثون ، وصنف يزرعون له ، فهم في أعماله ، ومَنْ لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله: ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه ، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم ، من خيار النساء المعدودات ، فعمِّر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشُدّ أعطي الرسالة.

قال: وذكر لي: أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحُزاته إليه ، فقالوا: تعلَّم أنا نجد في علمنا: أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلَّك زمانه الذي يُولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدِّل دينك. فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كلِّ مولود يولد من بني إسرائيل من الغِلمان ، وأمر بالنساء يُسْتَحيَين، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن: لا يسقطنَّ على أيديكنّ غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكنّ يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان، ويأمر بالحبالى فيعذَّبن حتى يطرحن ما في بطونهنّ[1]. (١: ٣٨٦/ ٣٩٧).

٦٤٦ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال: لقد ذُكر لي: أنه كان يأمر بالقصب

---

(١) ضعيف.

فيُشَقّ حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصفّ بعضه إلى بعض ، ثم يأتي بالحبالى من بني إسرائيل فيوقفهنّ عليه فيحزّ أقدامهنّ ، حتى إن المرأة منهن لتمصع بولدها فيقع بين رجليها ، فتظلُّ تطؤه تَتَّقِي به حزّ القصب عن رجليها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف في ذلك ، وكاد يُفنيهم ، فقيل له: أفنيتَ الناس ، وقطعتَ النَّسْل ، وإنهم خَولك وعُمَّالك ، فأمر أن يقتَل الغلمان عاماً ويستحيوْا عاماً ، فولد هارون في السنة التي يُسْتَحيا فيها الغلمان ، وولد موسى في السنة التي فيها يُقتلون ، فكان هارون أكبرَ منه بسنة[1] . (١ : ٣٨٧/٣٨٨).

٦٤٧ ـ وأما السديّ فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارون ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله [أنه] كان من شأن فرعون: أنه رأى رؤيا في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القِبْط وتركت بني إسرائيل ، وأخربت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عن رؤياه فقالوا له: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه ـ يعنون بيت المقدس ـ رجل يكون على وجهه هلاكُ مصر. فأمر ببني إسرائيل ألاّ يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا يولد لهم جارية إلا تركت. وقال للقبط: انظروا مملوكيكم الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة. فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول الله: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: تجبَّر في الأرض ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ ـ يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة ـ ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ ، فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموتَ ، فأسرع فيهم ، فدخل رؤوس القبط على فرْعون فكلَّموه ، فقالوا: إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت ، فيوشِك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار ، ويَفنى الكبار ، فلو أنك تبقي من أولادهم! فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة؛ فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون فترك ، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى فلما أرادت

(١) ضعيف.

وضعه حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ وهو النيل ، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. فلما وضعته أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه وألقته في اليم ، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ تعني قُصّي أثره ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ، أنها أخته ، فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ، ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جواري آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلنه إلى آسية ، وظنن أنّ فيه مالاً ، فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمتُها وأحبته. فلما أخبرَت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تزل آسية تكلِّمه حتى تركه لها ، قال: إني أخاف أن يكون هذا من بني إسرائيل ، وأن يكون هذا الذي على يديه هلاكنا ، فذلك قول الله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾. فأرادوا له المرضِعات ، فلم يأخذْ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قول الله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ ، فأخذوها ، وقالوا: إنك قد عرفتِ هذا الغلام فدلينا على أهله. فقالت: ما أعرفه ، ولكني إنما قلت: هم للملك ناصحون.

ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت أن تقول: هو ابني! فعصمها الله ، فذلك قول الله: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، وإنما سُمِّي موسى لأنهم وجدوه في ماء وشجر ، والماء بالقبطية «مو» والشجر «شا» ، فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾. فاتخذه فرعون ولداً فدعيَ ابن فرعون. فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيّاً ، فبينما هي ترقّصه وتلعب به إذ ناولته فرعون ، وقالت: خذه قرة عين لي ولك ، قال فرعون: هو قرة عين لك ولا لي. قال عبد الله بن عباس: لو أنه قال: وهو لي قرة عين إذاً لآمن به؛ ولكنه أبى ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون: عليّ بالذباحين ، هذا هو! قالت آسية: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ ، إنما هو صبي لا يعقل؛ وإنما صَنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر امرأة أحلى مني؛ أنا أضع له حليّاً من الياقوت ،

وأضع له جمراً ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه ، وإن أخذ الجمر فإنما هو صبيّ ، فأخرجت له ياقوتها فوضعت له طستاً من جمر ، فجاء جبرئيل فطرح في يده جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه ، فهو الذي يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ . فزالت عن موسى من أجل ذلك. وكبر موسى فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس [مثل] ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون. ثم إن فرْعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له: إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدركه المقيل بأرض يقال لها مَنْف ، فدخلها نصف النهار ، وقد تغلّقت أسواقُها ، وليس في طرقها أحد ، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ ﴾ يقول: هذا من بني إسرائيل ، ﴿ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ ﴾ يقول: من القبط ﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ۝١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٧ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ ﴾ خائفاً أن يؤخذ ، ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ ﴾ يقول: يستغيثه ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴾ . ثم أقبل [موسى] لينصره. فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي ، قال الإسرائيلي ـ وفرِق من موسى أن يبطش به من أجل أنه أغلظ الكلام: يا موسى ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ . فتركه وذهب القبطيّ ، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون وقال: خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه: اطلبوه في بُنيّات الطريق ، فإن موسى غلام لا يهتدي إلى الطريق ، وأخذ موسى في بُنيّات الطريق وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢٠ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . فلما أخذ موسى في بُنيّات الطريق جاءه ملك على فرس بيده عنَزةٌ ، فلما رآه موسى سجد له من الفرق ، فقال: لا تسجد لي ، ولكن اتبعني ، فاتبعه فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين: ﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ ، فانطلق به الملك حتى انتهى به إلى

مدين[1]. (١ : ٣٨٨/ ٣٨٩/ ٣٩٠/ ٣٩١).

٦٤٨ ـ حدثني العباس بن الوليد ، قال: حدثنا يزيد بن هارون ، قال: حدثنا أصبغ بن زيد الجُهنيّ ، قال: حدثنا القاسم ، قال: حدثني سعيد بن جبير ، قال: [سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ ، فسألته عن الفتون ما هي؟ فقال لي: استأنف النهار يا بن جبير ، فإن لها حديثاً طويلاً ، قال: فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ما وعدني]. قال: فقال ابن عباس: تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيمَ من أن يجعلَ في ذريته أنبياء وملوكاً ، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكّون ، ولقد كانوا يظنون: أنه يوسف بن يعقوب ، فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد إبراهيم ، قال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فائتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرَهم على أن يبعث رجالاً معهم الشِّفار ، يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم ، وأن الصغار يُذبحون قالوا: توشكون أن تفنُوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ، فاقتلوا عاماً كلّ مولود ذكر ، فيقلّ أبناؤهم؛ ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ، فيشبّ الصغار مكان مَنْ يموت من الكبار؛ فإنهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم ، ولن يقلّوا بمن تقتلون ، فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهمّ والحزن ـ وذلك من الفتون يا بن جبير ـ مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. وأمرَها إذا ولدته أن تجعلَه في تابوت ، ثم تلقيه في اليمّ ، فلما ولدتْه فعلت ما أمرت به ، حتى إذا توارَى عنها ابنها أتاها إبليس ، فقالت في نفسها: ما صنعت بابني؟ لو ذبح عندي فواريته وكفّنته كان أحبَّ إليّ من أن ألقيَه بيدي إلى حيتان البحر ودوابّه ! فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مُسْتقَى جواري آل فرعون ، فرأيْنه فأخذنه ، فهممن أن يفتحنَ التابوت ، فقال بعضهنّ لبعض: إن في هذا مالاً؛ وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

كهيئته لم يحرّكن منه شيئاً حتى دفعنه إليها ، فلما فتحته رأت فيه الغلام ، فألقي عليه منها محبّة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ، ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ من ذكر كلّ شيء ، إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه ـ وذلك من الفُتُون يابن جبير ـ فقالت : للذباحين : انصرفوا ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، فآتي فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبحه لم ألمكم ، فلما أتت به فرعون قالت : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ، قال فرعون : يكون لكِ ، فأما أنا فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله : «والذي يُحْلَف به ، لو أقرّ فرعون أن يكونَ له قرةَ عين كما أقرت به لهداه الله به، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك» .

فأرسلت إلى مَنْ حولها من كلّ أنثى لها لبن لتختار له ظئراً ، فجعل كلّما أخذته امرأة منهن لترضِعه لم يقبل ثديها ، حتى أشفقت امرأةُ فرعون أن يمتنع من اللبن فيموتُ ، فأحزنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق ، مجمع الناس ترجو أن تُصيب له ظئراً يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أمُّ موسى فقالت لأخته : قصّيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً! أحيّ ابني أم قد أكلتْه دوابّ البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها ، فبصُرت به أخته عن جنُب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظئورات : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ . فأخذوها فقالوا : وما يدريكِ ما نصحهم له! هل تعرفينه؟ حتى شكّوا في ذلك ـ وذلك من الفتون يا بن جبير ـ فقالت : نصحُهم له ، وشفقتُهم عليه ، ورغبتُهم في ظئورة الملك ، ورجاءُ منفعته ، فتركوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أنْ قد وجدنا لابنك ظئراً ، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي عندي تُرضعين ابني هذا فإني لم أحبّ حبَّه شيئاً قطّ . قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابتْ نفسُك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي ، فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإني غيرُ تاركة بيتي وولدي ، وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله عزّ وجلّ منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها مِنْ يومها ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وحفظه لما

قضى فيه ، فلم تزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسُّخَر التي كانت فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: أريد أن تريني موسى ، فوعدتها يوماً تريها إياه فيه ، فقالت لحواضنها وظئورها وقهارمتها: لا يبقينّ أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة تحصي ما يصنع كلُّ إنسان منكم ، فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها بجّلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت: انطلقن به إلى فرعون فليبجّله وليكرمه ، فلما دخلن به على فرعون وضعنَه في حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدَّها ، فقال: عدو من أعداء الله! ألا ترى ما وَعد الله إبراهيمَ أنه سيصرعك ويعلوك! فأرسل إلى الذبّاحين ليذبحوه ـ وذلك من الفتون يا بن جبير ـ بعد كلِّ بلاء ابتلي به وأريد به ، فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون فقالت: ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبتَه لي؟ قال: ألا ترينه يزعم أنه سيصرَعني ويعلُوني! فقالت: اجعلْ بيني وبينك أمراً يعرف فيه الحق؛ ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقرّبهن إليه ، فإنْ بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرّب ذلك إليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة: ألا ترى! فصرفه الله عنه بعدما كان قد همَّ به ، وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشدّه وكان من الرجال لم يكن أحدٌ من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلّ امتناع ، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان؛ أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون ، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونيّ ، فغضب موسى واشتدّ غضبهُ لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظَه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى؛ إلا أن يكون الله عزّ وجلّ أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعونيّ فقتله ، وليس يراهما إلا الله عزّ وجلّ والإسرائيليّ ، فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، ثم قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . فأصبح في المدينة خائفاً يترقّب الأخبار فأتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قد

قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذْ لنا بحقنا ، ولا ترخِّص لهم في ذلك ، فقال: ابغوني قاتلَه ، ومن يشهد عليه؛ لأنه لا يستقيمُ أن نقضيَ بغير بينّة ولا ثبَت ، فطلبوا له ذلك ، فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيليّ يقاتل فرعونيّاً ، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفِرْعونيّ ، فصادف موسى وقد ندِم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى فمدَّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونيّ ، فقال للإسرائيليّ لما فعل بالأمس واليوم: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ فنظر الإسرائيليّ إلى موسى بعدما قال [ما قال] ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعونيّ ، فخاف أن يكون بعدما قال له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ أن يكون إياه أراد ـ ولم يكن أراده ، وإنما أراد الفرْعوني ـ فخاف الإسرائيلي فحاجز الفرعونيّ ، وقال: يا موسى ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله ، فتتاركا ، فانطلق الفرعونيّ إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليّ من الخبر ، حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِٱلْأَمْسِ﴾! فأرسل فرعون الذبّاحين ، وسلك موسى الطريق الأعظم وطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر؛ وذلك من الفتون يا بن جبير[1] . (١ : ٣٩٢/ ٣٩٤/ ٣٩٥/ ٣٩٦).

٦٤٩ ـ وقد حدثنا أبو عمار المروزيّ ، قال: حدثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال: خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينهما مسيرة ثمان ليال ـ قال: وكان يقال نحو من الكوفة إلى

(١) قلنا: وكذلك أخرجه النسائي في كتاب التفسير في سننه من طريق يزيد بن هارون به كما عند الطبري وأورده الحافظ ابن كثير بتمامه ثم قال في آخره:
هكذا ساق هذا الحديث الإمام النسائي وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما من حديث يزيد بن هارون والأشبه (والله أعلم) أنه موقوف ، وكونه مرفوعاً فيه نظر وغالبه متلقى من الإسرائيليات وفيه شيء يسير مصرّح برفعه في أثناء الكلام وفي بعض مافيه نظر ونكارة والأغلب أنه من كلام كعب الأحبار وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك والله أعلم (البداية والنهاية ١/ ٤٠٦) ط . دار الفكر .

البصرة - ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فخرج حافياً ، فما وصل إليه حتى وقع خف قدمه[١] . (١ : ٣٩٧).

٦٥٠ - حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا عثّام ، قال: حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه[٢] . (١ : ١٩٧).

٦٥١ - رجع الحديث إلى حديث السديّ. ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ يقول: تحبسان غنمهما ، فسألهما: ﴿مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ ، فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر ، كان النَّفرُ من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلواً فأروتا غنمهما ، فرجعتا سريعاً ، وكانتا إنما تسقيان من فضول الحياض ، ثم تولّى موسى إلى ظل شجرة من السَّمُر فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ ، قال: قال ابن عباس: لقد قال موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خُضْرة أمعائه من شدة الجوع ما يسأل الله إلا أكلة[٣] . (١ : ٣٩٧).

٦٥٢ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا حكّام بن سلْم ، عن عنبسة ، عن أبي حَصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عز وجلّ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ ، قال: ورد الماء وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من الهُزال فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ قال: شَبْعة[٤] . (١ : ٣٩٧).

ق٦٥٢ - رجع الحديث إلى حديث السديّ ، فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً ، سألهما فأخبرتاه خبر موسىٰ ، فأرسل إحداهما فأتته ﴿تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [وهي تستحيي منه] ، ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾ فقام معها ، وقال لها: امضي ، فمشتْ بين يديه ، فضربتْها الرياح فنظر إلى عجيزتها ، فقال لها موسى: امشي خلْفي ودليني على الطريق إن أخطأت ، فلما أتى الشيخ ﴿وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥ قَالَتۡ

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) شيخ الطبري ضعيف وقد رواه موقوفاً وفيه من الأوصاف ما هو مبالغ فيه وهو من سمات الإسرائيليات والله أعلم.

إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ وهي الجارية التي دعته. قال الشيخ: هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة، أرأيتِ أمانته ما يدريك ما هي؟ قالت: إني مشيت قدامه فلم يحبّ أن يخونني في نفسي، وأمرني أن أمشيَ خلفه، قال له الشيخ: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى﴾ ـ إلى ـ ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾، إما ثمانية وإما عشراً: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

قال ابن عباس: الجارية التي دعته هي التي تزوج بها. فأمر إحدى ابنتيه أن تأتيَه بعصا فأتته بعصا، وكانت تلك العصا [عصا] استودعها إياه ملَك في صورة رجل، فدفعها إليه. فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها، فلما رآها الشيخ قال لها: لا، إيتيه بغيرها، فألقتها، فأخذت تُريد أن تأخذ غيرَها فلا يقع في يدها إلا هي، وجعل يرددها، فكل ذلك لا يخرج في يدها غيرها، فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه، فرعى بها. ثم إن الشيخ قدم وقال: كانت وديعة، فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال: أعطني العصا، فقال موسى: هي عصاي، فأبى أن يعطيَه، فاختصما بينهما ثم تراضيا أن يجعلا بينهما أولَ رجُل يلقاهما، فأتاهما ملك يمشي فقضى بينهما فقال: ضعاها في الأرض فمن حمَلها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، وأخذها موسى بيده فرفعها، فتركها له الشيخ، فرعى له عشر سنين.

قال عبد الله بن عباس: كان موسى أحقَّ بالوفاء[1]. (١ : ٣٩٨/ ٣٩٩).

٦٥٣ ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا يزيد، قال: أخبرنا الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جبير، قال: سألني رجل من أهل النصرانية: أيّ الأجلين قضى موسى؟ قلت: لا أعلم ـ وأنا يومئذ لا أعلم ـ فلقيت ابن عباس، فذكرت له الذي سألني عنه النصرانيّ، فقال: أما كنت تعلم أن ثمانياً واجبة عليه، لم يكن نبي لينقص منها شيئاً، وتعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدتَه التي وعده، فإنه قضى عَشْر سنين[2]. (١ : ٣٩٩).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف ورجح ابن كثير أن يكون الرجل يهودياً كما عند البخاري والطبري. (تفسير القرآن العظيم/ ٢٦٥٦).

٦٥٤ ـ حدثنا القاسم بن الحسن ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال: أخبرني وهب بن سليمان الذمّاري، عن شعيب الجَبَائي قال: اسم الجاريتين ليا وصفورة ، وامرأة موسى صفورة بنت يترون ، كاهن مدين ، والكاهن حَبْر[١]. (١ : ٤٠٠).

٦٥٥ ـ حدثني أبو السائب ، قال: حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرّة ، عن أبي عُبيدة ، قال: كان الذي استأجر موسى يترون ، ابن أخي شعيب النبيّ[٢]. (١ : ٤٠٠).

٦٥٦ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال: حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي جمْرة ، عن ابن عباس ، قال: الذي استأجر موسى اسمه يثرى صاحب مدين[٣]. (١ : ٤٠٠).

٦٥٧ ـ حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية ، قال: حدثنا أبو قتيبة ، عن حماد بن سلمة ، عن أبي جمْرة ، عن ابن عباس ، قال: اسم أبي امرأة موسى يثرى[٤]. (١ : ٤٠٠).

٦٥٨ ـ رجع الحديث إلى حديث السدي. ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ فضلّ الطريق. قال عبد الله بن عباس: كان في الشتاء ، ورفعت له نار ، فلما ظنّ أنها نار ـ وكانت من نور الله ـ ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ ، فإن لم أجدْ خبراً أتيتُكم منها بشهاب قَبَس ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ـ قال: من البرد ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾. ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾. فلما سمع موسى النداء فزع وقال: الحمد لله رب العالمين[٥]. (١ : ٤٠٠).

٦٥٩ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ خرج

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

ـ فيما ذكر لي ابن إسحاق ، عن وهب بن منبّه اليمانيّ ـ فيما ذكر له عنه ـ ، ومعه غنم له ، ومعه زند له وعصاه في يده يهشّ بها على غنمه نهاره ، فإذا أمسى اقتدح بزنده ناراً ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه يتوكأ على عصاه ، وكانت ـ كما وُصف لي عن وهب بن منبِّه ـ ذات شعبتين في رأسها ، ومحجن في طرفها[1]. (١ : ٤٠١).

٦٦٠ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عمن لايتّهم من أصحابه: أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال كعب: سلوه عن ثلاث ، فإن أخبركم فإنه عالم ، سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس في الأرض ، وسلوه ما أوّلُ ما وضع في الأرض؟ وما أوّل شجرة غرِست في الأرض؟ فسئل عبد الله عنها فقال: أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود ، وأما أوّل ما وضع في الأرض فبَرهوت باليمن يردُه هام الكفار ، وأمّا أوّلُ شجرة غرسها الله في الأرض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه ، فلما بلغ ذلك كعباً قال: صدق الرجل ، عالم والله!

قال: فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامَته ، وابتدأه فيها بنبوّته وكلامه ، أخطأ فيها الطريقَ حتى لا يدري أين يتوجه ، فأخرج زنده ليقدح ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ، ويعلم وجه سبيله ، فأصلد عليه زنده فلا يوري له ناراً ، فقدح حتى [إذا] أعياه لاحت النار فرآها ، ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ ، بقبس تصطلون ، وهدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبير ، فخرج نحوها ، فإذا هي شجرة من العُلَّيْق ، وبعض أهل الكتاب يقول: في عوْسجة ، فلما دنا استأخرت عنه ، فلما رأى استئخارها رجع عنها ، وأوجس في نفسه منها خيفة ، فلما أراد الرجعة دنَتْ منه ، ثم كُلِّم من الشجرة ، فلما سمع الصوت استأنس ، وقال الله: يا موسى ﴿فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ، فألقاهما ثم قال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ أي:

---

(١) ضعيف.

منافع أخرى ، ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ قد صار شُعْبتاها فمها وصار محجنها عُرْفاً لها في ظهر تهتزّ ، لها أنياب ، فهي كما شاء الله أن تكون. فرأى أمراً فظيعاً فولى مدبراً ولم يعقّب ، فناداه ربه: أن يا موسى أقبل ولا تخف ، ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ ، أي سيرتها عصا كما كانت ، قال: فلما أقبل قال: ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ ، أدخلْ يدك في فمها ، وعلى موسى جبّة من صوف ، فلفّ يده بكمّه وهو لها هائب ، فنودي أن ألق كمك عن يدك ، فألقاه عنها ، ثم أدخل يده بين لحيَيْها ، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هي عصاه في يده ، ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ، ومحجنها بموضعه الذي كان لا ينكر منها شيئاً ، ثم قيل: ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي من غير بَرَص ـ وكان موسى عليه السلام رجلاً آدم أقنى جَعْداً طُوالاً ـ فأدخل يده في جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردَّها في جيبه فخرجت كما كانت على لونه ثم قال: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ ، أي يبين لهم عني ما أكلّمهم به ، فإنه يفهم عني ما لا يفهمون. ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1]. (١: ٤٠١/ ٤٠٢/ ٤٠٣).

٦٦١ ـ رجع الحديث إلى حديث السُّدِّي ، فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاها ليلاً ، فتضيَّف على أمه وهو لا يعرفهم ، فأتاهم في ليلة كانوا يأكلون فيها الطَّفَيْشَل ، فنزل في جانب الدار ، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف ، فدعاه فأكل معه ، فلما أن قعدا تحدّثا ، فسأله هارون: مَنْ أنت؟ قال: أنا موسى ، فقام كلّ واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلما أن تعارفا قال له موسى: يا هارون انطلق معي إلى فرعون ، إن الله قد أرسلنا إليه ، فقال هارون: سمعٌ وطاعة ، فقامت أمّهما فصاحت وقالت: أنشدكما الله ألاّ تذهبا إلى فرعون فيقتلكما فأبيا. فانطلقا إليه ليلاً ، فأتيا الباب فضرباه ففزع فرعون ، وفزع البواب ، وقال فرعون: مَنْ هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة؟ فأشرف عليهما البواب ، فكلّمهما ، فقال له موسى: ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ

---

(١) ضعيف.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ففزع البواب فأتى فرعون فأخبره فقال: إن هاهنا إنساناً مجنوناً يزعم أنه رسول ربّ العالمين، قال: أدخلْه، فدخل فقال: إني رسول رب العالمين؛ أن أرسل معي بني إسرائيل، فعرفه فرعون فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۝١٨ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. معنا على ديننا هذا الذي تعيب! ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾ ـ والحكم: النبوة ـ ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وربيتني قبل وليداً! ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾. يقول: أعطى كل دابة زوجها ثم هدى للنكاح، ثم قال له: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وذلك بعدما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى. قال موسى: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٣١ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ـ والثعبان: الذكر من الحيّات ـ فاتحة فاها، واضعةً لَحْيها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رآها ذعر منها ووثب، فأحدث ـ ولم يكن يُحدث قبل ذلك ـ وصاح: يا موسى خذها وأنا أؤمن بك وأرسلُ معك بني إسرائيل، فأخذها موسى فعادت عصا، ثم نزع يده وأخرجها من جيبه، فإذا هي بيضاء للناظرين، فخرج موسى من عنده على ذلك، وأبى فرعون أن يؤمن به، أو يرسل معه بني إسرائيل، وقال لقومه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه، فأمر بُنشّابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه، وهي ملطّخة دماً، فقال: قد قتلت إله موسى[1]. (١: ٤٠٣/ ٤٠٤/ ٤٠٥).

٦٦٢ ـ حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾، قال: كان أول مَنْ طبخ الآجرّ يبني به الصرح[2]. (١: ٤٠٥).

٦٦٣ ـ وأما ابن إسحاق، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق، قال: خرج موسى لما بعثه الله عزّ وجلّ حتى قدم مصر على

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

فرعون هو وأخوه هارون ، حتى وقفا على باب فرْعون يلتمسان الإذنَ عليه ، وهما يقولان: إنا رسولا ربِّ العالمين ، فآذِنوا بنا هذا الرجل ، فمكثا ـ فيما بلغنا ـ سنتين يغدوَان على بابه ، ويرُوحان لا يعلم بهما ، ولا يجترىء أحد على أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بَطّال له يلعّبه ويضحكه ، فقال له: أيها الملك ، إنّ على الباب رجلاً يقول قولاً عجيباً ، يزعم أنّ له إلهاً غيرُك ، قال: أدْخِلوه ، فدخل ومعه هارون أخوه ، وبيده عصاه ، فلما وقف على فرعون قال له: إني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون ، فقال: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: خطأ لا أريد ذلك، ثم أقبل عليه موسى ينكر عليه ما ذكر من يده عنده، فقال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي اتخذتهم عبيداً تنزع أبناءهم من أيديهم، فتسترق من شئت، وتقتل من شئت. إني إنما صيرني إلى بيتك وإليك ذلك ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه، أي ما إلهك هذا! ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من ملئه ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ أي: إنكاراً لما قال: ليس له إله غيري. ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ الذي خلق آباءكم الأولين وخلقكم من آبائكم. ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن لكم إلهاً غيري، ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أي: خالق المشرق والمغرب وما بينهما من الخلق إن كنتم تعقلون ، ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي﴾ لتعبد غيري وتترك عبادتي ﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ ، أي بما تعرف بها صدقي وكذبك وحقي وباطلك! ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ فملأت ما بين سماطي فرعون، فاتحة فاها، قد صار محجنها عرفاً على ظهرها، فارفض عنها الناس، وحال فرعون عن سريره ينشده بربه. ثم أدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء مثل الثلج، ثم ردها كهيئتها، وأدخل موسى يده في جيبه فصارت عصا في يده، يده بين شعبتيها، ومحجنها في أسفلها كما كانت، وأخذ فرعون بطنه، وكان فيما يزعمون يمكث الخمس والست ما يلتمس المذهب ـ يريد الخلاء ـ كما

يلتمسه الناس، وكان ذلك مما زين له أن يقول ما يقول: إنه ليس من الناس بشبه[1]. (١: ٤٠٥/ ٤٠٧).

٦٦٤ ـ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمَة عن ابن إسحاق، قال: حدِّثت عن وهب بن منبّه اليمانيّ، قال: فمشى بضعاً وعشرين ليلة، حتى كادت نفسه أن تخرج، ثم استمسك فقال لملئه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: ما ساحر أسحر منه، ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ أقتله؟ فقال مؤمن من آل فرعون ـ العبد الصالح وكان اسمه فيما يزعمون حبرك: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ بعصاه ويده! ثم خوّفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم، وقال: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾. وقال الملأ من قومه ـ وقَدْ وهنهم من سلطان الله ما وَهنهم: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٣٦ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾، أي كاثِرْه بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من جاء بمثل ما جاء به. وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم، وبعث فرعون مكانه في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحراً إلا أتى به؛ فذكر لي ـ والله أعلم ـ أنه جمع له خمسةَ عشرَ ألف ساحر، فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره، فقال لهم: قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قَطّ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضّلتكم وقرّبتكم على أهل مملكتي، قالوا: إن لنا ذلك [عليك] إن غَلَبْناه! قال: نعم، قالوا: فعدْ لنا موعداً نجتمع نحن وهو، فكان رؤوس السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور، وعادور، وحطحط، ومصفى؛ أربعة، وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوْا من سلطان الله، فآمنت السحرةُ جميعاً وقالوا لفرعون حين توعدهم القتلَ والصلب: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾. فبعث فرعون إلى موسى: أن اجعل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ۝٥٨ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، يوم عيد كان فرعون يخرج إليه، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾، حتى يحضروا أمري وأمرك، فجمع فرعون الناس لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: ﴿ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾، أي: قد أفلح من استعلى اليوم على

(١) ضعيف.

صاحبه. فصفَّ خمسة عشر ألف ساحر، مع كلّ ساحر حباله وعصيه، وخرج موسى ومعه أخوه يتكىء على عصاه، حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه ومعه أشراف أهل مملكته، وقد استكفَّ له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾، فترادّ السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: [ما هذا بقول ساحر، ثم قالوا وأشار بعضهم إلى بعض] بتناج: ﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾. ثم قالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾. فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كلُّ رجل منهم مافي يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيّات كأمثال الجبال، قد ملأت الواديَ يركب بعضها بعضاً. ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾، وقال: والله إن كانت لَعِصيّاً في أيديهم، ولقد عادت حيّات، وما تعدو عصايَ هذه ـ أو كما حدّث نفسه ـ فأوحى الله إليه: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾، وفُرِج عن موسى فألقى عصاه من يده، فاستعرضت ما ألقوْا من حبالهم وعصيهم ـ وهي حيّات في عين فرعون وأعين الناس تسعى ـ فجعلت تَلْقفها، تبتلعها حية حية، حتى ما يُرى في الوادي قليل ولا كثير مما ألقوْا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصاه في يده كما كانت، ووقع السَّحرَة سجداً ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ لو كان هذا سحراً ما غلَبنا. قال لهم فرعون ـ وأسف ورأى الغلبة البيِّنة ـ: ﴿آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾، [أي لعظيم السُّحّار الذي علمكم] ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ﴾، [أي لن نؤثرك على الله وعلى ما جاءنا من الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض]، أي فاصنع ما بدا لك، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ التي ليس لك سلطان إلا فيها، ثم لا سلطان لك بعدها، ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾، أي: خير منك ثواباً، وأبقى عقاباً، فرجع عدوُّ الله مغلوباً ملعوناً ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتمادي في الشر، فتابع الله عليه بالآيات، وأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان[١]. (١: ٤٠٧/٤٠٨/٤٠٩/ ٤١٠).

---

(١) ضعيف.

٦٦٥ ـ رجع الحديث إلى حديث السديّ: وأما السديّ فإنه قال في خبره: ذُكِر: أن الآيات التي ابتَلى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة، وقال: لما رجع إليه السهم ملطخاً بالدم قال: قد قتلنا إله موسى. ثم إن الله أرسل عليهم الطوفان ـ وهو المطر ـ فغرق كلُّ شيء لهم، فقالوا: يا موسى ادع لنا ربك يكشفْ عنَّا، ونحن نؤمن لك ونرسل معك بني إسرائيل، فكشفه الله عنهم، ونبتت زروعهم، فقالوا: ما يسرُّنا أنا لن نُمْطرَ. فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم، فسألوا موسى أن يدعوَ ربَّه فيكشفه ويؤمنوا به، فدعا فكشفه، وقد بقي من زروعهم بقية، فقالوا: لن نؤمن وقد بقي لنا من زروعنا بقية، فبعث الله عليهم الدبّا ـ وهو القُمّل ـ فلحس الأرض كلَّها، وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضّه، وكان أحدُهم يأكل الطعام فيمتلىء دباً حتى إن أحدهم ليبني الأسطوانة بالجصّ والآجرّ، فيُزْلِقها حتى لا يرتقى فوقها شيء [من الذباب، ثم] يرفع فوقها الطعام، فإذا صَعد إليه ليأكله وجده ملآن دباً، فلم يصبهم بلاء كان أشدّ عليهم من الدبا؛ وهوِ الرِّجز الذي ذكره الله في القرآن أنه وقع عليهم. فسألوا موسى أن يدعوَ ربه فيكشفه عنهم ويؤمنوا به، فلما كُشف عنهم أبوْا أن يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فكان الإسرائيليّ يأتي هو والقبطي فيستقيان من ماء واحد، فيخرج ماء هذا القبطي دماً، ويخرج للإسرائيليّ ماء. فلما اشتدّ ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به فكُشِف ذلك عنهم، فأبوْا أن يؤمنوا، فذلك حين يقول الله: ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ ما أعطوْا من العهود، وهو حين يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ ﴾ ـ وهو الجوع ـ ﴿ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾.

ثم إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى موسى وهارون أن: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾، فأتياه فقال له موسى: هل لك يا فرعون في أن أعطيَك شبابك ولا تهرم، وملكك لا ينزع منك، ويردّ إليك لذّة المناكح والمشارب والركوب، فإذا متّ دخلت الجنة؟ تؤمن بي! فوقعت في نفسه هذه الكلمات، وهي اللينة، فقال: كما أنت حتى يأتي هامان. فلما جاء هامان قال له: [أشعرت] أن ذلك الرجل أتاني؟ قال: من هو؟ ـ وكان قبل ذلك إنما يسمّيه الساحر، فلما كان ذلك اليوم لم يسمّه الساحر ـ قال فرعون: موسى، قال: وما قال لك؟ قال:

قال لي: كذا وكذا ، قال هامان: وما رددت عليه؟ قال: قلت: حتى يأتيَ هامان فأستشيره ، فعجَّزه هامان ، وقال: قد كان ظنّي بك خيراً من هذا ، تصير عبداً يَعبد بعد أن كنتَ رباً يُعبد! فذلك حين خرج عليهم فقال لقومه وجمعهم فقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ ، وكان بين كلمته ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ وبين قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أربعون سنة. وقال لقومه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ﴾. قال فرعون: ﴿أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى﴾ ـ يقول: عَدلاً ، قال موسى: ﴿مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى﴾ ـ وذلك يوم عيد لهم ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾. وأرسل فرعون في المدائن حاشرين؛ فحشَروا عليه السحرة ، وحشروا الناس ينظرون ، يقول: ﴿هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾ ـ يقول: عطيّة تعطينا ـ ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾. فقال لهم موسى: ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ﴾ ، يقول: يهلككم بعذاب. ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ من دون موسى وهارون ، وقالوا في نجواهم: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ ، يقول: يذهبا بأشراف قومكم.

فالتقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى: أرأيتك إن غلبتُك أتؤمنُ بي وتشهد أن ما جئت به حق؟ قال: نعم ، قال الساحر: لآتينّ غداً بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لئن غلبتَني لأومنَنَّ بك ، ولأشهدنَّ أنك على حق ـ وفرعون ينظر إليهما ـ وهو قول فرعون: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ ، إذ التقيتما لتتظاهرا ﴿لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ﴾ فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ ، قال لهم موسى: ألقوا فألقوْا حبالهم وعصيَّهم ـ وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا ـ ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ يقول: فرّقوهم. ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ ، فأوحى الله إليه: ألاّ تخف ، ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾. فألقى موسى عصاه فأكلت كلَّ حية لهم ، فلما رأوْا ذلك سجدوا ، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قال فرعون:

﴿ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ﴾ فقتّلهم وقطّعهم - كما قال عبد الله بن عباس - حين قالوا: ﴿ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾. قال: كانوا في أول النهار سَحرة ، وفي آخر النهار شهداء .

ثم أقبل على بني إسرائيل فقال له قومه: ﴿ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ ، وآلهتُه - فيما زعم ابن عباس - كانت البقر ، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها ، فلذلك أخرج لهم عجلاً بقرة .

ثم إن الله تعالى ذكره أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل فقال: ﴿ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ ﴾ ليلاً ﴿ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا ، وأمرهم أن يستعيروا الحليّ من القبْط ، وأمر ألاّ ينادي إنسان صاحبَه ، وأن يُسرجوا في بيوتهم حتى الصبح ، وأنّ من خرج إذا قال: موسى ، قال: «عمرو». وأمر مَنْ خرج يلطخ بابه بكفّ من دم حتى يعلم أنه قد خرج . وإن الله أخرج كلّ ولد زنى من القِبْط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل ، وأخرج كلّ ولد زنى من بني إسرائيل من القِبْط إلى القِبط ، حتى أتوْا آباءهم .

ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقِبْط لا يعلمون ، وقد دعوا قَبْل ذلك على القبط ، فقال موسى: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ إلى قوله: ﴿ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ ، فقال الله تعالى: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ فزعم السديّ: أن موسى هو الذي دعا وأمّن هارون ، فذلك حين يقول الله: ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا ﴾ وقوله: ﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ فذكِرَ: أن طمْس الأموال: أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة ، ثم قال لهما استقيما ، فخرجا في قومهما ، وألقِيَ على القِبْط الموتَ ، فمات كل بِكْر رجل ، فأصبحوا يَدفنونهم ، فشُغِلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس ؛ فذلك حين يقول الله: ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴾ .

وكان موسى على سَاقة بني إسرائيل ، وكان هارون أمامَهم يقدمهم ، فقال المؤمن لموسى: يا نبيّ الله ، أين أمِرت؟ قال: البحر ، فأراد أن يقتحم فمنعه موسى ، وخرج موسى في ستمئة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يَعُدُّون ابن العشرين لصغره ولا ابنَ الستين لِكبَره ، وإنما عَدُّوا ما بين ذلك سوى الذريّة ، وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، في ألف ألف وسبعمئة ألف حصان ، ليس فيها ماذيانة ، وذلك حين يقول الله: ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ

لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ ـ يعني: بني إسرائيل ـ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾، يقول: قد حذرنا، فأجمعنا أمرنا، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد ردفهم، قالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾. ﴿قَالُوٓاْ﴾: يا موسى، ﴿أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾، كانوا يذبّحون أبناءنا، ويستحيُون نساءنا، ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا! ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، البحرُ من بين أيدينا وفرعون من خلفنا، قال موسى: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، يقول: سيكفيني، ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

فتقدم هارون فضرب البحر فأبى البحر أن ينفتح، وقال: مَنْ هذا الجبّار الذي يضربني! حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد، وضربه، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾، يقول: كالجبل العظيم، فدخلت بنو إسرائيل، وكان في البحر اثنا عشر طريقاً، في كل طريق سِبْط، وكأنّ الطرق إذا انفلقت بجدران، فقال كلّ سبط: قد قتل أصحابنا، فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان، فنظر آخرُهم إلى أولهم، حتى خرجوا جميعاً؛ ثم دنا فرعون وأصحابه، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلِقاً قال: ألا ترون البحر فرِق مني، وقد تفتّح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم! فذلك قول الله: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾، يقول: قرّبنا ثمَّ الآخرين؛ هم آل فرعون.

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيلُه أن تقتحم، فنزل جبرئيل على ماذيانة، فشمَّت الحُصُن ريحَ الماذيانة فاقتحمت في أثرها حتى إذا همّ أوّلهم أن يخرج ودخل آخرُهم، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم، وتفرد جبرئيل بفرعون بمَقْلَةٍ من مَقل البحر، فجعل يُدسُّها في فيه، فقال حين أدركه الغرق: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، فبعث الله إليه ميكائيل يعيّره، قال: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾. فقال جبرئيل: يا محمد، ما أبغضت أحداً من الخلق ما أبغضتُ رجلين: أما أحدهما فمن الجنّ وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم، وأما الآخر فهو فرعون حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ ولو رأيتني يا محمد، وأنا آخذ مَقْل البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها! وقالت بنو إسرائيل: لم يغرق فرعون، الآن يدركنا فيقتلنا، فدعا الله موسى: فأخرج فرعون في ستمئة ألف وعشرين ألفاً،

عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثّلون به ، وذلك قول الله لفرعون: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ ؛ يقول: لبني إسرائيل آية . فلما أرادوا أن يسيروا ضُرِب عليهم تيهٌ ، فلم يدروا أين يذهبون ، فدعا موسى مشيخة بني إسرائيل فسألهم: ما بالُنا؟ فقالوا له: إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً ألاّ تخرجوا من مصر حتى تخرجوني معكم ، فذلك هذا الأمر ، فسألهم: أين موضع قبره؟ فلم يعلموا ، فقام موسى ينادي: أنشِد الله كلَّ مَنْ كان يعلم أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به ، ومن لم يعلم فصَمَّتْ أذناه عن قولي! وكان يمرّ بين الرجلين ينادي فلا يسمعان صوته ، حتى سمعته عجوز لهم فقالت: أرأيتكَ إن دللتُك على قبره أتعطيني كلّ ما سألتك؟ فأبى عليها وقال: حتى أسأل ربي ، فأمره الله عزّ وجلّ أن يعطيَها ، فأتاها فأعطاها ، فقالت: إني أريد أن لا تنزلَ غُرْفة من الجنة إلا نزلتُها معك ، قال: نعم ، قالت: إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشيَ فاحملْني ، فحملها ، فلما دنا من النيل ، قالت: إنه في جوف الماء ، فادعُ الله أن يُحسِر عنه الماء ، فدعا الله فحسر الماءَ عن القبر ، فقالت: احفرْه ، ففعل فحمل عظامه ، ففتح لهم الطريق ، فساروا ، ﴿ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ ﴾ ـ يقول: مهلك ما هم فيه ـ ﴿ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

(١ : ٤١٠/ ٤١١/ ٤١٢/ ٤١٣/ ٤١٤/ ٤١٥/ ٤١٦/ ٤١٧).

٦٦٦ ـ فأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال: ـ فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عنه ـ فتابع الله عليه بالآيات ـ يعني: على فرعون ـ وأخذه بالسنين إذ أبى أن يؤمن بعد ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان ، فأرسل عليه الطوفان ، ثم الجراد ، ثم القمَّل ، ثم الضفادع ، ثم الدم آيات مفصَّلات ، أي: آية بعد آية ، يتبع بعضُها بعضاً ، فأرسل الطوفانَ وهو الماء ، ففاض على وجه الأرض ثم ركد ، لا يقدرون على أن يحرثوا ، ولا يعملوا شيئاً ، حتى جهدوا جوعاً ، فلما بلغهم ذلك ﴿ قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر ـ فيما بلغني حتى إنه كان

(١) ضعيف.

لَيأكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم ، فقالوا مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشَفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم القمَّل ، فذكر لي: أن موسى أُمِر أن يمشِيَ إلى كثيب فيضربه بعصاه فمشى إلى كثيب أهيَل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قمَّلاً حتى غلبَ على البيوت والأطعمة ومنعهم النوم والقرار ، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيءٍ مما قالوا فأرسل الله عليهم الضفادع فملأت البيوت والأطعمة والآنية فلا يكشفُ أحد منهم ثوباً ولا طعاماً ولا إناء إلا وجدَ فيه الضفادع قد غلبتْ عليه ، فلما جهدهم ذلك قالوا لـه مثل ما قالوا ، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا ، فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دماً ، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عادت دماً عبيطاً[(١)]. (١ : ٤١٧/٤١٨).

٦٦٧ ـ حدثنا محمد بن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: فحدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظيّ: أنه حدّث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتِي المرأةَ من بني إسرائيل حين جهدهم العطش ، فتقول: اسقني من مائك ، فتغرف لها من جَرّتها أو تصبّ لها من قربتها ، فيعود في الإناء دماً ، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مجّيه في فيّ ، فتأخذ في فيها ماء ، فإذا مجّته في فيها صار دماً ، فمكثوا في ذلك سبعة أيام ، فقالوا: ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . فلما كشف عنهم الرجزّ نكَثوا ولم يفوا بشيء مما قالوا ، فأمر الله موسى أن يسير ، وأخبره أنه منجّيه ومَنْ معه ، ومهلكُ فرعون وجنوده ، وقد دعا موسى عليهم بالطَّمْسة؛ فقال: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ﴾ ـ إلى ـ ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . فمسخ الله أموالهم حجارة: النخل والرقيق والأطعمة ، فكانت إحدى الآيات التي أراهنَّ الله فرعون[(٢)]. (١ : ٤١٨).

٦٦٨ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدة بن

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف وهو إسناد مرسل.

سفيان بن فروة الأسلميّ ، عن محمد بن كعب القرظيّ ، قال: سألني عمر بن عبد العزيز عن التسع الآيات التي أراهنّ الله فرعون ، فقلت: الطوفان ، والجراد ، والقمَّل ، والضفادع ، والدم ، وعصاه ، ويده ، والطمسة ، والبحر. فقال عمر: فَأنَّى عرفت أن الطمسة إحداهنّ؟ قلت: دعا عليهم موسى وأمَّن هارون ، فمسخ الله أموالهم حجارة ، فقال: كيف يكون الفقه إلا هكذا! ثم دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان بمصر؛ إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون ، فأخرج البيضة مقْشورةً نصفين؛ وإنها لحجر ، والجوزة مقشورة وإنها لحجر ، والحمّصة ، والعدسة[1]. (١: ٤١٨/ ٤١٩).

٦٦٩ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن رجل من أهل الشأم كان بمصر ، قال: قد رأيت النخلة مصروعة ، وإنها لحجَر ، وقد رأيت إنساناً ما شككت أنه إنسان وإنه لحجَر ، من رقيقهم ، فيقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿مَثْبُورًا﴾ يقول: شقيّاً[2]. (١: ٤١٩).

٦٧٠ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه : أن الله حين أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل أمرَه أن يحتمل يوسفَ معه حتى يضعه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عمّن يعرف موضعَ قبره ، فما وجد إلا عجوزاً من بني إسرائيل ، فقالت: يا نبيّ الله ! أنا أعرف مكانه. إن أنت أخرجتَني معك ، ولم تخلّفني بأرض مصر دللتك عليه. قال: أفعل ، وقد كان موسى وعَد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربّه أن يؤخّر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ، ففعل ، فخرجت به العجوز حتى أرته إياه في ناحية من النيل في الماء ، فاستخرجه موسى صندوقاً من مرمر ، فاحتمله معه. قال عروة: فمن ذلك تحمِل اليهود موتاها من كلّ أرض إلى الأرض المقدسة[3]. (١: ٤١٩).

٦٧١ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال: كان

(١) مرسل ضعيف.
(٢) هذا إسناد ضعيف جداً.
(٣) ضعيف مرسل.

ـ فيما ذُكِر لي ـ: أن موسى قال لبني إسرائيل فيما أمره الله به: استعيروا منهم الأمتعة والحُلِيّ والثياب فإني منفِّلكم أموالَهم مع هلاكهم؛ فلما أذَّن فرعون في الناس كان مما يحرّض به على بني إسرائيل أن قال حين ساروا: لم يرضُوا أن خرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم[١]. (١ : ٤١٩).

٦٧٢ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن محمد ابن كعب القرظيّ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: لقد ذكِرَ لي: أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دُهْم الخيل سوى ما في جنده من شيات الخيل، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصَرف طلع فرعون في جنده من خلفهم، ﴿فَلَمَّا تَرَآءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾، أي: للنجاة، وقد وعدني ذلك ولا خُلْفَ لموعوده[٢]. (١ : ٤٢٠).

٦٧٣ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق قال: فأوحى الله تبارك وتعالى ـ فيما ذكر لي ـ إلى البحر: إذا ضربَك موسى بعصاه فانفلقْ له، فبات البحر يضربُ بعضه بعضاً فرَقاً من الله وانتظاراً لأمره، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه، ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾، أي: كالجبل على نَشَز من الأرض. يقول الله لموسى عليه السلام: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾. فلما استقرّ له البحر على طريق قائمة يبَس سلك فيه موسى ببني إسرائيل، واتبعه فرعون بجنوده[٣]. (١ : ٤٢٠).

٦٧٤ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظيّ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليْثيّ، قال: حُدّثت أنه لما دخلتْ بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحدٌ أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل، حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله، فهاب الحصان أن

---

(١) ضعيف.
(٢) هذا إسناد ضعيف.
(٣) ضعيف. ووحي الله يثبت بالكتاب أو السنة أما بهذا الإسناد المهلهل فلا وأما تفسير الآية فقد ذكرناه في قسم الصحيح.

يتقدم ، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق ، فقَرّبها منه فشمّها الفحل ، ولما شمّها قدمها ، فتقدم معه الحصان عليه فرعون ، فلما رأى جند فرعون أنّ فرعون قد دخل دخلوا معه ، وجبرئيل أمامه ، فهم يتبعون فرعون ، وميكائيل على فرس خلف القوم يشحذهم يقول: الحقوا بصاحبكم ، حتى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحدٌ ، ووقف ميكائيل على الناحية الأخرى ليس خلفه أحد ، طبّق عليهم البحر ، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذلَّه وخذلته نفسه ، نادى: أن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين[1]. (١ : ٤٢٠/ ٤٢١).

٦٧٥ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا أبو داود البصريّ عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مِهران ، عن ابن عباس ، قال: جاء جبرئيل إلى النبي عليه السلام فقال: يا محمد ، لقد رأيتني وأنا أدسّ من حمإ البحر في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة! يقول الله: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ ، أي: سواءٌ لم يذهب منك شيء ، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي: عبرة وبينة. فكان يقال: لو لم يخرجه الله ببدنه حتى عرفوه لَشكَّ فيه بعضُ الناس[2]. (١ : ٤٢١).

٦٧٦ ـ رجع الحديث إلى حديث السديّ. ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى الله عزّ وجلّ ، فأقبل على فرس فرآه السامريّ فأنكره ، ويقال: إنه فرس الحياة ، فقال حين رآه: إنّ لهذا لشأناً ، فأخذ من تربة الحافِر حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون: يا بني إسرائيل ، إنّ الغنيمة لا تحلّ لكم ، وإن حُلِيّ القِبْط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعاً فاحفِروا لها حفرة فادفنوها فيها ، فإن جاء موسى فأحلَّها أخذتموها ، وإلاَّ كان شيئاً لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة ، وجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها ، فأخرج الله من الحليّ عجلاً جسداً له خُوار ، وعدّت بنو إسرائيل موعدَ موسى ، فعدُّوا الليلة يوماً واليوم يوماً ، فلما كان العشر خرج لهم العجلُ فلما رأوه قال لهم السامريّ:

---

(١) مأخوذ من الإسرائيليات ضعيف.
(٢) ضعيف.

﴿ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾. يقول: ترك موسى إلهه هاهنا، وذهب يطلبه فعكفوا عليه يعبدونه، وكان يخور ويمشي، فقال لهم هارون: ﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ﴾ يقول: إنما ابتليتم به، يقول: بالعجل، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾، فأقام هارون ومن مَعه من بني إسرائيل لا يقاتلونهم، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه، فلما كلّمه قال له: ﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾. فلما أخبره خبرهم قال موسى: يا رب هذا السامريّ أمرهم أن يتّخذوا العجل، أرأيتَ الروحَ منْ نفخها فيه؟ قال الربّ: أنا. قال: رَبّ أنْتَ إذاً أضللتهم.

ثم إن موسى لما كلمه ربُّه أحبّ أن ينظر إليه، ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فحَفّ حولَ الجبل الملائكة، وحُفّ حول الملائكة بنار، وحُفّ حول النار بملائكة، وحول الملائكة بنار، ثم تجلّى ربه للجبل[1]. (١: ٤٢٢/ ٤٢٣).

٦٧٧ ـ فحدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، قال: حدثني السديّ، عن عِكْرمة، عن ابن عباس، أنه قال: تجلّى منه مثل طرَف الخنصر، فجعل الجبلَ دكّاً وخرّ موسى صعقاً، فلم يزل صَعِقا ما شاء الله، ثم أنه أفاق فقال: ﴿ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل، فقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾، يعني بجدّ واجتهاد ﴿ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ أي بأحسن ما يجدون فيها. فكان موسى بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر في وجهه، وكان يُلْبِس وجهه بحريرة، فأخذ الألواحَ ثم رجعَ إلى قومه ﴿ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ يقول: حزيناً ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ ـ إلى ـ ﴿ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ يقولون: بطاقتنا، ﴿ وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ يقول: من حُليّ القبط ﴿ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾، ذلك حين قال لهم هارون: احفِروا لهذا الحلْي حُفرة، واطْرحوه فيها، فطرحوه فقذف

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة شديدة.

السامريّ تربته ، فألقى موسى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه ، ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ . فترك موسى هارون ، ومال إلى السامريّ ، فقال: ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾ ، قال السامريّ: ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ ﴾ إلى: ﴿ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ . ثم أخذه فذبحه ، ثم حرقَهُ بالمبرد ثم ذراه في البحر ، فلم يبق بحر يجري إلا وقع فيه شيءٌ منه ، ثم قال لهم موسى: اشربوا منه فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب ، فذلك حين يقول: ﴿ وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ . فلما سُقِط في أيدي بني إسرائيل حين جاء موسى ﴿ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . فأبى الله أن يقبل توبةَ بني إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتِلُوهُمْ حين عبدوا العجل ، فقال لهم موسى: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ ، فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قُتِل من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قتل بينهم سبعون ألفاً ، حتى دعا موسى وهارون: رَبّنا هلكتْ بنو إسرائيل! ربَّنا البقية البقية! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وتاب عليهم ، فكان من قُتِل كان شهيداً ، ومن بقيَ كان مُكفَّراً عنه ، فذلك قوله: ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] . (١ : ٤٢٣/ ٤٢٤).

٦٧٨ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال: كان السامريُّ رجلاً من أهل باجَرْما ، وكان من قوم يعبدون البقر ، فكان حب عبادة البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل ، فلما فصل هارون في بني إسرائيل ، وفصل موسى معهم إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هارون: إنكم قد تحملتُم أوزاراً من زينة القوم آل فرعون ، وأمتعة وحليّاً ، فتَطهَّروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً ، وقال: اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها ، قالوا: نعم ، فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحليّ وتلك الأمتعة فيقذفون به فيها ، حتى إذا انكسرت الحليّ فيها ، رأى السامري أثر فرس جِبْرَئيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهارون: يا نبيّ الله ، ألقي ما في يدي؟ قال:

---

(١) شيخ الطبري هنا موسى بن هارون مجهول الحال وفي المتن نكارة وغرابة.

نعم ، ولا يظن هارون إلاّ أنه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحليّ ، فقذفه فيها ، وقال: كن عجلاً جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة ، فقال: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾ ، فعكفوا عليه وأحبوه حبّاً لم يحبوا مثله شيئاً قطّ ، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَنَسِيَ﴾ ، أي ترك ما كان عليه من الإسلام ، ـ يعني السامريّ ـ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ .

قال: وكان اسمُ السامريّ موسى بن ظفر ، وقع في أرض مصر ، فدخل في بني إسرائيل . فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ . فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتتن ، وأقام مَنْ يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوّف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى: ﴿فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ ، وكان له هائباً مطيعاً ، ومضى موسى ببني إسرائيل إلى الطور ، وكان الله عزّ وجلّ وعدَ بني إسرائيل حين أنجاهم وأهلك عدوّهم جانب الطور الأيمن ، وكان موسى حين سار ببني إسرائيل من البحر قد احتاجوا إلى الماء ، فاستسقى موسى لقومه ، فأمِر أن يضرب بعصاه الحجر ، ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ ، لكل سِبْط عين يشربون منها قد عرفوها[١] . (١ : ٤٢٥/ ٤٢٦) .

٦٧٩ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن صدقة ابن يسار ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس ، قال: كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلاً لكلّ شيء وهدى ورحمة ، فلما ألقاها رَفع الله ستةَ أسباعها وأبقى سبعاً ، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرِقَ ، حتى رجع رماداً ، ثم أمر به فقذف في البحر .

قال ابن إسحاق: فسمعت بعض أهل العلم يقول: إنما كان أحرقه ثمّ سَحَله ثم ذرّاه في البحر . والله أعلم[٢] . (١ : ٤٢٧) .

٦٨٠ ـ ثم اختار موسى منهم سبعين رجلاً: الخيِّر فالخيِّر ، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسلُوه التوبة علَى من تركتم وراءكم من قومكم ،

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .

صوموا وتطهَّروا وطهِّروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقّته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال له السبعون ـ فيما ذكر لي ـ حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشّى الجبل كلّه ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلّمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضُرِب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه : افعل ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً ﴾ ، ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ ، وهي الصاعقة ، فانفلتت أرواحهم فماتوا جميعاً ، وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ ﴾ قد سفهوا ، أفتهلِك مَنْ ورائي من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا! إنّ هذا هلاك لهم. اخترت منهم سبعين رجلاً الخيّر فالخيّر ، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد ، فما الذي يصدقونني به! فلم يزل موسى يناشد ربَّه ، ويسأله ويطلب إليه حتى ردَّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلاّ أن يقتلوا أنفسهم. وقال : فبلغني : أنّهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله ، فأمر موسى مَنْ لم يكن عبد العجل أن يقتل مَنْ عبده ، فجلسوا بالأفنية ، وأصلتَ عليهم القوم السيوف ، فجعلوا يقتلونهم ، وبكى موسى وبهش إليه الصبيان والنساء يطلبون العفو عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف[1]. (١ : ٤٢٧/٤٢٨).

٦٨١ ـ وأما السديّ فإنه ذكر في خبره الذي ذكرت إسناده قبلُ : أن مصيرَ موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه ، وذلك : أنه ذكر بعد القصة التي قد ذكرتها عنه بعد قوله : ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ . قال : ثم إن الله أمرَ موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ

---

(١) ضعيف.

جَهْرَةً﴾ ، فإنك قد كلَّمته فأرِناه ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم وقد أهلكتَ خيارَهم! ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى: إن هؤلاء السبعين مِمّن اتّخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ ، يقول: تبنا إليك ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ ، والصاعقة نار. ثم إن الله أحياهم ، فقاموا وعاشوا رجلاً رجلاً ، ينظر بعضُهم إلى بعض: كيف يحيَوْن؟ فقالوا: يا موسى ، أنتَ تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاك ، فادعُه يجعلنا أنبياء ، فدعا الله فجعلهم أنبياء ، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ ، ولكنّه قدّم حرفاً وأخّر حرفاً.

ثم أمرهم بالسير إلى أرِيحا ، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريباً منها بعث موسى اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل ، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبّارين ، فلقيَهم رجل من الجبارين يقال له: عاج ، فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حُجْزته وعلى رأسه حملة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته فقال: انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا ، فطرحهم بين يديها ، فقال: ألا أطحنُهم برجلي! فقالت امرأته: لا ، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوْا ، ففعل ذلك ، فلما خرج القومُ قال بعضهم لبعض: يا قوم! إنكم إن أخبرتُم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدّوا عن نبي الله ، ولكن اكتموهم وأخبروا نبيَّ الله ، فيكونان هما يريان رأيهما ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه ، ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد ، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج ، وكَتم رجلان منهم ، فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر ، فذلك حين يقول الله: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾. فقال لهم موسى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ ، يملك الرجل منكم نفسه وأهله ومَاله. ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يقول: التي أمركم الله بها ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟﴾ مما سمعوا من العشرة: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا

دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ ، وهما اللذان كتما ، وهما يوشع بن نون فتى موسى وكالوب بن يوفنَّة - وقيل: كلاب بن يَوفنّة ختن موسى - فقالا: يا قوم ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ . فغضب موسى ، فدعا عليهم ، فـ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ وكانت عجلة من موسى عجِلها ، فقال الله: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ . فلما ضرب عليهم التيه ، ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه ، فقالوا له: ما صنعت بنا يا موسى؟ فلما ندم أوحى الله عزّ وجلّ إليه: ألّا تأسَ ، أي لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين. فلم يحزن ، فقالوا: يا موسى ، فكيف لنا بماء هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المنّ والسلوى ، فكان يَسقط على الشجر الترنجبين والسَّلْوى - وهو طير يشبه السُّمانَى - فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سميناً ذَبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه ، فقالوا: هذا الطعامٍ فأين الشراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً ، يشرب كل سِبْط من عين. فقالوا: هذا الطعام والشراب ، فأين الظلّ؟ فظلل الله عليهم الغمام ، فقالوا: هذا الظلّ ، فأين اللباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ . وقوله: ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ ، فأجمعوا ذلك ، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ - وهي الحنطة - ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ . قال: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ من الأمصار ، ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ . فلما خرجوا من التيه رفع المنّ والسلوى ، وأكلوا البقول ، والتقى موسى وعاج فنزا موسى في السماء عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب كعب عاج فقتله[(١)] . (١: ٤٢٨/ ٤٢٩/ ٤٣٠/ ٤٣١).

٦٨٢ - حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا مُؤمَّل ، قال: حدثنا سفيان ، عن

---

(١) إسناده ضعيف وفي متنه نكارة.

أبي إسحاق ، عن نوْف ، قال: كان طول عوج ثمانمئة ذراع ، وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ثم وثب في السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً ، فكان جِسْراً للناس يمرّون عليه[١]. (١ : ٤٣١).

٦٨٣ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا ابن عطية ، قال: أخبرنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال: كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثبتُه عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فأصاب كعبَ عوج فقتله ، فكان جسراً لأهل النيل ، وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة[٢]. (١ : ٤٣١).

ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام

٦٨٤ : حدثنا موسى بن هارون الهمْدانيّ ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السُّديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدانيّ عن عبد الله بن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبيّ : ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ، أني مُتَوفٍّ هارون ، فائْتِ به جبل كذا وكذا. فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل ، فإذا هما بشجرة لم يُرَ مثلها ، وإذا هما ببيت مبنيّ ، وإذا هما فيه بسرير عليه فرش ، وإذا فيه ريحٌ طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه ، فقال: يا موسى إني لأحبّ أن أنام على هذا السرير ، قال له موسى: فنمْ عليه ، قال: إني أخاف أن يأتيَ ربُّ هذا البيت فيغضب عليّ ، قال له موسى: لا ترهب أنا أكفيك ربَّ هذا البيت فنم ، قال: يا موسى بل نم معي ، فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً ، فلما ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال: يا موسى خدعتَني ، فلما قُبِض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورُفع السرير إلى السماء ، فلما رجع موسى إلى بني إسرائيل ، وليس معه هارون قالوا: فإن موسى قتلَ هارون وحسده لحبّ بني إسرائيل له ، وكان هارون أكفّ عنهم وألْيَن لهم من موسى ، وكان في موسى بعضُ الغلظ عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم!

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

كان أخي ، أفتروْنني أقتله! فلما أكثروا عليه قام فصلّى ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّقوه. ثم إن موسى بينما هو يمشي ويوشع فتاه إذ أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظنّ أنها الساعة والتزم موسى ، وقال: تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبيّ الله ، فاستلّ موسى من تحت القميص وترك القميص في يد يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل ، وقالوا: قتلت نبي الله! قال: لا والله ما قتلتُه ، ولكنه استُلَّ مني ، فلم يصدّقوه وأرادوا قتله. قال: فإذا لم تصدقوني فأخِّروني ثلاثة أيام ، فدعا الله فأتِي كلّ رجل ممن كان يحرسه في المنام ، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأنَّا قد رفعناه إلينا ، فتركوه ولم يبق أحد ممن أبى أن يدخل قرية الجبّارين مع موسى إلا مات ، ولم يشهد الفتح[1] . (١ : ٤٣٢/ ٤٣٣).

٦٨٥ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: كان صفيُّ الله قد كره الموت وأعظمه ، فلمّا كرهه أراد الله تعالى أن يحبِّب إليه الموت ويكرّه إليه الحياة ، فحوّلت النبوّة إلى يوشع بن نون ، فكان يغدُو عليه ويروح ، فيقول له موسى: يا نبيّ الله ! ما أحدث الله إليك؟ فيقول له يوشع بن نون: يا نبيّ الله ، ألمْ أصحبْك كذا وكذا سنة ، فهل كنتُ أسألُك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره؟ فلا يذكر له شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كِره الحياة وأحبّ الموت[2] . (١ : ٤٣٣).

٦٨٦ ـ قال ابن حميد: قال سلمة: قال ابن إسحاق: وكان صفيّ الله ـ فيما ذكر لي وهب بن منبّه ـ إنما يستظلّ في عريش ويأكل ويشرب في نقير من حَجَر؛ إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرع الدابة في ذلك النقير ، تواضعاً لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه.

قال وهب: فذكر لي أنه كان من أمر وفاته: أن صفيّ الله خرج يوماً من عريشه ذلك لبعض حاجته لا يعلم به أحدٌ من خلق الله ، فمرّ برهط من الملائكة يحفِرون

---

(١) إسناده ضعيف وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٧٨) بالإسناد نفسه وصححه على شرط مسلم وليس كذلك فالإسناد ضعيف كما بينا مراراً ولم يعتبره الطبري صحيحاً وفي المتن من الإسرائيليات ما فيه.

(٢) في متنه نكارة.

قبراً فعرفهم وأقبل إليهم حتى وقف عليهم فإذا هم يحفرون قبراً لم ير شيئاً قط أحسنَ منه ، ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة ، فقال لهم: يا ملائكَة الله لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا: نحفره لعبد كريم على ربِّه ، قال: إنّ هذا العبد من الله لَبمنزل! ما رأيت كاليوم مضجعاً ولا مدخلاً! وذلك حين حضر من أمر الله ما حضر من قبضه ، فقالت له الملائكة: يا صفيّ الله ، أتحبّ أن يكون لك؟ قال: وددت. قالوا: فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهلَ تنفس تنفستَه قطّ.

فنزل فاضطجع فيه ، وتوجَّه إلى ربه ، ثم تنفس فقبض الله تعالى روحه ، ثم سَوَت عليه الملائكة ، وكان صفيّ الله زاهداً في الدنيا راغباً فيما عند الله[1]. (١ : ٤٣٣/ ٤٣٤).

٦٨٧ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن أبي سنان الشيبانيّ ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال: مات موسى وهارون جميعاً في التيه ، مات هارون قبل موسى ، وكانا خرجا جميعاً في التيه إلى بعض الكهوف ، فمات هارون ، فدفنه موسى ، وانصرف موسى إلى بني إسرائيل ، فقالوا: ما فعل هارون؟ قال: مات ، قالوا: كذبتَ ولكنك قتلته لحبّنا إياه ، وكان محبَّباً في بني إسرائيل ، فتضرّع موسى إلى ربِّه ، وشكا ما لقيَ من بني إسرائيل ، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره ، فإني باعثه حتى يخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله. قال: فانطلق بهم إلى قبر هارون ، فنادى: يا هارون ، فخرج من قبره ينفض رأسه ، فقال: أنا قتلتك؟ قال: لا والله ، ولكني متُّ ، قال: فعُدْ إلى مضجعك ، وانصرفوا.

فكان جميع مدة عمر موسى عليه السلام كلها مئة وعشرين سنة ، عشرون من ذلك في ملك أفريدون ، ومئة منها في ملك مِنُوشهر ، وكان ابتداء أمره من لدن

---

(١) ضعيف جداً وكذلك أخرجه الحاكم عن وهب بن منبه وسكت عنه وضعفه الذهبي. . . (المستدرك ٢/ ٥٧٩).
قلنا: وفي إسناده الحاكم عبد المنعم بن إدريس متهم بالكذب كما هو حال ابن حميد والله أعلم.

بعثه الله نبياً إلى أن قبضه إليه في ملك مِنُوشِهْر[١]. (١ : ٤٣٤).

ذكر يوشع بن نون عليه السلام

٦٨٨ ـ ثم ابتعث الله عزّ وجلّ بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون بن إفراييم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيّاً، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب مَنْ فيها من الجبارين. فاختلف السلفُ من أهل العلم في ذلك، وعلى يد مَنْ كان ذلك؟ ومتى سار يوشع إليها؟ في حياة موسى بن عمران كان مسيره إليها أم بعد وفاته[٢]؟ (١ : ٤٣٥).

٦٨٨/ أ ـ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيع، قال: حدثنا سعيد عن قتادة. قال: قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ....﴾ الآية، حرّمت عليهم القرى، فكانوا لا يهبطون قرية، ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة.

وذكر لنا: أنَّ موسى مات في الأربعين سنة، ولم يدخل بيتَ المقدس منهم إلا أبناؤهم، والرجلان اللذان قالا ما قالا[٣]. (١ : ٤٣٦).

٦٨٩ ـ حدثني موسى بن هارون الهمْدانيّ، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط عن السديّ في الخبر الذي ذكرت إسناده فيما مضى: لم يبق أحدٌ ممن أبىَ أن يدخلَ مدينة الجبَّارين مع موسى إلا مات، ولم يشهد الفتح. ثم إن الله عزّ وجلّ لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبيّاً فأخبرهم أنه نبيّ وأنّ الله قد أمره أن يقاتل الجبارين، فبايعوه وصدّقوه، فهزم الجبارين، واقتحموا عليهم، فقتلوهم، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنُق الرجل يضربونها لا يقطعونها[٤]. (١ : ٤٣٦).

---

(١) شيخ الطبري متهم بالكذب والحديث ضعيف وفيه نكارة كما ذكرنا آنفاً والله أعلم كم عمّر موسى.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) إسناده غير صحيح كما قال الطبري.

٦٩٠ - حدثنا ابن بشار ، قال: حدثنا سليمان بن حرْب عن هلال ، عن قتادة في قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال: أبداً[١] . (١ : ٤٣٦) .

٦٩١ - حدثني المثنى قال: حدثنا مسلم بن إبراهيم عن هارون النحويّ ، عن الزبير بن الخرّيت ، عن عكرمة في قوله: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ ، قال: التحريم التّيْه[٢] . (١ : ٤٣٦) .

٦٩١/ أ - وقال آخرون: إنما فتح أرِيحا موسى؛ ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم[٣] . (١ : ٤٣٦) .

ذكر من قال ذلك:

٦٩٢ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: لما نشأت النواشي من ذراريّهم - يعني مِنْ ذراريّ الذينَ أبوْا قتال الجبارين مع موسى - وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التي تُيِّهوا فيها؛ سار بهم موسى ومعه يوشع بن نون ، وكلاب بن يوفنّة ، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، فكان لهم صهراً ، فلما انتهوْا إلى أرض كنعان ، وبها بلعم بن باعور العروف ، وكان رجلاً قد آتاه الله علماً ، وكان فيما أوتي من العلم اسم الله الأعظم - فيما يذكرون - الذي إذا دعِيَ الله به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى[٤] . (١ : ٤٣٧) .

٦٩٣ - حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبي النَّضْر ، أنه حدّث: أنّ موسى لما نزل أرض بني كَنْعان من أرض الشأم ، وكان بلعم ببالعة - قرية من قرى البلقاء - فلما نزل موسى ببني إسرائيل ذلك المنزل ، أتى قومُ بلعم إلى بلعم ، فقالوا له: يا بلعم ، هذا موسى بن عمران في بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويُحلّها بني إسرائيل ، ويسْكنها ، وإنّا قومك وليس لنا منزلٌ ، وأنت رجلٌ مجابُ الدعوة ، فاخرج فادعُ

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

الله عليهم ، فقال: ويلكم! نبي الله معه الملائكة والمؤمنون! كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم! قالوا: ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرقّقونه ، ويتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتتن فركب حمارة له متوجهاً إلى الجبل الذي يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حُسْبان ، فما سار عليها غير قليل ، حتى ربضت به ، فنزل عنها فضربها حتى أذلقها فقامت فركبها ، فلم تسِرْ به كثيراً حتى رَبضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها ، فلم تسرْ به كثيراً حتى ربضت به ، فضرَبها حتى إذا أذلقها أذن الله لها فكلمتْه حُجّةً عليه ، فقالت: ويحك يا بلعم! أين تذهب! ألا ترى الملائكة أمامي تردّني عن وجهي هذا! أتذهب إلى نبيّ الله والمؤمنين تدعو عليهم! فلم ينزع عنها يضربها ، فخلّى الله سبيلَها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسْبان ، على عسكر موسى وبني إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشيء إلاّ صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف لسانه إلى بني إسرائيل ، فقال له قومه: أتدري يا بلعم ما تصنع؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال: فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غَلب الله عليه ، واندلع لسانُه فوقع على صدره ، فقال لهم: قد ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمكر لكم وأحتال ، جَمِّلوا النساء وأعطوهنّ السّلع ، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسَها من رجل أرادها؛ فإنه إن زنى رجل واحد منهم كُفيتموهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانين اسمها كستى ابنة صور ـ رأس أمته وبني أبيه من كان منهم في مدين ، هو كان كبيرهم ـ برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمري بن شلوم ، رأس سِبْط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالُها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى ، فقال: إني أظنك ستقول: هذه حرام عليك! قال: أجلْ هي حرام عليك لا تقرَبْها ، قال: فوالله لا نُطيعك في هذا ، ثم دخل بها قبّته فوقع عليها ، فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل. وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمْر موسى ، وكان رجلاً قد أعطِيَ بسطة في الخلق ، وقوة في البطش ، وكان غائباً حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل ، فأخبِر الخبر ، فأخذ حربته ـ وكانت من حديد كلّها ـ ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ، ثم خرج

بهما رافعهما إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته ـ وكان بِكْر العيزار ـ فجعل يقول : اللهمّ هكذا نفعل بمَنْ يعصيك! ورُفع الطاعون فحُسِب مَنْ هلك من بني إسرائيل في الطاعون ـ فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص ـ فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفاً ، والمقلّل لهم يقول : عشرون ألفاً ، في ساعة من النهار ، فمن هنالك تُعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كلِّ ذبيحة ذبحوها القِبَة والذراع واللَّحْي ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبِكْر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففي بلعم بن باعور ، أنزل الله تعالى على محمد : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ ـ يعني بلعم بن باعور ـ ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يعني بني إسرائيل : أني قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر من السماء .

ثم إن موسى قدّم يوشع بن نون إلى أرِيحا في بني إسرائيل فدخلها بهم ، وقتل بها الجبابرة الذين كانوا فيها ، وأصاب من أصاب منهم ، وبقيتْ منهم بقية في اليوم الذي أصابهم فيه ، وجنح عليهم الليل ، وخَشيَ إن لبسهم الليل أن يُعجزوه ، فاستوقف الشمس ، ودعا الله أن يحبسها ، ففعل عزّ وجلّ حتى استأصلهم ؛ ثم دخلها موسى ببني إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثمّ قبضه الله إليه ، لا يعلم بقبره أحد من الخلائق[1] . (١ : ٤٣٧/ ٤٣٨/ ٤٣٩) .

٦٩٤ ـ فأما السديّ في الخبر الذي ذكرت عنه إسناده فيما مضى ؛ فإنه ذكر في خبره ذلك أن الذي قاتل الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون ، وقصّ من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره ، وهو أنه ذكر فيه : أن الله بعث يوشع نبياً بعد أن انقضت الأربعون سنة ، فدعا بني إسرائيل فأخبرهم أنه نبيّ ، وأنّ الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه وصدّقوه ، وانطلق رجل من بني إسرائيل يقال له : بلعم ـ وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم المكتوم ـ فكفر وأتى الجبارين ، فقال :

---

(١) ضعيف .

لا ترهبوا بني إسرائيل؛ فإني إذا خرجتم تقاتلونهم أدعُو عليهم دعوة فيهلِكون؛ فكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غيرَ أنه كان لا يستطيع أن يأتيَ النساء من عظمهنّ ، فكان ينكح أتاناً له ، وهو الذي يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: فبصر ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ ، فكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين في الناس ، وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه ، وهو يريد أن يلعَن بني إسرائيل ، فكلّما أراد أن يدعُوَ على بني إسرائيل جاء على الجبارين ، فقال الجبارون: إنك إنما تدعو علينا ، فيقول: إنما أردت بني إسرائيل ، فلما بلغ بابَ المدينة أخذَ ملَك بذنَب الأتان فأمسكها ، وجعل يحرّكها فلا تتحرك ، فلما أكثر ضرْبها تكلّمت ، فقالت: أنت تنكحني بالليل وتركبني بالنهار! ويلي منك! ولو أنِّي أطقت الخروجَ لخرجت بك؛ ولكن هذا الملك يحبِسني ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالاً شديداً حتى أمسوْا وغربت الشمس ، ودخل السبت ، فدعا الله فقال للشمس: إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله ، اللهمّ اردد عليَّ الشمس ، فردت عليه الشمس ، فزيد له في النهار يومئذ ساعة ، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها. وجمعوا غنائمهم ، وأمرهم يوشع أن يقرِّبوا الغنيمة فقرَّبوها ، فلم تزل النار تأكلها ، فقال يوشع: يا بني إسرائيل إن لله عزَّ وجلَّ عندكم طِلْبة ، هلمّوا فبايعوني ، فبايعوه فلصقت يد رجل منهم بيده ، فقال: هلمّ ما عندك! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر ، كان قد غلّه ، فجعله في القربان ، وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان[1]. (١: ٤٣٩/ ٤٤٠).

٦٩٥ ـ وأما أهل التوراة؛ فإنهم يقولون: هلك هارون وموسى في التِّيه ، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى ، وأمره أن يعبر الأردنّ إلى الأرض التي أعطاها بني إسرائيل ، ووعدها إياهم ، وأن يوشع جَدَّ في ذلك ووجّه إلى أريحا من تعرّف خبرها ، ثم سار ومعه تابوت الميثاق ، حتى عبَر الأردنّ ، وصار له ولأصحابه فيه

---

(١) ضعيف.

طريق ، فأحاط بمدينة أرِيحا ستة أشهر ، فلما كان السابع نفخوا في القرون ، وضجّ الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها ، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم أدخلوه بيت المال. ثم إن رجلاً من بني إسرائيل غلّ شيئاً ، فغضب الله عليهم وانهزموا ، فجزِع يوشع جزعاً شديداً ، فأوحى الله إلى يوشع أن يُقْرِع بين الأسباط ، ففعل حتى انتهت القُرْعة إلى الرجل الذي غلّ ، فاستخرج غُلوله من بيته ، فرجَمه يوشع وأحرق كلَّ ما كان له بالنار ، وسمّوا الموضع باسم صاحب الغلول ، وهو عاجر فالموضع إلى هذا اليوم غَوْر عاجر. ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عايي وشعبه ، فأرشدهم الله إلى حربه ، وأمر يوشع أن يكمن لهم كميناً ففعل ، وغلب على عايي وصلَب ملكها على خشبة ، وأحرق المدينة وقتل مِنْ أهلها اثنيْ عشر ألفاً من الرجال والنساء ، واحتال أهلُ عماق وجيعون ليوشع حتى جعل لهم أماناً ، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا حَطّابين وسقائين ، فكانوا كذلك ، وأن يكون بازق ملك أورشليم يتصدق ، ثم أرسل ملوك الأرمانيين ، وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض ، وجمعوا كلمتهم على جيعون ، فاستنجد أهل جيعون يوشع ، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حدّروهم إلى هَبْطة حَوْران ، ورماهم الله بأحجار البرَد ، فكان مَنْ قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وسـأل يوشع الشمسَ أن تقف والقمر أن يقـوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت ، ففعلا ذلك وهرب الخمسة ملوك فاختفوْا في غار ، فأمر يوشع فَسُد بابُ الغار حتى فرغ من الانتقام من أعدائه ، ثم أمر بهم فأخرجوا ، فقتلهم وصلبهم ثم أنزلهـم من الخشب ، وطرحهم في الغار الذي كانوا فيـه ، وتتبّع سائر الملوك بالشام؛ فاستباح منهم أحداً وثلاثين ملكاً ، وفرق الأرض التي غلب عليها. ثم مات يوشع ، فلمـا مـات دُفن في جبـل أفراييم ، وقام بعده سِبْـطُ يَهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين ، فاستباحوا حريمهم ، وقتلوا منهم عشرة آلاف ببازق ، وأخذوا ملك بازق فقطعوا إبهامَيْ يديه ورجليه ، فقال عند ذلك ملك بازق: قد كان يلقط الخبز من تحت مائدتي سبعون ملكاً مُقطَّعي الأباهيم ، فقد جزاني الله بصنيعي ، وأدخلوا ملك بازق أورشليم ، فمات بها. وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم ، وكان عُمْر يوشع مئة سنة وستّاً وعشرين سنة. وتدبيره أمر بني إسرائيل منذ توفي موسى إلى أن تُوفي

يوشع بن نون سبعاً وعشرين سنة[١]. (١ : ٤٤١/ ٤٤٢).

٦٩٥/ أ ـ وقد قيل إن أوّل مَنْ ملك من ملوك اليمن ، مِلك كان لهم في عهد موسى بن عمران من حمير ، يقال له: شمير بن الأملول ، وهو الذي بنى مدينة ظَفار باليمن ، وأخرج مَنْ كان بها من العماليق ، وإن شمير بن الأملول الحميريّ هذا كان من عُمّال ملك الفرس يومئذ على اليمن ونواحيها[٢]. (١ : ٤٤٢).

٦٩٦ ـ وزعم هشام بن محمد الكلبي: أن بقيةً بقيت من الكنعانيين بعد ما قَتَلَ يوشع مَنْ قتل منهم ، وأن إفريقيس بن قيس بن صيفيّ بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجُب بن يعرُب بن قحطان مرّ بهم متوجهاً إلى إفريقيَة ، فاحتملهم من سواحل الشام ، حتى أتى بهم إفريقيَة ، فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا ، وأسكنَها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام. قال: فهم البرابرة ، قال: وإنما سُمّوا بربراً ، لأن إفريقيس قال لهم: ما أكثر بربرتكم! فسموا لذلك بربراً ، وذكر أن إفريقيس قال في ذلك من أمرهم شعراً ، وهو قوله:

بَرْبَرَتْ كنعانُ لمّا سُقْتُهَا مِنْ أراضي الْهُلْكِ للعيشِ العَجَب

قال: وأقام من حمير في البربر صنْهاجَة وكُتامة ، فهم فيهم إلى اليوم[٣]. (١ : ٤٤٢).

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

٦٩٧ ـ وكان قارون ابنَ عم موسى عليه السلام. حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج ، قوله: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ، قال: ابن عمه ، أخي أبيه. فإنَّ: قارون بن يصفر ـ هكذا قال القاسم ، [وإنما هو يصهر] ـ بن قاهث ، وموسى بن عرمر بن قاهث ، وعرمر بالعربية عمران؛ هكذا قال القاسم ، وإنما هو عمرم[٤]. (١ : ٤٤٣).

---

(١) من الإسرائيليات ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

٦٩٨ ـ وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة عنه : تزوج يصهر بن قاهث شميت ابنة تباويت بن بركيا بن يقسان بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ، فقارون ـ على ما قال ابن إسحاق ـ عمّ موسى أخو أبيه لأبيه وأمه[1] . (١ : ٤٤٣) .

وأما أهلُ العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج .

ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك من علمائنا الماضين :

٦٩٩ ـ حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن أبي خالد عن إبراهيم في قوله : ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ، قال : كان ابن عمّ موسى[2] . (١ : ٤٤٣) .

٧٠٠ ـ حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ، كان قارون ابنَ عمّ موسى[3] . (١ : ٤٤٣) .

٧٠١ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم : ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ، قال : كان ابن عمه فبغى عليه[4] . (١ : ٤٤٤) .

٧٠٢ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابنَ عم موسى[5] . (١ : ٤٤٤) .

٧٠٣ ـ حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو معاوية عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ، قال : كان ابنَ عمه[6] . (١ : ٤٤٤) .

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .
(٥) ضعيف .
(٦) ضعيف .

٧٠٤ - حدثنا بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخي أبيه، وكان يسمى المنوّر من حسن صورته في التوارة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامريّ، فأهلكه البغي[1]. (١ : ٤٤٤).

٧٠٥ - حدثني بشر بن هلال الصواف، قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعيّ عن مالك بن دينار، قال: بلَغني أنّ موسى بن عمران كان ابنَ عمّ قارون، وكان الله قد آتاه مالاً كثيراً، كما وصفه الله عزّ وجلّ، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾، يعني بقوله: ﴿لَتَنُوٓأُ﴾ تثقل[2]. (١ : ٤٤٤).

٧٠٦ - وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذي حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير عن منصور، عن خيثمة في قوله: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ قال: نجد مكتوباً في الإنجيل: مفاتيحُ قارون وَقْرستين بغلاً غرّاً محجّلة، ما يزيد مفتاح منها على إصبع؛ لكل مفتاح منها كنز[3]. (١ : ٤٤٤).

٧٠٧ - حدثني أبو كريب، قال: حدثنا هُشَيْم، قال: أخبرنا إسماعيل بن سالم، عن أبي صالح: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾، قال: كانت مفاتيح خزائنه تحمّل على أربعين بغلاً[4]. (١ : ٤٤٤/ ٤٤٥).

٧٠٨ - حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرَنا الأعمش عن خيثمة، قال: كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلاً، كلّ مفتاح منها لباب كنزٍ معلوم، مثل الإصبع، من جلود[5]. (١ : ٤٤٥).

٧٠٩ - حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي عن الأعمش، عن خيثمة، قال: كانت مفاتيح قارون من جلود، كلّ مفتاح مثل الإصبع، كلّ مفتاح على خزانة

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.
(٥) ضعيف.

على حِدة، فإذا ركب حُمِلت المفاتيح على ستين بغلاً أغرّ محجّل[١]. (١ : ٤٤٥).

٧١٠ ـ فبغَى عدوّ الله لما أراد الله به الشقاء والبلاء على قومه بكثرة ماله. وقيل: إن بغيه عليهم كان بأن زاد عليهم في الثياب شبراً. كذلك حدثني علي بن سعيد الكنديّ وأبو السائب وابن وكيع، قالوا: حدثنا حفص بن غياث عن ليث، عن شهر بن حَوْشب.

فوعظه قومه على ما كان من بغيه، ونهوه عنه، وأمروه بإنفاق ما أعطاه الله في سبيله والعمل فيه بطاعته، كما أخبر الله عزّ وجلّ عنهم أنهم قالوا له فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ وعنى بقوله: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾: لا تنْس في دنياك أن تأخذ نصيبك فيها لآخرتك، فكان جوابُه إياهم جهلاً منه، واغتراراً بحلم الله عنه، ما ذكر الله تعالى في كتابه أن قال لهم: إنما أوتيتُ ما أوتيتُ من هذه الدنيا على علم عندي فقيل: معنى ذلك: على خير عندي، كذلك رُوِي ذلك عن قتادة[٢]. (١ : ٤٤٥).

٧١١ ـ وقال غيره: عنى بذلك: لولا رضاء الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا، قال الله عزَّ وجلَّ مكذباً قيله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ﴾ للأموال. ولو كان الله إنما يُعطي الأموال والدنيا مَنْ يعطيه إياها لرضاه عنه، وفضله عنده؛ لم يهلك مَنْ أهلك من أرباب الأموال الكثيرة قبله، مع كثرة ما كان أعطاهم منها. فلم يردْعه عن جهله، وبغيه على قومه بكثرة مالِه عظةُ من وعظه، وتذكير مَنْ ذكَّره بالله ونصيحته إياه؛ ولكنه تمادى في غيه وخسارته، حتى خرج على قومه في زينته راكباً بِرْذَوْناً أبيضَ مسرجاً بسرج الأرجُوان، قد لبس ثياباً معصفرة، قد حمل معه من الجواري بمثل هيئته وزينته على مثل بِرْذَوْنه ثلاثمئة جارية وأربعة آلاف من أصحابه.

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

وقال بعضهم: كان الذين حملهم على مثل هيئته وزينته من أصحابه سبعين ألفاً[١]. (١ : ٤٤٦).

٧١٢ ـ حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر عن عثمان بن الأسود، عن مجاهد: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾، قال: على براذين بيض، عليها سروج الأرجوان، عليهم المعصفرة. فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم في زينته مثلَ الذي أوتيه، فقالوا: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، فأنكر ذلك من قوله عليهم أهلُ العلم بالله فقالوا لهم: ويلكم أيها المتمنّون مثلَ ما أوتي قارون! اتقوا الله، واعملوا بما أمركم الله به، وانتهوا عما نهاكم عنه، فإن ثوابَ الله وجزاءه أهل طاعته خيرٌ لمن آمن به وبرسله، وعمِل بما أمره به من صالح الأعمال، يقول الله: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾، يقول: لا يلقى مثل هذه الكلمة إلا الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا، وآثروا جزيلَ ثواب الله على صالح الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها، فعملوا له بما يوجب لهم ذلك[٢]. (١ : ٤٤٦).

٧١٢/أ ـ فلما عتا الخبيث وتمادى في غيّه، وبطر نعمة ربه؛ ابتلاه الله عزّ وجلّ من الفريضة في ماله والحق الذي ألزمه فيه ما ساق إليه شحّه به أليم عقابه، وصار به عبرة للغابرين وعظة للباقين[٣]. (١ : ٤٤٧).

٧١٣ ـ فحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش، عن المنهال بن عمرٍو، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال: لما نزلت الزكاة أتى قارونُ موسى فصالحه عن كلِّ ألف دينار ديناراً، وعلى كلِّ ألف درهم درهماً، وعلى كلِّ ألف شيء شيئاً، أو قال: وكلّ ألف شاة شاةً ـ قال أبو جعفر الطبريّ: أنا أشك ـ قال: ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل، إن موسى قد أمرَكم بكل شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالَكُم. فقالوا له: أنت كبيرُنا وسيدنا، فمرْنا بما

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

شئت ، فقال: آمركم أن تَجيؤوا بفلانة البغيّ فتجعلوا لها جُعلاً فتقذفه بنفسها. فدعوْها فجعلوا لها جُعلاً على أن تقذفه بنفسها ، ثم أتى موسى فقال: إنّ قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم ، فخرج إليهم وهم في بَراح من الأرض ، فقال: يا بني إسرائيل ، مَنْ سرق قطْعنا يده ، ومن افترى جلَدناه ثمانين ، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مئة ، ومن زنى وله امرأة جلدناه حتى يموت ـ أو قال: رجمناه حتى يموت ـ قال أبو جعفر أنا أشك ـ فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ قال: وإن كنت أنا. قال: وإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فقال: ادعُوها ، فإن قالت فهو كما قالت ، فلما أن جاءت قال لها موسى: يا فلانة ، قالت: لبيك! قال: أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا ، وكذبوا ، ولكن جعلوا إليّ جُعلاً على أن أقذفَك بنفسي ، فوثب فسجد وهو بينهم ، فأوحى إليه: مُر الأرض بما شئتَ ، قال: يا أرض خذِيهم ! فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال: يا أرض خُذيهم ! فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال: يا أرض خذيهم ! فأخذتهم إلى أعناقهم ، قال: فجعلوا يقولون: يا موسى ، ويتضرّعون إليه ، قال: يا أرض خذيهم ! فأطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه: [يا موسى] يقول لك عبادي: يا موسى يا موسى ، فلا ترحمهم ، أما لو إياي دعْوا لوجدوني قريباً مجيباً ، قال: فذلك قوله: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ ، وكانت زينته أنه خرج على دوابّ شُقْر عليها سروج أرجوان ، عليها ثياب مصبّغة بالبَهرمان ، ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾. يا محمد ! ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١]. (١: ٤٤٧/٤٤٨).

٧١٤ ـ حدثنا أبو كريب ، قال: حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس بنحوه ، وزادني فيه: قال: فأصاب بني إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوْا موسى فقالوا: ادع لنا ربك ، قال:

---

(١) الأعمش مدلس وعنعن هنا ولم يصرح بالتحديث وقد رواه الطبري هنا عن ابن عباس موقوفاً وكذلك أخرجه الحاكم بهذا الإسناد من طريق الأعمش معنعناً (٢/ ٤٠٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
قلنا: ولكنه موقوف فما يدرينا أن ابن عباس لم يأخذه من كعب الأحبار والله أعلم.

فدعا لهم فأوحى الله إليه: يا موسى ! أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم من خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم أما لو إياي دعوا لأجبتهم[١]. (١ : ٤٤٨).

٧١٥ ـ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثنا عليّ بن هاشم ابن البريد عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس في قوله: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ ﴾ ، قال: كان ابن عمه ، وكان موسى يقضي في ناحية بني إسرائيل وقارون في ناحية ، قال: فدعا بغيّة كانت في بني إسرائيل ، فجعل لها جُعلاً على أن ترميَ موسى بنفسها ، فتركه ، حتى إذا كان يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى أتاه قارون فقال: يا موسى ! ما حدُّ مَنْ سرق؟ قال: أن تقطع يده ، قال: فإن كنتَ أنت؟ قال: نعم ، قال: فما حدّ من زَنى؟ قال: أن يُرجم ، قال: وإن كنت أنت؟ قال: نعم ، قال: فإنك قد فعلت ، قال: ويلك! بمن؟ قال: بفلانة ، فدعاها موسى ، فقال: أنشدُك بالذي أنزل التوراة ، أصدَق قارون؟ قالت: اللهمّ إذْ نشدتني ، فإني أشهد أنك بَريء ، وأنّك رسولُ الله ، وأن عدّو الله قارون جعلَ لي جُعْلاً على أن أرميَك بنفسي ! قال: فَوثب موسى فخرَّ ساجداً ، فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الأرضَ أن تطيعك ، فقال موسى: خذيهم ، فأخذتهم حتى بلغوا الحَقْو ، قال: يا موسى ، قال: خذيهم فأخذتْهُم حتى بلغوا الصدور ، قال: يا موسى ، قال: خذيهم ، قال: فذهبوا ، قال: فأوحى الله إليه: يا موسى ، استغاث بك فلم تُغثه ، أما لو استغاثَ بي ، لأجبتُه ولأغثته[٢]. (١ : ٤٤٨/ ٤٤٩).

٧١٦ ـ حدثنا بشر بن هلال الصّواف ، قال: حدثنا جعفر بن سليمان الضبعيّ ، قال: حدثنا علي بن زيد بن جُدْعان ، قال: خرج عبد الله بن الحارث من الدار ، ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند عليها وجلسنا إليه ، فذكر سليمان بن داود و﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ . قال: ثم سكت عن حديث سليمان ، فقال: ﴿ ۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكان قد أوتِيَ من الكنوز ما ذكره الله في كتابه: ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ . فـ ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾

---

(١) في إسناده رجل لم يُسمَّ. ضعيف.

(٢) ضعيف.

قال: وعاد موسى وكان مؤذياً له، فكانَ موسى يصفح عنه، ويعفو للقرابة حتى بنى داراً، وجعل بابَ داره منْ ذهب، وضرب على جدر داره صفائح الذهب، وكان الملأ من بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه، فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالخنا مشهورة بالسب، فجاءت قال لها: هل لك أن أموّلك وأعطيَك وأخلِطَك بنسائي، على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي فتقولي: يا قارون ألا تنهى عنّي موسى! قالت: بلى! فلما جلس قارون، وجاءه الملأ من بني إسرائيل أرسل إليها فجاءت، فقامت بين يديه، فقلب الله قلبها، وأحدَث لها تَوْبة، فقالت في نفسها: لا أجد اليومَ توبةً أفضلَ من ألاّ أوذي رسول الله وأعذب عدو الله، فقالت: إن قارون قال لي: هل لكِ أن أمولك وأعطيَك وأخلِطك بنسائي على أن تأتيني والملأ من بني إسرائيل عندي، فتقولي: يا قارون! ألا تنهى عني موسى! فلم أجد توبةً أفضلَ من ألاّ أوذي رسولَ الله، وأعذب عدوّ الله. فلما تكلمت بهذا الكلام سُقط في يدي قارون، ونكس رأسه، وسكت عن الملإ، وعرف أنه قد وقع في هلَكة، فشاع كلامُها في الناس، حتى بلغ موسى، فلما بلغ موسى اشتدّ غضبهُ فتوضأ من الماء وصلى وبكى، وقال: يا ربّ! عدوك لي مؤذٍ، أراد فضيحتي وشيْني، يا ربّ! سلطني عليه. فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك، فجاء موسى إلى قارون، فلما دخل عليه عرف الشر في وجه موسى له، فقال له: يا موسى ارحمني، قال: يا أرض خذيهم! قال: فاضطربت داره، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين، وجعل يقول: يا موسى ارحمني! قال: يا أرض خذيهم! فاضطربت دارُه وساخت، وخُسِف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى، ارحمني! قال: يا أرض خذيهم! فاضطربت داره، وساخت وخسف بقارون وأصحابه إلى سررهم، وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى، ارحمني! قال: يا أرضُ خُذِيهم! فخسف به وبداره وأصحابه، قال: وقيل لموسى: يا موسى ما أفظك! أما وعزّتي لو إياي نادى؛ لأجبتُه[1]. (١: ٤٤٩/ ٤٥٠).

٧١٧ ـ حدثنا بشر بن هلال، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران

(١) ضعيف.

الجوْنيّ ، قال: بلغني أنه قيل لموسى: لا أُعبِّدُ الأرض لأحد بعدك أبداً[١]. (١ : ٤٥٠).

٧١٨ ـ حدثنا بشر ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد عن قتادة ، ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ ، ذكر لنا أنه يخسف به كلّ يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة[٢]. (١ : ٤٥٠/ ٤٥١).

٧١٩ ـ وروي عن النبي ﷺ ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال: حدثنا عمي ، قال: حدثني الماضي بن محمد عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخْولانيّ ، عن أبي ذّر ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى».

قال: قلت: يا رسولَ الله ! ما كان في صحف موسى؟ قال: كانت عِبراً كلّها ، عجبت لمن أيْقَنْ بالنار ثم يضحك ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم يفرح ، عجبت لمن أيقنَ بالحساب غداً ثم لم يعمل!

وكان تدبير يوشع أمر بني إسرائيل من لدن مات موسى ، إلى أن توفي يوشع ، كله في زمان منوشهر عشرين سنة ، وفي زمان فَراسْياب سبع سنين[٣]. (١ : ٤٥١/ ٤٥٢).

ذكر أمر بني إسرائيل والقوّام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع بن نون والأحداث التي كانت في عهد زَوّ وكَيْقَبَاذ

٧١٩/ أ ـ ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفين من أمتِنا وغيرهم أن القيّم بأمور بني إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يُوفنّا ، ثم حِزْقِيل بن بُوذى من بعده ، وهو الذي يقال له: ابن العجوز[٤]. (١ : ٤٥٧).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) في إسناده الماضي بن محمد ضعيف وشطره الأخير جزء من حديث طويل عند ابن حبان (ح ٣٦١) عن أبي ذر مرفوعاً من قوله: فما كانت صحف موسى عليه السلام إلى آخر الحديث. وإسناده ضعيف جداً بسبب إبراهيم بن يحيى اتهمه أبو حاتم بالكذب.

(٤) ضعيف.

٧٢٠ - فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: إنما سمي حِزقيل بن بوزِي ابن العجوز: أنها سألت الله الولد، وقد كبرت وعقِمت، فوهبه الله لها، فبذلك قيل له: ابن العجوز؛ وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر الله في الكتاب عليه السلام كما بلغنا: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾[1]. (١: ٤٥٧).

٧٢١ - حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم قال: حدثني عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهب بن منبه يقول: أصاب ناساً من بني إسرائيل بلاءٌ وشدة من الزمان، فشكوْا ما أصابهم فقالوا: يا ليتنا قد مِتْنا فاسترحنا مما نحن فيه! فأوحى الله إلى حِزْقِيل: إنّ قومك صاحوا من البلاء، وزعموا أنهم ودُّوا لو ماتوا فاستراحوا، وأيّ راحة لهم في الموت! أيظنون أني لا أقدر على أن أبعثَهم بعد الموت! فانطلِقْ إلى جَبّانة كذا وكذا فإن فيها أربعة آلاف ـ قال وهب: وهم الذين قال الله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ ـ فقمْ فيهم فنادهم، وكانت عظامهم قد تفرّقت؛ فرّقتها الطير والسباع، فناداها حِزْقيل، فقال: يا أيَّتُها العظامُ النخِرة، إن الله عزَّ وجلَّ يأمرُك أن تجتمعي. فاجتمع عظام كل إنسان منهم معاً، ثم نادى ثانية حزقيل فقال: أيتها العظام، إن الله يأمرك أن تكتسي اللحم، فاكتست اللحم، وبعد اللحم جلداً، فكانت أجساداً، ثم نادى حزقيل الثالثة فقال: أيتها الأرواح، إن الله يأمرك أن تعودي في أجسادك. فقاموا بإذن الله، وكبَّروا تكبيرة واحدة[2]. (١: ٤٥٧/ ٤٥٨).

٧٢٢ - حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال: حدثنا أسباط، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدَانيّ، عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبيﷺ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ كانت قرية يقال لها داوَرْدان قبل واسط، فوقع بها الطاعون، فهرب

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

عامة أهلها فنزلوا ناحية منها ، فهلك أكثرُ مَن بقي في القرية وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا: أصحابُنا هؤلاء كانوا أحزَم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجنّ معهم. فوقع في قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفيَح ، فناداهم مَلَك من أسفل الوادي ، وآخر من أعلاه: أن موتوا ، فماتوا حتى هلكوا ، وبليت أجسادهم ، فمرّ بهم نبيٌّ يقال له: هِزْقيل ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، يَلْوِي شِدقه وأصابعه ، فأوحى الله إليه: يا هزقيل ! أتريد أن أريك كيف أحييهم؟ قال: نعم ، وإنما كان تفكُّره أنه تعجَّب من قدرة الله عليهم ، فقال: نعم ، فقيل له: ناد ، فنادى يا أيّتها العظام ، إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض؛ حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله أن ناد: يا أيتها العظام؛ إن الله يأمرك أن تكتسي لحماً فاكتست لحماً ودماً وثيابَها التي ماتت فيها؛ وهي عليها ، ثم قيل له: ناد ، فنادى: يا أيتها الأجساد ، إن الله يأمرُك أن تقومي ، فقاموا[١]. (١ : ٤٥٨).

٧٢٣ـ حدثني موسى ، قال: حدثنا عمرو ، قال: حدثنا أسباط ، قال: فزعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحْيُوا: سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت؛ فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنةُ الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم[٢]. (١ : ٤٥٩).

٧٢٤ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا حكّام عن عنبسة ، عن أشعث ، عن سالم النَصْريّ ، قال: بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوَّى ، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ قال: فلما انفتل عمر قال: أرأيت قولَ أحدكما لصاحبه: أهو هو؟ فقالا: إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطَى ما أعطي حزقيل الذي أحيا الموتى بإذن الله ، فقال عمر: ما نجد في كتابنا حزقيل ، ولا أحيا الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم ، فقالا: أما تجد في كتابُ الله ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ ، فقال عمر: بلى ، قالا وأما إحياء

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

الموتى فسنحدّثك أن بني إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوْا عليهم حائطاً ، حتى إذا بليت عظامهُم بعث الله حِزْقيل فقام عليهم ، فقال : ما شاء الله! فبعثهم الله له ، فأنزل الله في ذلك : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ . . . ﴾ ، الآية[١] . (١ : ٤٥٩).

٧٢٥ ـ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه : أن كالب بن يوفنّا لما قبضه الله بعد يوشع ، خلف فيهم ـ يعني في بني إسرائيل ـ حزِقيل بن بوذى ، وهو ابن العجوز ، وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر الله في الكتاب لمحمد ﷺ كما بلغنا : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ . . . . ﴾ الآية[٢] . (١ : ٤٦٠).

٧٢٦ ـ قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : فبلغني أنه كان من حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سُقْم كان يصيب الناس حذراً من الموت وهم ألوف ، حتى إذا نزلوا بصعيد من البلاد قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعاً ، فعمِد أهلُ تلك البلاد فحظروا عليهم حظيرة دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن يغيَّبوا ، فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظاماً نخرة ، فمرّ بهم حزقيل بن بوذى ، فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم ، ودخلته رحمة لهم ، فقيل له : أتحب أن يحييهم الله؟ فقال : نعم ، فقيل له : فقل : أيتها العظام الرميم ، التي قد رمَّت وبَليت ! لِيرْجعْ كل عظم إلى صاحبه . فناداهم بذلك ، فنظر إلى العظام تتواثب يأخذ بعضُها بعضاً ، ثم قيل له : قل : أيها اللحم والعَصَب والجلد ، اكس العظام بإذن ربك ، قال فنظر إليها والعصب يأخذ العظام ، ثم اللحم والجلد والأشعار ، حتى استووا خَلْقاً ليست فيهم الأرواح ، ثم دعا لهم بالحياة ، فتغشّاه من السماء شيء كَرَبه ، حتى غُشِيَ عليه منه ، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : سبحان الله ! فقد أحياهم الله .

فلم يذكر لنا مدةُ مكْث حِزْقيل في بني إسرائيل[٣] . (١ : ٤٦٠).

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .

إلياس واليسع عليهما السلام

٧٢٦/ أ ـ ولما قبض الله حِزْقيل كثرت الأحداث ـ فيما ذكر ـ في بني إسرائيل وتركوا عهد الله الذي عهد إليهم في التوراة، وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم فيما قيل: إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران[1]. (١ : ٤٦١).

٧٢٧ ـ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق: ثم إن الله عزّ وجلّ قبض حزقيل، وعظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونَسُوا ما كان من عهدِ الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين بن فِنْحاص بن العيزار بن هارون بن عمران نبيّاً؛ وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعَثون إليهم بتجديد ما نسُوا من التوراة. فكان إلياسُ مع مِلِك من ملوك بني إسرائيل يقال له: أحاب، وكان اسم امرأته: أزبل، وكان يسمع منه ويصدّقه، وكان إلياس يقيم له أمرَه، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله، يقال له: بَعْلِ. قال ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بعْل إلا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ـ إلى قوله: ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ـ فجعل إلياس يدعوهم إلى الله، وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرقة بالشأم؛ كل ملك له ناحية منها يأكلها، فقال ذلك الملِك، الذي كان إلياس معه، يقوم له بأمره، ويراه على هدى من بين أصحابه يوماً يا إلياس، والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً، والله ما أرى فلاناً وفلاناً فعدّ ملوكاً من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلاّ على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون ويتنعمون، مملّكين، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل.

فيزعمون ـ والله أعلم ـ: أن إلياس استرجع وقام شعرُ رأسه وجلده، ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه؛ عَبَدَ الأوثان، وصنع ما يصنعون.

---

(١) ضعيف.

فقال إلياس: اللهمّ إن بني إسرائيل قد أبوْا إلا الكفر بك، والعبادة لغيرك، فغيِّر ما بهم من نعمتك. أو كما قال[1]. (١: ٤٦١/ ٤٦٢).

٧٢٨ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: ذكر لي: أنه أوحى إليه: إنّا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك؛ حتى تكون أنت الذي تأمر في ذلك. فقال إلياس: اللهمّ فأمسِكْ عنهم المطر! فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلَكت الماشية والدوابّ والهوامّ والشجر، وجَهِد الناس جهداً شديداً.

وكان إلياس ـ فيما يذكرون ـ حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى شفقاً على نفسهِ منهم، وكان حيث ما كان وضع له رزق، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان، فطلبوه، ولقي أهل ذلك المنزل منهم شرّاً. ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل، لها ابن يقال له: اليسع بن أخطوب، به ضُرٌّ، فآوته وأخفت أمرَه، فدعا إلياس لابنها فعوفي من الضُّرِّ الذي كان به، واتبعه اليسع فآمن به وصدّقه ولزمه، فكان يذهب معه حيثما ذهب، وكان إلياس قد أسنّ وكِبر، وكان اليسع غلاماً شابّاً. فيزعمون ـ والله أعلم ـ: أن الله أوحى إلى إلياس: إنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعصِ، سوى بني إسرائيل ممن لم أكن أريد هلاكه بخطايا بني إسرائيل من البهائم والدوابّ والطير والهوامّ والشجر، بحبس المطر عن بني إسرائيل. فيزعمون ـ والله أعلم ـ: أن إلياس قال: أيْ ربِّ! دعني أكن أنا الذي أدعو لهم به، وأكن أنا الذي آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك. قيل له: نعم، فجاء إلياس إلى بني إسرائيل، فقال لهم: إنكم قد هلكتم جهداً، وهلكت البهائم والدوابّ والطير والهوام والشجر بخطاياكم، وأنكم على باطل وغرور ـ أو كما قال لهم ـ فإنْ كنتم تحبُّون أن تعلموا ذلك وتعلموا أنّ الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه، وأن الذي أدعوكم إليه الحق، فاخرجوا بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه، فإن استجابت لكم؛ فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل؛ علمتم أنكم على باطل فنزعتم، ودعوت الله ففرّج عنكم ما أنتم فيه من البلاء. قالوا:

(١) شيخ الطبري ضعيف واتهمه بعضهم بالكذب وفي متنه من الإسرائيليات ما فيه.

أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به إلى الله من أحداثهم التي لا يرضى ، فدعوْها فلم تستجب لهم ، ولم تفرّج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل ، ثم قالوا لإلياس : يا إلياس ! إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس بالفرج مما هم فيه ، وأن يُسْقَوْا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم ترامى إليه السحاب ، ثم أدجنت ، ثم أرسل الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادُهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ، فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه. فلما رأى ذلك إلياس من كفرهم؛ دعا ربَّه أن يقبِضه إليه فيريحَه منهم ، فقيل له ـ فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس ، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد الذي ذكر له في المكان الذي أمر به أقبل فرسٌ من نار ، حتى وقف بين يديه فوثب عليه، فانطلق به فناداه اليسع : يا إلياس ! يا إلياس! ما تأمرني؟ فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم ، والمشرب ، وطار في الملائكة ، فكان إنسيّاً مَلكيّاً أرضيّاً سمائيّاً[1] . (١ : ٤٦٢/ ٤٦٣).

٧٢٩ ـ ثم قام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل ـ فيما حدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: كما ذكر لي عن وهب بن منبّه قال: ثم نبِّيء فيهم ـ يعني: في بني إسرائيل ـ بعده يعني [بعد] إلياس ـ اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخُلوف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فكانوا لا يلقاهم عدوٌّ فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو.

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه ، عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأسُ هرة ميتة ، فإذا صَرَخت في التابوت بصُراخ هرّ أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح.

ثم خلف فيهم مِلك يقال له: إيلاف ، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من

---

(١) ضعيف.

إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره ، فكان أحدهم ـ فيما يذكرون ـ يجمع التراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحبّ ، فيخرج الله له ما يأكل [منه] سنة وهو وعياله ، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعتصر منها ما يأكل؛ هو وعيالُه سنة ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهَد الله إليهم؛ نزل بهم عدوّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا به فقوتلوا حتى اسْتُلِب من أيديهم ، فأتى ملكهم إيلاف ، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب ، فمالت عنقه فمات كمداً عليه ، فمرج أمرهم بينهم واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسائهم ، فمكثوا على اضطراب من أمرِهم ، واختلاف من أحوالهم يتمادوْن أحياناً في غيهم وضلالهم ، فسلط الله عليهم مَنْ ينتقم به منهم ، ويراجعون التوبة أحياناً فيكفيهم الله [عند ذلك] شر مَنْ بَغَاهم سوءاً؛ حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ، وردَّ عليهم تابوت الميثاق[1] . (١ : ٤٦٤) .

٧٢٩/ أ ـ وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون ـ التي كان أمْر بني إسرائيل في بعضها إلى القضاة منهم والساسة ، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقْهرهم فيتملّك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ، ورجعت النبوة إليهم بشمويل بن بالي أربعمئة سنة وستين سنة . فكان أولَ من سُلِّط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط ، يقال له: كوشان ، فقهرهم وأذلهم ثمانيَ سنين ، ثم تنقّذهم من يده أخ لكالب الأصغر يقال له: عتنيل بن قيس ـ فقام بأمرهم فيما قيل ـ أربعين سنة ، سُلّط عليهم ملك يقال له: جعلون فملكهم ثمانيَ عشرة سنة ، ثم تنقّذهم منه ـ فيما قيل ـ رجل من سبط بنيامين يقال له: أهود بن جيرا الأشلّ اليمنى ، فقام بأمرهم ثمانين سنة ، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له: يافين ، فملكهم عشرين سنة ، ثم تنقّذهم ـ فيما قيل ـ امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها: دبورا فدبر أمرهم ـ فيما قيل ـ رجل من قِبلها يقال له: باراق أربعين سنة ، ثم سُلط عليهم قوم من نسل لوط كانت منازلهم في تخوم الحجاز فملكوهم سبع سنين ، ثم تنقّذهم منهم رجل من ولد نفثالي بن يعقوب يقال له: جدعون بن يواش ، فدبر أمرهم أربعين سنة ، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أبيملك بن جدعون ثلاث سنين ، ثم دبرهم من بعد أبيملك تولغ بن فوا بن خال أبيملك. وقيل: إنه ابن

---

(١) ضعيف.

عمه ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم دبر أمرهم بعد تولغ رجل من بني إسرائيل يقال له: يائير اثنتين وعشرين سنة ، ثم ملكهم بنو عمون ، وهم قوم من أهل فلسطين ثمانيَ عشرة سنة ، ثم قام بأمرهم رجل منهم يقال له: يفتح ست سنين ، ثم دبرهم من بعده يجشون ، وهو رجل من بني إسرائيل سبعَ سنين ، ثم دبرهم بعده ألون عشر سنين ، ثم من بعده كيرون ـ ويسميه بعضهم: عكرون ـ ثماني سنين ، ثم قهرهم أهل فلسطين وملوكهم أربعين سنة ، ثم وليهم شمسون وهو من بني إسرائيل عشرين سنة ، ثم بقُوا بغير رئيس ولا مدبّر لأمرهم بعد شمسون ـ فيما قيل ـ عشر سنين ، ثم دبر أمرهم بعد ذلك عالي الكاهن ، وفي أيامه غلب أهل غزّة وعسقلان على تابوت الميثاق ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة؛ بعث شمويل نبياً فدبر شمويل أمرهم ـ فيما ذكر ـ عشر سنين. ثم سألوا شمويل حين نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم أن يبعث لهم مِلِكاً يجاهدون معه في سبيل الله ، فقال لهم شمويل ما قد قصّ الله في كتابه العزيز[١]. (١ : ٤٦٥/٤٦٦).

ذكر خبر شمويل بن بالي بن علقمة بن يرخام بن اليهو بن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت

٧٣٠ ـ كان من خبر شمويل بن بالي: أن بني إسرائيل لما طال عليهم البلاء ، وأذلتْهم الملوك من غيرهم ، ووطئت بلادهم ، وقتلوا رجالَهم ، وسبوْا ذراريّهم ، وغلبوهم على التابوت الذي فيه السكينة والبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو ، ورغبوا إلى الله عزّ وجلّ في أن يبعث لهم نبيّاً يقيم أمرهم[٢]. (١ : ٤٦٧).

٧٣٠/ أ ـ فحدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السدّي في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس ـ وعن مرة عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة جالوت ، وأنهم ظهروا على

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

بني إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتَهم ، فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبيّاً يقاتلون معه ، وكان سِبْط النبوّة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حُبْلى فأخذوها فحبسوها في بيت ، رهبة أن تلد جارية فتبدِله بغلام ، لما ترى من رغبة بني إسرائيل في ولدها ، فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقَها غلاماً، فولدت غلاماً فسمته سمعون، تقول: الله سمع دعائي. فكبر الغلام، فأسلمته يتعلّم التوراة في بيت المقدس ، وكفَله شيخ من علمائهم ، وتبنّاه ، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبيّاً، أتاه جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ، وكان لا يأمن عليه أحداً غَيره فدعاه بلحن الشيخ: يا شمويل ، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ، فقال: يا أبتاه ! دعوتني ؟ فكره الشيخ أن يقول: لا فيفزع الغلام ، فقال: يا بنيّ، ارجع فنم، فرجع الغلام فنام. ثم دعاه الثانية فلباه الغلام أيضاً ، فقال: دعوتني ؟ فقال: ارجع فنم ، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبني ، فلما كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام فقال: اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك فيهم نبيّاً. فلما أتاهم، كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوّة ، ولم يألك ، وقالوا: إن كنت صادقاً فـ ﴿ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾ ، آية من نبوتك ، قال لهم سمعون: ﴿ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ ﴾ .

﴿ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ ﴾ بأداء الجزية ، فدعا الله فأتى بعصاً ، تكون مقداراً على طول الرجل الذي يُبعث فيهم ملكاً ، فقال: إن صاحبكم يكون طوله طولَ هذه العصا ، فقاسوا أنفسَهم بها ، فلم يكونوا مثلَها ، وكان طالوت رجلاً سقّاء يستقِي على حمار له ، فضلَّ حمارُه ، فانطلق يطلبه في الطريق ، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها فكان مثلها؛ وقال لهم نبيهم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ ﴾ قال القوم: ما كنتَ قطّ أكذبَ منك الساعة ، ونحن من سِبْط المملكة ، وليس هو من سِبْط المملكة ، ولم يؤتَ أيضاً سعةً من المال فنتبعه لذلك ، فقال النبي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ ﴾ ، فقالوا: فإن كنت صادقاً فأتنا بآية أنّ هذا ملِك ، قال: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ ﴾ .

والسكينة: طِسْت من ذهب يُغسل فيها قلوب الأنبياء ، أعطاها الله موسى ،

وفيها وضع الألواح ، وكانت الألواح ـ فيما بلغنا ـ من درّ وياقوت وزبرجد ، وأما البقية فإنها عصا موسى ورَضاضة الألواح ، فأصبح التابوت وما فيه في دار طالوت ، فآمنوا بنبوّة سمعون ، وسلّموا الملك لطالوت[١]. (١ : ٤٦٧/٤٦٨).

٧٣١ ـ حدثنا القاسم ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن ابن جريج ، قال: قال ابن عباس: جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه حتى وضعتْه عند طالوت[٢]. (١ : ٤٦٩).

٧٣٢ ـ حدثني يونس ، قال: أخبرنا ابن وهب ، قال: قال ابن زيد: نزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عياناً ، حتى وضعوه بين أظهرهم ، قال: فأقرُّوا غيرَ راضين ، وخرجوا ساخطين[٣]. (١ : ٤٦٩).

٧٣٣ ـ رجع الحديث إلى حديث السدّي: فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً ، وكان جَالوت مِن أعظم الناس وأشدِّهم بأساً ، يخرج يسير بين يدي الجند ، ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو مَنْ لقي ، فلما خرجوا قال لهم طالوت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هيبةً من جالوت ، فعَبر معه منهم أربعة آلاف ورجَع ستة وسبعون ألفاً ، فمن شرب منه عطِش ، ومن لم يشرب منه إلا غرفة روي ، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ ، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً و﴿قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ ، الذين يستيقنون ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾. فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وستمئة وبضعة وثمانون ، وخلص في ثلاثمئة وتسعة عشرة عدة أهل بدر[٤]. (١ : ٤٦٩).

٧٣٤ ـ حدثني المثنى ، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهب بن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

منبه يقول: كان لعيلي الذي ربى شمويل ابنان شابان، أحدثا في القُرْبان شيئاً لم يكن فيه كان مِسْوَط القُربان الذي كانوا يسوطونه به كلاّبَيْن، فما أخرجا كان للكاهن الذي يَسُوطه، فجعله ابناه كلاليب، وكانا إذا جاءت النساء يصلِّين في القدس يتشبثان بهنّ. فبينما أشمويل نائم قبل البيت الذي كان ينام فيه عيلي إذ سمع صوتاً يقول: أشمويل! فوثب إلى عيلي فقال: لبيك، فقال: مالك دعوتني؟ قال: لا! ارجع، فنم. فنام، ثم سمع صوتاً آخر يقول: أشمويل! فوثب إلى عيلي أيضاً، فقال: لبيك؛ مالك دعوتني؟! فقال: لم أفعل، ارجع فنم، فإن سمعت شيئاً فقل: «لبيك» مكانك «مرْني فأفعل»، فرجع فنام فسمع صوتاً أيضاً يقول: أشمويل، فقال: لبيك، أنا هذا فمرني أفعل، قال: انطلق إلى عيلي، فقل له: منعه حُبّ الولد من أن يزجُر ابنيه أن يُحدثا في قدسي وقُرباني، وأن يَعصياني، فلأنزعنّ منه الكهانة ومن ولده، ولأهلكنّه وإياهما، فلما أصبح سأله عيلي فأخبره، ففِزع لذلك فزعاً شديداً، فسار إليهم عدوٌّ ممن حوله فأمر ابنيه أن يخرجا بالناس، ويقاتلا ذلك العدو، فخرجا وأخرجا معهم التابوت الذي فيه الألواح وعصا موسى لينتصروا به. فلما تهيؤوا للقتال هم وعدوهم جعل عيلي يتوقع الخبر: ماذا صنعوا؟ فجاءه رجل يخبره وهو قاعد على كرسيه: أنّ ابنيْك قد قتلا، وأن الناس قد انهزموا، قال: فما فعل التابوت؟ قال: ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات، وذهب الذين سَبَوُا التابوت حتى وضعوه في بيت آلهتهم، ولهم صنم يعبدونه، فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه، فأصبح من الغد الصنم تحته، وهو فوق الصنم، ثم أخذوه فوضعوه فوقه، وسمَّروا قدميه في التابوت، فأصبح من الغد قد قطعِت يد الصنم ورجلاه، وأصبح ملقىً تحت التابوت، فقال بعضهم لبعض: أليس قد علمتم أن إله بني إسرائيل لا يقوم له شيء! فأخرجوه من بيت آلهتكم. فأخرجوا التابوت فوضعوه في ناحية من قريتهم، فأخذ أهل تلك الناحيةَ التي وضعوا فيها التابوتَ وَجعٌ في أعناقهم، فقالوا: ما هذا؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سني بني إسرائيل: لا تزالون ترَوْن ما تكرهون! ما كان هذا التابوت فيكم، فأخرجوه من قريتكم. قالوا: كذبت، قالت: إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتيْن، لهما أولاد لم يوضع عليهما نِيرٌ قطّ، ثم تضعوا وراءهما العجل، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيّروهما وتحبسوا أولادهما، فإنهما تنطلقان به مذعنتين، حتى إذا خرجتا من أرضكم

ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل كسرتا نِيَرهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ، ففعلوا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم ، ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل ، كسرتا نِيرهما وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعتاه في خربة فيها حصاد من بني إسرائيل ، ففزع إليه بنو إسرائيل ، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه أحد إلا مات ، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا ، فمن آنس من نفسه قوة فليدنُ منه ، فعرضوا عليه الناس ، فلم يقدرْ أحد على أنْ يدنوَ منه؛ إلا رجلان من بني إسرائيل ، أذن لهما بأنْ يحملاه إلى بيت أمهما ، وهي أرملة ، فكان في بيت أمهما ، حتى مَلك طالوت ، فصلُح أمر بني إسرائيل مع أشمويل. فقالت بنو إسرائيل لأشمويل: ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله ، قال: قد كفاكم الله القتال ، قالوا إنا نتخوّفُ مَنْ حولنا ، فيكون لنا ملك نفزع إليه ، فأوحى الله إلى أشمويل: أن ابعثْ لهم طالوت ملكاً وادهُنه بدهن القدس ، فضلت حمر لأبي طالوت ، فأرسله وغلاماً له يطلبانها فجاءا إلى أشمويل يسألانه عنها ، فقال: إن الله قد بعثكَ ملكاً على بني إسرائيل ، قال: أنا! قال: نعم ، قال: أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل ؟ قال: بلى ! قال: أفما علمت أنّ قبيلتي أدنى قبائل سِبْطي ؟ قال: بلى ! قال: أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي؟ قال: بلى ! قال: فبأية آية؟ قال: بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حُمرَه ، وإذا كنت في مكان كذا وكذا نـزل عليك الوحي. فدهنَه بدُهْن القدس ، وقال لبني إسرائيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[1].

(١ : ٤٦٩/ ٤٧٠/ ٤٧١/ ٤٧٢).

٧٣٥ - رجع الحديث إلى حديث السديّ: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ فعبَر يومئذ أبو داود فيمنْ عَبر في ثلاثة عشر ابناً له ، وكان داود أصغَر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال: يا أبتاه ! ما أرمي بقذّافتي شيئاً إلا صرعته ، قال: أبشرْ يا بني ! إن الله قد جعل رزقك في قَذّافتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال: يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسداً رابضاً فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجني ، فقال: أبشر يا بني ! فإن هذا خيرٌ يعطيكه الله ، ثم

(١) ضعيف.

أتاه يوماً آخر ، فقال: يا أبتاه إني لأمشي بين الجبال فأسبِّح فلا يبقى جبل إلا سبّح معي ، فقال: أبشِرْ يا بني ! فإن هذا خيرٌ أعطاكه الله ـ وكان داود راعياً ، وكان أبوه خلّفه يأتي إلى أبيه وإلى إخوته بالطعام ـ فأتى النبي عليه السلام بقرن فيه دُهن وتَنّور من حديد ، فبعث به إلى طالوت ، قال: إنّ صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا القرن على رأسه ، فيغلي حتى يدّهن منه ولا يسيل على وجهه ، ويكون على رأسه كهيئة الإكليل ، ويدخل في هذا التنور فيملأه. فدعا طالوت بني إسرائيل ، فجرَّبهم به فلم يوافقه منهم أحد ، فلما فَرَغوا؛ قال طالوت لأبي داود: هَلْ بقي لك ولد لم يشهدنا؟ قال: نعم ، بقي ابني داود ، وهو يأتينا بطعام ، فلما أتاه داود مرَّ في الطريق بثلاثة أحجار فكلّمنه وقلن له: خذنا يا داود تقتل بنا جالوت ، قال: فأخذهنّ وجعلهن في مخلاته ، وكان طالوت قد قال: مَنْ قتل جالوت زوّجته ابنتي ، وأجريت خاتمه في ملكي ، فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه ، فغلَى حتى ادّهن منه ولبس التنور فملأه ، وكان رجلاً مسقاماً مصفارّاً ، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبِسه داود تضايق التنّور عليه حتى تنقّض ، ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجْسَم الناس وأشدِّهم ، فلمّا نظر إلى داود قُذِفَ في قلبه الرعب منه ، فقال له: يا فتى ! ارجع فإني أرحمك أن أقتلَك ، فقال داود: لا بل أنا أقتلك. فأخرج الحجارة فوضعها في القَذَّافة ، كلّما رفع منها حجراً سمّاه ، فقال: هذا باسم أبي إبراهيم ، والثاني باسم أبي إسحاق ، والثالث باسم أبي إسرائيل ، ثم أدار القذّافة فعادت الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسلَه فصكَّ به بين عيني جالوت فَنَقَبَتْ رأسه ، ثم قتلته؛ فلم تزل تقتل كلّ إنسان تصيبه تنفذ فيه ، حتى لم يكن بحيالها أحد ، فهزموهم عند ذلك ، وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتَمه في ملكه ، فمال الناس إلى داود ، وأحبُّوه.

فلما رأى ذلك طالوت وجَد في نفسه وحسده ، وأراد قتلَه ، فعلم داود أنه يريده بذلك ، فسجّى له زِقّ خمر في مضجعه ، فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود ، فضرب الزقّ ضربة فخرقه ، فسالت الخمر منه ، فوقعت قطرة من خمرٍ في فيه ، فقال: يرحم الله داود ، ما كان أكثر شربه للخمر! ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه ، وعند رجليه وعن يمينه وعن شماله سهمين سهميْن ، ثم نزل. فلما استيقظ طالوت بصُر بالسهام فعرفها

فقال: يرحم الله داود ، هو خيرٌ منّي ، ظفرت به فقتلته وظَفِر بي فكفّ عني! ثم إنه ركب يوماً فوجدهُ يمشي في البريّة ، وطالوت على فرس ، فقال طالوت: اليوم أقتلُ داود ـ وكان داود إذا فزع لم يدرَك ـ فركَض على أثره طالوت ، ففزع داود ، فاشتدّ فدخل غاراً ، فأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتاً ، فلما انتهى طالوتُ إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت ، فقال: لو كان دخل هاهنا لخرَق بيت العنكبوت ، فخيِّل إليه فتركه.

وطعن العلماءُ على طالوت في شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهاه أحدٌ عن داود إلا قتله ، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم ، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم يُطيق قتله إلا قتله ، حتى أُتِيَ بامرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر الخبَّاز أن يقتلها ، فرحمها الخباز ، وقال: لعلنا نحتاج إلى عالم. فتركها ، فوقع في قلب طالوت التوبة وندم ، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، وكان كلّ ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ، وينادي: أنشد الله عبداً علم أن لي توبةً إلاّ أخبرني بها! فلما أكثر عليهم [ليالِيَ] ناداه منادٍ من القبور: أن يا طالوت ، أما ترضى أن قتلتَنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً! فازداد بكاء وحزناً ، فرحمه الخباز فكلمه فقال: ما لك؟ فقال: هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله: هل لي من توبة؟ فقال له الخباز: هل تدري ما مثلُك؟ إنما مثلُك مثلُ مِلِك نزل قريةً عشاء فصاح الديك ، فتطيّر منه ، فقال: لا تتركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام قال: إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُدْلِج ، فقالوا له: وهل تركتَ ديكاً يُسمع صوته! ولكن هل تركتَ عالماً في الأرض! فازداد حزناً وبكاء ، فلما رأى الخباز منه الجدّ ، قال: أرأيتُك إن دللتك على عالم لعلك أن تقتله! قال: لا ، فتوثق عليه الخباز ، فأخبره أن المرأة العالمة عنده ، قال: انطلِق بي إليها أسألها هل لي من توبة؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت؛ إذا فنيَت رجالهم علمت النساء ، فقال: إنها إن رأتك غُشِيَ عليها ، وفزعتْ منك ، فلما بلغ الباب خلّفه خلفه ، ثم دخل عليها الخباز ، فقال لها: ألستُ أعظم الناس منّة عليك؟ أنجيتكِ من القتل ، وآويتك عندي. قالت: بلى ! قال: فإنّ لي إليك حاجة ، هذا طالوت يسألكِ: هل له من توبة؟ فغشي عليها من الفرَق ، فقال لها: إنه لا يريد قتلك ، ولكن يسألك: هل له من توبة؟ قالت: لا ، والله ما أعلم لطالوت توبةً ، ولكنْ هل تعلمون مكان قبر نبيّ؟ قالوا: نعم ، هذا قبر يوشع بن نون ، فانطلقتْ وهما معها

إليه ، فدعتْ ، فخرج يوشع بن نون ينفضُ رأسَه من التراب ، فلما نظر إليهم ثلاثتِهم قال: ما لكم؟ أقامت القيامة؟ قالت: لا ، ولكن طالوت يسألك: هل له من توبة؟ قال يوشع: ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلّى من ملكه ، ويخرج هو وولده فيقاتلون بين يديه في سبيل الله ، حتى إذا قُتِلوا شدَّ هو فقُتل؛ فعسى أن يكون ذلك له توبة ، ثم سقط ميتاً في القبر.

ورجع طالوت أحزنَ ما كان؛ رهبة ألاّ يتابعه ولده ، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، ونحَلَ جسمُه ، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشرة رجلاً فكلّموه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم خبره ، وما قيل له في توبته ، فسألهم أن يغزوا معه ، فجهّزهم فخرجوا معه ، فشدُّوا بين يديه حتى قتلوا ، ثم شدَّ بعدهم هو فقتل ، وملك داود بعد ذلك ، وجعله الله نبيّاً ، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ قيل: هي النبوّة؛ آتاه نبوّة شمعون وملك طالوت[١]. (١ : ٤٧٢/ ٤٧٣/ ٤٧٤/ ٤٧٥).

٧٣٥/ أ ـ واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال بن ضرار بن بحرت بن أفيح بن أيش بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وقال ابن إسحاق: كان النبيّ الذي بعث لطالوت من قبره حتى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق.

وزعم أهل التوراة: أنّ مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل في الحرب مع ولده كانت أربعين سنة[٢]. (١ : ٤٧٥).

ذكر خبر داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

٧٣٥/ ب ـ وكان داود عليه السلام ـ فيما حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة

---

(١) إسناده غير صحيح وفي متنه نكارة وهو من قبيل الإسرائيليات وذكر الحافظ ابن كثير شطراً من هذه الرواية وقال: هكذا ذكره ابن جرير في تأريخه من طريق السدي بإسناده في بعض هذا نظر ونكارة والله أعلم (البداية والنهاية ١/ ٣٥٩).

(٢) ضعيف.

عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبّه ـ قصيراً أزرق قليلَ الشعر ، طاهر القلب نقيَّه[١] . (١ : ٤٧٦) .

٧٣٦ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن زيد في قول الله : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ قال : أوحى الله إلى نبيِّهم أنَّ في وَلَد فلان رجلاً يقتل الله به جالوت ، ومن علامته هذا القرن يضعه على رأسه فيفيض ماء ، فأتاه فقال : إن الله عزّ وجلّ أوحى إليّ أنّ في وَلَدك رجلاً يقتلُ الله به جالوت . فقال : نعم يا نبي الله ! قال : فأخرجَ له اثنيْ عشر رجلاً أمثالَ السَّواري ، وفيهم رجل بارع [عليهم] ، فجعل يعرِضهم على القَرْن فلا يرى شيئاً ، فيقول لذلك الجسيم : ارجع ، فيردّده عليه ، فأوحى الله إليه : إنا لا نأخذ الرجال على صُورهم ، ولكنا نأخذهم على صلاح قلوبهم ، قال : يا ربّ ، قد زعم أنه ليس له ولد غيره ، فقال : كذب ، فقال : إن ربي قد كذّبك ، وقال : إن لك ولداً غيرهم . قال : قد صدق يا نبيّ الله ! إن لي ولداً قصيراً استحييت أن يراه الناس فجعلته في الغنم ، قال : فأين هو؟ قال : في شِعْب كذا وكذا ، من جبل كذا وكذا ، فخرج إليه فوجد الواديَ قد سال بينه وبين البقعة التي كان يريح إليها . قال : ووجده يحمل شاتين شاتين ، يُجيزُ بهما السَّيْل ولا يخوض بهما السيل . فلما رآه قال : هذا هو ، لا شكّ فيه ، هذا يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم! قال : فوضع القرن على رأسه ففاض[٢] . (١ : ٤٧٦) .

٧٣٧ ـ حدثني المثنّى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقِل عن وهب بن منبّه قال : لما سلّمت بنو إسرائيل المُلكَ لطالوت؛ أوحى الله إلى نبيّ بني إسرائيل : أن قل لطالوت : فلْيغزُ أهلَ مديَن ، فلا يترك فيها حيّاً إلا قتله ، فإني سأظهرُه عليهم ، فخرج بالناس حتى أتى مدينَ ، فقتل مَنْ كان فيها ، إلا ملِكَهم فإنه أسَره ، وساق مواشيَهم ، فأوحى الله إلى أشمويل : ألاَ تعجبُ من طالوت إذ أمرتُه بأمري فاختلّ فيه ، فجاء بملكهم أسيراً ، وساق مواشيَهم! فالقه فقل له : لأنزعنّ الملك من

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف .

بيته ، ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فإني إنما أكرِمُ مَنْ أطاعني ، وأهينُ مَنْ هان عليه أمري. فلقيَه فقال له: ما صنعت! لمَ جئتَ بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم؟ قال: إنما سقت المواشيَ لأقرّبها ، قال له أشمويل: إن الله قد نزع من بيتك المُلك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إلى أشمويل: انطلق إلى إيشي فيعرِض عليك بنيه ، فادهُن الذي آمرك بدُهْن القدس ، يكُنْ ملكاً على بني إسرائيل. فانطلق حتى أتى إيشي ، فقال: اعرِضْ عليّ بنيك ، فدعى إيشي أكبرَ ولده ، فأقبل رجل جسيم حسَنُ المنظر ، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه ، فقال: الحمد لله ، إن الله بصير بالعباد! فأوحى الله إليه: إنّ عينيك تُبصران ما ظهر ، وإني أطّلع على ما في القلوب ، ليس بهذا! فقال: ليس بهذا ، اعرض عليّ غيرَه. فعرض عليه ستة ، في كلٍّ ذلك يقول: ليس بهذا ، اعرِض عليّ غيرَه ، فقال: هل لك من ولدٍ غيرهم؟ فقال: بلى ، لي غلام أمغر وهو راع في الغنم. قال: أرسِل إليه ، فلما أن جاء داود ، جاء غلام أمغَر؛ فدهنه بدُهن القدس ، وقال لأبيه: اكتم هذا ، فإنّ طالوت لو يطّلع عليه قتله. فسار جالوت في قومه إلى بني إسرائيل فعسكر ، وسار طالوت ببني إسرائيل وعسكر ، وتَهيّؤوا للقتال ، فأرسل جالوت إلى طالوت: لِمَ يُقتَل قومي وقومُك؟ ابرز لي ، أو أبرِز لي مَنْ شئت ، فإن قتلتُك كان الملك لي ، وإن قتلتَني كان الملك لك. فأرسل طالوت في عسكره صائحاً: مَنْ يبرز لجالوت! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه ، وما كان من طالوت إلى داود.

قال أبو جعفر: وفي هذا الخبر بيان: أنّ داود قد كان الله حوّل الملك له قبل قتله جالوت ، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله ، وأما سائر مَنْ روينا عنه قولاً في ذلك ، فإنهم قالوا: إنما مَلك داود بعد ما قتِل طالوت وولده[1]. (١: ٤٧٧/ ٤٧٨).

٧٣٨ ـ وقد حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ـ فيما ذكر لي بعض أهل العلم ـ عن وهب بن منبّه قال: لما قتَل داودُ جالوت ، وانهزم جندُه قال الناس: قتَل داود جالوت وخلع طالوتَ ، وأقبل الناس على داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بذكْر.

---

(١) في إسناده المثنى بن إبراهيم الآملي مجهول الحال. ووهب بن منبه كثير الإرسال والأوهام.

قال: ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزَّبور ، وعلّمه صنعة الحديد ، وألانَهُ له ، وأمر الجبال والطير أن يسبِّحن معه إذا سبّح ، ولم يعطِ الله ـ فيما يذكرون ـ أحداً من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور ـ فيما يذكرون ـ ترنو له الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها ، وإنها لَمُصِيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطينُ المزاميرَ والبرابَط والصنوج إلا على أصناف صوته ، وكان شديدَ الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما وصفه الله عزّ وجلّ لنبيه محمد عليه السلام فقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ ، يعني بذلك ذا القوة[١]. (١ : ٤٧٨/ ٤٧٩).

٧٣٩ ـ وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد ، عن قتادة: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ ، قال: أعطِيَ قوةً في العبادة ، وفقهاً في الإسلام. وقد ذُكِر لنا: أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر. وكان يحرسه ـ فيما ذكر ـ في كلِّ يوم وليلة أربعةُ آلاف[٢]. (١ : ٤٧٩).

٧٤٠ ـ حدثني محمد بن الحسين ، قال: حدثنا أحمد بن المفضّل ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ، في قوله: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ ، قال: كان يحرسُه كلّ يوم وليلة أربعة آلاف[٣]. (١ : ٤٧٩).

٧٤١ ـ وذُكر أنه تمنّى يوماً من الأيام على ربِّه منزلةَ آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه بنحو الذي كان امتحنهم ، ويعطيَه من الفضل نحوَ الذي كان أعطاهم[٤]. (١ : ٤٧٩).

٧٤٢ ـ فحدثني محمد بن الحسين ، قال: حدثنا أحمد بن المفضل ، قال: حدثنا أسباط ، قال: قال السُّدّي: كان داودُ قد قسّم الدهر ثلاثة أيام: يوماً يقضِي فيه بين الناس ، ويوماً يخلُو فيه لعبادة ربه ، ويوماً يخلُو فيه لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقْرَأ من الكتب أنه كان يجد فيه فضلَ إبراهيم وإسحاق

---

(١) شيخ الطبري هنا ضعيف ومتهم بالكذب وبين ابن إسحاق ووهب من لم يُسمَّ وفي متنه نكارة.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

ويعقوب ، فلما وجَد ذلك فيما يقرأ من الكتب ، قال: يا ربّ أرى الخير كلّه قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي ، فأعطني مثلَ ما أعطيتَهم ، وافعل بي مثلَ ما فعلت بهم. قال: فأوحى الله إليه أنّ آباءك ابتُلوا ببلايا لم تبتَل بها ، ابتلِيَ إبراهيمُ بذبح ابنه ، وابتليَ إسحاق بذهاب بَصره ، وابتُليَ يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وإنك لم تبتلَ من ذلك بشيء. قال: يا ربّ ابتلِني بمثل ما ابتليتَهم به ، وأعطني مثل ما أعطيتَهم. قال: فأوحى إليه إنك مبتلًى فاحترس. قال: فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكُث إذ جاءه الشيطان قد تمثّل في صورة حمامة من ذهب ، حتى وقع عند رجلَيْه وهو قائم يصلّي ، قال: فمدّ يده ليأخذه فتنحّى فتبِعه ، فتباعَد حتى وقع في كُوّة ، فذهب ليأخذه ، فطار من الكُوّة ، فنظر: أين يقع فيبعث في أثره ، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها ، فرأى امرأة من أجمل النساء خلْقاً ، فحانت منها التفاتة فأبصرته ، فألقَت شعرها فاستترت به ، قال: فزاده ذلك فيها رغبة ، قال: فسأل عنها فأخبِر أن لها زوجاً ، وأن زوجها غائب بمسلَحة كذا وكذا ، قال: فبعث إلى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أهريا إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه ففتِح له ، قال: وكتب إليه بذلك ، فكتب إليه أيضاً: أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا ، أشدّ منهم بأساً. قال: فبعثه ففتِح له أيضاً ، قال: فكتب إلى داود بذلك ، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدوّ كذا وكذا. قال: فبعثه ، قال: فقتل المرّة الثالثة ، قال: وتزوّج داود امرأته ، فلما دخلتْ عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله مَلَكَيْن في صورة إنسيّيْن فطلبا أن يدخلا عليه ، فوجداه في يوم عبادته ، فمنعهما الحرسُ أن يدخُلا عليه ، فتسوّرا عليه المِحْراب ، قال: فما شَعُر وهو يصلّي إذا هو بهما بين يَدَيْه جالسَيْن ، قال: ففزِع منهما ، فقالا: لاَ تَخفْ ، إنما نَحْنُ ﴿ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ يقول: لا تحِفْ ، ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ إلى عدل القضاء. قال: قُصَّا عليّ قصّتكما ، قال: فقال أحدهما: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ فهو يريد أن يأخذ نعجتي ، فيكمِّل بها نعاجَه مئة ، قال: فقال للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة ، ولأخي هذا نعجة واحدة ، فأنا أريد أن آخذها منه ، فأكمّل بها نعاجي مئة ، قال: وهو كاره؟ قال: وهو كاره ، قال: إذاً لا نَدعك وذاك ، قال: ما أنت على ذلك بقادر! قال: فإن ذهبت تَرُوم ذلك أو تريد ذلك ، ضربنا منك هذا وهذا ـ وفسّر أسباط طَرف الأنف والجبهة ـ فقال:

يا داود ، أنت أحقُّ أن يُضرب منك هذا وهذا ، حيث لك تسع وتسعون امرأة ، ولم يكن لأهريا إلا امرأة واحدة. فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قُتِل ، وتزوّجت امرأَتَه. قال: فنظر فلم يرَ شيئاً ، قال: فعرَف ما قد وقع فيه ، وما ابتُلِيَ به ، قال: فخرّ ساجداً فبكى ، قال: فمكث يبكي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بدّ منها ، ثم يقَع ساجداً يبكي ، ثم يدعو حتى نبت العُشب من دموع عينَيْه ، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه بعد أربعين يوماً: يا داود ، ارفعْ رأسك فقد غفرتُ لك ، فقال: يا ربّ ، كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لي وأنت حَكَمٌ عدل لاَ تحِيفُ في القضاء؛ إذا جاء أهريا يومَ القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تَشخَبُ أوداجه دماً في قِبَل عرشك: يقول: يا ربّ ، سلْ هذا فيمَ قتلني! قال: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوتُ أهريا فأستوهبك منه ، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة. قال: ربّ الآن علمت أنّك قد غفرتَ لي ، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض[1]. (١ : ٤٧٩/ ٤٨٠/ ٤٨١).

٧٤٣ ـ حدثني علي بن سهل ، قال: حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، قال: حدّثني عطاء الخراسانيّ ، قال: نقَش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها؛ فكان إذا رآها خَفقتْ يدهُ واضطربت[2]. (١ : ٤٨١).

٧٤٣/ أ ـ وقد قيل: إن سببَ المحنة بما امتُحن به: أنّ نفسَه حدثتْه أنه يُطيق قطْع يوم من الأيام بغير مُقارفة سوء ، فكان اليوم الذي عَرَض له فيه ما عرض ، اليوم الذي ظنّ أنه يقطعه بغير اقتراف سوء[3]. (١ : ٤٨١).

ذكر من قال ذلك:

٧٤٤ ـ حدثنا بشر ، قال: حدثنا يزيد ، قال: حدثنا سعيد عن مطر ، عن الحسن: أن داود جَزّأ الدهر أربعة أجزاء: يوماً لِنسائه ، ويوماً لعبادته ، ويوماً لقضاء بني إسرائيل ، ويوماً لبني إسرائيل؛ يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُبْكونه. فلما كان يوم بني إسرائيل ، ذكروا فقالوا: هل يأتي على الإنسان يومٌ

---

(١) ضعيف وفي متنه نكارة.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

لا يصيب فيه ذنباً! فأضمر داود في نفسه أنه سيُطِيق ذلك ، فلما كان يوم عبادته غلّق أبوابه ، وأمر ألاّ يُدخَل عليه أحد ، وأكبّ على التوراة ، فبينما هو يقرؤها إذا حمامة من ذهب ، فيها من كلّ لون حسن ، قد وقعتْ بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذَها ، قال: فطارت فوقعت غيرَ بعيد ، من غير أن تُوئِسَه من نفسها ، قال: فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خَلْقُها وحسنها ، فلما رأت ظلَّه في الأرض جلّلت نفسَها بشعرها ، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها ، وكان قد بعثَ زوجَها على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا (مكان إذا سار إليه لم يرجع) قال: ففعل فأصيب ، فخطبها فتزّوجها ـ قال: وقال قتادة بلغنا: أنها أمّ سليمان ـ قال: فبينما هو في المحراب إذ تسوّر الملَكان عليه ، وكان الخصمان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففزع منهم حين تسوّروا المحراب ، فقالوا: ﴿ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ أي ولا تملْ ﴿ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ أي أعدله وخيره ، ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ ـ وكان لداود تسع وتسعون امرأة ـ ﴿ وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ قال: وإنما كان للرجل امرأةٌ واحدة ﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴾ ، أي ظلمني وقهرني. ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ ـ إلى ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ ﴾ ، فعلِم أنما أضمِر له ، أي: عُني بذلك ، ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [١] . (١ : ٤٨٢).

٧٤٥ ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدثنا ابن إدريس ، قال: سمعت ليثاً يذكر عن مجاهد ، قال: لما أصاب داودَ الخطيئة ، خَرّ لله ساجداً أربعين يوماً ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطّى رأسَه ، ثم نادى: يا ربّ قَرِحَ الجبين ، وجَمَدت العين! وداود لم يُرْجَع إليه في خطيئته شيء. فنودي: أجائع فتطعَم؟ أم مريض فتُشفى؟ أم مظلوم فيُنتصَر لك! قال: فنحِب نَحْبَةً هاج كلّ شيء كان نبت ، فعند ذلك غُفِر له. وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها ، وكان يُوتى بالإناء ليشرب فلا يشرب إلا ثُلُثَه أو نصفَه ، وكان يذكر خطيئته فينتحب النَّحْبة تكاد مفاصله يزول بعضها عن بعض ، ثم ما يتمّ شربه حتى يملأ الإناء من دموعه. وكان يقال: إن دمعةَ داود تعدِل دمعة الخلائق ، ودمعةَ آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق. قال: وهو يجيء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفّه فيقول: ربّ

---

(١) هذه القصة مأخوذة من الإسرائيليات والتي تليها.

ذنبي ذنبي قَدِّمْني! قال: فيقَدَّم فلا يأمن، فيقول: رب أخرني، قال: فيؤخّر فلا يأمن[١]. (١ : ٤٨٣).

٧٤٦ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني ابن لَهِيعة عن أبي صخر، عن يزيد الرّقاشيّ، عن أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داودَ النبيّ عليه السلام حين نظر إلى المرأة فَهَمَّ، قَطَع على بني إسرائيل بعثاً، فأوصى صاحب البعث، فقال: إذا حضر العدو فقرّبْ فلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوتُ في ذلك الزمان يَسْتنصر به مَنْ قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتَل أو ينهزم عنه الجيش، فقُتِل زوج المرأة، ونزل الملَكان على داود يقُصّان عليه قصّته، ففطِن داود فسجد، فمكث أربعين ليلة ساجداً، حتى نبت الزّرْع من دموعه على رأسه، وأكلت الأرضُ من جبينه، وهو يقول في سجوده ـ فلم أحص من الرقاشيّ إلا هؤلاء الكلمات ـ: رَبِّ زلّ داود زلةً أبعد مما بين المشرق والمغرب! ربِّ إن لم ترحم ضُعفَ داود، وتغفر ذنبه جعلتَ ذنبه حديثاً في الخُلوف من بعده. فجاءه جبرئيلُ من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود، إنّ الله قد غفر لك الهمّ الذي هممتَ به فقال داود: قد علمت أن الله قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به، وقد عرفتُ أن الله عدْلٌ لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة؛ فقال: يا ربّ دمي الذي عند داود! فقال جبرئيل: ما سألتُ ربّك عن ذلك، ولئن شئتَ لأفعلنّ، قال: نعم، قال: فعرج جبرئيل وسجد داود، فمكث ما شاء الله ثم نزل، فقال: قد سألتُ الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال: قل له: يا داود، إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول: هب لي دَمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا ربّ، فيقول: فإن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عِوَضاً[٢]. (١ : ٤٨٣/ ٤٨٤).

٧٤٧ ـ ويزعم أهلُ الكتاب أن داود لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان، فلما واقع ما واقع من الخطيئة اشتغل بالتوبة منها ـ فيما زعموا ـ واستخفّ به بنو إسرائيل، ووثب عليه ابن له يقال له إيشى، فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهلُ الزّيغ من بني إسرائيل، قالوا: فلما تاب

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

الله على داود ثابتْ إليه ثائبة من الناس ، فحارب ابنَه حتى هزمه ، ووجَّه في طلبه قائداً من قواده ، وتقَدّم إليه أن يتوقى حَتْفَهُ ، ويتلطّف لأسره ، فطلبه القائد وهو منهزم ، فاضطره إلى شجرة فركض فيها ـ وكان ذا جُمّة ـ فتعلّق بعض أغصان الشجرة بشعره فحبسه ، ولحقه القائد فقتله مخالفاً لأمر داود ، فحزِن داود عليه حزناً شديداً ، وتنكّر للقائد ، وأصاب بني إسرائيل في زمانه طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشفَ ذلك البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان ذلك ـ فيما قيل ـ لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه. وتوفي قبل أن يستتم بناءه ، فأوصى إلى سليمان باستتمامه ، وقتْلِ القائد الذي قتل أخاه ، فلما دفَنه سليمانُ نفذ لأمره في القائد وقتله ، واستتمّ بناء المسجد[١]. (١ : ٤٨٤).

٧٤٨ ـ وقيل في بناء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال: حدثني إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهب بن منبِّه يقول: إن داودَ أراد أن يعلَم عدد بني إسرائيل كم هم؟ فبعث لذلك عُرَفاء ونقباء ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلَغ عددُهم ، فعتب الله عليه ذلك ، وقال: قد علمت أني وعدتُ إبراهيم أن أبارك فيه وفي ذريته حتى أجعلَهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلَهم لا يحصَى عددُهم ، فأردتَ أن تعلَم عدد ما قلت: إنه لا يحصَى عددُهم ، فاختاروا بين أن أبتليَكم بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلِّط عليكم العدوَّ ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام! فاستشار داودُ في ذلك بني إسرائيل فقالوا: ما لنا بالجوع ثلاث سنين صَبْر ، ولا بالعدوّ ثلاثَة أشهر ، فليس لهم بقيّة ، فإن كان لا بدَّ فالموت بيده لا بيد غيره. فذكر وهب بن منبّه أنه مات منهم في ساعة من نهار ألوف كبيرة ، لا يدرَى ما عددهم ، فلما رأى ذلك داود ، شَقَّ عليه ما بلَغه من كثرة الموت ، فتبتَّل إلى الله ودعاه فقال: يا ربّ ، أنا آكلُ الحُمّاض وبنو إسرائيل يَضْرَسون! أنا طلبتُ ذلك فأمرتُ به بني إسرائيل ، فما كان من شيء فبي واعفُ عن بني إسرائيل. فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت ، فرأى داود الملائكة سالِّين سيوفَهم يغمدونها ، يرتقون في سلَّم من ذهب من الصخرة إلى السماء ، فقال داود: هذا مكان ينبغي أن يُبنى فيه مسجد ، فأراد

---

(١) ضعيف.

داود أن يأخذ في بنائه ، فأوحى الله إليه أنّ هذا بيت مقدّس ، وأنك قد صبغتَ يديك في الدماء ، فلست ببانيه ، ولكن ابنٌ لك أملّكه بعدك أسميه سليمان ، أسلّمه من الدماء[١] . (١ : ٤٨٥).

٧٤٩ ـ وأما بعض أهل الكتب ، فإنه زعم أن عمرَه كان سبعاً وسبعين سنة ، وأن مُدّة ملكه كانت أربعين سنة[٢] . (١ : ٤٨٥).

ذكر خبر سليمان بن داود عليهما السلام

٧٥٠ ـ كان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبّه : إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتى يجلسَ على سريره ، وكان ـ فيما يزعمون ـ أبيض جسيماً وضيئاً ، كثيرَ الشعر يلبس من الثياب البياض ، وكان أبوه في أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلَغ الرجال يشاوره ـ فيما ذكر ـ في أموره. وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكْم في الغنم التي نفشت في حرث القوم ، الذين قصّ الله في كتابه خبرهم وخبرهما فقال : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[٣] . (١ : ٤٨٥).

٧٥١ ـ فحدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصمّ ، قالا : حدثنا المحاربيّ عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرّة ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ ، قال : كَرْم قد أنبتت عناقيده فأفسدته ، قال : فقضى داودُ بالغنم لصاحب الكرْم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبيّ الله؟ قال : وما ذاك؟ قال : تدفع الكَرْم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعودَ كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرْم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرْم كما كان ، دفعت الكرْم إلى صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها ، فذلك

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) شيخ الطبري هنا ضعيف.

قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾. وكان رجلاً غَزّاء لا يكاد يقعُد عن الغزو، وكان لا يسمع بملِك في ناحية من الأرض إلا أتاه حتى يُذِلّه. وكان فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق ـ فيما يزعمون ـ إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب، ثم نصب له على الخشب، ثم حمل عليه الناس والدوابّ وآلة الحرب كلها، حتى إذا حمل معه ما يريد، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب، فاحتملْته حتى إذا استقلّت به أمر الرُّخاء فمرَّ به شهراً في روْحته، وشهراً في غدوته إلى حيث أراد. يقول: الله عزّ وجلّ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، أي حيث أراد، وقال الله: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾.

قال: وذكر لي: أنّ منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه: كتاب كتبه بعض أصحاب سليمان، إما من الجن، وإما من الإنس: «نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنياً وجدناه، غدوْنا من إصطخر فقلْنَاهُ، ونحن رائحون منه إن شاء الله، فبائتون بالشام».

قال: وكان ـ فيما بلغني ـ لتمرّ بعسكره الريح، والرُّخاء تهوي به إلى ما أراد، وإنها لَتمرُّ بالمزرعة فما تحرِّكُها[1]. (١: ٤٨٦/ ٤٨٧).

٧٥٢ ـ وقد حدثنا القاسم بن الحسنِ، قال: حدثني الحسين، قال: حدثني حجاج عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظيّ، قال: بلغنا أن سليمان كان عسكره مئة فرسخ، خمسة وعشرون منها للإنس، وخمسة وعشرون للجنّ، وخمسة وعشرون للوحش، وخمسة وعشرون للطير، وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب، فيها ثلاثمئة صريحة، وسبعمئة سريّة، فأمر الريح العاصف فرفعته وأمر الرخاء فسيّرته، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض: أني قد زدتُ في ملكك، أنّه لا يتكلم أحدٌ من الخلائق إلا جاءت به الريح وأخبرتك[2]. (١: ٤٨٧/ ٤٨٨).

٧٥٣ ـ حدثني أبو السائب، قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كان سليمان بن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

داود يوضَع له ستمئة كرسيّ ، ثم يجيء أشرافُ الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم يجيء أشراف الجنّ فيجلسون مما يلي الإنس ، قال: ثم يدْعو الطير فتظلّهم ، ثم يدعُو الريح فتحملهم ، قال: فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر[(١)] . (١ : ٤٨٨) .

ذكر ما انتهى إلينا من مغازي سليمان عليه السلام

٧٥٣/أ - فمن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس - وهي فيما يقول أهل الأنساب - يلمقة ابنة اليشرح - ويقول بعضهم: ابنة أيلي شرح ، ويقول بعضهم: ابنة ذي شرح - بن ذي جَدَن بن أيلي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفيّ بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان. ثم صارت إليه سِلْماً بغير حرب ولا قتال. وكان سبب مراسلته إياها - فيما ذكر -: أنه فَقَد الهدهد يوماً في مسيرٍ كان يسيره ، واحتاج إلى الماء فلم يَعلم مَنْ حضره بُعْدَه ، وقيل له: علْم ذلك عند الهدهد ، فسأل عن الهدهد فلم يجده. وقال بعضهم: بل إنما سأل سليمانُ عن الهدهد لإخلاله بالنّوبة[(٢)] . (١ : ٤٨٩) .

٧٥٤ - فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس ما حدثني العباس بن الوليد الآمليّ ، قال: حدثنا علي بن عاصم ، قال: حدثنا عطاء بن السائب ، قال: حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، قال: كان سليمان بن داود إذا سافر أو أراد سفراً قَعَد على سريره ، ووضعت الكراسي يميناً وشمالاً ، فيأذن للإنس ، ثم يأذن للجنّ عليه بعد الإنس ، فيكونون خلْف الإنس ، ثم يأذن للشياطين بعد الجنّ فيكونون خلْف الجنّ ، ثم يرسل إلى الطير فتظلّهم من فوقهم ، ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره ، والناس على الكراسيّ فتسير بهم ، غدوُّها شهر ورواحُها شهر ، رخاء حيث أصاب ، ليس بالعاصف ولا الليّن ، وسطاً بين ذلك. فبينما سليمان يسير - وكان سليمان اختار من كلّ طير طيراً؛ فجعله رأس تلك الطير ، فإذا أراد أن يسائل شيئاً من تلك الطير عن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

شيء سأل رأسها ـ فبينما سليمان يسير إذ نزل مفازةً فسأل عن بُعْد الماء هاهنا ، فقال الإنس: لا ندري ، فسأل الجنّ فقالوا: لا ندري ، فسأل الشياطينَ ، فقالوا: لا ندري ، فغضب سليمان فقال: لا أبرحُ حتى أعلم كم بُعْد مسافة الماء هاهنا! قال: فقالت له الشياطين: يا رسولَ الله لا تغضب ، فإن يك شيئاً يُعلم فالهدهد يعلمه ، فقال سليمان: عليّ بالهدهد ، فلم يوجدْ ، فغضب سليمان فقال: ﴿ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ ، يقول: بعذر مبيّن [لِمَ] غاب عن مسيري هذا؟ وكان عقابُه للطير أن ينتِف ريشه ويشمّسه فلا يستطيع أن يطير ، ويكون من هوامّ الأرض إن أراد ذلك ، أو يذبحه ، فكان ذلك عذابُه.

قال: ومرَّ الهدهد على قصر بلقيس ، فرأى بستاناً لها خلْف قصرها ، فمال إلى الخضرة فوقع عليها ، فإذا هو بهدهدٍ لها في البستان ، فقال هدهد سليمان: أينَ أنت عن سليمان؟ وما تصنع هاهنا؟ قال له هدهد بلقيس: ومَنْ سليمان؟ فقال: بعث الله رجلاً يقال له: سليمان رسولاً ، وسخّر له الريح والجنّ والإنس والطير. قال: فقال له هدهد بلقيس: أيّ شيء تقول! قال: أقول لك ما تسمع ، قال: إن هذا لعَجب ، وأعجبُ من ذاك أنّ كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ، ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ، جعلوا الشكر لله أن يسجدوا للشمس من دون الله. قال: وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه ، فلما انتهى إلى العسكر تلقّته الطير وقالوا: توعّدك رسول الله ، فأخبروه بما قال. قال: وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمّسه فلا يطير أبداً ، فيصير من هوامّ الأرض ، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبداً. قال: فقال الهدهد: أوَ ما استثنى رسول الله؟ قالوا: بل قال: أو ليأتينّي بعذر مبين ، قال: فلما أتى سليمانَ ، قال: ما غيّبك عن مسيري؟ قال: ﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾. قال: فاعتلّ له بشيء ، وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد ، فقال له سليمان: قد اعتللت ، ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ ، قال: فوافقها وهي في قصرها ، فألقى إليها الكتاب فسقَط في حِجْرها أنه كتاب كريم ، وأشفقتْ منه ، فأخذته وألقت عليه ثيابَها ، وأمرت بسريرها فأخرج ، فخرجت فقعدت عليه ، ونادت في قومها؛

فقالت لهم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَـٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون، ﴿ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ - إلى - ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾، فإن قبلَها فهذا ملِك من ملوك الدنيا وأنا أعزّ منه وأقوى، وإن لم يقبلْها فهذا شيء من الله.

فلما جاء سليمانَ الهدية قال لهم سليمان: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾، يقول: وهم غير محمودين. قال: بعثتْ إليه بخَرَزة غير مثقوبة، فقالت: اثقب هذه، قال: فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذاك، ثم سأل الجنّ فلم يكن عندهم علم ذاك، قال: فسأل الشياطين، فقالوا: ترسل إلى الأَرَضة، فجاءت الأَرَضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين، فلما رجع إليها رسولها خرجت فزِعة في أول النهار من قومها وتبعها قومها، قال ابن عباس: وكان معها ألفَ قيْل - قال ابن عباس: أهل اليمن يسمّون القائد قَيْلاً - مع كل قَيْل عشرة آلاف. قال العباس: قال عليّ: عشرة آلاف ألف[1]. (١: ٤٨٩/ ٤٩٠/ ٤٩١).

٧٥٥ - قال العباس: قال عليّ: فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن، قال: حدثني عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: فأقبلت بَلقيس إلى سليمان ومعها ثلاثمئة قَيْل واثنا عشر قَيْلاً، مع كل قَيْل عشرة آلاف[2]. (١: ٤٩١).

٧٥٦ - قال عطاء، عن مجاهد، عن ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مَهيباً لا يُبتدَأ بشيء حتى يكون هو الذي يَسْألُ عنه، فخرج يومئذ فجلس على سريره، فرأىَ رهجاً قريباً منه، فقال: ما هذا؟ قالوا: بلقيس يا رسول الله! قال: وقد نزلت مِنّا بهذا المكان! قال مجاهد: فوصف لنا ذلك ابن عباس فحَزَرْته ما بين الكوفة والحيرة قَدْر فرسخ، قال: فأقبل على جنوده فقال: ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾ الذي أنت فيه إلى الحين الذي تقوم إلى غدائك. قال: قال سليمان: مَنْ يأتيني به قبل ذلك؟

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ ، فنظر إليه سليمان ، فلما قطع كلامه ردّ سليمان بصَره على العرش ، فرأى سريرَها قد خرج ونبع من تحت كرسيه ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ﴾ إذ أتاني به قبل أن يرتدّ إليّ طرفي ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ إذ جعل مَنْ تحت يدِي أقدَرَ على المجيء به مِنِّي. قال: فوضعوا لها عرشها ، قال: فلما جاءت قعدتْ إلى سليمان ، قيل لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾؟ فنظرت إليه فقالت: ﴿كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾! ثم قالت: لقد تركتُه في حصوني ، وتركت الجنود محيطة به ، فكيف جيء بهذا يا سليمان! إني أريد أن أسألك عن شيء فأخبرنيه ، قال: سَلي ، قالت: أخبرْني عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض ـ قال: وكان إذا جاء سليمان شيء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه ، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلاّ سأل الجنّ ، فإن لم يكن عند الجنّ علم به سأل الشياطين ـ قال: فقالت له الشياطين: ما أهون هذا يا رسول الله! مُرِ الخيل فلتجْر ثم تملأ الآنية من عَرَقها ، فقال لها سليمان: عَرَقُ الخيل ، قالت: صَدقت. قالت: أخبرْني عن لون الربّ. قال: قال ابن عباس: فوثب سليمان عن سريره فخرّ ساجداً. قال العباس: قال عليّ: فأخبرني عمرو بن عبيد عن الحسن ، قال: صعِق فغُشِيَ عليه ، فخرّ عن سريره[1]. (١ : ٤٩١/٤٩٢).

٧٥٧ ـ ثم رجع ، إلى حديثه قال: فقامت عنه ، وتفرّقت عنه جنوده ، وجاءه الرسول فقال: يا سليمان ، يقول لك ربك: ما شأنُك؟ قال: سألَتني عن أمر يكابرني ـ أو يكابدني ـ أن أعيدَه ، قال: فإنَّ الله يأمرك أن تعودَ إلى سريرك فتقعد عليه ، وترسل إليها وإلى مَنْ حضرها من جنودها ، وترسِل إلى جميع جنودك الذين حضروا فيدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه. قال: ففعل ، فلما دخلوا عليه جميعاً ، قال لها: عمَّ سألتِني؟ قالت: سألتك عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض ، قال: قلت لكِ: عرَق الخيل ، قالت: صدقت ، قال: وعن أيّ شيء سألتِني؟ قالت: ما سألتك عن شيء غير هذا. قال: قال لها سليمان ، فلأيّ شيء خررتُ عن سريري؟ قالت: قد كان ذاك لشيء لا أدري ما هو ـ قال العباس: قال عليّ: نسيتُه ـ قال: فسأل جنودَها فقالوا مثل ما قالت ،

---

(١) ضعيف.

قال: فسأل جنودَه من الإنس والجنّ والطير وكلّ شيء كان حضره من جنوده، فقالوا: ما سألْتك يا رسول الله إلا عن ماء رَوَاء، قال: ـ وقد كان قال له الرسول: يقول الله لك: عُدْ إلى مكانك فإني قد كفيتُكهم ـ قال: وقال سليمان: للشياطين: ابنُوا لي صَرْحاً تدخل عليّ فيه بلقيس، قال: فرجع الشياطين بعضُهم إلى بعض، فقالوا: سليمان رسول الله قد سخّر الله له ما سخّر، وبلقيس ملكة سبأ ينكِحها فتلد له غلاماً، فلا ننفكّ من العبوديّة أبداً.

قال: وكانت امرأة شَعْراء الساقين، فقالت الشياطين: ابنوا له بنياناً ليرى ذلك منها، فلا يتزوجها، فبنوْا له صرحاً من قوارير أخضر، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء، وجعلوا في باطن الطوابيق كلَّ شيء يكون من الدوابّ في البحر من السمك وغيره، ثم أطبقوه، ثم قالوا لسليمان: ادخل الصّرح، قال: فألقِي لسليمان كرسيّ في أقصى الصّرح، فلما دخله ورأى ما رأى أتى الكرسيّ، فقعد عليه، ثم قال: أدخلوا عليّ بلقيس، فقيل لها: ادخلي الصّرح، فلما ذهبت تدخله رأت صورةَ السمك وما يكون في الماء من الدوابّ، فحسبته لُجّة (حسبته ماء) وكشفت عن ساقَيها لتدخل، وكان شعرُ ساقيها ملتوياً على ساقيها، فلما رآها سليمان، ناداها وصرف بصرَه عنها: إنه صَرْح ممرّد من قوارير، فألقت ثوبَها فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: فدعا سليمان الإنس فقال: ما أقبح هذا! ما يُذْهِب هذا؟ قالوا: يا رسول الله الموسى. قال: المواسي تقطع ساقَي المرأة. قال: ثم دعا الجن فسألهم فقالوا: لا ندري ثم دعا الشياطين فقال: ما يذهب هذا؟ قالوا مثل ذلك: الموس فقال: المواس تقطع ساقي المرأة قال: فتلكّؤوا عليه، ثم جعلوا له النُّورَة ـ قال ابن عباس: فإنه لأولُ يوم رُئيت فيه النُّورة ـ فاستنكحها سليمان[1]. (١: ٤٩٣/ ٤٩٤).

٧٥٨ ـ حدثنا ابن حميد: قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب ابن منبّه، قال: لما رجعتِ الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان، قالت: قد والله عرفتُ ما هذا بملك، وما لنا به من طاقة، وما نصنعُ

(١) ضعيف.

بمكاثرته شيئاً ، وبعثت إليه أنّي قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظرَ ما أمرك ، وما تدعو إليه من دينك ، ثم أمرت بسرير مُلْكها الذي كانت تجلس عليه ـ وكان من ذهب مفصّص بالياقوت والزبرجَد واللؤلؤ ـ فجُعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت على الأبواب ، وكانت إنما تَخدُمها النساء ، معها ستمئة امرأة تخدُمها . ثم قالت لمن خلّفت على سلطانها : احتفظ بما قبَلك ، وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد، ولا يرينَّه حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قَيْل معها من ملوك اليمن، تحت يد كل قَيْل منهم ألوف كثيرة، فجعل سليمان يبعث الجنّ فيأتونه بمسيرها ومنتَهاها كلَّ يوم وليلة ، حتى إذا دنت جَمَع من عنده من الجنّ والإنس ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : وأسلمتْ فحسُن إسلامها . قال : فزُعم : أنَّ سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلاً من قومك أزوّجكه ، قالت : ومثلي يا نبيّ الله ينكح الرجال ، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي! قال : نعم ، إنّه لا يكون في الإسلام إلا ذلك ، ولا ينبغي لك أن تُحرِّمي ما أحلَّ الله لك ، فقالت : زوّجني إن كان لا بد ذا تُبَّع مَلك هَمْدان ، فزوجه إياها ، ثم ردَّها إلى اليمن ، وسلّط زوجها ذا تُبَّع على اليمن ، ودعى زوبعة أمير جنّ اليمن فقال : اعمل لذي تبَّع ما استعملك لقومه . قال : فصنع لذي تبَّع الصنائع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكاً يُعمل له فيها ما أراد؛ حتى مات سليمان ابن داود عليه السلام .

فلما حال الحول وتبينت الجنّ موتَ سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك تهامة حتى إذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشرَ الجِنّ ! إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديَكم قال : فعمدت الشياطين إلى حجريْن عظيمين ، فكتبوا فيهما كتاباً بالمسنَد : نحن بنينا سَلْحين ، سبعة وسبعين خريفاً دائبين ، وبنينا صِرْوَاح ومراح وبَيْنُون برحاضة أيْدين ، وهندة وهنيدة ، وسبعة أمجِلة بقاعة ، وتلثوم برَيْدة ، ولولا صارخ بتهامة ، لتركنا بالبون إمارة .

قال : وسَلْحِين [وصِرْواح] ومَراح وبَيْنُون وهندة وهنيدة وتلثوم حصون كانت باليمن ، عملتها الشياطين لذي تُبّع ، ثم رفعوا أيديهم ، ثم انطلقوا ، وانقضى

ملك ذي تُبّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليهما السلام[1]. (١ : ٤٩٤/ ٤٩٥).

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

٧٥٩ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن بعض العلماء ، قال: قال وهب بن منبّه: سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر ، يقال لها: صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، لمكانه في البحر ، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع منه شيء في برّ ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمِله الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجنّ والإنس ، فقتل ملكَها واستفاء ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنةً لذلك الملك لم يُر مثلُها حسناً وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبّها حبّاً لم يحبّه شيئاً من نسائه ، ووقعت نفسُه عليها ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنُها ، ولا يرقأ دمعها ، فقال لها لما رأى ما بها وهو يشقّ عليه [من ذلك] ما يرى: ويحكِ ، ما هذا الحزن الذي لا يذهب ، والدمعُ الذي لا يرقأ! قالت: إن أبي أذكُره وأذكر ملكَه وما كان فيه وما أصابه ، فيحزنني ذلك ، قال: فقد أبدَلك الله [به] ملكاً هو أعظم من ملكه ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه ، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كلِّه ، قالت: إنّ ذلك لكذلك؛ ولكنّي إذا ذكرتُه أصابني ما [قد] ترى من الحزن ، فلو أنّك أمرت الشياطين ، فصوّروا صورة أبي في داري التي أنا فيها ، أراها بكرة وعشيّاً لرجوتُ أن يُذهب ذلك حزني ، وأن يسلّيَ عني بعض ما أجد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين ، فقالَ: مثّلوا لها صورة أبيها في دارها حتى ما تنكر منه شيئاً ، فمثّلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه ، إلا أنه لا روح فيه ، فعمِدت إليه حين صنعوه لها فأزّرته وقمّصتْه وعَمّمته وردّته بمثل ثيابه التي كان يلبس ، مثل ما كان يكون فيه من هيئة ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تغدُو عليه في ولائدها حتى تسجد له ، ويسجدْن له ، كما كانت تصنع به في ملكه ، وتروح كلَّ عشية بمثل ذلك ،

---

(١) ضعيف.

لا يعلم سليمانُ بشيء من ذلك أربعين صَباحاً ، وبلغ ذلك آصف بن برخيا ـ وكان صدِّيقاً ، وكان لا يُرَدّ عن أبواب سليمان أيّ ساعة أراد دخولَ شيء من بيوته دخل ، حاضراً كان سليمان أو غائباً ـ فأتاه فقال : يا نبيّ الله ! كبِرت سِني ، ودقّ عظمي ، ونفِد عمري ، وقد حان مني ذهاب! وقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه مَنْ مضى من أنبياء الله ، وأثني عليهم بعلمي فيهم ، وأعلم الناسَ بعضَ ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم ، فقال : افعل ، فجمع له سليمان الناس ، فقام فيهم خطيباً ، فذكر مَنْ مضى من أنبياء الله ، فأثنى على كلّ نبيّ بما فيه ، وذكر ما فضّله الله به ، حتى انتهى إلى سليمان وذكَره ، فقال : ما كان أحلمَك في صغرك ، وأورعَك في صغرك ، وأفضلك في صغرك ، وأحكم أمرك في صغرك ، وأبعدك من كلّ ما يُكْرَه في صغرك! ثم انصرف فوجَد سليمان في نفسه حتى ملأه غضباً ، فلما دخل سليمان دارَه أرسل إليه ، فقال : يا آصف ! ذكرت مَنْ مضى من أنبياء الله فأثنيت عليهم خيراً في كلِّ زمانهم ، وعلى كلِّ حال من أمرهم ، فلما ذكرتَني جعلت تُثني عليّ بخيرٍ في صغري ، وسكتّ عما سِوى ذلك من أمري في كِبَري ، فما الذي أحدثتُ في آخر أمري؟ قال : إن غيرَ الله ليُعبَد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة ، فقال : في داري! فقال : في دارك ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد عرفتُ أنك ما قلتَ إلاّ عن شيء بلغك ، ثم رجع سليمان إلى داره فكسَّر ذلك الصنم ، وعاقب تلك المرأة وولائدها ، ثم أمر بثياب الطهرة فأتِيَ بها ، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار ، ولا ينسجها إلا الأبكار ، ولا يغسلها إلا الأبكار ، ولا تمسّها امرأة قد رأت الدم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحدَه ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل تائباً إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد ، فتمعّك فيه بثيابه تذللاً لله جلّ وعزّ وتضرّعاً إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ، ويقول فيما يقول : ـ فيما ذكر لي والله أعلم ـ : رَبِّ ماذا ببلائك عند آل داود أن يعبدوا غيرك ، وأن يُقِرّوا في دورهم وأهاليهم عبادةَ غيرك! فلم يزلْ كذلك يومه حتى أمسى ، يبكي إلى الله ويتضرّع إليه ويستغفره ، ثم رجع إلى داره ـ وكانت أمّ ولد له يقال لها : الأمينة ، كان إذا دخل مذهبَه ، أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمَه عندها حتى يتطهّر ، وكان لا يمسّ خاتَمه إلا وهو طاهر ، وكان ملكُه في خاتمه ، فوضعه يوماً من تلك الأيام عندها كما كان يضعه . ثم دخل مذهبه ، وأتاها الشيطانُ صاحب البحر

ـ وكان اسمه صخراً ـ في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً، فقال: خاتَمي يا أمينة! فناولته إياه، فجعله في يده، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكَفت عليه الطير والجنّ والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة، وقد غُيّرت حالته وهيئته عند كلِّ من رآه، فقال: يا أمينة، خاتَمي! فقالت: ومن أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، فقالت: كذبتَ، لست بسليمان بن داود، وقد جاء سليمان فأخذ خاتَمه، وهو ذاك جالس على سريره في ملكه. فعرف سليمانُ: أن خطيئته قد أدركته، فخرج فجعل يقِف على الدار من دور بني إسرائيل، فيقول: أنا سليمان بن داود، فيحثُون عليه الترابَ ويسبُّونه، ويقولون: انظروا إلى هذا المجنون، أيّ شيء يقول! يزعم أنه سليمان بن داود، فلما رأى سليمان ذلك عمِد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق، فيُعطونه كلّ يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى، فأكلَها، فمكث بذلك أربعين صباحاً، عِدّة ما عُبِد ذلك الوثن في داره، فأنكر آصف [بن برخيا] وعظماء بني إسرائيل حُكْم عدوّ الله الشيطان في تلك الأربعين صباحاً، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل! هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت؟ قالوا: نعم، قال: امهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهنّ: هل أنكرنَ منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلانيته؟ فدخل على نسائه فقال: ويحكنّ! هل أنكرتنّ من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن: أشدُّه ما يدع امرأة منّا في دمها، ولا يغتسل من جنابة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون! إن هذا لَهو البلاء المبين، ثم خرج إلى بني إسرائيل، فقال: ما في الخاصّة أعظم مما في العامّة، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر، فقذف الخاتم فيه، فبلعته سمكة، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك، حتى إذا كان العشيّ أعطاه سمكتيه، فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم، ثم خرج سليمان بسمكتيه فيبيع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقَرها ليشويَها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً لله، وعكَفَ عليه الطير والجنّ، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذي دخل عليه لما كان أحدث في داره، فرجع إلى ملكه، وأظهر التوبةَ من ذنبه، وأمر الشياطين فقال: ائتوني به، فطلبتْه له الشياطين حتى أخذوه، فأتى به، فجاب له صخرة، فأدخله فيها، ثم سدّ عليه

بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر[(١)] .
(١ : ٤٩٦/٤٩٧/٤٩٨/٤٩٩) .

٧٦٠ ـ حدثنا محمد بن الحسين ، قال: حدثنا أحمد بن المفضل ، قال: حدثنا أسباط ، عن السديّ في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ ، قال: الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوماً ، قال: كان لسليمان مئة امرأة ، وكانت امرأة منهنّ يقال لها: جرادة ، وهي آثر نسائه عنده ، وآمنهنّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولا يأتمن عليه أحداً من الناس غيْرَها ، فجاءته يوماً من الأيام فقالت [له]: إن أخي بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحبّ أن تقضيَ له إذا جاءك ، فقال: نعم ، ولم يفعل ، فابتُلي فأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته ، فقالَ: هاتي الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيَه خاتمه ، فقالت: ألم تأخذه قبل؟ قال: لا ، وخرج من مكانه تائهاً ، قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً. قال: فأنكر الناس أحكَامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم ، وجاؤوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه! قال: فبكى النساء عند ذلك ، قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوْه ، فأحدقوا به ثم نشروا فقرؤوا التوراة ، قال: فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال: وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع ، وقد اشتدّ جوعه ، فاستطعمه من صيدهم ، وقال: إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضُهم فضربه بعصاً فشجّه ، قال: فجعل يغسل دمه وهو على شاطىء البحر ، فلام الصيادون صاحبَهم الذي ضربه ، وقالوا: بئس ما صنعت حيث ضربته! قال: إنه زعم أنه سليمان ، قال: فأعطوْه سمكتين مما قد ضُرب عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب ، حتى قام على شطّ البحر ، فشقّ بطونهما ، وجعل يغسلهما ، فوجد خاتَمه في بطن إحداهما ، فأخذه فلبسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلْكَه ، وجاءت الطير حتى حامتْ عليه ، فعرف القومُ أنه

---

(١) ضعيف.

سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا؛ فقال: ما أحمدكم على عُذْركم ، ولا ألومكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بدّ منه.

قال: فجاء حتى أتى مُلْكَه ، فأرسل إلى الشيطان فجيء به ، وسُخّرتْ له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سُخِّرت له قبل ذلك ، وهو قوله: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.

وبعث إلى الشيطان فأتى به ، فأمر به فجعل في صندوق من حديد ، ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقُفْل ، وختم عليه بخاتَمه ، ثم أمر به فألقِيَ في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حبقيق[١]. (١: ٤٩٩/ ٥٠٠/ ٥٠١).

٧٦١ ـ قال أبو جعفر: ثم لبث سليمان بن داود في ملكه بعد أن ردّه الله إليه ، تعمل له الجنّ ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ، وغير ذلك من أعماله ، ويعذّب من الشياطين من شاء ، ويطلق من أحبّ منهم إطلاقه ، حتى إذا دنا أجله ، وأراد الله قبضه إليه ، كان من أمره ـ فيما بلغني ـ ما حدثني به أحمد بن منصور ، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال: كان سليمان نبيّ الله إذا صلّى رأى شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا وكذا ، فيقول: لأيّ شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غُرِست ، إن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلّي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها: ما اسمُك؟ قالت: الخرُّوب ، قال: لأيّ شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت ، فقال سليمان: اللهم عَمّ على الجنّ موتي حتى يعلم الإنس: أن الجنّ لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصاً ، فتوكأ عليها حولاً ميتاً ، والجنّ تعمل ، فأكلتها الأرضة فسقط ، فتبينت الإنس: أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين.

قال: وكان ابن عباس يقرؤها: (حولاً في العذاب المهين). قال: فشكرت الجنّ الأرَضة ، فكانت تأتيها بالماء[٢]. (١: ٥٠١).

---

(١) هذا إسناد مرسل وفي متنه نكارة شديدة.

(٢) ضعيف.

٧٦٢ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد عن أسباط ، عن السدّيّ في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرة الهمْدَانِيّ ، عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قال: كان سليمان يتجرّد في بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهْرَ والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله في المرّة التي مات فيها ، فكان بدء ذلك: أنه لم يكن يومٌ يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة ، فيأتيها ، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا ، فيقول لها: لأيّ شيء نبتّ؟ فتقول: نبتّ لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبتتْ لغرس غرسها ، وإن كانت نبتت دواء قالت: نبتّ دواء لكذا وكذا ، فيجعلها لذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها: الخروبة فسألها: ما اسمك؟ قالت: أنا الخروبة ، قال ولأي شيءٍ نبتِ قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حيّ ، أنت التي على وجهك هلاكي وخرابُ بيت المقدس ، فنزعها وغرسها في حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ، ولا تعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حولَ المحراب ، وكان المحراب له كُوىً بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فمرّ ـ ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق ـ ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، [ثم رجع فلم يسمع] ثم رجع فوقف في البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتاً ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ، ووجدوا مِنْسأته ـ وهي العصا بلسان الحبشة ـ قد أكلتها الأرَضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرَضةَ على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة ، وهي في قراءة ابن مسعود: (فمكثوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً)، فأيقن الناس عند ذلك: أن الجنّ كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذاك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ يقول: بيَّن

أمرهم للناس: أنهم كانوا يكذبونهم. ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنتِ تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنتِ تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل [إليك] الماء والطين. قال: فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت. قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشياطين شكراً لها!

وكان جميع عمر سليمان بن داود فيما ذكر نيفاً وخمسين سنة، وفي سنة أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر(١). (١: ٥٠٢/٥٠٣).

أمر إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام

٧٦٢/ أ ـ رجع الحديث إلى الخبر عن أمر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام.

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بني إسرائيل ابنه رُحُبْعُم بن سليمان، وكان ملكه ـ فيما قيل ـ سبع عشرة سنة. ثم افترقت ممالكُ بني إسرائيل فيما ذكر بعد رُحُبْعُم، فكان أبيًا بن رُحُبْعُم ملك سبط يهوذا وبنيامين، دون سائر الأسباط؛ وذلك: أنّ سائر الأسباط ملّكوا عليهم يوربعم بن نابط عبد سليمان، لسبب القربان الذي كانت زوجة سليمان قرّبته في داره، وكانت قرّبت فيها جرادةُ لصنم، فتوعّده الله بإزالة بعضِ الملْك عن ولده، فكان ملك رُحُبْعُم إلى أن تُوُفّيَ ـ فيما ذكر ـ ثلاث سنين.

ثم ملك أسَا بن أبيًا أمر السِّبْطين اللذيْن كان أبوه يملك أمرهما ـ وهما سبط يهوذا وسبط بنيامين ـ إلى أن توفّي، إحدى وأربعين سنة(٢). (١: ٥١٧).

ذكر خبر أسَا بن أبِيًا وزرح الهنديّ

٧٦٣ ـ حدثني محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهب بن منبِّه يقول:

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل يقال له: أسا بن أبيًا، كان رجلاً صالحاً، وكان أعرَج، وكان ملك من ملوك الهند يقال له: زرح، وكان ملكاً جباراً فاسقاً يدعو الناس إلى عبادته، وكان أبيًا عابدَ أصنام؛ له صنمان يعبدهما من دون الله، ويدعو الناسَ إلى عبادتهما؛ حتى أضلّ عامة بني إسرائيل، وكان يعبدُ الأصنام حتى توفِّي. ثم ملك ابنه أسَا من بعدِه، فلما ملكهم بعث فيهم منادياً ينادي: ألاَ إنَّ الكفر قد مات وأهلُه، وعاش الإيمان وأهلُه، وانتكست الأصنام وعبادتُها، وظهرت طاعة الله وأعمالُها، فليس كافر من بني إسرائيل يُطلع رأسه بعد اليوم بكُفْر في ولايتي ودهري، إلا أنّي قاتله. فإن الطوفان لم يُغرِق الدنيا وأهلها، ولم يخسف بالقرى، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله، وإظهار معصيته؛ فمن أجل ذلك ينبغي لنا ألاّ نقرّ لله معصيةً يُعمَل بها، ولا نترك طاعة لله إلا أظهرناها جهدَنا، حتى نطهِّر الأرض من نَجَسها، ونُنقِّيها من دنسها، ونجاهد مَنْ خالفنا في ذلك بالحرب والنفي من بلادنا.

فلما سمع ذلك قومُه ضجُّوا وكرهوا، فأتوْا أمَّ أسَا الملك فشكوْا إليها فعل ابنها بهم وبآلهتهم، ودعاءه إياهم إلى مفارقة دينهم، والدخول في عبادة ربِّهم، فتحمّلتْ لهم أمه أن تكلِّمَه وتصرفَه إلى عبادة أصنام والده؛ فبينا الملك قاعد وعنده أشراف قومه ورؤوسهم وذوو طاعتهم؛ إذ أقبلتْ أمّ الملك فقام لها الملك من مجلِسه، وأمرَها أن تجلس فيه، معرفةً بحقها، وتوقيراً لها. فأبت عليه وقالت: لستَ ابني إن لم تجبني إلى ما أدعوك إليه، وتضع طاعتك في يدي حتى تفعل ما آمرك به، وتجيبَني إلى أمر؛ إن أطعتَني فيه؛ رَشَدت وأخذت بحظّك، وإن عصيتَني؛ فحظَّك بخَست، ونفسَك ظلمت. إنه بلغَني يا بنيّ أنك بدأت قومك بالعظيم؛ دعوتَهم إلى مخالفة دينهم، والكفرِ بآلهتهم، والتحوّل عَمّا كان عليه آباؤهم، وأحدثت فيهم سنّة، وأظهرت فيهم بدعة؛ أردت بذلك ـ فيما زعمتَ ـ تعظيماً لوقارك، ومعرفَةً بمكانك، وتشديداً لسلطانك؛ وفي التقصير يا بنيّ دخلت، وبالشَّيْن أخذت، ودعوت جميعَ الناس إلى حربك، وانتدبت لقتالِهم وحدك؛ أردت بذلك أن تُعيد الأحرار لك عبيداً، والضعيف لك شديداً؛ سفَّهت بذلك رأيَ العلماء، وخالفتَ الحكماء، واتبّعت رأي السفهاء، ولعمرِي ما حملك على ذلك يا بنيّ إلا كثرةُ طيشك، وحداثةُ سنِّك، وقلّةُ علمك؛ فإن

أنت رددتَ عليّ كلامي ، ولم تعرفْ حقي ، فلستَ من نسل والدك ، ولا ينبغي المُلْك لمثلك ، يا بنيّ بأيّ شيء تُدِلُّ على قومك؟ لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أتي موسى إلى فرعون؛ أن غرّقه وأنجى قومه من الظُّلمة. أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتي داود؛ أن قتلَ الأسد لقومه ، ولحِق الذئب فشقّ شِدْقه ، وقتل جالوت الجبّار وحده. أو لعلك أوتيتَ من الملك والحكمة أفضلَ ممّا أوتي سليمان بن داود رأس الحكماء؛ إذ صارت حكمتُه مثلاً للباقين بعده! يا بنيّ إنه ما يأتِك من حسنة فأنا أحظَى الناس بها ، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك.

فلما سمعها الملك اشتدّ غضبُه ، وضاق صدره ، فقال لها: يا أمّه! إنه لا ينبغي أن آكلَ على مائدة واحدة مع حبيبي وعدوي ، كذلك لا ينبغي أن أعبدَ غيرَ ربِّي. هلمِّي إلى أمر إن أطَعْتني فيه ، رَشدت ، وإن تركتِه؛ غويت؛ أن تعبدي الله وتكفرِي بكلّ آلهة دونه ، فإنه ليس أحد يردُّ هذا عليّ إلا هو لله عدوّ ، وأنا ناصره لأني عبدُه.

قالت له: ما كنت لأفارقَ أصنامي ، ولا دينَ آبائي وقومي. ولا أترك ذلك لقولك ، ولا أعبد الربّ الذي تدعوني إليه.

فقال لها الملك: حينئذ يا أمّه ! إنّ قولَك هذا قد قطع فيما بيني وبينك رحِمي.

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرَجوها وغرّبوها ، ثم أوصى إلى صاحب شُرْطته وبابه أن يقتلَها إن هي ألمّت بمكانه.

فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت في قلوبهم المهابة ، فأذعنوا له بالطاعة ، وانقطعت فيما بينهم وبينه كلّ حيلة ، وقالوا: قد فعل هذا بأمّه ، فأين نقع نحن منه إذا خالفنا في أمره ، ولم نجبه إلى دينه! فاحتالوا له كلّ حيلة ، فحفظه الله وأباد مكرَهم. فلما لم يكن لهم عن ذلك صبر ، ولا على فراق دينهم قوام؛ ائتمروا بأن يهربُوا من بلاده ، ويسكنوا بلاداً غيرها؛ فخرجوا متوجِّهين إلى زَرْح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسَا ومن اتبعه؛ فلما دخلوا على زرْح سجدوا له ، فقال لهم: مَنْ أنتم؟ قالوا: نحن عبيدك ، قال: وأيّ عبيدي أنتم؟ قالوا: نحن من أرضك أرضِ الشام ، وإنّا كنا نعتزّ بملكك ، حتى ظهر فينا ملك صبيّ حديث السنّ سفيه ، فغيّر ديننا ، وسفّه رأينا ، وكفّر آباءنا ، وهان عليه سخطُنا ، فأتيناك لنُعلمك ذلك ، فتكون أنت أولى بملكنا؛

ونحن رؤوسهم ، وهي أرض كثير مالها ، ضعيف أهلها ، طيّبة معيشتها ، كثيرة أنضارها ، وفيهم الكنوز وملْك ثلاثين ملكاً ، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم في البحر هو وقومه؛ فنحن وأرضنا لك ، وبلادنا بلادك ، وليس أحدٌ فيها يناصبك ، هم دافعون أيديَهم إليك بغير قتال ، بأموالهم وأنفسهم مسالمة.

قال لهم زرح: لَعَمْري ، ما كنت لأجيبَكم إلى ما دعوتموني إليه ، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلّهم أطوعُ لي منكم ، حتى أبعثَ إليهم من قومي أمناء ، فإن وقع الأمرُ على ما تكلّمتم به قدّامي؛ نفعكم ذلك عندي ، وجعلتُكم عليها ملوكاً ، وإن كان كلامكم كذباً؛ فإني منزِل بكم العقوبة التي تنبغي لمن كذَبني.

قال القوم: تكلّمتَ بالعدل ، وحكمتَ بالقسط ، ونحن به راضون. فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريَت عليهم ، واختار من قومه أمناء ليبعثهم جواسيس ، فأوصاهم بوصيته ، وخوَّفهم وحذَّرهم بطشه إن هم كذَبوه ، ووعدهم المعروف إن هم صدَقوه ، وقال زرح: إنّي مرسلكم لأمانتكم ، وشحّكم على دينكم ، وحسن رأيكم في قومكم ، لتطالعوا لي أرضاً من أرضي ، وتبحثوا لي عن شأنها ، وتُعلموني عِلْم أهلها وملِكها وجنودها وعددها وعدد مياهها ، وفِجاجها وطرقها ، ومداخلها ومخارجها ، وسهولتها وصعوبتها؛ حتى كأني شاهد ذلك وعالمه ، وحاضر ذلك وخابره. وخذوا معَكم من الخزائن من الياقوت والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوْه ، ويشترون منكم إذا نظروا إليه.

فأمكنهم من خزائنه حتى أخذوا منها ، فجهّزهم لبَرّهم وبحرهم ، ووصف لهم القوم الذين أتوهم الطرقَ ، ودلّوهم على مقاصدها ، فساروا كالتجار؛ حتى نزلوا ساحِلَ البحر ، ثم ركبوا منه حتى أرسوْا على ساحل إيلِيَاء ، ثم ساروا حتى دخلوها ، فخلّفوا أثقالهم فيها ، وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم ، ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم؛ فلم يفرُغوا لبضاعتهم ، وكسدت تجارتُهم ، فجعلوا يُعطون بالشيء القليل الشيءَ الكثير؛ لكيلا يخرجوهم من قريتهم ، حتى يعلموا أخبارَهم ، ويحقُّوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم به ملكهم من أخبارهم.

وكان أسا الملك قد تقدّم إلى نساء بني إسرائيل ألاّ يُقْدَر على امرأة لا زوج لها

بهيئة امرأة لها زوج إلاّ قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار؛ فإنّ إبليس لم يدخل على أهل الدِّين في دينهم بمكيدة هي أشدّ من النساء؛ فكانت المرأة التي لا زوج لها لا تخرج إلاّ منتقبة في رِثّة الثياب لئلاّ تعرف، فلما بذل هؤلاء الأمناء بضاعتهم ما ثمنُه مئة درهم بدرهم، جعل نساء بني إسرائيل يشترِين خُفْية بالليل سرّاً، لا يعلم بهنّ أحد من أهل دينهن؛ حتى أنفقوا بضاعَتهم واشتروْا بها حاجتَهم، واستوعبوا خَبَر مدينتهم وحصونهم، وعددَ مياههم، وكانوا قد كتموا رؤوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت هديّة للملك، وجعل الأمناء يسألون منْ رأوا من أهل القرية عن خبر الملك وشأنه؛ إذ لم يشتر منهم شيئاً، وقالوا: ما شأن الملك لا يشتري منا شيئاً! إن كان غنيّاً فإنّ عندنا من طرائف البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله في خزائنه، وإن كان محتاجاً فما يمنعه أن يشهدَنا فنعطَيه ما شاء بغير ثمن! قال لهم مَنْ حضرهم من أهل القرية: إنّ له من الغنى والخزائن وفنون المتاع ما لم يُقْدَر على مثله؛ إنه استفرغ الخزائن التي كان موسى سار بها من مصر، والحليّ الذي كان بنو إسرائيل أخذوا، وما جمع يوشع بن نون خليفةُ موسى، وما جمع سليمانُ رأس الحكماء والملوك من الغنى الكثير والآنية التي لا يقدَر على مثلها.

قال الأمناء: فما قتاله؟ وبأيّ شيء عظمته؟ وما جنوده؟ أرأيتم لو أنّ ملكاً انحرف عليه ففتق ملكه ما كان إذاً قتالُه إياه؟ وما عدَّتُه وعدد جنوده؟ أم بأيّ الخيل والفرسان غلبته؟ أم من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت في قلوب الرجال هيبته!

فأجابهم القوم وقالوا: إن أسا الملك قليلةٌ عدّته، ضعيفة قوته، غيرَ أنّ له صديقاً لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزالها؛ فإذا كان معه صديقه فليس شيء من الخلْق يطيقه.

قال لهم الأمناء: ومَنْ صديق أسَا؟ وكم عدد جنوده؟ وكيف مواجهته وقتالُه؟ وكمْ عدد عساكره ومراكبه؟ وأين قَراره ومسكنه؟

فأجابهم القوم: أمّا مسكنُه ففوق السموات العلا، مستوٍ على عرشه، لا يُحصى عدد جهوده، وكلّ شيء من الخلق له عبد، لو أمر البحر لطمّ على

البرّ ، ولو أمر الأنهار لغارت في عنصرها ، لا يُرى ولا يعرف قراره ، وهو صديق أسَا وناصره.

فجعل الأمناء يكتبون كلّ شيء أخبِروا به من أمر أسَا وقضية أمره ، فدخل بعض هؤلاء الأمناء عليه ، فقالوا: يا أيها الملك ، إن معنا هدية نريد أن نهديها لك من طرائف بلادنا ، أو تشتري منا فنُرخصه عليك.

قال لهم: ائتوني بذلك حتى أنظر إليه ، فلما أتوْه به قال لهم: هل يبقى هذا لأهله ، ويبقون له؟ قالوا: بل يفنى هذا ويفنَى أهله. قال لهم أسَا: لا حاجةَ لي فيه ، إنما طَلِبتي ما تبقى بهجتُه لأهله ، لا تزول ولا يزولون عنه.

فخرجوا من عنده ، وردّ عليهم هديّتهم ، فساروا من بيت المقدس متوجهين إلى زرح الهنديّ ملكهم. فلما أتوه نشروا له كتاب خبرهم وأنبؤوه بما انتهى إليهم من أمر ملكهم ، وأخبروه بصديق أسا. فلما سمع زرح كلامَهم استحلفهم بعزّته ، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولهما يصلُّون ألاّ يكتموه من خبر ما رأوا في بني إسرائيل شيئاً. فصدقوه.

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أسَا ملكهم وصديقه؛ قال لهم زرح: إن بني إسرائيل لما علِموا أنكم جواسيس ، وأنكم قد اطلعتم على عوراتهم ذكروا لكم صديق أسَا وهم كاذبون؛ أرادوا بذلك ترهيبَكم. إن صديق أسا لا يطيق أن يأتيَ بأكثر من جندي ، ولا بأكمل من عدّتي ، ولا بأقسى قلوباً ولا أجرأ على القتال من قومِي ؛ إن لقيَني بألف لقيته بأكثر من ذلك.

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كلّ من في طاعته أن يجهّزوا من كل مخلاف جنداً بعدتهم حتى استمد يأجوج ومأجوج والترك وفارس مع مَنْ سواهم من الأمم ممن جرت عليه لزرح طاعة؛ كتب:

من زرح الجبار الهنديّ ملك الأرضين إلى مَنْ بلغته كتبي: أما بعد فإن لي أرضاً قد دنا حصادُها وأينع ثمرُها؛ وأردت أن تبعثوا إليّ بعمّال أغنّمهم ما حصدوا منها ، وهم قوم قَصَوْا عني ، وغلَبوا على أطراف من أرضي وقهروا مَنْ تحت أيديهم من رقيقي ، وقد منحتهم مَنْ نهض إليهم معي ، فإن قصّرتْ بكم قوّة فعندي قوّتكم ، فإنه لا تتعطل خزائني.

فاجتمعوا إليه من كلّ ناحية ، وأمدّوه بالخيل والفرسان والرّجالة والعدّة؛ فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه ، ثم أمر بإحصاء عددهم وتعبيتهم ، فبلغ عددُهم ألف ألف ومئة ألف سوى أهل بلادهم. وأمر بمئة مركب ، فقِرن له البغال ، كلّ أربعة أبغُل جميعاً عليها سرير وقبّة ، وفي كلّ قبّة منها جارية ، ومع كلّ مركب عشرة من الخدم ، وخمسة أفيال من فيَلته ، فبلغ في كلّ عسكر من عساكره مئة ألف ، وجعل خاصّته الذين يركبون معه مئة من رؤوسهم ، وجعل في كلّ عسكر عُرَفاء ، وخطبهم وحرّضهم على القتال ، فلما نظر إليهم وسار فيهم تعزّز وتعظّم شأنُه في قلوب مَنْ حضره ، ثم قال زرح: أين صديق أسَا؟ هل يستطيع أن يعصمَه منّي؟ أو مَنْ يطيق غلبتي؟ فلو أن أسا وصديقَه ينظران إليّ وإلى جندي ما اجترآ على قتالي؛ لأن عندي بكلّ واحد من جنده ألفاً من جنودي ، لَيدخُلنّ أسَا أرضي أسيراً ، ولأقدمنّ بقومه سبياً في جنودي.

فجعل زرح ينتقص أسَا ويقول فيه ما لا ينبغي ، فبلغ أسَا صنيعُ زرح وجمعُه عليه ، فدعا ربّه فقال: اللهمّ أنت الذي بقوّتك خلقت السموات والأرض ومَنْ فيهنّ حتى صار جميعُ ذلك في قبضتك ، أنتَ ذو الأناة الرفيقة والغضب الشديد ، أسألك ألاّ تذكرنا بخطايانا فيما بيننا وبينك ، ولا تعمدنا ولا تجزينا على معصيتك؛ ولكن تذكرنا برحمتك التي جعلَتها للخلائق ، فانظر إلى ضَعْفنا وقوة عدونا ، وانظر إلى قلّتنا وكثرة عدونا ، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغمّ ، وانظر إلى ما فيه عدّونا من الفرح والراحة ، فغرّق زرحاً وجنوده في اليمّ بالقدرة التي غرّقتَ بها فرعون وجنوده ، وأنجيت موسى وقومه ، وأسألك أن تُحِلّ على زرح وقومه عذابك بغتة!

فأرِيَ أسَا في المنام ـ والله أعلم ـ أني قد سمعت كلامَك ، وصل إليّ جُؤارُك ، وأني على عرشي ، وأني إن غرّقت زرحا الهندي وقَومه ، لم يعلم بنو إسرائيل ولا مَنْ كان بحضرتهم كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهِرُ في زرح وقومِه لك ولمن اتبعك قدرةً من قدرتي ، حتى أكفيَك مؤنتهم ، وأهبَ لك غنيمتهم ، وأضعَ في أيديكم عساكرَهم؛ حتى يعلم أعداؤك: أن صديقَ أسا لا يطاق وليُّه ولا يهزَم جنده ، ولا يخيب مُطيعُه ، فأنا أتمهل له حتى يفرغ من حاجته ، ثم أسوقه إليك عبداً ، وعساكره لك ولقومك خَوَلاً.

فسار زرح ومن معه حتى حلّوا على ساحل ترشيش ، فلم يكن إلا محلَّة يوم حتى دفنوا أنهارها ، ومَحوْا مروجَها؛ حتى كان الطير ينقصف عليهم ، والوحش لا تستطيع الهرب منهم ، فساروا حتى كانوا على مرحلتين من إيلِياء ، ففرّق زرح عساكره منها إلى إيلياء ، وامتلأت منهم تلك الأرضُ جبالها وسهولها ، وامتلأت قلوبُ أهل الشام منهم رُعباً ، وعاينوا هلَكتهم.

فسمع بهم أسا الملك؛ فبعث إليهم طليعة من قومه ، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهيئتهم. فسار القوم الذين بعثهم أسَا حتى نظروا إليهم من رأس تلّ ، ثم رجعوا إلى أسا فأخبروه أنه لم تر عُيونُ بني آدم ، ولا سمعت آذانهم مثلَهم ومثلَ أفيالهم وخيولهم وفرسانهم؛ وما ظننَّا أنّ في الناس مثلَهم كثرة وعدة ، فُلَّت من إحصائهم عقولُنا ، وفُلَّت من قتالهم حيلتنا ، وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا.

فسمع بذلك أهلُ القرية فشقُّوا ثيابهم ، وذرُّوا التراب على رؤوسهم ، وعَجّوا بالعويل في أزقّتهم وأسواقهم ، وجعل بعضُهم يودّع بعضاً. ثم ساروا حتى أتوا الملكَ فقالوا: نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فرافعون إليهم أيديَنا ، لعلهم أن يرحمونا فيقرّونا في بلادنا. قال لهم أسا الملك: معاذ الله أن نُلقيَ بأيدينا في أيدي الكفرة ، وأن نُخلِّيَ بيت الله وكتابه للفجرة! قالوا: فاحتَلْ لنا حيلة ، واطلب إلى صديقك وربك الذي كنت تعدُنا بنصره ، وتدعونا إلى الإيمان به ، فإن هو كشَف عنّا هذا البلاء؛ وإلاّ وضعنا أيديَنا في أيدي عدونا لعلنا نتخلّص بذلك من القتل.

قال لهم أسا: إنّ ربي لا يطاق إلا بالتضرُّع والتبتل والاستكانة. قالوا: فابرز له لعلّه أن يجيبك فيرحم ضعفنا ، فإن الصديق لا يسلِم صديقه على مثل هذا. فدخل أسا المصلَّى ، ووضع تاجه من رأسه ، وخلّى ثيابه ، ولبس المُسوح وافترش الرماد ، ثم مدّ يده يدعو ربه بقلب حزين ، وتضرّع كثير ، ودموع سِجال ، وهو يقول: اللهمّ ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط؛ أنت المستخفي من خلْقك حيث شئت ، لا يدرَك قرارك ، ولا يطاق كنْهُ عظمتك ، أنت اليقظان الذي لا تنام ، والجديد الذي لا تبليك الليالي والأيام؛ أسألك بالمسألة التي سألك بها إبراهيم خليلك ، فأطفأتَ بها عنه النار ، وألحقته بها بالأبرار ، وبالدعاء الذي دعاك به

نجيُّك موسى ، فأنجيت بني إسرائيل من الظلَمة ، وأعتقتَهم به من العبودية ، وسيّرتهم في البرّ والبحر ، وغرّقت فرعون ومن اتبعه. وبالتضرُّع الذي تضرَّع لك عبدُك داود فرفعتَه ، ووهبتَ له من بعد الضعف القوة ، ونصرتَه على جالوت الجبَّار ، وهزمتَه ، وبالمسألة التي سألك بها سليمان نبيّك فمنحتَه الحكمة ، ووهبت له الرفعة ، وملّكته على كلّ دابّة. أنت محيي الموتى ، ومُفني الدنيا ، وتبْقَى وحدك خالداً لا تفنى ، وجديداً لا تبلَى ، أسألك يا إلهي أن ترحَمني بإجابة دعوتي؛ فإني أعرجُ مسكين من أضعفِ عبادك ، وأقلّهم حيلة ، وقد حلَّ بنا كرب عظيم؛ وحَزْبٌ شديد ، لا يطيق كشفَه غيرُك ، ولا حول ولا قوة لنا إلاّ بك ، فارحم ضعفنا بما شئت؛ فإنك ترحم من تشاء بما تشاء.

وجعل علماء بني إسرائيل يدعون الله خارجاً وهم يقولون: اللهمّ أجب اليوم عبدك؛ فإنه قد اعتصم بك وحدَك ، ولا تخلّ بينه وبين عدوّك ، واذكر حبَّه إياك ، وفراقَه أمَّه وجميع الخلائق إلا من أطاعك.

فألقى الله على أسَا النوم وهو في مصلاَّه ساجداً ، ثم أتاه من الله آت ـ والله أعلم ـ فقال: يا أسا ، إن الحبيب لا يُسلِم حبيبه ، وإن الله عزّ وجلّ يقول: إني قد ألقيت عليك محبّتي ، ووجَب لك نصري ، فأنا الذي أكفيك عدوَّك ، فإنه لا يهون مَنْ توكّل عليّ ، ولا يضعف مَنْ تقوَّى بي. كنت تذكرني في الرخاء ، وأسلمك عند الشدائد ! وكنتَ تدعوني آمناً ، وأنا أسلِمك خائفاً ! إن الله القويُّ يقول: أنا أقسم أنْ لو كايَدتْك السموات والأرض بمنْ فيهنّ لجعلت لك مِنْ جميع ذلك مخرجاً ! فأنا الذي أبعث طرفاً من زبانيَتي يقتلون أعدائي ، فإني معك ، ولن يخلُص إليك ولا إلى من معك أحد.

فخرج أسا من مصلاّه وهو يحمد الله ، مسفراً وجهُه ، فأخبرهم بما قيل له ، فأمّا المؤمنون فصدّقوه ، وأمّا المنافقون فكذّبوه ، وقال بعضهم لبعض: إنّ أسا دخل أعرج وخرج أعرج ، ولو كان صادقاً أن الله قد أجابه إذاً لأصلح رجْلَه ، ولكن يغرّنا ويمنّينا ، حتى تقَع الحرب فينا فيهلِكنا!

فبينا الملك يخبرهم عن صنع الله بهم؛ إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب من زرح إلى أسَا ، فيها شتمٌ له ولقومه ، وتكذيب بالله ، وكتَب فيها: أن ادعُ صديقك الذي أضللت به قومَك فليبارزني بجنوده ، وليظهرْ لي مع

ما أنّي أعلم أنه لن يطيقني هو ولا غيره؛ لأني أنا زرح الهنديّ الملك.

فلما قرأ أسا الكتب التي قدم بها عليه هَمَلت عيناه بالبكاء، ثم دخل مصلاَّه، ونشر تلك الكتب بين يدي الله، ثم قال: اللهمّ ليس لي شيء من الأشياء أحبّ إليّ مِنْ لقائك؛ غير أني أتخوّف أن يُطفأ هذا النور الذي أظهرتَهُ في أيامي هذه، وقد حضرتْ هذه الصحائف وعلمت ما فيها، ولو كنت المراد بها كان ذلك يسيراً؛ غيرَ أن عبدك زرحاً يكايدك ويتناولك؛ فَخَر بغير فخر، وتكلَّم بغير صدق، وأنت حاضر ذلك وشاهده.

فأوحى الله إلى أسَا ـ والله أعلم ـ: أنه لا تبديلَ لكلماتي، ولا خُلْفَ لموعدي، ولا تحويل لأمري، فاخرج من مصلاّك، ثم مُرْ خيلك أن تجتمع، ثم اخرج بهم وبمن اتّبعك حتى تقفوا على نَشَز من الأرض.

فخرج أسا فأخبرهم بما قيل له، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم، مع كلِّ رجل منهم رهط من قومه؛ فلما أن خرجوا، ودّعوا أهاليهم بألاّ يرجعوا إلى الدنيا. فوقفوا لزرح على رابية من الأرض، فأبصروا منها زرحاً وقومَه، فلما أبصرهم زرح نفض رأسه ليسخر منهم، وقال: إنما نَهضت من بلادي، وأنفقت أموالي لمثل هؤلاء! ودعى عند ذلك بالنفر الذين كانوا نَعَتوا عنده أسا وقومه، فقال: كذبتموني وزعمتم أن قومكم كثير عددهم! فأمر بهم وبالأمناء الذين كان بعثهم ليخبروه خبرهم، فقُتِلوا جميعاً، وأسا في ذلك كثير تضرّعه، معتصم بربه، فقال زرح: ما أدري ما أفعل بهؤلاء القوم؟ وما أدري ما قدْرُ قِلَّتهم في كثرتنا؟ إني لأستقِلّهم عن المحاربة؛ وأرى ألاّ أقاتلَهم.

فأرسل زرح إلى أسا فقال له: أين صديقُك الذي كنت تعدُنا به، وتزعم أنه يخلّصك مما يحلّ بكم من سَطَواتي! أفتضعون أيديَكم في يدِي فأمضِي فيكم حكمي، أو تلتمسون قتالي!

فأجابه أسا، فقال: يا شقيّ، إنك لست تعلم ما تقول: ولستَ تدري! أتريد أن تغالب ربّك بضعفك، أم تريد أن تكاثره بقلّتك؟ هو أعزّ شيء وأعظمه، وأغلَبُ شيء وأقهره، وعبادُه أذلُّ وأضعف عنده من أن ينظروا إليه معايَنة. هو معي في موقفي هذا، ولن يغلَب أحدٌ كان الله معه. فاجتهد يا شقيّ بجهدك حتى تعلم ماذا يحلُّ بك.

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم ، أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنُشَّابهم فبعث الله ملائكة من كلّ سماء ـ والله أعلم ـ عوناً لأسا وقومِه ، ومادة له ، فوقفهم أسا في مواقفهم ، فلما رموْا نشَّابهم ، حال المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض؛ كأنها سحابة طلَعت فنحّتها الملائكة عن أسا وقومه ، ثم رمت بها الملائكة قومَ زرح ، فأصابت كلّ رجل منهم نُشّابته التي رمى بها ، فقتِل رماتهم بها كلها وأسا وقومه في كلّ ذلك يحمَدون الله كثيراً ، ويعجُّون إليه بالتسبيح ، وتراءت الملائكة لهم ـ والله أعلم ـ فلما رآهم الشقيّ زرح وقع الرعب في قلبه ، وسُقِط في يده ، وقال: إن أسا لعظيم كيده ، ماضٍ سحره ، وكذلك بنو إسرائيل ، حيث كانوا لا يغلب سحرَهم ساحر ، ولا يُطيق مكرهم عالم؛ وإنما تعلّموه من مصر ، وبه ساروا في البحر ، ثم نادى الهنديّ في قومه: أن سُلُّوا سيوفكم ، ثم احملوا عليهم حملة واحدة ، فدُقّوهم !

فسلُّوا سيوفَهم ، ثم حملوا على الملائكة ، فقتلتهم الملائكة ، فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورقيقه .

فلما رأى ذلك زرح ولّى مدبراً فارّاً هو ومن معه ، وهو يقول: إن أسا ظهر علانية ، وأهلكني صديقُه سرّاً ، وإني كنتُ أنظر إلى أسا ومَنْ معه واقفين لا يقاتلون والحرب واقعة في قومي .

فلما رأى أسا أن زرحاً قد ولّى مدبراً قال: اللهمّ إن زرحاً قد ولّى مدبراً وإنك إنْ لم تَحُلْ بيني وبينه استنفر علينا قومه ثانية . فأوحى الله إلى أسا: إنك لم تقتل مَنْ قتل منهم ولكني قتلتُهم ، فقِفْ مكانك ، فإني لو خلّيت بينك وبينهم أهلكوكم جميعاً؛ إنما يتقلّب زرح في قبضتي ، ولن ينصرَه أحد مني ، وأنا لزرح بالمكان الذي لا يستطيع صدوداً عنه ولا تحويلاً؛ وإني قد وهبت لك ولقومك عساكرَه وما فيها من فضة ومتاع ودابة ، فهذا أجرك ، إذ اعتصمت بي ، ولا ألتمس منك أجراً على نُصرتك!

فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الهَرب ، ومعه مئة ألف ، فهيّؤوا سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا في البحر بعث الله الرياح من أطراف الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كلّ ناحية أمواجُه ، وضربت السفن بعضُها بعضاً حتى تكسّرت؛ فغرق زرح ومن كان معه ، واضطربت بهم الأمواج حتى فزع

لذلك أهلُ القرى حولهم، ورجفت الأرض، فبعث أسا مَنْ يعلمه علم ذلك، فأوحى الله إليه ـ والله أعلم ـ أن اهبط أنت وقومك أهل قراكم، فخذوا ما غنَّمكم الله بقوة، وكونوا فيه من الشاكرين؛ فإني قد سوغت كلَّ من أخذ من هذه العساكر شيئاً ما أخذه. فهبطوا يحمدون الله ويقدّسونه، فنقلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر. والله أعلم.

ثم ملك بعده يهوشافاظ بن أسا إلى أن هلك خمساً وعشرين سنة.

ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا ابنة عمرم أم أخزيا، وكانت قتلت أولاد ملوك بني إسرائيل، فلم يبق منهم إلا يواش بن أخزيا، فإنه سُتِر عنها، ثم قتلها يواش وأصحابه، وكان ملكُها سبع سنين.

ثم ملك يواش بن أخزيا إلى أن قتله أصحابه، وهو الذي قتل جدّته، فكان ملكُه أربعين سنة.

ثم ملك أموصيا بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعاً وعشرين سنة، ثم ملك عوزيا بن أموصيا ـ وقد يقال لعوزيا: غوزيا ـ إلى أن توفي، اثنتين وخمسين سنة.

ثم ملك يوتام بن عوزيا إلى أن توفي ست عشرة سنة.

ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفي ست عشرة سنة.

ثم ملك حزقيا بن أحاز إلى أن توفي. وقيل: إنه صاحب شعيا الذي أعلمه شعيا انقضاء عمره، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهله، وأمر شعيا بإعلامه ذلك.

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال: صاحب شعيا الذي هذه القصة قصته اسمه صديقة[1]. (١: ٥١٧/ ٥٣١).

ذكر صاحب قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل، وسنحاريب

٧٦٤ ـ حدثنا ابن حُميَد، قال: حدثنا سلَمة بن الفضل، قال: حدثني ابن إسحاق، قال: كان فيما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل وأحداثهم

(١) ضعيف.

وما هم فاعلون بعده ، قال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ـ إلى ـ ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ ، فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم ، متعطّفاً عليهم ، محسناً إليهم ، وكان مما أنزل الله بهم في ذنوبهم ما كان قدّم إليهم في الخبر عنهم على لسان موسى ، فكان أول ما أنزَل بهم من تلك الوقائع : أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة ، وكان الله إذا ملّك الملك عليهم ؛ بعث نبيّاً يسدّده ويرشده ، فيكون فيما بينه وبين الله ، يحدّث إليه في أمرهم. لا يُنزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهوْنهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة.

فلما ملك ذلك الملك ؛ بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى. وشعيا الذي بشّر بعيسى ومحمد ، فملَك ذلك الملكُ بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، فلما انقضى ملكُه ، وعظُمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمئة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض ، في ساقه قُرْحة ، فجاءه النبيّ شعيا ، فقال له: يا ملكَ بني إسرائيل ! إنّ سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده في ستمئة ألف راية ، وقد هابَهم الناس وفرِقوا منهم. فكبُر ذلك على الملك ، فقال: يا نبيّ الله ! هل أتاك وحيٌ من الله فيما حدَث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنحاريب وجنوده؟ فقال له النبيّ عليه السلام: لم يأتني وحي حَدّث إليّ في شأنك.

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النّبيّ: أن ائت ملِك بني إسرائيل فاؤْمره أن يوصيَ بوصيّته ، ويستخلِف على ملكه مَنْ يشاء من أهل بيته. فأتى النبيّ شعيا ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له: إن ربَّك قد أوحى إليّ أن آمرك توصي وصيّتك ، وتستخلف مَنْ شئت على المُلْك من أهل بيتك ؛ فإنك ميت.

فلما قال ذلك شعيا لصديقة: اقبل على القِبْلة ، فصلّى وسبّح ، ودعى وبكى ، وقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص ، وتوكّل وصبر ، وظنّ صادق: اللهم ربَّ الأرباب ، وإلهَ الآلهة ، القُدُّوس المتقدّس ، يا رحمن يا رحيم ، المترحّم ، الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم. اذكرني بعملي وفعلي

وحسن قضائي على بني إسرائيل ، وذلك كلُّه كان منك ، فأنت أعلم به من نفسي وسرّي وعلانيَتي لك . وإن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً . فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره أن يخبر صديقة الملك : أن ربَّه قد استجاب له وقَبِل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أخّر أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه مِنْ عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده ، فلما قال له ذلك؛ ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشرّ والحزن ، وخرّ ساجداً؛ وقال: يا إلهي وإله آبائي ! لك سجَدت وسبَّحت ، وكرّمت وعظمت. أنت الذي تُعطي الملك مَنْ تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعزّ مَنْ تشاء ، وتذِلّ مَنْ تشاء ، عالم الغيب والشهادة؛ أنت الأوّلُ والآخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوةَ المضطرين ، أنت الذي أجبتَ دعوتي ، ورحِمت تضرُّعي .

فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا: أن قل للملك صديقة ، فيأمر عبداً من عبيده ، فيأتيَه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ويصبح وقد برىء. ففعل ذلك ، فشفي. وقال الملك لشعيا النبيّ: سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا. فقال الله لشعيا النبي: قل له إني قد كفيتُك عدوَّك ، وأنجيتُك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنحاريب وخمسة من كتّابه .

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة: يا ملكَ بني إسرائيل ! إنّ الله قد كفاك عدوَّك فاخرج ، فإنّ سنحاريب ومَنْ معه قد هلكوا. فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتّابه أحدهم بختنصّر ، فجعلوهم في الجوامع ثم أتوْا بهم مِلكَ بني إسرائيل ، فلما رآهم؛ خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب: كيف ترى فعل ربِّنا بكم؟ ألم يقتلكم بحوله وقوّته ونحن وأنتم غافلون! فقال سنحاريب له: قد أتاني خبرُ ربّكم ونصره إياكم ، ورحمتُه التي رحمكم بها قبل أن أخرُج من بلادي ، فلم أطع مرشداً ولم يُلقنِي في الشقوة إلا قلّة عقلي؛ ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكنّ الشقوة غلبت عليّ وعلَى مَنْ معي. فقال ملك بني إسرائيل: الحمد لله ربّ العزّة الذي كفاناكم بما شاء ، إن ربّنا لم يبقك ومَنْ معك لكرامة لك عليه؛ ولكنه إنما أبقاك ومَنْ معك إلى ما هو شرّ لك ولمن معك ، لتزدادوا شقوة في الدنيا ، وعذاباً في

الآخرة ، ولتُخبروا مَنْ وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا ، ولتنذروا مَنْ بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم. ولَدمُك ودمُ مَنْ معك أهونُ على الله من دم قُراد لو قتلته!.

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أميرَ حرسه فقذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوماً حولَ بيت المقدس ، وكان يرزقهم كلّ يوم خبزتَيْن من شعير ، لكلّ رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني إسرائيل: القتلُ خير مما تفعل بنا ، فافعل ما أمِرت. فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبيّ: أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومَنْ معه لينذروا مَنْ وراءهم ، وليكرِمْهم وليحملْهم حتى يبلغوا بلادهم. فبلغ النبيّ شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومَنْ معه حتى قدِموا بابل؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده. فقال له كُهّانه وسحرته: يا ملك بابل ! قد كنا نقصُّ عليك خبر ربّهم ، وخبر نبيِّهم ، ووحي الله إلى نبيِّهم ، فلم تطعنا؛ وهي أمّة لا يستطيعها أحد من ربهم. فكان أمر سنحاريب مما خوّفوا به ، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة ، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات[1]. (١ : ٥٣٢/ ٥٣٣/ ٥٣٤).

٧٦٥ ـ وقد زعم بعضُ أهلِ الكتاب: أن هذا الملك من بني إسرائيل الذي سار إليه سنحاريب كان أعرجَ ، وكان عَرَجُه من عِرْق النَّسا ، وأن سنحاريب إنما طمع في مملكته لَزمانته وضعفه ، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل؛ يقال له: ليفر ، وكان بختنصّر ابنَ عمّه كاتبه ، وأن الله أرسل عليه ريحاً أهلكت جيشه ، وأفلتَ هو وكاتبه ، وأن هذا البابليَّ قتله ابن له ، وأن بختنصَّر غضب لصاحبه ، فقتل ابنَه الذي قتل أباه ، وأنّ سنحاريب سار بعد ذلك إليه ، وكان مسكنه بِنينَوى مع ملك أذرَبيجان يومئذ؛ وكان يُدعى: سلمان الأعسر ، وأن سنحاريب وسلمان اختلفا ، فتحاربا حتى تفانَى جنداهما ، وصار ما كان معهما غنيمة لبني إسرائيل.

وقال بعضهم: بل الذي غزا حزقيا صاحبَ شعيا سنحاريبُ ملك الموصل؛ وزعم: أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده؛ بعث الله ملَكاً ، فقتلَ من أصحابه في

---

(١) ضعيف.

ليلة واحدة مئة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل. وكان ملكه إلى أن تُوُفيّ تسعاً وعشرين سنة.

ثم ملك بعده ـ فيما قيل ـ أمرَهم مِنَشا بن حزقيا إلى أن توفي خمساً وخمسين سنة.

ثم ملك بعده أمون بن مِنَشَّا إلى أن قتله أصحابُه اثنتي عشرة سنة.

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر إحدى وثلاثين سنة.

ثم ياهواحاز بن يُوشِيا، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره وأشخصه إلى مصر، وملّك فرعون الأجدع يُوياقيم بن ياهواحاز على ما كان عليه أبوه، ووظّف عليه خراجاً يؤديه إليه، فكان يوياقيم يجبِي ذلك ـ فيما زعموا ـ من بني إسرائيل، ويحمله ـ فيما زعموا ـ اثنتي عشرة سنة.

ثم ملك أمرَهم من بعده يوياحين بن يوياقيم، فغزاه بختنصّر، فأسره وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه. وملّك مكانَه مَتَّنيا عمه وسماه صديقيا فخالفه، فغزاه فظفر به، فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده بين يديه، وسَمَل عينيه وخرَّب المدينة والهيكل، وسبَى بني إسرائيل، وحَمَلهم إلى بابل، فمكثوا بها إلى أن ردّهم إلى بيت المقدس كيرش بن جاماسب بن أسب، من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم؛ وذلك أن أمّه أشتر ابنة جاويل ـ وقيل: حاويل ـ الإسرائيليّ، فكان جميع ما ملك صديقيا مع الثلاثة الأشهر التي ملك فيها يوياحين ـ فيما قيل ـ إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر.

ثم صار ملْك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن لهراسب، وعامله على ذلك كلّه بختنصّر[1]. (١: ٥٣٥/٥٣٦).

٧٦٦ ـ وذكر محمد بن إسحاق ـ فيما حدثنا ابن حميد ـ قال: حدثنا سلمة عنه: أن صديقة ملك بني إسرائيل الذي قد ذكرنا خبرَه، لمّا قبضه اللهَ مرِج أمرُ بني إسرائيل، وتنافسوا الملك، حتى قتل بعضُهم بعضاً عليه، ونبيُّهم شعيا

---

(١) ضعيف.

معهم ، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه. فلما فعلوا ذلك قال الله ـ فيما بلغنا ـ لشعيا: قم في قومك؛ أوح على لسانك؛ فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي ، فوعظهم وذكّرهم وخوّفهم الغِيَر بعد أن عدّد عليهم نعم الله عليهم ، وتعرَّضهم للغِيَر.

قال: فلما فرغ شعيا إليهم من مقالته عدَوا عليه ـ فيما بلغني ـ لِيقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت له ، فدخل فيها وأدركه الشيطان ، فأخذ بُهدْبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها ، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها.

وقد حدّثني بقصة شعيا وقومه من بني إسرائيل وقتلهم إياه محمد بن سهل البخاريّ ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدّثنا عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبّه[1]. (١ : ٥٣٦/٥٣٧).

ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بني إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

٧٦٨ ـ ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس لهراسب بن كيوجي بن كيمنوش بن كيفاشين ، باختيار كيخسرو إياه ، فلما عقد التاج على رأسه قال: نحن مؤثِرون البِرّ على غيره. واتّخذ سريراً من ذهب مكلَّلاً بأنواع الجواهر للجلوس عليه ، وأمر فبينت له بأرض خراسان مدينةَ بلْخ ، وسماها الحسناء ، ودوَّن الدواوين ، وقوّى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود ، وعمر الأرض ، واجتبى الخراج لأرزاق الجنود ، ووجه بختنصَّر ، وكان اسمه بالفارسية ـ فيما قيل ـ بخترشه.

فحُدثت عن هشام بن محمد قال: مَلك لهراسب ـ وهو ابن أخي قبوس ـ فبنى مدينةَ بلْخ ، فاشتدت شَوْكة الترك في زمانه ، وكان منزله ببلْخ يقاتل الترك. قال: وكان بختنصّر في زمانه ، وكان أصبَهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربيّ دجلة، فشخص حتى أتى دمشق، فصالحه أهلها ووجّه قائداً له، فأتى بيتَ المقدس فصالح ملك بني إسرائيل ، وهو رجل من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف. فلما بلغ طبريّة؛ وثبت بنو إسرائيل على ملكهم فقتلوه ، وقالوا: راهنت أهل بابل

---

(١) ضعيف.

وخذلتنا! واستعدوا للقتال، فكتب قائد بختنصّر إليه بما كان، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيَه، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه، فسار بختنصّر حتى أتى بيت المقدس، فأخذ المدينة عَنْوة، فقتل المقاتِلة، وسبى الذرّيّة.

قال: وبلغنا: أنه وجد في سجن بني إسرائيل إرميا النبيّ، وكان الله تعالى بعثه نبيّاً ـ فيما بلغنا ـ إلى بني إسرائيل، يحذّرهم ما حلّ بهم من بختنصّر، ويُعْلِمهم: أن الله مسلّط عليهم مَنْ يقتل مقاتِلتهم، ويَسْبي ذراريّهم، إن لم يتوبوا، وينزعوا عن سيّىء أعمالهم. فقال له بختنصّر: ما خطبُك؟ فأخبره: أن الله بعثه إلى قومه ليحذّرَهم الذي حلّ بهم، فكذبوه وحبسوه، فقال بختنصّر: بئس القوم قومٌ عصوْا رسولَ ربّهم! وخلّى سبيله، وأحسنَ إليه. فاجتمع إليه مَنْ بقي من ضعفاء بني إسرائيل، فقالوا: إنا قد أسأنا وظلمنا، ونحن نتوب إلى الله ممّا صنعنا، فادع الله أن يقبل توبتنا. فدعى ربّه فأوحى إليه أنهم غيرُ فاعلين، فإن كانوا صادقين فليقيموا معك بهذه البلدة، فأخبرَهم بما أمرهم الله به، فقالوا: كيف نقيم ببلدة قد خُرّبت وغضب الله على أهلها! فأبوا أن يقيموا، فكتب بختنصّر إلى ملك مصر: إنّ عبيداً لي هربوا مني إليك، فسرِّحهم إليّ، وإلا غزوتُك وأوطأت بلادَك الخيل. فكتب إليه ملك مصر: ما هم بعبيدك؛ ولكنهم الأحرار أبناء الأحرار؛ فغزاه بختنصّر فقتله، وسبى أهل مصر، ثم سار في أرض المغرب، حتى بلغ أقصى تلك الناحية، ثم انطلق بسبي كثير من أهل فِلَسطين والأردنّ، فيهم دانيال وغيره من الأنبياء.

قال: وفي ذلك الزمان تفرّقت بنو إسرائيل، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب، ووادي القرى، وغيرها.

قال: ثم أوحى الله إلى إرميا فيما بلغنا: إنّي عامر بيت المقدس فاخرج إليها، فانزْلها. فخرج إليها حتى قدمها وهي خراب، فقال في نفسه: سبحان الله! أمرني الله أن أنزل هذه البلدة، وأخبرني أنه عامرُها، فمتى يعمر هذه، ومتى يحييها الله بعد موتها! ثم وضع رأسه فنام ومعه حماره وسلّة فيها طعام، فمكث في نومه سبعين سنة، حتى هلك بختنصّر والملك الذي فوقه، وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملْك لهراسب مئة وعشرين سنة. ومَلَك بعده بشتاسب ابنه، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب، وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين، فلم يبق بها

من الإنس أحَد ، فنادى في أرض بابل في بني إسرائيل : إنّ من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . وملّك عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنيَ مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، وفتح الله لإرميا عينيه ، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى ، ومكث في نومه ذلك ، حتى تمّت له مئة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظنّ : أنه نام أكثر من ساعة ، وقد عهد المدينة خراباً يباباً ، فلما نظر إليها قال : أعلمُ أنّ الله على كلّ شيء قدير .

قال : وأقام بنو إسرائيل ببيت المقدس ، ورُدّ إليهم أمرُهم ، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمان ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .

قال هشام : وفي زمان بشتاسب ظهر زَرَادُشت ، الذي تزعم المجوس أنه نبيُّهم ، وكان زَرَادُشت ـ فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب ـ من أهل فلسطين خادماً لبعض تلامذة إرميا النبيّ خاصّاً به ، أثيراً عنده ، فخانه فكذَب عليه ، فدعا الله عليه ، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين المجوسية ، ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاسب ، وهو ببلْخ ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقسر الناس على الدخول فيه ، وقتل في ذلك مِنْ رعيّته مقتلة عظيمة ، ودانوا به ، فكان ملك بشتاسب مئة سنة واثنتي عشرة سنة[١] . (١ : ٥٣٨/ ٥٣٩/ ٥٤٠) .

٧٧٠ ـ وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كي لهراسب كان محموداً في أهل مملكته ، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شَهْر ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة كثير الفكر في تشييد البنيان ، وشقّ الأنهار ، وعمارة البلاد ، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه في كلّ سنة وظيفة معروفة وإتاوة معلومة ، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرّون له أنه مَلِك الملوك هيبة له وحذراً .

قال : ويقال : إن بختنصّر حمل إليه من أورِيشَلِم خزائن وأموالاً ، فلما أحسّ بالضعف من قوته ملّك ابنه بشتاسب ، واعتزل الملك وفوّضه إليه ، وكان ملك لهراسب ـ فيما ذكر ـ مئة سنة وعشرين سنة .

وزعم : أن بختنصّر هذا الذي غزا بني إسرائيل اسمه «بخترشه» ، وأنه رجل

(١) ضعيف .

من العجم ، من ولد جوذرز ، وأنه عاش دهراً طويلاً جاوزتْ مدته ثلاثمئة سنة ، وأنه كان في خدمة لهراسب الملك ، أبي بشتاسب ، وأن لهراسب وجّهه إلى الشام وبيت المقدس ليجلِيَ عنها اليهود ، فسار إليها ثم انصرف ، وأنه لم يزل من بعد لهراسب في خدمة ابنه بشتاسب ، ثم في خدمة بهمن من بعده ، وأن بهمن كان مقيماً بمدينة بلخ ـ وهي التي كانت تسمى الحسناء ـ وأنه أمر بخترشه بالتوجُّه إلى بيت المقدس ليُجلي اليهود عنها ، وأنّ السبب في ذلك وثوبُ صاحب بيت المقدس على رسُلٍ كان بهمن وجَّههم إليه ، وقتله بعضهم. فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخترشة فملَّكه على بابل ، وأمره بالمسير إليها ، والنفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس ، والقصد إلى اليهود حتى يقتُل مقاتلتهم ، ويَسبِيَ ذراريّهم ، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد ، فاختار من أهل بيت المملكة داريوش بن مهري ، من ولد ماذي بن يافث بن نوح ، وكان ابن أخت بخترشه. واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام ، وكان خازناً على بيت مال بهمن ، وأخشويرش بن كيرش بن جاماسب الملقَّب بالعالم ، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب. فضمّ بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة ، وضمّ إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلاثمئة رجل ، ومن الجند خمسين ألف رجل ، وأذن له في أن يفرض ما احتاج إليه ، وفي إثباتهم. ثم أقبل بهم حتى صار إلى بابل ، فأقام بها للتجهّز والاستعداد سنة ، والتفت إليه جماعة عظيمة ، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب ، الملك الذي كان غزا حزقيا بن أحاز الملك ، الذي كان بالشام وببيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا ، يقال له: بختنصر بن نبوزراداان بن سنحاريب ـ صاحب الموصل وناحيتها ـ ابن داريوش بن عبيري بن تيري بن روبا بن رابيا بن سلامون بن داود بن طامي بن هامل بن هرمان بن فودى بن همول بن درمي بن قمائل بن صاما بن رغما بن نمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام.

وكان مسيره إليه بسبب ما كان آتى حزقيا وبنو إسرائيل إلى جدّه سنحاريب عند غزوه إياهم ، وتوسّل إليه بذلك ، فقدّمه في جماعة كثيرة ، ثم اتَّبعه ، فلما توافت العساكر ببيت المقدس ، نُصِر بخترشه على بني إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة ، فسباهم ، وهدّم البيت وانصرف إلى بابل ، ومعه يوياحن بن

يوياقيم ملك بني إسرائيل في ذلك الوقت ، من ولد سليمان بعد أن ملّك متّنيا عمّ يوحينا ، وسماه صدقيا .

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا ، فغزاه بختنصّر ثانية فظفر به ، وأخرب المدينة والهيكل ، وأوثق صدقيا ، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده ، وسَمل عينيه . فمكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس ، فكان غلبة بختنصّر ـ المسمى بخترشه ـ على بيت المقدس إلى أن مات ـ في قول هذا الذي حكينا قوله ـ أربعين سنة .

ثم قام من بعده ابن يقال له : أولمرودخ ، فملكَ الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك ، وملك مكانه ابن يقال : له بلتشصر بن أولمرودخ سنة ، فلما ملك بلتشصر؛ خلط في أمره ، فعزله بهمن وملَّك مكانه على بابل ، وما يتصل بها من الشأم وغيرها داريوش الماذويّ ، المنسوب إلى ماذي بن يافث بن نوح عليه السلام حين صار إلى المشرق ، فقتل بلتشصر ، ومَلك بابل وناحية الشام ثلاث سنين ، ثم عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلميّ ، من ولد غيلم بن سام بن نوح ، الذي كان نزع إلى جامر مع ماذي عندما مضى جامر إلى المشرق؛ فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق ببني إسرائيل ، ويُطلق لهم النزولَ حيث أحبُّوا ، والرجوع إلى أرضهم ، وأن يولِّيَ عليهم مَنْ يختارونه ، فاختاروا دانيال النبيّ عليه السلام ، فوليَ أمرَهم ، وكان مُلْك كيرش على بابل وما يتصل بها ثلاث سنين ، فصارت هذه السنون ـ من وقت غلبة بختنصّر إلى انقضاء أمره وأمرِ ولده ومُلْك كيرش الغيلميّ ـ معدودة من خراب بيت المقدس ، منسوبة إلى بختنصّر ، ومبلغها سبعون سنة .

ثم ملك بابل وناحيتها من قِبَل بهمن رجل من قَرابته ، يقال له : أخشوارش بن كيرش بن جاماسب ـ الملقَّب بالعالم ـ من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بخترشه عند توجهه إلى الشأم من قِبَل بهمن؛ وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصّر محموداً ، فولاّه ذلك الوقت بابل وناحيتها؛ وكان السبب في ولايته ـ فيما زعم ـ : أنّ رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السّند والهند يقال له : كراردشير بن دشكال خالفه ، ومعه من الأتباع ستمئة ألف ، فولّى بهمن أخشويرش الناحيَة ، وأمره بالمسير إلى كراردشير ، ففعل ذلك وحاربه ، فقتله

وقتل أكثر أصحابه ، فتابع له بهمن الزيادة في العمل ، وجَمَع له طوائف من البلاد ، فلزم السُّوس ، وجمع الأشراف ، وأطعم الناس اللحم ، وسقاهم الخمر ، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر ، وعقد لمئة وعشرين قائداً في يوم واحد الألْويَة ، وصيَّر تحت يد كل قائد ألف رجل من أبطال الجند الذين يَعْدل الواحد منهم في الحرب بمئة رجل ، وأوطنَ بابل ، وأكثر المقام بالسُّوس ، وتزوج من سَبْي بني إسرائيل امرأة يقال لها : أشتر ابنة أبي جاويل ، كان ربّاها ابن عمّ لها يقال له : مردخي ، وكان أخاها من الرضاعة ؛ لأن أمّ مردخي أرضعت أشتر ، وكان السبب في تزوُّجه إياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة ، يقال لها : وشتا ، فأمرها بالبروز ليراها الناس ، ليعرفوا جلالَتها وجمالها ، فامتنعت من ذلك فقتلها ، فلما قتلها جَزِع لقتلها جزعاً شديداً ، فأشير عليه باعتراض نساء العالم ، ففعل ذلك ، وحبّبت إليه أشتر صنعاً لبني إسرائيل ؛ فتزعمُ النصارى : أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابناً فسماه كيرش ، وأن مُلْك أخشويرش كان أربع عشرة سنة ، وقد علَّمه مردخي التوراة ، ودخل في دين بني إسرائيل ، وفهم عن دانيال النبي عليه السلام ومن كان معه حينئذ ، مثل حننيا وميشايل وعازريا ؛ فسألوه بأن يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال : لو كان معي منكم ألف نبيّ ما فارقني منكم واحد ما دمت حيّاً . وولّى دانيال القضاء ، وجعل إليه جميعَ أمره ، وأمرَه أن يُخرِج كلَّ شيء في الخزائن مما كان بختنصر أخذه من بيت المقدس ويردّه ، وتقدم في بناء بيت المقدس ، فبُني وعمّر في أيام كيرش بن أخشويرش . وكان ملك كيرش ، مما دخل في ملك بهمن وخماني اثنتين وعشرين سنة .

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش ، وكان موت كيرش لأربع سنين مضيْن من ملك خُماني ، فكان جميع ملك كيرش بن أخشويرش اثنتين وعشرين سنة .

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار في أمر بختنصّر وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل[1] . (١ : ٥٤١/ ٥٤٢/ ٥٤٣/ ٥٤٤/ ٥٤٥) .

---

(١) ضعيف .

٧٧١ ـ وأمّا السلف من أهل العلم فإنهم قالوا في أمرهم أقوالاً مختلفة؛ فمن ذلك ما حدثني القاسم بن الحسن ، قال: حدثنا الحسين ، قال: حدثني حجاج عن ابن جُريج ، قال: حدّثني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جُبَير: أنه سمعه يقول: كان رجل من بني إسرائيل يقرأ ، حتى إذا بلغ: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ بكى ، وفاضت عيناه ، ثم أطبق المصحف ، فقال: ذلك ما شاء الله من الزمان! ثم قال: أيْ ربّ ! أرِني هذا الرجلَ الذي جعلتَ هلاك بني إسرائيل على يديه. فأرِيَ في المنام مسكيناً ببابل يقال له: بختنصَّر ، فانطلق بمال وأعبُد له ـ وكان رجلاً موسراً ـ فقيل له: أين تريد؟ فقال: أريد التجارة؛ حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ، ليس فيها أحد غيرُه ، فجعل يدعو المساكين ويلطُف بهم حتى لا يأتيَه أحد إلا أعطاه ، فقال: هل بقيَ مسكين غيركم؟ فقالوا: نعم مسكين بفجّ آل فلان مريض ، يقال له: بختنصّر ، فقال لغلمته: انطلقوا بنا فانطلق حتى أتاه فقال: ما اسمك؟ قال: بختنصر فقال لغلمته احتملوه فنقله إليه فمرّضه حتى برىء ، وكساه وأعطاه نفقة ، ثم أذّن الإسرائيليّ بالرحيل ، فبكى بختنصَّر ، فقال الإسرائيليّ: ما يبكيك؟ قال: أبكي أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أجزيك! قال: بلى شيئاً يسيراً ، إن ملكتَ أطعتَني. فجعل الآخر يتبعه ويقول: تستهزىء بي! ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله إلاّ أنه يرى أنه يستهزىء به. فبكى الإسرائيليّ وقال: لقد علمتُ ما يمنعك أن تعطيَني ما سألتُك؛ إلا أن الله عزّ وجلّ يُريد أن يُنفذ ما قضى وكتب في كتابه.

وضرب الدهر من ضربه ، فقال صيحون ، وهو ملك فارس ببابل: لو أنّا بعثنا طليعة إلى الشام! قالوا: وما ضرّك لو فعلت! قال: فمن تروْن؟ قالوا: فلان ، فبعث رجلاً ، وأعطاه مئة ألف ، وخرج بختنصّر في مطبخه لا يخرج إلا ليأكل في مطبخه ، فلما قدم الشام رأى صاحبُ الطليعة أكثرَ أرض الله فرساً ورجلاً جلداً ، فكسره ذلك في ذرعه ، فلم يسأل؛ فجعل بختنصّر يجلس مجالس أهل الشام فيقول: ما يمنعكم أن تغزوا بابل؟ فلو غزوتموها ، فما دون بيت مالِها شيء. قالوا: لا نحسِن القتال ولا نقاتل حتى تنفد مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا ، فأخبَر متقدّم الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصّر يقول لفوارس الملك: لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبَره فلان. فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ،

وقال: إن فلاناً لمَّا رأى أكثرَ أرض الله كُراعاً ورجلاً جلداً ، كسر ذلك في ذَرْعه ، ولم يسألهم عن شيء ، وإني لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لي كذا وكذا ـ للذي ذكر سعيد بن جبير: أنه قال لهم ـ فقال متقدم الطليعة لبختنصَّر: فضحتني! لك مئة ألف وتنزع عما قلت. قال: لو أعطيتَني بيت مال بابل ما نزعتُ. وضرب الدهر من ضربه ، فقال الملك: لو بعثنا جريدةَ خيل إلى الشام ، فإن وجدوا مساغاً ساغوا ، وإلا امتشّوا ما قدروا عليه. قالوا: ما ضرّك لو فعلت! قال: فمنْ ترون؟ قالوا: فلان ، قال: بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني ، فدعا بختنصّر ، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوْا ما شاء الله ولم يخرّبوا ولم يقتلوا ، ورُمي في جنازة صيحون ، قالوا: استخلفوا رجلاً ، قالوا: عَلَى رِسْلِكم حتى يأتي أصحابُكم ، فإنهم فرسانُكم؛ أن ينغّصوا عليكم شيئاً! فأمهَلوا حتى جاء بختنصّر بالسَّبْي وما معه ، فقسمه في الناس فقالوا: ما رأينا أحداً أحقَّ بالملك من هذا! فملّكوه[1]. (١ : ٥٤٥/٥٤٦/٥٤٧).

وقال آخرون منهم: إنما كان خروج بختنصَّر إلى بني إسرائيل لحربهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء.

ذكر بعض من قال ذلك منهم:

٧٧٢ ـ حدثني موسى بن هارون ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط ، عن السُّديّ في الحديث الذي ذكرنا إسناده قبل: أن بختنصَّر بعثه صيحائين لحرب بني إسرائيل حين قتَل ملكُهم يحيى بن زكرياء عليه السلام ، وبلغ صيحائين قتله[2]. (١ : ٥٤٧).

٧٧٣ ـ حدثنا ابن حُمَيد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال ـ فيما بلغني ـ: استخلف الله عزَّ وجلّ على بني إسرائيل بعد شعيا رجلاً منهم يقال له: ياشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر نبيّاً ، واسم الخضر ـ فيما كان وهب بن

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

منبّه يزعم عن بني إسرائيل - إرميا بن حلقيا ، وكان من سِبْط هارون[1]. (١ : ٥٤٧).

٧٧٤ - وأما وهب بن منبّه فإنه قال فيه ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاريّ ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول[2] (١ : ٥٤٧).

٧٧٥ - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق عمن لا يتهم عن وهب بن منبّه اليمانيّ أنه كان يقول : قال الله عزّ وجلّ لإرميا حين بعثه نبياً إلى بني إسرائيل : «يا إرميا ، مِن قبل أن أخلقك اخترتُك ، ومن قبل أن أصوِّرك في بطن أمك قدّستُك ، ومِن قبْل أن أخرِجك من بطن أمك طهّرتك ، ومن قبل أن تبلغ السَّعْي نبّيتك ، ومن قبل أن تبلغ الأشدّ اختبرتك ، ولأمر عظيم اجتبيتك». فبعث الله عزَّ وجلَّ إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل يسدّده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من قِبَل الله فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ.

قال : ثم عظُمت الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصِي ، واستحلُّوا المحارم ، ونسُوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجّاهم من عدوّهم سنحاريب وجنوده ، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إرميا : أن ائت قومَك من بني إسرائيل ، فاقصُصْ عليهم ما آمرك به ، وذكّرهم نِعَمِي عليهم ، وعرِّفهم إحداثهم . فقال إرميا : إني ضعيف إن لم تقوّني ، عاجز إن لم تبلِّغْني ، مُخْطىء إن لم تسدِّدني ، مخذولٌ إن لم تنصرني ، ذليلٌ إن لم تعزّني . قال الله عزّ وجلّ : ألم تعلم أن الأمور كلَّها تصدُر عن مشيئتي ، وأن القلوبَ كلّها والألسن بيدي ، أقلِّبها كيف شئت فتطيعني! وأني أنا الله الذي لا شيء مثلي ، قامت السموات والأرض وما فيهنّ بكلمتي ، وأنا كلَّمت البحار ففهمتْ قولي ، وأمرتُها فعَقلتْ أمري ، وحدّدْتُ عليها بالبطحاء فلا تَعدَّى حَدّي ، تأتي بأمواج كالجبال ؛ حتى إذا بلغت حدِّي ألبَستها مذلّة طاعتي خوفاً واعترافاً لأمري ، إني معك ولن يصل إليك شيءٌ معي ؛ وإني بعثتُك إلى خلق عظيم من خَلْقي لتبلِّغهم رسالاتي ، وتستحِقّ بذلك مثل أجر مَن اتَّبعك منهم ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، وإن تقصّر به عنها تستحقّ

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

بذلك مثل وِزْرِ من تركت في عماه؛ لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً. انطلق إلى قومك فقل: إن الله ذَكَر بكم صلاح آبائكم، فحمَله ذلك على أن يستتيبَكم يا معشر الأبناء! وسلْهم كيف وجد آباءهم مغبَّة طاعتي، وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتي! وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعني فشقِيَ بطاعتي، أو عصاني فسعد بمعصيتي! وأن الدوابّ مما تذكر أوطانها الصالحة تنتابها، وأن هؤلاء القوم رتَعوا في مروج الهلكة أما أحبارُهم ورهبانهم فاتّخذوا عبادي خوَلاً يتعبَّدونهم دوني، ويحكمون فيهم بغير كتابي، حتى أجهلوهم أمري، وأنسوْهم ذكري، وغرّوهم مني. وأما أمراؤهم وقادتهم فبطروا نعمتي، وأمِنوا مكري، ونَبَذوا كتابي، ونسُوا عهدي، وغيَّروا سُنّتي، وادّان لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي؛ فهم يطيعونهم في معصيتي، ويتابعونهم على البدِع التي يبتدعون في ديني، جُرأةً عليّ وغِرّة، وفِرْية عليّ وعلى رُسُلي، فسبحان جلالي وعلوّ مكاني وعظمة شأني! وهل ينبغي لبشر أن يُطاع في معصيتي! وهل ينبغي أن أخلق عباداً أجعلهم أرباباً من دوني! وأما قرّاؤهم وفقهاؤهم فيتعبَّدون في المساجد، ويتزيَّنون بعمارتها لغيري، لطلب الدنيا بالدين، ويتفقهون فيها لغير العلم، ويتعلَّمون فيها لغير العمل. وأما أولاد الأنبياء فمكثورون مقهورون مغترّون، يخوضون مع الخائضين، فيتمنَّون عليّ مثل نصرة آبائِهم، والكرامة التي أكرمتهم بها، ويزعمون أن لا أحدَ أوْلى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكّر ولا تدبّر ولا يذكرون كيف نصر آبائهم لي، وكيف كان جدّهم في أمري، حين غَيَّر المغيّرون، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم، فصبروا وصدقوا حتى عزّ أمري، وظهر ديني، فتأنَّيت بهؤلاء القوم لعلَّهم يستجيبون، فأطولتُ لهم، وصفحت عنهم لعلهم يرجعون، وأكثرت ومددت لهم في العمر لعلهم يتفكرون، فأعذرت. وفي كلّ ذلك أمطر عليهم السماء، وأنبت لهم الأرض، وألبسهم العافية، وأظهرهم على العدوّ؛ فلا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني. فحتى متى هذا! أبي يتمرّسون! أم إياي يخادعون! فإني أحلف بعزّتي لأقيِّضنّ لهم فتنة يتحيَّر فيها الحليم، ويضِلّ فيها رأيُ ذي الرأي وحكمة الحكيم، ثم لأسلِّطنّ عليهم جباراً قاسياً عاتياً، ألبسه الهيبة، وأنزع مِن صدره الرأفة والرحمة والليان، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم، له عساكر مثل قِطَع السحاب، ومراكب أمثال العجاج؛ كأن خفيق راياته طيَرانُ النسور، وكأن حمْلة فرسانه كرير العِقبان.

ثم أوحى الله عزَّ وجلّ إلى إرميا أنّي مهلك بني إسرائيل بيافث ـ ويافث أهلُ بابل ، فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ـ فلما سمع إرميا وحْي ربّه صاح وبكى وشقّ ثيابه ، ونبذَ الرماد على رأسه ، فقال: ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقِّنت فيه التوراة ، ومن شرّ أيامي يوم ولدت فيه ، فما أبقِيتُ آخر الأنبياء إلا لما هو شرّ عليّ ، لو أراد بي خيراً ما جعلني آخر الأنبياء من بني إسرائيل؛ فمن أجلي تصيبُهم الشقوة والهلاك!

فلما سمع الله عزّ وجلّ تضرّع الخضر وبكاءه ، وكيف يقول ، ناداه: يا إرميا ، أشقّ عليك ما أوحيت لك! قال: نعم يا ربّ؛ أهلِكني قبل أن أرى في بني إسرائيل ما لا أسرّ به ، فقال الله تعالى: وعزّتي وجلالي لا أهلِك بيت المقدس وبني إسرائيل حتى يكونَ الأمر من قِبَلك في ذلك. ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربّه ، وطابت نفسه وقال: لا ، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحقّ ، لا آمر ربيّ بهلاك بني إسرائيل أبداً.

ثم أتى مِلِكَ بني إسرائيل فأخبره بما أوْحى الله إليه فاستبشر وفرح؛ وقال: إن يعذّبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدَّمناها لأنفسنا ، وإن عفا عنّا فبقدرته.

ثم إنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً في الشرّ ، وذلك حين اقترب هلاكُهم، فقلّ الوحيّ حين لم يكونوا يتذكّرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكُهم: يا بني إسرائيل ، انتهوا عمّا أنتم عليه قبل أن يمسَّكم بأسُ الله ، وقبل أن يبعث الله عليكم قوماً لا رحمةَ لهم بكم، فإنّ ربّكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن تاب إليه. فأبوْا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه. وإنّ الله ألقى في قلب بختنصّر بن نبوزراذان بن سنحاريب بن دارياس بن نمروذ بن فالغ بن عابر ـ ونمروذ صاحب إبراهيم عليه السلام ، الذي حاجه في ربه ـ أن يسير إلى بيت المقدس، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل. فخرج في ستمئة ألف راية يريد أهلَ بيت المقدس ، فلما فَصَل سائراً أتى مِلِكَ بني إسرائيل الخبر أن بختنصّر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال: يا إرميا ، أين ما زعمْتَ لنا أنّ ربك أوحى إليك ألاّ يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك! فقال إرميا للملك: إن ربّي لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق.

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله تعالى على هلاكهم ، بعث الله عزّ وجلّ مَلَكاً من عنده ، فقال له: اذهب إلى إرميا واستفته. وأمره بالذي يستفتيه فيه. فأقبل الملَكُ إلى إرميا ، وقد تمثّل له رجلاً من بني إسرائيل. فقال له إرميا: مَنْ أنت؟ قال: أنا رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري ، فأذِن له ، فقال له الملَك: يا نبيّ الله ! أتيتك أستفتيك في أهل رحمِي؛ وصلتُ أرحامهم بما أمرني الله به ، لم آت إليهم إلا حُسْناً ، ولم آلُهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلا إسخاطاً لي ، فأفتِني فيهم يا نبيّ الله! فقال له: أحسن فيما بينك وبين الله ، وصِلْ ما أمرك الله أن تصلَ ، وأبشر بخير. قال: فانصرف عنه الملك ، فمكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي كان جاءه ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا: مَنْ أنت؟ قال: أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي ، فقال له نبيّ الله: أو ما طهُرت لك أخلاقُهم بعد ، ولم تر منهم الذي تحبّ! قال: يا نبيّ الله ! والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامةً يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمهِ إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك فقال النبيّ: ارجع إلى أهلك فأحسن إليهم ، واسأل الله الذي يُصلح عبادَه الصالحين أن يصلح ذات بينِكم ، وأن يجمعَكم على مرضاته ، ويجنّبكم سَخَطه. فقام الملك من عنده فلبث أياماً وقد نزل بختنصّر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ، ففزع منهم بنو إسرائيل فزعاً شديداً ، وشقّ ذلك على ملِك بني إسرائيل فدعى إرميا فقال: يا نبيّ الله ، أين ما وعدك الله؟ فقال: إني بربّي واثق. ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربّه الذي وعده ، فقعد بين يديه ، فقال له إرميا: مَنْ أنت؟ قال: أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبيّ: أو لم يَأْنِ لهم أن يُفيقوا من الذي هم فيه! فقال الملك: يا نبيّ الله ، كُلُّ شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أنّ مآلهم في ذلك سُخْطي ، فلمّا أتيتُهم اليوم رأيتُهم في عملٍ لا يرضاه الله ولا يحبّه ، قال له النبيّ: على أيّ عمل رأيتهم؟ قال: يا نبيّ الله ، رأيتُهم على عمل عظيم من سَخَط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتدّ غضبي عليهم ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكني غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرَهم ، وإني أسألُك بالله الذي هو بعثك بالحقّ إلا ما دعوتَ عليهم أن يُهلِكَهم

الله. قال إرميا: يا مِلِك السموات والأرض؛ إن كانوا على حقٍّ وصواب فأبقهم، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلِكْهم.

فلمّا خرجت الكلمة من فِي إرميا أرسل الله عزّ وجلّ صاعقةً من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان، وخُسِف بسبعة أبواب من أبوابها. فلما رأى ذلك إرميا صاح وشقّ ثيابه، ونبذ التراب على رأسه، وقال: يا مِلِك السماء ويا أرحم الراحمين، أين ميعادُك الذي وعدتني! فُنودي: يا إرميا؛ إنه لم يصبْهم الذي أصابهم إلا بفتياك التي أفتيت بها رسولَنا. فاستيقن النبيّ أنها فُتياه التي أفتى بها ثلاث مرات، وأنه رسولُ ربّه.

وطار إرميا حتى خالط الوحوش، ودخل بُختنصّر وجنودُه بيت المقدس، فوطىء الشأم، وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم، وخرّب بيت المقدس؛ ثم أمر جنودَه أن يملأ كلُّ رجل منهم تُرسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس، فقذفوا فيه التراب حتى ملؤوه. ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل، واحتمل معه سَبايا بني إسرائيل، وأمرهم أن يجمعوا مَنْ كان في بيت المقدس كلّهم، فاجتمع عنده كلُّ صغير وكبير من بني إسرائيل، فاختار منهم مئة ألف صبيّ، فلما خرجت غنائم جنده، وأراد أن يقسمها فيهم، قالت له الملوك الذين كانوا معه: أيها الملك، لك غنائمنا كلُّها واقسِم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل. ففعل فأصاب كلَّ رجل منهم أربعة غلمة ـ وكان من أولئك الغلمان: دانيال، وحنانيا، وعزاريا، وميشايل ـ وسبعة آلاف من أهل بيت داود، وأحد عشر ألفاً من سِبْط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين، وثمانية آلاف من سِبط أشر بن يعقوب، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون بن يعقوب، ونفثالي بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابني يعقوب، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ومن بقيَ من بني إسرائيل. وجعلهم بختنصّر ثلاث فرق؛ فثلثاً أقرّ بالشام، وثلثاً سبي، وثلثاً قتل. وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدَمها بابل، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل؛ وكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله ببني إسرائيل بإحداثهم وظلمهم.

فلما ولى بختنصّر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبايا بني إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في رَكْوة وسلّة تين، حتى غشي إيلياء فلما

وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخَله شكّ ، فقال: أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها! فأماته الله مئة عام ، وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته الله وأمات حماره معه ، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد. ثم بعثه الله فقال له: ﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ ـ يقول لم يتغيّر ـ ﴿ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ . فنظر إلى حماره يتّصل بعضٌ إلى بعض ـ وقد كان مات معه ـ بالعروق والعَصَب ، ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق؛ ثم نظر إلى عصيره وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغَيّر. فلما عاين من قدرة الله ما عاين ، قال: ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . ثم عمّر الله إرميا بعد ذلك ، فهو الذي يُرى بفلوات الأرض والبلدان.

ثم إنّ بختنصّر أقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا ، فبينما هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئاً أصابه فأنساه الذي كان رأى ، فدعى دانيال ، وحنانيا ، وعزاريا ، وميشايل من ذراريّ الأنبياء ، فقال: أخبروني عن رؤيا رأيتُها ، ثم أصابني شيء فأنسانيها ، وقد كانت أعجبتني ما هي؟ قالوا له: أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال: ما أذكرها ، وإن لم تخبروني بتأويلها لأنزعنّ أكتافكم. فخرجوا من عنده ، فدعَوُا الله ، واستغاثوا ، وتضرّعوا إليه ، وسألوه أن يعلِمهم إياها ، فأعلمهم الذي سألهم عنه ، فجاؤوه ، فقالوا له: رأيتَ تمثالاً؟ قال: صدقتم ، قالوا: قدماه وساقاه من فَخّار ، وركبتاه وفخذاه من نحاس ، وبطنه من فضّة ، وصدره من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد. قال: صدقتم. قالوا: فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك ، فأرسل الله عليه صخرة من السماء فدقَّته ، فهي التي أنستكها. قال: صدقتم ، فما تأويلها؟ قالوا: تأويلها: أنك أريتَ مُلْك الملوك ، فكان بعضُهم ألينَ مُلْكاً من بعض ، وبعضهم كان أحسن مُلْكاً من بعض ، وبعضهم كان أشدَّ مُلْكاً من بعض ، فكان أول الملْكِ الفخّار وهو أضعفه ، وألينه. ثم كان فوقه النحاس ، وهو أفضل منه ، وأشدّ ، ثم كان فوق النحاس الفضّة ، وهي أفضل من ذلك وأحسن ، ثم كان فوق الفضة الذهب ، فهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد مُلْكك؛ فهو كان أشدّ

الملوك ، وأعزّ مما كان قبله ، وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقّته نبيّاً يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه.

ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصّر: أرأيتَ هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت! فإنّا والله لقد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا عَلِقْنَ بهم ، وصرفنَ وجوههنّ إليهم ، فأخرجْهم من بين أظهرنا ، أو اقتلْهم ، قال: شأنكم بهم ، فمن أحبّ منكم أن يقتل من كان في يده؛ فليفعل. فأخرجوهم ، فلمّا قربوهم للقتل تضرّعوا إلى الله فقالوا: يا ربّنا ، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا ، فتحنّن الله عليهم برحمته ، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصّر منهم ، وكان ممن استبقى منهم: دانيال ، وحنانيا ، وعزاريا ، وميشايل.

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصّر ، انبعث فقال لمن كان في يديه من بني إسرائيل: أرأيتم هذا البيت الذي أخربت ، وهؤلاء الناس الذين قتلت ، من هم؟ وما هذا البيت؟ قالوا: هذا بيت الله ، ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهلُه كانوا من ذراريّ الأنبياء ، فظلموا ، وتعدّوا ، وعصوْا ، فسلّطتَ عليهم بذنوبهم ، وكان ربُّهم ربّ السموات والأرض ، وربّ الخلق كلّهم يكرمهم ، ويمنعهم ، ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا؛ أهلكهم الله ، وسلّط عليهم غيرهم.

قال: فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا ، لعلّي أطّلع إليها فأقتلُ منْ فيها وأتخذها مُلْكاً ، فإنّي قد فرغت من الأرض ومَنْ فيها ، قالوا له: ما تقدر على ذلك ، وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق ، قال: لتفعلُنّ ، أو لأقتلنّكم عن آخركم ، فبكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، فبعث الله بقدرته ـ ليرَيه ضعفه وهوانه عليه ـ بعوضةً فدخلت في منخره؛ ثم ساخت في دماغه ؛ حتى عضّت بأمّ دماغه؛ فما كان يَقَرّ ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أمّ دماغه؛ فلما عرف الموت قال لخاصّته من أهله: إذا مت فشقُّوا رأسي ، فانظروا ما هذا الذي قتلني؟ فلما مات شقّوا رأسه ، فوجدوا البعوضة عاضّة بأمّ دماغه ؛ ليُرِيَ الله العباد قدرته وسلطانه؛ ونجّى الله مَنْ كان بقي في يديه من بني إسرائيل ، وترحّم عليهم ، وردهم إلى الشأم وإلى إيلياء المسجد المقدّس ، فبنوا فيه ، ورَبلُوا وكثروا؛ حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه.

فيزعمون ـ والله أعلم ـ: أنّ الله أحيا أولئك الموتى الذين قتِلوا ، فلحقوا بهم.

ثم إنهم لما دخلوا الشأم دخلوها وليس معهم عهد من الله؛ كانت التوراة قد استُبِيتْ منهم فحرقت وهلكت ، وكان عُزَير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشأم يبكي عليها ليله ونهاره ، قد خرج من الناس فتوحّد منهم؛ وإنما هو ببطون الأودية وبالفلوات يبكي؛ فبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها ، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس ، فقال: يا عُزَير ! ما يبكيك؟ قال: أبكي على كتاب الله وعهده ، كان بين أظهرِنا فبلغتْ بنا خطايانا ، وغضب ربنا علينا أن سلّط علينا عدوّنا ، فقتل رجالنا ، وأخرب بلادنا ، وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا؛ الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره ـ أو كما قال ـ فعلامَ أبكي إذا لم أبك على هذا! قال: أفتحبّ أن يُرَدَّ ذلك عليك؟ قال: وهل إلى ذلك من سبيل؟ قال: نعم ارجع فصُمْ وتطهّر وطهّر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً. فرجع عُزَير فصام وتطهّر وطهّر ثيابه ، ثم عمِد إلى المكان الذي وُعِده ، فجلس فيه ، فأتاه ذلك الرجل بإناء فيه ماء ـ وكان مَلَكاً بعثه الله إليه ـ فسقاه من ذلك الإناء ، فمثلت التوراة في صدره ، فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضع لهم التوارة يعرفونها بحلالها ، وحرامها ، وسننها ، وفرائضها ، وحدودها ، فأحبّوه حبّاً لم يحبوه شيئاً قطّ ، وقامت التوراة بين أظهرهم ، وصلَح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم عُزَير مؤدياً لحقّ الله ، ثم قبضه الله على ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير: هو ابن الله ، وعاد الله عليهم فبَعث فيهم نبيّاً كما كان يصنع بهم ، يسدّد أمرهم ، ويعلّمهم ، ويأمرهم بإقامة التوراة وما فيها.

وقال جماعة أخر عن وهب بن منبّه في أمر بختنصَّر وبني إسرائيل وغزوه إياهم أقوالاً غير ذلك، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها[1]. (١ : ٥٤٨ ـ ٥٥٧).

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

٧٧٦ ـ حُدّثت عن هشام بن محمد ، قال: كان بدء نزول العرب أرضَ العراق ، وثبوتهم فيها ، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلاً ـ فيما ذكر لنا والله

(١) ضعيف.

أعلم ـ: أنّ الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى برخيا بن أحنيا بن زربابل بن شلتيل من وَلد يهوذا ـ قال هشام: قال الشرقيّ: وشلتيل أوَّل من اتخذ الطفشيل ـ أن ائت بختنصَّر وأمره أن يغزُوَ العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، ويطأ بلادهم بالجنود، فيقتُل مقاتلتهم، ويستبيح أموالهم، وأعلِمْه كفرَهم بي، واتخاذهم الآلهة دوني، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي.

قال: فأقبل برخيا من نَجْران حتى قدم على بختنصَّر ببابل ـ وهو «نبوخذ نصر» فعرّبته العرب ـ وأخبرَه بما أوحى الله إليه، وقصّ عليه ما أمره به؛ وذلك في زمان مَعَدّ بن عدنان. قال: فوثب بختنصّر على مَنْ كان في بلاده من تجار العرب، وكانوا يقدُمون عليهم بالتجارات والبِياعات، ويمتارون من عندهم الحبَّ، والتمر، والثياب، وغيرها.

فجمع مَنْ ظفر به منهم، فبنى لهم حَيْراً على النَّجَف وحصَّنه، ثم ضمَّهم فيه ووكَّل بهم حرساً وحفَظة، ثم نادى في الناس بالغزو، فتأهَّبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب، فخرجت إليه طوائف منهم مسالمين مستأمنين، فاستشار بختنصّر فيهم برخيا، فقال: إن خروجَهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عمّا كانوا عليه، فاقبلْ منهم، فأحسنْ إليهم.

قال: فأنزلهم بختنصَّر السواد على شاطىء الفرات، فابتنوْا موضع عسكرهم بعد، فسمَّوْه الأنبار. قال: وخلَّى عن أهل الحَيْر، فاتَّخذوها منزلاً حياة بختنصّر، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار، وبقيَ ذلك الحَيْر خراباً[1]. (١: ٥٥٨/ ٥٥٩).

٧٧٧ ـ وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه ذكر: أن معدّ بن عدنان لما وِلد؛ ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء، وعدا أهلُ الرّسّ على نبيهم فقتلوه، وعدا أهل حضور على نبيّهم فقتلوه، فلما اجترؤوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معدّ بن عدنان من أنبيائهم، فبعث الله بختنصّر على بني إسرائيل، فلما فرغ من إخراب المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نسفاً، فأوردهم أرض بابل أُرِيَ فيما يرى النائم ـ أو أُمِر بعض الأنبياء أن يأمره ـ أن يدخل بلاد العرب فلا

---

(١) ضعيف.

يستحيي فيها إنسيّاً ولا بهيمة ، وأن يتنسف ذلك نسفاً ، حتى لا يُبقي لهم أثراً. فنظم بختنصّر ما بين إيلة والأبُلَّة خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كلّ ذي روح أتوْا عليه وقدروا علَيه. وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا: أنّ الله قد أنذر قومكما ، فلم ينتهوا ، فعادوا بعد المُلْك عبيداً ، وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس ، وقد تقدّمت إلى أهل عربة بمثل ذلك فأبوْا إلا لجاجةً ، وقد سلّطت بختنصر عليهم لأنتقم منهم ، فعليكما بمعدّ بن عدنان ، الذي من ولده محمد الذي أخرجه في آخر الزمان ، أختِمُ به النبوّة ، وأرفع به من الضّعة.

فخرجا تُطوى لهما الأرض حتى سبقا بختنصّر ، فلقيا عدنان قد تلقّاهما ، فطوياه إلى معدّ ، ولمعدّ يومئذ اثنتا عشرة سنة ، فحمله برخيا على البُراق ، وردِف خلفه ، فانتهيا إلى حَرّان من ساعتهما ، وطُويت الأرض لإرميا فأصبح بحرّان ، فالتقى عدنان ، وبختنصّر بذات عِرْق ، فهزم بختنصّر عدنان ، وسار في بلاد العرب ، حتى قدم إلى حَضُور ، واتّبع عدنان ، فانتهى بختنصّر إليها ، وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربة إلى حَضُور ، فخندق الفريقان ، وضرب بختنصّر كميناً ـ وذلك أول كمين كان فيما زعم ـ ثم نادى منادٍ من جوّ السماء: يا لثارات الأنبياء! فأخذتهم السيوفُ مِنْ خلفهم ومن بين أيديهم ، فندموا على ذنوبهم ، فنادوْا بالويل ، ونُهِي عدنان عن بختنصّر ونُهِي بختنصّر عن عدنان ، وافترق مَن لم يشهد حَضُور ، ومن أفلت قبل الهزيمة فرقتين: فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عَكّ ، وفرقة قصدت لوبار وفرقة حَضْر العرب ، قال: وإياهم عنى الله بقوله: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ ، كافرة الأهل؛ فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم في آخر وقعة ذهبوا ليهربُوا فلم يطيقوا الهرب ، ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾ انتقامنا منهم ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ يهربون ، قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم. ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾ لا تهرُبوا ﴿وَارْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ إلى العيشة على النعم المكفورة ﴿وَمَسَٰكِنِكُمْ﴾ مصيركم ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾. فلما عرفوا: أنه واقع بهم أقروا بالذنوب ، فقالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ ، موتى وقتلى بالسيف فرجع بختنصّر إلى بابل بما جمع من سبايا عَرَبَة فألقاهم بالأنبار ، فقيل: أنبار العرب ، وبذلك سميت الأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النَّبَط فلما رجع بختنصّر ؛ مات عدنان وبقيت

بلاد العرب خراباً حياة بختنصّر ، فلما مات بختنصّر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء ، أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها ، فحجّ وحجّ الأنبياء معه ، ثم خرج معدّ حتى أتى ريسوب ، فاستخرج أهلها ، وسأل عَمّن بقي من ولد الحارث بن مُضاضٍ الجرهميّ ، وهو الذي قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه ، فقيلَ له : بقي جوشم بن جلهمة ، فتزوج معدّ ابنتَه معانة ، فولدت له نزار بن معدّ[1] . (١ : ٥٥٩/ ٥٦٠).

٧٧٨ ـ حدثني عبد الله بن أحمد المروزيّ ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سليمان ، قال : قرأت على عبد الله عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة : أن تُبّعاً خرج في العرب يسير ، حتى تحيَّروا بظاهر الكوفة ، وكان منزلاً من منازله ، فبقيَ فيها من ضعفة الناس ، فسمِّيت الحيرة لتحيّرهم ، وخرج تُبّع سائراً ، فرجع إليهم وقَد بنوْا وأقاموا ، وأقبل تُبّع إلى اليمن وأقاموا هم ، ففيهم من قبائل العرب كلّها من بني لِحيان ، وهذيل ، وتميم ، وجُعفيّ ، وطيىء ، وكلب[2] . (١ : ٥٦٧).

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف

٧٧٩ ـ فكان من ذلك ـ فيما زعمته الفرس ـ لمضيّ خمس وستين سنة من غلَبة الإسكندر على أرض بابل ، ولإحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيّين ولادةُ مريم بنت عمران عيسى بن مريم عليه السلام .

فأما النصارى فإنها تزعم : أنّ ولادتها إياه كانت لمضيّ ثلاثمئة سنة وثلاث سنين من وقت غَلبة الإسكندر على أرض بابل . وزعموا : أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر . وذكروا : أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رُفع اثنتين وثلاثين سنة وأياماً ، وأنّ مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيّفاً وخمسين سنة .

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف .

قال: وزعموا: أن يحيى اجتمع هو وعيسى بنهر الأردنّ وله ثلاثون سنة ، وأن يحيى قتل قبل أن يرفع عيسى. وكان زكرياء بن برخيا أبو يحيى بن زكرياء ، وعمران بن ماثان أبو مريم متزَوّجيْن بأختين؛ إحداهما عند زكرياء وهي أمّ يحيى ، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان ، وهي أمّ مريم ، فمات عمران بن ماثان؛ وأمّ مريم حامل بمريم ، فلما ولدت مريم؛ كَفَلَها زكرياء بعد موت أمّها ، لأنّ خالتها أخت أمّها كانت عنده. واسم أمّ مريم: حنة بنت فاقود بن قبيل ، واسم أختها: أم يحيى الأشباع ابنة فاقود. وكفلها زكرياء ، وكانت مسمّاة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازار بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شلتيل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاط بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود ، ابن عمّ مريم[١]. (١ : ٥٨٥).

٧٨٠ ـ وأما ابن حميد ، فإنه حدثنا عن سلَمة ، عن ابن إسحاق: أنه قال: مريم ـ فيما بلغني عن نسبها ـ ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحزيق بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن ياوش بن أحزيهو بن يارم بن يهشافاط بن أُسا بن أبيا بن رُحُبْعُم بن سليمان ، فولِد لزكرياء يحيى ابن خالة عيسى بن مريم ، فنبّيء صغيراً ، فساح ، ثم دخل الشأم يدعو الناس ، ثم اجتمع يحيى ، وعيسى ، ثم افترقا بعد أنَ عمّد يحيى عيسى[٢]. (١ : ٥٨٥/٥٨٦).

٧٨١ ـ وقيل: إن عيسى بعث يحيى بن زكرياء في اثنيْ عشر من الحواريين يعلّمون الناس: قال: وكان فيما نهوْهم عنه نكاحُ بنات الأخ ، فحدثني أبو السائب ، قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ، قال: بَعث عيسى بن مريم يحيى بن زكرياء ، في اثني عشر من الحواريين يعلّمون الناس ، قال: فكان فيما نهوْهم عنه نكاحُ ابنة الأخ. قال: وكان لملكهم ابنة أخٍ تُعجبه ، يريد أن يتزوّجها ، وكانت لها كلّ يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمَّها؛ قالت لها: إذا دخلتِ على الملك ، فسألك

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

حاجتك فقولي: حاجتي أن تذبح لي يحيى بن زكرياء. فلما دخلت عليه سألها حاجتَها ، قالت: حاجتي أن تذبَح لي يحيى بن زكرياء ، فقال: سلِيني غير هذا ، قالت: ما أسألُك إلاّ هذا ، قال: فلما أبتْ عليه؛ دعا يحيى ، ودعى بطست فذبحه ، فندَرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تَزَلْ تغلِي حتى بعث الله بختنصّر عليهم ، فجاءته عجوز من بني إسرائيل ، فدلّته على ذلك الدم ، قال: فألقى الله في قلبه أن يقتُلَ على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتَل سبعين ألفاً منهم من سنّ واحدة ، فسكَن[1]. (١ : ٥٨٦).

٧٨٢ ـ حدثنا موسى بن هارون الهمْدانيّ ، قال: حدثنا عمرو بن حماد ، قال: حدثنا أسباط عن السديّ ، في خبرٍ ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهمْدَانيّ ، عن ابن مسعود ـ وعن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ : أنّ رجلاً من بني إسرائيل ، رأى في النوم: أنّ خرابَ بيت المقدس وهلاكَ بني إسرائيل على يديْ غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل ، يُدْعَى بختنصّر ، وكانوا يصدّقون فتصدّق رؤياهم ، فأقبل يسأل عنه ، حتى نزل على أمّه وهو يحتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حُزمة حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت ، فكلّمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال: اشترِ بهذه طعاماً وشراباً ، فاشترى بدرْهم لحماً ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمراً ، فأكلوا وشربوا؛ حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال: إني أحبّ أن تكتب لي أماناً ، إنْ أنتَ مُلِّكْتَ يوماً من الدهر. قال: تسخر بي! قال: إني لا أسخرُ بك ، ولكن ما عليك أن تتّخذ بها عندي يداً! فكلّمتْه أمه ، فقالت: وما عليك إن كان؛ وإلا لم ينقصْك شيئاً! فكتب له أماناً ، فقال: أرأيتَ إن جئت والناسُ حولك ، قد حالوا بيني وبينك! فاجعل لي آيةً تعرفني بها ، قال: ترفع صحيفتَك على قَصَبة فأعْرِفُك بها. فكساه ، وأعطاه.

ثم إن ملِك بني إسرائيل كان يكرِم يحيى بن زكرياء ، ويُدنِي مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمراً دونه ، وإنه هوِيَ أن يتزوّج ابنةَ امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال: لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك

---

(١) ضعيف.

أمَّها فحقدتْ على يحيى حين نهاه أن يتزوّج ابنتها ، فعمِدت إلى الجارية حين جلس الملك على شرابه ، فألبستْها ثياباً رِقاقاً حمراً ، وطيّبتْها ، وألبستها من الحُلِيّ ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود ، فأرسلْتها إلى الملك ، وأمرتْها أن تسقيَه ، وأن تعرض له ، فإن أرادها على نفسها أبتْ عليه ، حتى يعطيَها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك؛ سألتْه أن تؤتى برأس يحيى بن زكرياء في طَسْت ، ففعلت فجعلت تَسقيه وتعرض له ، فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت: لا أفعل؛ حتى تعطيَني ما أسألك ، قال: ما تسأليني؟ قالت: أسألك أن تبعثَ إلى يحيى بن زكرياء ، فأوتَى برأسه في هذا الطَّسْت ، فقال: ويحك! سلِيني غيرَ هذا! قالت: ما أريد أن أسألَك إلا هذا. قال: فلما أبتْ عليه ، بعث إليه فأتِيَ برأسه ، والرأسُ يتكلّم ، حتى وضع بين يديه ، وهو يقول: لا تحلُّ لك ، فلما أصبحَ إذا دمُه يغلي ، فأمر بتراب فألقِيَ عليه ، فرقَى الدمُ فوق التراب يغلي ، فألقِي عليه التراب أيضاً ، فارتفع الدمُ فوقه ، فلم يزلْ يُلْقي عليه الترابَ حتى بلغ سورَ المدينة ، وهو في ذلك يغلِي ، وبلغ صيحائين فنادى في الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشاً ، ويؤمِّر عليهم رجلاً ، فأتاه بختنصَّر ، فكلّمه ، وقال: إنّ الذي كنتَ أرسلتَ تلك المرّة ضعيف ، فإني قد دخلتُ المدينة ، وسمعت كلامَ أهلِها ، فابعثني ، فبعثه فسار بختنصَّر؛ حتى إذا بلغوا ذلك المكانَ تحصّنوا منه في مدائنهم ، فلم يُطِقْهم ، فلما اشتدّ عليه المقام ، وجاع أصحابُه؛ أراد الرجوعَ ، فخرجت إليه عجوز من عجائز بني إسرائيل ، فقالت: أين أمير الجند؟ فأتي به إليها ، فقالت: إنه بلغني أنك تريد أن ترجعَ بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة. قال: نعم ، قد طال مقامي ، وجاع أصحابي ، فلستُ أستطيع المقام فوق الذي كان منّي ، فقالت: أرأيتَك إن فتحتُ لك المدينة ، أتعطِيني ما أسألك ، فتقتل مَنْ أمرتك بقتله ، وتكفَّ إذا أمرتُك أن تكفّ؟ قال لها: نعم ، قالت: إذا أصبحتَ فاقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقِمْ علَى كلِّ زاوية ربعاً ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء ، فنادوا: إنّا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكرياء؛ فإنها سوف تتساقط. ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلُوا من جوانبها ، فقالت له: كفّ يدك ، اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، فانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتى سكن ، فقتل سبعين ألف رجل وامرأة ، فلما سكن الدم ، قالت له: كفّ يدك ، فإنّ الله عزّ وجلّ إذا قُتِلَ نبيّ لم يرضَ حتى

يقتل من قتله ومَنْ رضيَ قتلَه. فأتاه صاحبُ الصحيفة بصحيفته، فكفّ عنه وعن أهل بيته، وخرَّب بيت المقدس، وأمر به أن تطرح فيه الجِيف، وقال: مَنْ طرح فيه جيفة؛ فله جزْيتُه تلك السنة، وأعانه على خرابه الروم من أجل أنّ بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكرياء، فلما خرّبه بختنصّر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وسَراتهم، وذهب بدانيال وحنانيا وعزريا وميشائيل؛ هؤلاء كلُّهم من أولاد الأنبياء، وذهب معه برأس الجالوت، فلما قدِم أرضَ بابل وجد صيحائين قد مات، فملَك مكانه، وكان أكرَم الناسِ عليه دانيال وأصحابه، فحسدهم المجوس، فوشُوا بهم إليه، فقالوا: إنّ دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك، ولا يأكلون من ذبيحتك، فدعاهم فسألهم فقالوا: أجلْ إنّ لنا ربّاً نعبده، ولسنا نأكل من ذبيحتكم، وأمر بخَدّ فخُدّ، فألقُوا فيه وهم ستة، وألقِيَ معهم سَبُعٌ ضارٍ ليأكلهم، فقالوا: انطلقوا فلْنأكل ولنشرب، فذهبوا، فأكلوا وشربوا، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً، والسبُع مفترش ذراعَيْه بينهم لم يخدِش منهم أحداً، ولم ينكأه شيئاً، فوجَدوا معهم رجلاً، فعدّوهم فوجدوهم سبعة، فقال: ما بال هذا السابع؟ إنما كانوا ستة! فخرج إليه السابع ـ وكان مَلَكاً من الملائكة ـ فلَطمه لطمة فصار في الوحش، فكان فيهم سبع سنين[1]. (١ : ٥٨٦/ ٥٨٧/ ٥٨٨/ ٥٨٩).

٧٨٢/ أ ـ قال أبو جعفر: وهذا القول الذي رُوِيَ عَمنّ ذكرت في هذه الأخبار التي رويت وعمّن لم يذكر في هذا الكتاب من أنّ بختنصّر، هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء ـ عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين في الجاهلية، وعند غيرهم من أهل الملل غَلَط؛ وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون عَلى أن بختنصّر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيَّهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا، وبين عهد إرميا وتخريب بختنصّر بيتَ المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربعمئة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى. ويذكرون أن ذلك عندهم في كتبهم وأسفارهم مُبَيَّن، وذلك أنهم يَعُدّون من لدن تخريب بختنصّر بيت المقدس إلى حين عمرانها في عهد كيرش بن أخشويرش أصبهبذ بابل من قِبَل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب، ثم من قِبَل ابنته

---

(١) ضعيف. شيخ الطبري مجهول الحال والإسناد له يحتج به الطبري نفسه وفي المتن من الإسرائيليات ما فيه.

خماني سبعين سنة ، ثم من بعد عمرانها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازَة مملَكتها إلى مملكته ثمانياً وثمانين سنة ، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلاثمئة سنة وثلاث سنين ، فذلك على قولهم أربعمئة سنة وإحدى وستون سنة .

وأما المجوس فإنها توافق النصارى واليهود في مدّة خراب بيت المقدس ، وأمر بختنصّر ، وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل إلى غَلَبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك دارا ، وتخالفهم في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى ، فتزعُم : أنّ مدة ذلك إحدى وخمسون سنة . فبين المجوس والنصارى من الاختلاف في مدّة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت .

والنصارى تزعم : أنّ يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر ، وأنّ الذي قتله ملك لبني إسرائيل يقال له : هيردوس ، بسبب امرأة يقال لها : هيروذيا ، كانت امرأةَ أخ له ، يقال له : فيلفوس ، عَشِقَها فوافقته على الفُجور ، وكان لها ابنة يقال لها : دمنى فأراد هيردوس أن يطأ امرأة أخيه المسماة هيروذيا ، فنهاه يحيى وأعلمه : أنه لا تحلّ له ، فكان هيردوس معجباً بالابنة ، فألهتْه يوماً ، ثم سألته حاجة ، فأجابها إليها ، وأمر صاحباً له بالنفوذ لما تأمره به ، فأمرتْه أن يأتيَها برأس يحيى ، ففعل ، فلما عرف هيردوس الخبر؛ أسْقِط في يده، وجزع جزعاً شديداً.

وأما ما قال في ذلك أهلُ العلم بالأخبار وأمور أهل الجاهلية فقد حكيتُ منه ما قاله هشام بن محمد الكلبّي[(١)] . (١ : ٥٨٩/ ٥٩٠) .

٧٨٣ ـ وأما ما قال ابن إسحاق فيه ، فهو ما حدثنا به ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق ، قال : عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك ـ يعني بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس ـ يُحدِثون الأحداثَ ، ويعود الله عليهم، ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذّبون وفريقاً يقتلون؛ حتى كان آخر مَنْ بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام. وهو يحيى بن زكرياء بن أدى بن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن

(١) ضعيف .

فاحور بن شلوم بن يهفاشاط بن أُسا بن أبيا بن رُحُبْعُم بن سليمان بن داود.

قال: فلما رَفع الله عيسى عليه السلام من بين أظهرهم، وقتلوا يحيى بن زكرياء عليه السلام ـ وبعض الناس يقول: وقتلوا زكرياء ـ ابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له: خردوس، فسار إليهم بأهل بابل؛ حتى دخل عليهم الشام، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى: نبوزراذان، صاحب القتل، فقال له: إني كنت حلفت بإلهي: لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلّنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري؛ إلى ألاّ أجد أحداً أقتله، فأمره أن يقتلهم، حتى يبلغ ذلك منهم. وإنّ نبوزراذان دخل بيت المقدس، فقام في البقعة التي كانوا يقرّبون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي، وسألهم، فقال: يا بني إسرائيل! ما شأن هذا الدم يغلي؟ أخبروني خبرَه ولا تكتموني شيئاً من أمره، فقالوا: هذا دم قربان كان لنا كنا قرّبناه فلم يقبَل مِنا، فلذلك هو يغلي كما تراه، ولقد قرّبنا منذ ثمانمئة سنة القربان، فيُقبل منا إلا هذا القربان. قال: ما صدقتموني الخبر، قالوا له: لو كان كأوّل زماننا لقبِل منّا؛ ولكنه قد انقطع منّا الملك والنبوّة والوحي؛ فلذلك لم يقبَل منا. فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعمئة وسبعين روحاً من رؤوسهم فلم يهدأ، فأمر فأتيَ بسبعمئة غلام من غلمانهم، فذبحوا على الدم فلم يهدأ، فأمر بسبعة آلاف من بينهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم: يا بني إسرائيل! ويلكم! أصدقُوني واصبروا على أمر ربكم؛ فقد طالما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل ألاّ أترك منكم نافخ نار؛ أنثى ولا ذكراً إلا قتلته! فلما رأوا الجهد وشدّة القتل صدَقوه الخبر، فقالوا: إن هذا دم نبيّ منّا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله، فلو أطعناه فيها لكان أرشدَ لنا، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدّقه، فقتلناه، فهذا دمه. فقال لهم نبوزراذان: ما كان اسمُه؟ قالوا: يحيى بن زكرياء، قال: الآن صدقتموني، لمثل هذا ينتقم ربّكم منكم. فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خَرّ ساجداً، وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة، وأخرجوا مَنْ كان ها هنا من جيش خردوس وخلا في بني إسرائيل. ثم قال: يا يحيى بن زكريّاء، قد علم ربّي وربّك ما قد أصاب قومَك من أجلك، وما قتل منهم من أجلك، فاهدأ بإذن الله قبل ألاّ أبقيَ من قومك أحداً، فهدأ دم يحيى

بإذن الله ، ورفع نبوزراذان عنهم القتل ، وقال: آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدّقتُ به ، وأيقنتُ أنه لا ربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، لو كان معه شريك لم تستمسك السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ، فتباركَ وتقدَّس وتسبّحَ وتكبّر وتعظَّم! ملك الملوك الذي يملك السموات السبع بعلم وحُكْم وجبروت وعزّة ، الذي بسط الأرض وألقَى فيها رواسيَ لا تزول؛ فكذلك ينبغي لربّي أنْ يكون ويكون مُلْكه. فأوحي إلى رأسٍ من رؤوس بقية الأنبياء: أنّ نبوزراذان حبور صدوق ـ والحبور بالعبرانية: حديث الإيمان ـ وأنّ نبوزراذان قال لبني إسرائيل: إنّ عدو الله خردوس أمرَني أن أقتلَ منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره. وإني فاعل ، لستُ أستطيع أن أعصيَه. قالوا له: افعل ما أمرت به ، فأمرهم ، فحفروا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبحها ، حتى سال الدم في العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قُتِلوا قبل ذلك فطُرِحوا على ما قتل من مواشيهم؛ حتى كانوا فوقهم؛ فلم يظنّ خردوس إلا أنّ ما كان في الخندق من بني إسرائيل.

فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبوزراذان: ارفعْ عنهم ، فقد بلغني دماؤهم ، وقد انتقمت منهم بما فعلوا. ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل ، أو كاد؛ وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل؛ يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾. و«عسى» من الله حقّ ، فكانت الوقعة الأولى بختنصّر وجنوده ، ثم ردّ الله لهم الكرّة عليهم ، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وهي كانت أعظَم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبيُ ذراريهم ونسائهم؛ يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾[(١)].
(١: ٥٩٠/٥٩١/٥٩٢/٥٩٣).

رجع الحديث إلى حديث عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام. قال: وكانت مريم ، ويوسف بن يعقوب ابن عمّها يليَانِ خدمة الكنيسة ، فكانت مريم إذا نفد ماؤها ـ فيما ذكر ـ وماء يوسف أخذ كلّ واحد منهما قلّته ، فانطلق إلى المغارة

---

(١) ضعيف.

التي فيها الماء الذي يستعذبانه ، فيملأ قُلّته ، ثم يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيَها فيه جبرئيل ـ وكان أطولَ يوم في السنة وأشدّه حرّاً ـ نفد ماؤها ، فقالت: يا يوسف ! ألا تذهب بنا نستقي! قال: إنّ عندي لفضْلاً من ماء أكتفي به يومي هذا إلى غد ، قالت: لكنيّ والله ما عندي ماء ، فأخذت قُلّتها ، ثم انطلقت وحدها ، حتى دخلت المغارة ، فتجد عندها جبرئيل ، قد مثّله الله لها بشراً سويّاً: فقال لها: يا مريم ! إن الله قد بعثني إلَيْك لأهب لك غلاماً زكياً ، قالت: ﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ ، وهي تحسبه رجلاً من بني آدم فقال: إنما أنا رسولُ ربّك ، قالت: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ ، أي: أن الله قد قضى: أنّ ذلك كائن. فلما قال ذلك؛ استسلمتْ لقضاء الله ، فنفخ في جيبها ، ثم انصرف عنها ، وملأت قلّتها[1] . (١ : ٥٩٣).

٧٨٤ ـ قال: فحدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاريّ ، قال حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدّثني عبد الصمد بن معقل ـ ابن أخي وهب ـ قال: سمعت وهباً قال: لما أرسل الله عزَّ وجلَّ جبرئيل إلى مريم ، تمثّل لها بشراً سويّاً. فقالت: ﴿ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ ، ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرَّحِم ، واشتملت على عيسى.

قال: وكان معها ذو قرابة لها يقال له: يوسف النجّار ، وكانا منطلقَيْن إلى المسجد الذي عند جبل صهيون؛ وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبا في ذلك ، فكانا يَلِيَان معالجته بأنفسهما وتجميرَه وكناسته وطهوره ، وكلّ عمل يعمل فيه ، فكان لا يُعلم من أهل زمانهما أحدٌ أشدّ اجتهاداً وعبادة منهما ، وكان أول مَنْ أنكر حَمْل مريم صاحبُها يوسف ، فلما رأى الذي بها استعظمه ، وعظم عليه ، وفظع به ، ولم يدر على ماذا يضع أمرها! فإذا أراد يوسف أن يتّهمها ذكر صلاحَها ، وبراءتها ، وأنها لم تغِبْ عنه ساعة قطُّ ، وإذا أراد أن يبرِّئها رأى الذي ظهر بها ، فلمّا اشتدّ عليه ذلك؛ كلَّمها ، فكان أولُ كلامه إياها أن قال لها: إنه قد وقع في نفسي من أمرك أمر قد حرَصت

---

(١) ضعيف.

على أن أميتَه ، وأكتمه في نفسي ، فغلبَني ذلك ، فرأيتُ : أنّ الكلام فيه أشفى لصدري ، قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول إلا ذلك ، فحدّثيني : هل ينبت زرع بغير بَذْر؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلَقه من غير بذر ، والبذر إنّما كان من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر ؟! أو لم تعلم : أنّ الله أنبت الشجر من غير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلَق كلّ واحد منهما وحده ؟! أو تقول لم يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدِرْ على إنباته! قال لها يوسف : لا أقول ذلك ، ولكنيّ أعلم : أنّ الله بقدرته على ما يشاء يقول لذلك : كن ، فيكون . قالت له مريم : أوَ لم تعلم أنّ الله عزّ وجلّ خلَق آدم وامرأته من غير ذكَرٍ ولا أنثى؟ قال : بلى ! فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أنّ الذي بها شيء من الله عزَّ وجلَّ ، وأنه لا يسعه أن يسألها عنه؛ وذلك لمَا رأى من كتمانها لذلك . ثم تولّى يوسف خدمة المسجد ، وكَفاها كلَّ عمل كانت تعمل فيه؛ وذلك لما رأى من رِقّة جسمها ، واصفرار لونها ، وكلَفَ وجهها ، ونتوء بطنها ، وضعف قوّتها ، ودأب نظرها؛ ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك؛ فلما دنا نفاسها؛ أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ، فإنهم إن ظفروا بك عيَّرُوك ، وقتلوا ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها ـ وأختُها حينئذ حُبْلى ، وقد بُشّرت بيحيى ـ فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى؛ فاحتملها يوسفُ إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف شيء ، فانطلق يوسف بها؛ حتى إذا كان مُتاخماً لأرض مصر في مُنقطَع بلاد قومها أدرك مريم النفاس ، وألجأها إلى آريّ حمار ـ يعني : مِزْود الحمار ـ في أصل نخلة؛ وذلك في زمان الشتاء ، فاشتدّ على مريم المخاض؛ فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة ، فاحتضنتْها واحتوشتْها الملائكة ، قاموا صفوفاً محدقين بها .

فلما وضعت وهي محزونة ، قيل لها : ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ إلى ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ، فكان الرُّطبُ يتساقط عليها ، وذلك في الشتاء .

فأصبحت الأصنام التي كانت تُعبَد من دون الله حين ولدت بكلّ أرض مقلوبة منكوسة على رؤوسها ، ففزِعت الشياطين وراعها ، فلم يدرُوا ما سبب ذلك ، فساروا عند ذلك مسرعين ، حتى جاؤوا إبليس ، وهو على عرش له ، في لُجّة خضراء ، يتمثّل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب ، يتمثّل بحجب النور التي من دون الرحمن ، فأتوْه وقد خلا ست ساعات من النهار ، فلما رأى إبليس جماعَتهم ، فزع من ذلك ، ولم يرهم جميعاً منذ فرّقهم قبل تلك الساعة ، إنما كان يراهم أشتاتاً ، فسألهم فأخبروه : أنه قد حدث في الأرض حدث أصبَحَتْ الأصنام منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعونُ على هلاك بني آدم منها ؛ كنا ندخلُ في أجوافها فنكلِّمهم ، وندبّر أمرهم فيظنون أنها التي تكلِّمهم ، فلما أصابهُا هذا الحدث صغّرَها في أعين بني آدم ، وأذلَّها وأدناها ، ذلك وقد خشينا ألاّ يعبدوها بعد هذا أبداً . واعلم أنّا لم نأتك حتى أحصينا الأرض ، وقلبنا البحار وكلّ شيء قوينا عليه ؛ فلم نزدد بما أردنا إلا جهلاً . قال لهم إبليس : إنّ هذا لأمر عظيم ، لقد علمت بأني كُتِمتُه ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار إبليس عند ذلك ، فلبث عنهم ثلاث ساعات ، فمرّ فيهنّ بالمكان الذي وُلد فيه عيسى ؛ فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان ، علم : أن ذلك الحَدث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيه من فوقه ؛ فإذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم أراد أن يأتيَه من تحت الأرض ؛ فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس . ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحَّوْه عن ذلك .

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتكم حتى أحصيت الأرض كلَّها مشرقها ومغربها ، وبرّها وبحرها ، والخافقين ، والجوّ الأعلى ؛ وكلّ هذا بلغتُ في ثلاث ساعات ؛ وأخبرهم بمولد المسيح ، وقال لهم : لقد كتِمتُ شأنه ، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمي ، ولا وضعتْه قطّ ، إلاّ وأنا حاضرها ؛ وإني لأرجو أن أضِلَّ به أكثر مما يهتدِي به ، وما كان نبيّ قبلَه أشدّ عليّ وعليكم منه .

وخرج في تلك الليلة قوم يؤمُّونه من أجل نجم طلع أنكروه ، وكان قبل ذلك يتحدّثون : أنّ مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال . فخرجوا يريدونه ، ومعهم الذهب والمُرّ واللّبان ، فمرّوا بملك من ملوك الشأم ،

فسألهم: أين يريدون؟ فأخبروه بذلك، قال: فما بالُ الذهب والمرّ واللبان أهديتموه له من بين الأشياء كلّها؟ قالوا: تلك أمثاله: لأنّ الذهب هو سيّد المتاع كلِّه، وكذلك هذا النبيّ هو سيّدُ أهل زمانه، ولأنّ المرّ يُجبَرُ به الجرح والكسر، وكذلك هذا النبيّ يشفي به الله كلَّ سقيم ومريض؛ ولأن اللبان ينال دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره، كذلك هذا النبيّ يرفعه الله إلى السماء لا يرفع في زمانه أحد غيره.

فلما قالوا ذلك لذلك الملك؛ حدّث نفسه بقتله، فقال: اذهبوا، فإذا علمتم مكانه، فأعلموني ذلك، فإني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره. فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكانَ عيسى، فلقيَهم ملك فقال لهم: لا ترجعوا إليه، ولا تُعلموه بمكانه، فإنه إنما أراد بذلك ليقتله؛ فانصرفوا في طريق آخر، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف، حتى وردا أرض مصر، فهي الربوة التي قال الله: ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾.

فمكثت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس، لا يطّلع عليه أحد، وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً، كانت تلتقط السنبل من حيث ما سمعت بالحصاد، والمهد في منكبها والوعاء الذي تجعل فيه السنبل في منكبها الآخر، حتى تمّ لعيسى عليه السلام اثنتا عشرة سنة؛ فكان أوّل آية رآها الناس منه أنّ أمّه كانت نازلةً في دار دهقان من أهل مصر، فكان ذلك الدّهقان قد سُرقت له خزانة، وكان لا يسكن في داره إلا المساكين، فلم يتّهمهم، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدّهقان، فلما أنْ رأى عيسى حُزْنَ أمّه بمصيبة صاحب ضيافتها، قال لها: يا أمّه! أتحبّين أن أدلّه على ماله؟ قالت: نعم يا بُنيّ، قال: قولي له يجمع لي مساكين داره، فقالت مريم للدهقان ذلك، فجمع له مساكين داره، فلما اجتمعوا عمد إلى رجلين منهم: أحدهما أعمى والآخر مُقعَد، فحمل المقعد على عاتق الأعمى، ثم قال له: قم به، قال الأعمى: أنا أضعف من ذلك، قال عيسى عليه السلام: فكيف قويت على ذلك البارحة؟ فلما سمعوه يقول ذلك؛ بعثوا الأعمى، حتى قام به، فلما استقلّ قائماً حاملاً هَوِيَ المقعد إلى كوّة الخزانة. قال عيسى: هكذا احتالا لمالِك البارحة، لأنه استعان الأعمى

بقوّته ، والمقعد بعينيه ، فقال المقعد والأعمى : صدق ، فردّا على الدهقان ماله ذلك ، فوضعه الدّهقان في خزانته ، وقال : يا مريم خذي نصفه ، قالت : إني لم أخْلَقْ لذلك ، قال الدّهقان : فأعطيه ابنَك ، قالت : هو أعظم مني شأناً ، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس ابنٌ له ، فصنع له عيداً ، فجمع عليه أهل مصر كُلّهم ، فلما انقضى ذلك ؛ زاره قوم من أهل الشأم لم يحذرهم الدهقان ، حتى نزلوا به ، وليس عنده يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدّهقان ، فيه صفَّان من جرار ، فأمرّ عيسى يده على أفواهها ، وهو يمشي ، فكلّما أمرّ يده على جَرّة امتلأت شراباً ، حتى أتى عيسى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة ، فلما فعل ذلك عيسى ؛ فزع الناس لشأنه ، وما أعطاه الله من ذلك ؛ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى أمّه مريم ، أن اطلعي به إلى الشأم ، ففعلت الذي أمرت به ، فلم تزل بالشأم حتى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحيُ على ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين. ثم رفعه الله إليه ، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يُطِقْ منه شيئاً ، فتمثَّل له برجل ذي سنّ وهيئة ، وخرج معه شيطانان ماردان متمثّلين كما تمثّل إبليس ، حتى خالطوا جماعة الناس.

وزعم وهب : أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، فمن أطاق منهم أن يَبلُغه بلغه ، ومن لم يطِقْ ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشي إليه ؛ وإنما كان يُداويهم بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ ، فجاءه إبليس في هيئةٍ يَبْهَرُ الناس حسنُها وجمالها ، فلما رآه الناس ؛ فرغوا له ، ومالوا نحوه ، فجعل يخبرهم بالأعاجيب ؛ فكان في قوله : إنّ شأن هذا الرجل لعَجَب ؛ تكلم في المهد ، وأحيا الموتى ، وأنبأ عن الغيب ، وشَفى المريض ؛ فهذا الله. قال أحد صاحبيه : جهِلتَ أيها الشيخ ، وبئس ما قلت! لا ينبغي لله أن يتجلّى للعباد ، ولا يسكن الأرحام ، ولا تسعه أجواف النساء ؛ ولكنه ابن الله. وقال الثالث : بئس ما قلتما ، كلاكما قد أخطأ وجهل ؛ ليس ينبغي لله أن يتخذ ولداً ؛ ولكنه إله معه ؛ ثم غابوا حين فَرَغوا من قولهم ، فكان ذلك آخر العهد منهم [1].
(١ : ٥٩٤/٥٩٥/٥٩٦/٥٩٧/٥٩٨).

٧٨٥ ـ حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا

---

(١) ضعيف.

أسباط عن السديّ في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ـ وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعود ـ وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ ، قال: خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها فاتّخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، وهو قوله: ﴿فَٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ في شرق المحراب ، فلما طَهُرت إذا هي برجل معها ، وهو قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ فهو جبرئيل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾. فلما رأته؛ فزعت منه وقالت: ﴿إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ـ تقول: زانية ـ ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ فخرجت ، عليها جلبابُها ، فأخذ بكمّيها ، فنفخ في جيب درعها ـ وكان مشقوقاً من قُدّامها ـ فدخلت النفخة في صدرها ، فحملت ، فأتتها أختها امرأة زكرياء ليلةً تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتْها ، فقالت امرأة زكرياء: يا مريمُ! أشعرت أني حبلى؟ قالت مريـم: أشعرت أني أيضاً حبلى؟! قالت امرأة زكرياء: فإني وجدتُ ما في بطني يسجد لما في بطنك ، فذلك قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾. فولدت امرأةُ زكرياء يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، خرجتْ إلى جانب المحراب الشرقيّ منه ، فأتت أقصاه: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ يقول: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة ، ﴿قَالَتْ﴾: وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾. تقول: نسياً: نُسيَ ذكري ، ومنسياً ، تقول: نُسي أثري ، فلا يرى لي أثر ، ولا عين. ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ جبرئيل: ﴿مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ والسريّ هو النهر. ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ ، وكان جذعاً منها مقطوعاً فهزّته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها في المحراب نهراً فتساقطت النخلة رطباً جنيّاً ، فقال لها: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ، فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلّم حتى يمسي ، فقيل لها: لا تزيدي على هذا ، فلما ولدتْه؛ ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل: أنّ مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشتدون ، فدعوها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ ـ يقول: عظيماً ـ ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ ، فما بالك أنت يا أخت هارون! وكانت من بني هارون أخي موسى؛ وهو

كما تقول: يا أخا بني فلان؛ إنما تَعني قرابتَه. فقالت لهم ما أمرها الله ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام؛ أشارت إليه - إلى عيسى - فغضبوا وقالوا: لَسُخريتُها بِنَا حين تأمرنا أن نكلّم هذا الصبي أشدُّ علينا من زناها! ﴿ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ فتكلّم عيسى ، فقال: ﴿ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ فقالت بنو إسرائيل: ما أحبلها أحد غير زكرياء ، هو كان يدخل إليها ، فطلبوه ففرّ منهم فتشبّه له الشيطان في صورة راع ، فقال: يا زكرياء ! قد أدركوك ، فادعُ الله حتى تنفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ، فدخل فيها وبقي من ردائه هُدَبٌ ، فمرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا: يا راعي ! هل رأيتَ رجلاً من ها هنا قال: نعم سحر هذه الشجرة ، فانفتحت له ، فدخل فيها ، وهذا هُدب ردائه ، فعمِدوا فقطعوا الشجرة ، وهو فيها بالمناشير ، وليس تجد يهودياً إلا تلك الهدبة في ردائه؛ فلما ولد عيسى؛ لم يبق في الأرض صنم يعبَد من دون الله إلا أصبح ساقطاً لوجهه[1]. (١ : ٥٩٩/ ٦٠٠/ ٦٠١).

٧٨٦ - حدثني المثنّى ، قال: حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل: أنه سمع وهباً يقول: إن عيسى بن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشَقّ عليه ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعاماً ، فقال: احضروني الليلة ، فإن لي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشّاهم ، وقام يخدمُهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسِل أيديهم ويوضئهم بيده ، ويمسحُ أيديَهم بثيابه ، فتعاظموا ذلك وتكارهوه ، فقال: ألا من ردّ عليّ شيئاً الليلة مما أصنع فليس منيّ ولا أنا منه! فأقرّوه حتى إذا فرغ من ذلك قال: أمّا ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيديّ ، فليكن لكم بي أسوة؛ فإنكم ترون أني خيركم ، ولا يتعظمْ بعضكم على بعض ، وليبذُلْ بعضكم نفسَه لبعض؛ كما بذلت نفسي لكم. وأما حاجتي التي أستعينكم عليها ، فتدعون الله لي ، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجَلِي ، فلمّا نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا؛ أخذهم النوم؛ حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يُوقظهم ، ويقول:

(١) ضعيف.

سبحان الله! ما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها! قالوا: والله ما ندري ما لنا! لقد كنا نسمُر فنكثِر السَّمَر، وما نطيق الليلة سَمَراً، وما نريد دعاءً إلا حيلَ بيننا وبينه! فقال: يُذْهَب بالراعي وتتفرق الغنم. وجعل يأتي بكلام نحو هذا، ينعَى به نفسه، ثم قال: الحقُّ ليكفرنّ بي أحدكم، قبل أن يصيحَ الديكُ ثلاث مرات؛ وليبيعنّني أحدكم بدراهم يسيرة، وليأكلنّ ثمني. فخرجوا فتفرّقوا؛ وكانت اليهود تطلبه، فأخذوا شمعون - أحد الحواريين - فقالوا: هذا من أصحابه، فجحد وقال: ما أنا بصاحبه، فتركوه، ثم أخذه آخرَ فجحد كذلك، ثم سمع صوت ديك، فبكَى، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود، فقال: ما تجعلون لي إن دللتُكم على المسيح؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً، فأخذها ودلَّهم عليه - وكان شُبِّه عليهم قبل ذلك - فأخذوه، فاستوثقوا منه، وربطوه بالحبل، فجعلوا يقودونه، ويقولون: أنت كنتَ تحيي الموتى، وتنتهر الشيطان، وتبرىء المجنون، أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل! ويبصقون عليه، ويُلقُون عليه الشوكَ، حتى أتوْا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها، فرفعه الله إليه، وصلَبوا ما شُبِّه لهم، فمكث سبعاً. ثم إن أمه والمرأة - التي كان عيسى يداويها فأبرأها الله من الجنون - جاءتا تبكيان عند المصلوب، فجاءهما عيسى عليه السلام، فقال: على مَنْ تبكيان؟ فقالتا: عليك، فقال: إني قد رفعني الله إليه، ولم يُصبني إلاّ خير، وإنّ هذا شيء شُبِّه لهم، فأْمُرَا الحواريين أن يَلقوْني إلى مكان كذا وكذا، فلقوه إلى ذلك المكان أحدَ عشر، وفقد الذي كان باعه، ودلّ عليه اليهود، فسأل عنه أصحابه، فقالوا: إنه ندم على ما صنع، فاختنق وقتل نفسه، فقال: لو تاب تاب الله عليه! ثم سألوه عن غلام يتبعهم يقال له: يحيى، فقال: هو معكم، فانطلِقوا فإنه سيصبح كلّ إنسان منكم يحدّث بلغة قوم فلينذرهم وليدعهم[١]. (١: ٦٠١/ ٦٠٢).

٧٨٧ - حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق، عمنّ لا يتّهم، عن وَهْب بن منبّه اليمانيِّ، قال: توفّى الله عيسى ابن مريم ثلاثَ ساعات من النهار، حتى رفعه الله إليه[٢]. (١: ٦٠٢).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

٧٨٨ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق: والنصارى يزعمون: أنه توفّاه الله سبع ساعات من النهار؛ ثم أحياه الله ، فقال له: اهبط ، فأنزل على مريم المجدلانية في جَبلها ، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن عليك أحد حزنها؛ ثم لتجمعْ لك الحواريين ، فبُثَّهم في الأرض دُعاةً إلى الله ، فإنك لم تكن فعلت ذلك. فأهبطه الله عليها ، فاشتعل الجبل حين هبط نوراً ، فجمعتْ له الحواريّين، فبثّهم، وأمرهم أن يبلّغوا الناس عنه ما أمره الله به ، ثم رفعه الله إليه ، فكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب ، فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش ، فكان إنسيّاً مَلكياً سمائيّاً أرضيّاً ، وتفرق الحواريون حيث أمرهم؛ فتلك الليلة التي أهبِط فيها الليلة التي تدخن فيها النصارى.

وكان ممن وجّه من الحواريين والأتباع الذين كانوا في الأرض بعدهم ، بطرس الحواريّ ومعه بولس ـ وكان من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين ـ إلى روميّة ، وأندراييس ، متّى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ـ وهي فيما نرى للأساود ـ وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى القيْرَوان وقرْطاجنّه؛ وهي إفريقيّة ، ويُحنّس إلى دفسوس؛ قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أورِيشلم ، وهي إيليا بيت المقدس ، وابن تلما إلى العرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر دون أفريقيَّة ، ويهوذا ـ ولم يكن من الحواريين ـ إلى أريوبس ، جُعل مكان يوذس زكريا يوطا ، حين أحدث ما أحدث[1]. (١: ٦٠٢/ ٦٠٣).

٧٨٩ ـ حدثنا ابنُ حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن ابن سُليم الأنصاريّ ، ثم الزُّرَقيّ ، قال: كان على امرأة منّا نَذْرٌ؛ لَتظهرنّ على رأس الجمَّاء ـ جبل بالعقيق من ناحية المدينة ـ قال: فظهرتُ معها: حتى إذا استوينا على رأس الجبل ، إذا قبرٌ عظيم ، عليه حجران عظيمان؛ حجر عند رأسه ، وحجر عند رجليه؛ فيهما كتاب بالمسنَد ، لا أدري ما هو! فاحتملتُ الحجَريْن معي؛ حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطاً ثقُلا

(١) ضعيف.

عليَّ ، فألقيت أحدَهما وهبطت بالآخر ، فعرضتُه على أهل السريانية : هل يعرفون كتابَهُ؟ فلم يعرفوه ، وعرضتُه على مَنْ يكتب بالزّبور من أهل اليمن ، ومن يكتب بالمسنَد فلم يعرفوه . قال : فلما لم أجد أحداً ممَّن يعرفه ألقيتُه تحت تابوت لنا ، فمكث سنين ، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون الخَرز ، فقلت لهم : هل لكم من كتاب؟ فقالوا : نعم ، فأخرجتُ إليهم الحَجَر ، فإذا هم يقرؤونه ، فإذا هو بكتابهم : هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه البلاد ؛ فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزمان ، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل[١] . (١ : ٦٠٣/ ٦٠٤) .

٧٩٠ ـ حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، قال : ثم عدوا على بقية الحواريِّين يشمّسونهم ويعذبونهم ، وطافوا بهم ، فسمع بذلك ملك الروم ـ وكانوا تحت يديه ، وكان صاحبَ وثن ـ فقيل له : إن رجلاً كان في هؤلاء الناس الذين تحت يديك من بني إسرائيل عدوْا عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله ، قد أراهم العجائب ، وأحيا لهم الموتى ، وأبرأ لهم الأسقام ، وخَلَق لهم من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طائراً بإذن الله ، وأخبرهم بالغيوب . قال : ويْحكم! فما منعكم أن تذكروا هذا لي من أمره وأمرهم! فو الله لو علمت ما خلّيتُ بينهم وبينه . ثم بعث إلى الحواريين ، فانتزعهم من أيديهم ، وسألهم عن دين عيسى وأمْرِه ، فأخبروه خبره ، فتابعهم على دينهم ، واستنزل سرجس فغيّبه ، وأخذ خشبته التي صُلِب عليها ، فأكرمها وصانها لما مسَّها منه ، وعدا على بني إسرائيل ، فقتل منهم قتلى كثيرة ؛ فمن هنالك كان أصلُ النصرانية في الروم[٢] . (١ : ٦٠٤) .

٧٩١ ـ وذكر بعض أهلِ الأخبار : أنّ مولد عيسى عليه السلام كان لمضيّ اثنتين وأربعين سنة من مُلْك أغوسطوس ، وأنّ أغوسطوس عاش بعد ذلك بقيّة ملكه ، وكان جميع ملكه ستاً وخمسين سنة ـ قال بعضهم : وأياماً .

قال : ووثبت اليهود بالمسيح ، والرياسة ببيت المقدس في ذلك الوقت

(١) شيخ الطبري هنا ضعيف ومتهم بالكذب .
(٢) ضعيف .

لقيصر ، والملك على بيت المقدس من قبَل قيصر هيردوس الكبير الذي دخلت عليه رُسُل ملك فارس الذين وجَّههم الملك إلى المسيح ، فصار إلى هيردوس غلطاً ، وأخبروه: أن ملك فارس بعث بهم ليقرّبوا إلى المسيح ألطافاً معهم من ذهب ، ومرّ ولبان ، وأنهم نظروا إلى نجمه قد طلع ، فعرفوا ذلك بالحساب ، وقرّبوا الألطاف إليه ببيت لحم من فلسطين. فلما عرف هيردوس خبرَهم؛ كاد للمسيح ، فطلبه ليقتله ، فأمر الله الملَك أن يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما أراد هيردوس من قتله ، وأمره أن يهرب بالغلام وأمّه إلى مصر ، فلما مات هيردوس قال الملك ليوسف وهو بمصر: إن هيردوس قد مات ، وملَك مكانه أركلاوس ابنُه ، وذهب مَنْ كان يطلب نفْس الغلام ، فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتمّ قول شعيا النبيّ: من مصر دعوتُك. ومات أركلاوس ، وملك مكانه هيردوس الصغير ، الذي صُلِب شبهُ المسيح في ولايته ، وكانت الرياسة في ذلك الوقت لملوك اليونانية والروم ، وكان هيردوس وولده من قِبَلهم؛ إلاّ أنهم كانوا يلقّبون باسم الملك ، وكان الملوك الكبار يلقّبون بقيصر ، وكان ملك بيت المقدس في وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوسطوس دون القضاء ، وكان القضاء لرجل روميّ يقال له: فيلاطوس من قِبَل قيصر ، وكانت رياسة الجالوت ليونن بن بهبوثن.

قال: وذكروا: أن الذي شُبّه بعيسى وصُلب مكانه رجل إسرائيليّ ، يقال له: أيشوع بن فنديرا. وكان ملكُ طيباريوس ثلاثاً وعشرين سنة وأياماً منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثمانيَ عشرة سنة وأيام؛ ومنها بعد ذلك خمس سنين[1]. (١ : ٦٠٤/٦٠٥).

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

٧٩٢ ـ قال: وكان اسمُ أحدهم ـ وهو الذي كان يَلي شِرَا الطعام لهم ، الذي ذكره الله عنهم: أنهم قالوا إذ هبُّوا من رقدتهم: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا فَلۡيَأۡتِكُم بِرِزۡقٖ مِّنۡهُ﴾[2]. (٢ : ٦).

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

٧٩٣ ـ حدّثني عبد الله بن محمد الزّهريّ ، قال: حدّثنا سفيان ، عن مقاتل: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ﴾ ـ اسمه: يمنيخ[1] (٢ : ٦).

٧٩٤ ـ وأما ابنُ إسحاق فإنه قال ـ فيما حدّثنا به ابن حُميد ـ قال: حدّثنا سلَمة عنه: اسمه: يمليخا.

وكان ابن إسحاق يقول: كان عدد الفتية ثمانية ، فعلى قوله كان كلبُهم تاسعَهم. وكان ـ فيما حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ـ يسمِّيهم فيقول: كان أحدهم ـ وهو أكبرهم والذي كلّم الملِك عن سائرهم ـ: مكسملينا ، والآخر: محسملينا ، والثالث: يمليخا ، والرابع: مرطوس ، والخامس: كسوطونس ، والسادس: بيرونس ، والسابع: رسمونس ، والثامن: بطونس ، والتاسع: قالوس ، وكانوا أحداثاً[2] (٢ : ٦).

٧٩٥ ـ وقد حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجيح ، عن مجاهد ، قال: لقد حُدِّثت: أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضح الورق. وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم ، فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعةَ عيسى في قول جماعة من سلف علمائنا[3]. (٢ : ٦).

٧٩٦ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا الحكَم بن بشير ، قال: حدّثنا عمرو ـ يعني: ابن قيس الملائيّ ـ في قوله: ﴿أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ﴾ ، كانت الفتية على دين عيسى بن مريم ﷺ على الإسلام ، وكان ملكهم كافراً. وكان بعضهم يزعم: أنّ أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ، وأنّ المسيح أخبر قومه خبرَهم ، فإنّ الله عزّ وجلّ ابتعثهم من رقدتهم بعد ما رفع المسيح ، في الفترة بينه وبين محمد ﷺ ؛ والله أعلم أيَّ ذلك كان[4]. (٢ : ٧).

٧٩٧ ـ فأمّا الذي عليه علماء أهل الإسلام فَعَلى أنّ أمرهم كان بعد المسيح.

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

فأمّا أنَّه كان في أيام ملوك الطوائف؛ فإنّ ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة.

وكان لهم في ذلك الزمان مَلِكٌ يقال له: دقينوس، يعبد الأصنام ـ فيما ذكر عنه ـ فبلغه عن الفتية خلافُهم إيّاه في دينه، فطلبهم، فهربوا منه بدينهم، حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له ـ فيما حدّثنا ابن حُميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نَجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس ـ: نيحلوس[1]. (٢ : ٧).

٧٩٨ ـ وكان سببُ إيمانهم وخلافهم به قومهم فيمَا حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: حدّثنا عبد الرزاق، قال: حدّثنا معمَر، قال: أخبرني إسماعيل بن سدوس: أنه سمع وهب بن منبّه يقول: جاء حواريّ عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف، فأراد أن يدخلَها، فقيل له: إن علَى بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجدَ له، فكره أن يدخلَها، فأتى حمَّاماً، وكان فيه قريباً من تلك المدينة، فكان يعمل فيه، يؤاجِر نفسه من صاحب الحمَّام. ورأى صاحب الحمَّام في حمَّامه البركة، ودرّ عليه الرزق، فجعل يعرض عليه [الإسلام] وجعل يسترسل إليه. وعَلِقه فتيةٌ من أهل المدينة وجعل يُخبرهم خبرَ السماء والأرض وخبر الآخرة، حتى آمنوا به وصدّقوه، وكانوا على مثلِ حاله في حسن الهيئة، وكان يشرُط على صاحب الحمّام: أنَّ الليل لي، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت. فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة، فدخل بها الحمَّام، فعيّره الحواريّ، فقال: أنت ابنُ الملك وتدخلُ ومعك هذه الكذا! فاستحيا، فذهب. فرجع مرة أخرى، فقال له مثل ذلك، وسبّه وانتهره، ولم يلتفت حتى دخل، ودخلت معه المرأة فماتا في الحمَّام جميعاً، فأتِي الملك فقيل له: قتل صاحبُ الحمَّام ابنَك. فالتُمِسَ، فلم يُقدرْ عليه فهرب. قال: من كان يصحبه؟ فسمّوا الفتية؛ فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة، فمرُّوا بصاحبٍ لهم في زرع له؛ وهو على مثل أمرهم، فذكروا أنهم التُمسوا، وانطلق معهم ومعه الكلب؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت ها هنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله،

---

(١) ضعيف.

فتروْن رأيَكم. فضرب على آذانهم، فخرج المَلك في أصحابه يتبعونهم، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف؛ فكلَّما أراد رجل أن يدخلَ أُرعِب، فلم يطق أحد أن يدخل، فقال قائل: أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتَهم؟ قال: بلى! قال: فابنِ عليهم باب الكهف، فدعْهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً. ففعل فغبروا ـ بعد ما بني عليهم باب الكهف ـ زماناً بعد زمان.

ثم إنّ راعياً أدركه المطر عند الكهف، فقال: لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمي من المطر! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخِل فيه، وردّ الله إليهم أرواحَهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا، فبعثوا أحدَهم بورِق يشتري لهم طعاماً، فكلَّما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكره، حتى دخل على رجل، فقال: بعني بهذه الدراهم طعاماً، قال: ومن أين لك هذه الدراهم! قال: خرجت وأصحابٌ لي أمس، فآوانا الليل حتى أصبحوا، فأرسلوني، فقال: هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنّى لك بها! فرفعه إلى الملك ـ وكان ملكاً صالحاً ـ فقال: من أينَ لك هذه الورِق؟ قال: خرجت أنا وأصحاب لي أمس حتى أدركَنا الليل في كهف كذا وكذا، ثم أمروني أن أشتريَ لهم طعاماً. قال: وأين أصحابك؟ قال: في الكهف، قال: فانطلَقوا معه حتى أتوْا بابَ الكهف، فقال: دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم، فلما رأوْه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم، فجعلوا كلّما دخل رجل أُرعِب، فلم يقدروا على أن يدخلوا إليهم، فبنوْا عندهم كنيسة، واتَّخذوها مسجداً يصلُّون فيه[1]. (٢: ٦/ ٧/ ٨/ ٩).

٧٩٩ ـ حدّثنا الحسن بن يحيى، قال: حدّثنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا معمَر عن قَتادة، عن عِكْرمة، قال: كان أصحابُ الكهف أبناءَ ملوك الروم، رزقهم الله الإسلام، فتفرّدوا بدينهم، واعتزلوا قومَهم، حتى انتهوْا إلى الكهف، فضرب الله على سُمْخَانِهم. فلبثوا دهراً طويلاً، حتى هلكت أمَّتهم، وجاءتْ أمَّةٌ مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، واختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: تبعث الروح والجسد جميعاً، وقال قائل: تُبْعث الروح، وأما الجسد فتأكله الأرض، فلا يكون شيئاً. فشقّ على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المُسوح، وجلس

---

(١) ضعيف.

على الرّماد ، ثم دعا الله عزَّ وجلّ ، فقال: يا ربّ ! قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم ما يبيّن لهم ، فبعث الله أصحابَ الكهف ، فبعثوا أحدَهم يشتري لهم طعاماً ، فدخل السوق ، فجعل يُنكر الوجوه ويعرف الطرق ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً ، فانطلق وهو مستخفٍ ، حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً ، فلما نظر الرجل إلى الورِق أنكرها ـ قال: حسبت أنه قال: كأنها أخفاف الرُّبَع ـ يعني الإبل الصغار ـ قال له الفتى: أليس ملِككم فلان؟ قال: بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبرَ أصحابه ، فبعث الملك في الناس ، فجمعهم فقال: إنّكم قد اختلفتم في الروح والجسد ، وإنّ الله عزّ وجل قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان ـ يعني ملكهم الذي مضى ـ فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي ، فركب الملك ، وركب معه النَّاس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى: دعوني أدخلْ إلى أصحابي ، فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلمّا استبطؤوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواحَ فيها . فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم[١]. (٢ : ٩/ ١٠).

قال قَتادة: وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فمرُّوا بالكهف؛ فإذا فيه عظام ، فقال رجل: هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس: لقد ذهبتْ عظامهم منذ أكثر من ثلاثمئة سنة .

قال أبو جعفر: فكان منهم[٢]. (٢ : ١٠).

يونس بن متّىٰ

٧٩٩/أ ـ وقد اختلف السّلَف من علماء أمة نبيّنا محمد ﷺ في ذهابه لربّه مغاضباً وظنّه أن لن يُقدَر عليه ، وفي حين ذلك .

فقال بعضهم: كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أرسل إليهم ، وقبل إبلاغه إياهم رسالة ربّه؛ وذلك أنّ القوم الذين أرسل إليهم لمّا حضرهم عذاب الله أمر

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .

بالمصير إليهم؛ ليعلمهم ما قد أظلّهم من ذلك ، لينيبوا ممَّا هم عليه مقيمون مما يسخَطه الله ، فاستنظر ربَّه المصيرَ إليهم ، فلم يُنظِرْه ، فغضب لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره[1] . (٢ : ١١) .

ذكر من قال ذلك :

٨٠٠ ـ حدَّثني الحارث ، قال: حدَّثنا الحسن الأشيب ، قال: سمعت أبا هلال محمد بن سُلَيْم ، قال: حدَّثنا شهر بن حَوْشب ، قال: أتاه جبريل عليه السلام ـ يعني: يونس ـ وقال: انطلق إلى أهل نينَوى ، فأنذِرْهم: أنّ العذاب قد حضرهم. قال: ألتمسُ دابّة ، قال: الأمر أعجل من ذلك ، قال: ألتمسُ حذاء ، قال: الأمر أعجل من ذلك ، قال: فغضب ، فانطلق إلى السفينة فركب ، فلما ركب احتبست السفينة لا تَقدّمُ ولا تأخّرُ. قال: فساهموا. قال: فَسُهِم ، فجاء الحوت يبصبص بذنبه ، فنودي الحوت: أيا حوت ! إنا لم نجعل يونس لك رزقاً ، إنّما جعلناك له حِرْزاً ومسجداً ، فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرّ به على الأَبُـلَّـة ، ثم انطلق حتَّى مرَّ به على دِجلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينَوى[2] . (٢ : ١٢) .

٨٠١ ـ حدَّثني الحارث ، قال: حدَّثنا الحسن ، قال: حدَّثنا أبو هلال ، قال: حدَّثنا شهر بن حَوْشب ، عن ابن عباس ، قال: إنّما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت[3] . (٢ : ١٢) .

٨٠١/ أ ـ وقال آخرون: كان ذلك منه بعد دعائه مَنْ أرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه ، وتبليغه إياهم رسالَة ربّه ، ولكنّه وعدهم نزول ما كان حذَّرهم من بأس الله في وقت وقّتَه لهم ، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله والإيمان ، فلما أظلّ القومَ عذابُ الله ، فغشيَهم ـ كما وصف الله في تنزيله ـ تابوا إلى الله ، فرفع الله عنهم العذاب ، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدَهموه ، فغضب من ذلك ، وقال: وعدتهم وعداً ، فكذِّب وعدِي!

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

فذهب مغاضباً ربَّه ، وكره الرجوع إليهم وقد جرَّبوا عليه الكذب[1]. (٢ : ١٢).

ذكر بعض من قال ذلك :

٨٠١/ب - حدّثنا ابن حُمَيد ، قال: حدّثنا سلمَة عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلَمة ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عبّاس ، قال: بعثه الله تعالى - يعني: يونس - إلى أهل قريته ، فردُّوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك أوْحَى الله إليه: إنِّي مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فاخرُجْ من بين أظهرهم. فأعلَم قومَه الذي وعدهم الله من عذابه إياهم ، فقالوا: ارمُقوه ، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم. فلما كانت الليلة التي وُعِدوا العذاب في صبيحتها أدلج وراءه القوم ، فحذروا. فخرجوا من القرية إلى بَراز من أرضهم ، وفرّقوا بين كلّ دابَّة وولدها ، ثم عجّوا إلى الله واستقالوه ، فأقالهم. وتنظّر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرّ به مارٌّ ، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبيهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا: أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى براز من الأرض ، وفرّقوا بين كل ذات ولد وولدها ، ثم عجّوا إلى الله وتابوا إليه ، فقبِل منهم ، وأخّر عنهم العذاب. قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لا أرجع إليهم كذَّاباً أبداً ، وعدتُهم العذاب في يوم ، ثم رُدّ عنهم! ومضى على وجهه مغاضباً لربّه فاستزلّه الشيطان[2]. (٢ : ١٣).

٨٠٢ - حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال: حدّثنا إسحاق بن الحجاج ، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع [بن أنس] ، قال: حدّثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب ، فحدّث عن قوم يونس حيث أنذر قومَه فكذّبوه ، فأخبرهم: أنه مصيبهم العذاب ، وفارَقهم ، فلما رأوْا ذلك وغشيَهم العذاب؛ لكنّهم خرجوا من مساكنهم ، وصعدوا في مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربّهم ، ودعوْه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال: ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ . فلم يكن قرية غشيَها العذابُ ثم أمسك عنها إلاّ قوم يونس خاصّة ، فلما رأى ذلك يونس ، لكنّه ذهب عاتباً على ربه ، وانطلق مغاضباً ، وظنّ أنْ لن يُقْدَر عليه ، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح . فقالوا : هذه بخطيئة أحدكم . وقال يونس ـ وقد عرف أنه هو صاحب الذنب : هذه بخطيئتي ، فألقُوني في البحر . وإنّهم أبوْا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ ، فقال لهم : قد أخبرتكم : أنّ هذا الأمرَ بذنبي . وإنّهم أبوْا عليه أن يُلقوه في البحر ، حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ؛ ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ . فقال لهم : قد أخبرتكم : أنّ هذا الأمر بذنبي ، وإنّهم أبوْا عليه أن يُلقوه في البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة ، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ . فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ـ وعرف الخطيئة ـ ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه فقال : ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ؛ وذلك : أنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثَر ؛ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ . وألقي على ساحل البحر ، وأنبت الله عليه شجرة من يَقْطين ـ وهي فيما ذكر ـ شجرة القرع يتقطّر عليه من اللبن ؛ حتى رجعت إليه قُوّته . ثم رجع ذاتَ يوم إلى الشجرة فوجدها قد يبِست ، فحزِن وبكى عليها ، فعوتب فقيل له : أحزِنْتَ على شجرة ، وبكيت عليها ولم تحزن على مئة ألف أو زيادة أردت هلاكَهم جميعاً!

ثم إنّ الله اجتباه من الضّلالة ، فجعله من الصالحين ، ثم أمر أن يأتيَ قَومَه ويُخبِرَهم : أنَّ الله قد تاب عليهم . فعمَد إليهم ، حتى لقيَ راعياً ، فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهمْ على رجاء أن يرجع إليهم رسُولُهم ، فقال له : فأخبِرْهم أنّي قد لقيت يونس . فقال : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمّى له عنزاً من غنمه ، فقال : هذه تشهد لك أنّك قد لقيت يونس . قال : وماذا؟ قال وهذه البقعة التي أنت فيها تشهد لك أنك قد لقيت يونس . قال : وماذا؟ قال : وهذه الشجرة تشهد لك أنّك قد لقيت يونس . وإنه رجع الراعي إلى قومه فأخبرهم : أنه لقيَ يونس فكذّبوه وهَمُّوا به شرّاً ، فقال : لا تعجلوا عليّ حتى أصبح ، فلما أصبح غَدَا بهم إلى البقعة التي لقيَ فيها يونس فاستنطقها ،

فأخبرتهم أنه لقي يونس ، وسأل العنز ، فأخبرتْهم أنه لقيَ يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فأخبرتهم أنّه قد لقيَ يونس. ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك. قال: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[١] . (٢ : ١٤/ ١٥) .

٨٠٣ ـ حدّثني الحسين بن عمرو بن محمد العَنْقزيّ ، قال: حدّثنا أبي عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأوديّ ، قال: حدّثنا ابن مسعود في بيت المال ، قال: إنّ يونس كان وعد قومه العذاب؛ وأخبرهم: أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرّقوا بين كلّ والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله ، واستغفروه ، فكفّ الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينتظر العذاب ، فلم ير شيئاً ، وكان مَنْ كذب ولم يكن له بيّنة قتِل فانطلق مغاضباً ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ، قال: ظلْمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلْمة البحر[٢] . (٢ : ١٥/ ١٦) .

٨٠٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عمّن حدّثه عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلَمة زوج النبي ﷺ ، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوتِ؛ أوحى الله إلى الحوت أنْ خُذْه ولا تخدِش له لحماً ، ولا تكسر عظماً ، فأخذه ، ثم هَوَى به إلى مسكنه من البحر. فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حسّاً ، فقال في نفسه: ما هذا؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت: إنّ هذا تسبيح دوابّ البحر. قال: فسبّح وهو في بطن الحوت ، قال: فسمعت الملائكة تسبيحَه ، فقالوا: يا ربنا ! إنا لنسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. قال: ذلك عبدي يونس، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كلّ يوم وليلة عمل صالح! قال: نعم ، قال: فشفعوا له عند ذلك. فأمر الحوت ، فقذفه في الساحل كما قال الله: ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ وكان سقمه الذي وصفه الله به: أنّه ألقاه الحوت على الساحل كالصبيّ المنفوس ، قد بُشِر اللحم والعظم[٣] . (٢ : ١٦) .

٨٠٤/ أ ـ قال: أخبرني ابن قُسَيط: أنه سمع أبا هريرة يقول: طُرح بالعراء ، فأنبت الله عليه يقْطينةً ، فقلنا: يا أبا هريرة ! وما اليقطينة؟ قال: شجرة الدُّباء ،

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

هيَّأ الله له أرويّة وحشيّة ، تأكل من حَشَاش الأرض ـ أو هشاش الأرض ـ فتفشَح عليه ، فتُرْويه من لبنها كلَّ عشيَّة وبُكْرة ، حتى نبت[١] (٢ : ١٧).

ومما كان أيضاً في أيام ملوك الطوائف :

إرسال الله رسله الثلاثة

٨٠٤/ ب ـ واختلف السلف في أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة ـ الذين ذكرهم الله في هذه الآيات ، وقصَّ فيها خبرهم ـ أنبياء ورسلاً أرسلهم إلى بعض ملوك الرّوم ، وهو أنطيخس ، والقرية التي كان فيها هذا الملك الذي أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكيَة[٢]. (٢ : ١٨).

ذكر من قال ذلك :

٨٠٥ ـ حدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : كان من حديث صاحب «يس» ـ فيما حدثنا محمد بن إسحاق ـ قال : ممّا بلغه عن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبّه اليمانيّ : أنه كان رجلاً من أهل أنطاكيَة ، وكان اسمه حبيباً وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجُذام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً ، وكان مؤمناً ذا صدَقة ، يجمع كسبه إذا أمسى ـ فيما يذكرون ـ فيَقسمه نصفين ، فيُطْعِم نصفاً عياله ، ويتصدّق بنصف ، فلم يهمَّه سُقْمه ولا عمله ولا ضعفه حين طَهر قلبه ، واستقامت فطرته ، وكان بالمدينة التي هو بها؛ مدينة أنطاكيَة ، فرعون من الفراعنة يقال له : أنطيخس بن أنطيخس بن أنطيخس ، يعبد الأصنام ، صاحبُ شِرْك فبعث الله المرسَلين ، وهم ثلاثة : صادق وصدوق وشلوم ، فقدّم الله إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزّز الله بثالث[٣]. (٢ : ١٨/ ١٩).

٨٠٥ ـ وقال آخرون : بل كانوا من حواريّي عيسى بـن مريم ، ولم يكونوا رسلاً لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن إرسال عيسى بن مريم إياهم

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

لمّا كان عن أمر الله تعالى؛ ذكره إياه بذلك، أضيف إرساله إياهم إلى الله، فقيل: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

ذكر من قال ذلك:[1] (٢ : ١٩).

٨٠٦ ـ حدّثنا بِشْر بن معاذ، قال: حدّثنا يزيد بن زُرَيع، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ قال: ذكر لنا: أنّ عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريّين إلى أنطاكيَة، مدينة بالروم، فكذّبوهما، فأعزّهما بثالث، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ. . .﴾ الآية[2]. (٢ : ١٩).

٨٠٧ ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: فلما دعتْه الرسل، ونادته بأمر الله، وصدَعت بالذي أمرت به، وعابت دينَهم وما هم عليه، قال [أصحاب القرية] لهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. قالت لهم الرسل: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ أي: أعمالكم، ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾. فلما أجمع هو وقومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيباً، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكّرهم الله، ويدعوهم إلى اتّباع المرسلين، فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ أي: لا يسألونكم أموالكم على ما جاؤوكم به من الهدى، وهم لكم ناصحون، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم[3]. (٢ : ٢٠).

٨٠٨ ـ حدّثنا بشر بن معاذ، قال: حدّثنا يزيد: قال: حدّثنا سعيد عن قتادة، قال: لما انتهى ـ يعني: حبيباً ـ إلى الرسل، قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا، فقال عند ذلك: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[4]. (٣ : ٢٠).

٨٠٩ ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم : أنه لا يملك نفعه ولا ضرّه غيره ، فقال : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴾ . أي : آمنت بربكم ، الذي كفرتم به ، فاسمعوا قولي . فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ، واستضعفوه لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه[1] . (٢ : ٢٠) .

٨١٠ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق عن بعض أصحابه : أنّ عبد الله بن مسعود كان يقول : وطؤوه بأرجلهم ، حتى خرج قُصْبُه من دبُره[2] . (٢ : ٢٠) .

٨١١ ـ وقال الله له : ادْخلِ الجنّة ، فدخلها حيّاً يرزق فيها ، قد أذهب الله عنه سَقَم الدنيا وحزنها ونَصبَها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنَّته وكرامته ؛ قال : ﴿ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴾ وغضب الله له لاستضعافهم إياه غضبةً لم يُبْقِ [معها] من القوم شيئاً فعجَّل لهم النقمة بما استحلُّوا منه وقال : ﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ ، يقول : ما كابدناهم بالجموع ، أي الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴾ فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكيَة ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية[3] . (٢ : ١٠/ ٢١) .

٨١٢ ـ حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عُمَارة ، عن الحكَم بن عتيبة ، عن مِقْسَم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عبّاس : أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجُذام قد أسرع فيه[4] . (٢ : ٢٢) .

٨١٣ ـ حدَّثنا ابن بشَّار ، قال : حدّثنا مؤمَّل ، قال : حدّثنا سفيان عن عاصم

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) ضعيف .
(٤) ضعيف .

الأحول ، عن أبي مخلَد ، قال: كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مري. وكان فيهم[1]: (٢ : ٢١).

شمسون

٨١٤ ـ وكان من أهل قرية من قرى الرّوم؛ قد هداه الله لرشده ، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها فكان من خبره وخبرهم ـ فيما ذكر ـ ما حدَّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي لَبيد ، عن وهب بن منبّه اليمانيّ: أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت أمّه قد جعلته نذيرةً ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفّاراً يعبدون الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويَسْبي ، ويصيب المال ، وكان إذا لقيَهم لقيهم بلَحْي بعير لا يلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه وقاتلهم ، وتعب وعطش انفجَر له من الحجر الذي مع اللّحْي ماء عذب فيشرب منه حتى يروَى ، وكان قد أعطِيَ قوّةً في البطش ، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدهم في الله ويغزوهم ، ويصيب منهم حاجتَه ، لا يقدون منه على شيء؛ حتى قالوا: لن تأتوه إلا من قبَل امرأته ، فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جُعْلاً ، فقالت: نعم أنا أوثقه لكم ، فأعطوْها حَبْلاً وثيقاً ، وقالوا: إذا نام فأوثِقِي يَده إلى عنقه حتى نأتيه فنأخذه. فلما نام أوثقتْ يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبّ جذبه بيده ، فوقع من عنقه ، فقال لها: لمَ فعلتِ؟ فقالت: أجرّب به قوّتَك ، ما رأيتُ مثلَك قطّ! فأرسلْت إليهم أني قد ربطتُه بالحبل فلم أغْنِ عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد ، فقالوا: إذا نام فاجعليها في عنقه ، فلما نام جعلتْها في عنقه ، ثم أحكمتْها ، فلما هبّ جذبها ، فوقعتْ من يده ومن عنقه ، فقال لها: لم فعلتِ هذا؟ قالت: أجرّب به قوّتَك؛ ما رأيتُ مثلَك في الدنيا يا شمسون! أمَا في الأرض شيء يغلبك ؟ قال: لا ، إلاّ شيء واحد ، قالت: وما هو؟ قال: ما أنا بمخبِرك به ، فلم تزل به تسأله عن ذلك ـ وكان ذا شعر كثير ـ فقال لها: ويحك! إنّ أمّي جعلتْني نذيرة ، فلا يغلبني شيء أبداً ، ولا يضبِطني إلا شعري فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر

---

(١) ضعيف.

رأسه ، فأوثقه ذلك ، وبعثت إلى القوم ، فجاؤوا فأخذوه ، فجدعوا أنفه وأذنيه ، وفقؤوا عينيه ، ووقفوه للناس بين ظهراني المئذنة ـ وكانت مئذنةً ذات أساطين ، وكان ملكهم قد أشرف عليها بالناس لينظروا إلى شمسون ، وما يصنع به ـ فدعا الله شمسون حين مثّلوا به ووقفوه أن يسلّطه عليهم ، فأمر أن يأخذ بعمودين من عُمُد المئذنة التي عليها الملك والناس الذين معه فيجذبها ، فجذبهما فردّ الله عليه بصرَه وما أصابوا من جسده ، ووقعت المئذنة بالملك ومَنْ عليها من الناس؛ فهلكوا فيها هدْماً(١) . (٢ : ٢٢/ ٢٣) .

ذكر خبر جرجيس

٨١٥ ـ وكان جرجيس ـ فيما ذكر ـ عبداً لله صالحاً من أهل فلسطين ، ممَّن أدرك بقايا من حواريّي عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة. وإنّه تجهّز مرّة إلى ملك بالموْصل ، كما حدّثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبّه وغيره من أهل العلم: أنه كان بالموصل داذانه ، وكان قد ملك الشأم كلّه ، وكان جبّاراً عاتياً لا يُطيقه إلا الله تعالى. وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فِلَسْطين ، وكان مؤمناً يكتم إيمانه في عصبة معه صالحين ، يستخفّون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بَقايا من الحواريِّين فسمعوا منهم ، وأخذوا عنهم. وكان جرجيس كثيرَ المال ، عظيم التجارة ، عظيم الصَّدَقة ، فكان يأتي عليه الزمان يُتْلِف ماله في الصَّدَقة حتى لا يبقى منه شيء؛ حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضَّرْبة فيصيب مثل ماله أضعافاً مضاعفة؛ فكانت هذه حاله في المال. وكان إنما يرغب في المال ، ويعمّره ويكسبه من أجل الصَّدقة؛ لولا ذلك كان الفقرُ أحبَّ إليه من الغنى.

وكان لا يأمن وِلايةَ المشركين عليه مخافةَ أن يُؤْذوه في دينه ، أو يَفْتِنوه عنه ، فخرج يؤمّ ملكَ الموصل ، ومعه مالٌ يريد أن يُهديه له؛ لئلاّ يجعل لأحد من تلك المُلوك عليه سلطاناً دونه؛ فجاءه حين جاءه ، وقد برز في مجلس له ، وعنده عظماء قومه وملوكهم؛ وقد أوْقَد ناراً ، وقرّب أصنافاً من أصناف العذاب الذي

(١) ضعيف.

كان يعذّب به مَنْ خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له: «أفلّون» فنُصب؛ فالناس يُعْرَضون عليه ، فمن لم يسجدْ له ألقيَ في تلك النار ، وعذّب بأصناف ذلك العذاب ، فلما رأى جرجيس ما يصنع؛ فَظِع به وأعظمه ، وحدّث نفسه بجهاده ، وألقى الله في نفسه بُغْضَه ومحاربتَه ، فعمَد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسّمه في أهل مِلّته حتى لم يبق منه شيئاً؛ وكرِه أن يجاهده بالمال ، وأحبَّ أن يَلِيَ ذلك بنفسه؛ فأقبل عليه عند ما كان أشدّ غضباً وأسفاً ، فقال له: اعلم أنّك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربّاً هو الذي يَملِكك وغيرَك ، وهو الذي خلَقك ورزقك ، وهو الذي يُحييك ويميتك ، ويضرّك وينفعك ، وأنت قد عمَدت إلى خلْق من خلقه قال له: كن فكان أصم أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ولا يغني عنك من الله شيئاً ، فزيّنتَه بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس ، ثم عبَدْته دون الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربّاً.

فكلّم الملكَ جرجيسُ بنحو هذا ، منِ تعظيم الله وتمجيده ، وتعريفه أمرَ الصنم ، وأنّه لا تصلح عبادته. فكان من جواب الملك إياه مسألته إياه عنه ، ومَنْ هو؟ ومن أين هو؟ فأجابه جرجيس أن قال: أنا عبد الله وابن عبده وابن أمَتِه ، أذلُّ عباده وأفقرُهم إليه ، من التراب خُلِقْت ، وفيه أصير. وأخبره ما الذي جاء به وحاله. وإنّه دعا ذلك الملكَ جرجيسُ إلى عبادة الله ورفْض عبادة الأوثان. وإنّ الملك دعا جرجيسَ إلى عبادة الصنم الذي يعبده ، وقال: لو كان ربُّك الذي تزعم أنه ملك الملوك كما تقول ، لرُئيَ عليك أثره كما ترى أثرِي على من حولي من ملوك قومي.

فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره. وقال له ـ فيما قال: أين تجعل طرقبلينا ، وما نال بولايتك؛ فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما نال إلياس بولاية الله! فإنّ إلياس كان بدؤه آدميّاً يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فلم تَتنَاه به كرامة الله حتى أنبت له الريش ، وألبسه النُّور ، فصار إنسيّاً ملكيّاً ، سمائيّاً أرضيّاً؛ يطير مع الملائكة. وحدِّثْني؛ أين تجعل مجليطيس ، وما نال بولايتك: فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله! فإنّ الله فضّله على رجال العالمين ، وجعله وأمّه آية للمعتبرين. ثم ذكر من أمرِ المسيح ما كان الله

خصّه به من الكرامة. وقال أيضاً: وحدّثني: أين تجعل أمّ هذا الروح الطيّب التي اختارها الله لكلمته، وطهّر جوفَها لروحه، وسوّدها على إمائه؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله. من أزبيل وما نالت بولايتك؟ فإنها إذْ كانت من شيعتك وملّتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها، فانتهشَتْ لحمها وولَغت دمها، وجرّت الثعالب والضباع أوصَالها! فأين تجعلُها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله!

فقال له الملك: إنك لتحدّثنا عن أشياء ليس لنا بها علْم، فائْتني بالرجلين اللذيْن ذكرت أمرهما؛ حتى أنظرَ إليهما، وأعتبرَ بهما؛ فإني أنكر أن يكون هذا في البَشَر.

فقال له جرجيس: إنّما جاءك الإنكار من قبَل الغِرَّة بالله، وأمّا الرّجلان فلن تراهما ولن يرياك؛ إلاّ أن تعمل بعملهما، فتنزل منازلهما.

فقال له الملك: أمّا نحن فقد أعذرْنا إليك، وقد تبيّن لنا كِذبُك، لأنك فخرت بأمور عجزتَ عنها، ولم تأت بتصديقها. ثم خيَّر الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلّون، فيثيبَه.

فقال له جرجيس: إن كان أفلّون هو الذي رفع السماء ـ وعدّد عليه أشياء من قدرة الله ـ فقد أصبْتَ ونصحت [لي]، وإلاّ فاخسَأ أيّها النجس الملعون!

فلما سمعه الملك يسبّه، ويسبّ آلهته؛ غضب من قوله غضباً شديداً، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب، وجعلت عليه أمشاطُ الحديد، فخُدِش بها جسده حتى تقطّع لحمه وجلدُه وعروقه، ينضح خلال ذلك بالخلّ والخردل. فلما رأى ذلك لم يقتلْه؛ أمر بستّة مسامير من حديد فأحميتْ حتى إذا جعلت ناراً، أمر بها فسمّر بها رأسه حتى سال منه دماغه. فلما رأى ذلك لم يقتلْه؛ أمرَ بحوض من نحاس، فأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في جوفه، وأطبق عليه، فلم يزل فيه حتى بَرَد حرُّه.

فلما رأى ذلك لم يقتله؛ دعا به فقال: ألم تجد ألمَ هذا العذاب الذي تعذّب به! فقال له جرجيس: أمَا أخبرتُك أنّ لك ربّاً هو أوْلَى بك من نفسك! قال: بلَى قد أخبرتني، قال: فهو الذي حَمَلَ عنّي عذابكَ، وصبَّرني ليحتجّ عليك. فلما

قال له ذلك أيقن بالشرّ ، وخافه على نفسه ومُلْكه ، وأجمع رأيه على أن يخلّده في السجن ، فقال الملأ من قومه: إنّك إن تركته طليقاً يكلّم الناس؛ أوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن مُرْ له بعذاب في السجن يشغَله عن كلام الناس. فأمر فبُطح في السجن على وجهه ، ثم أوْتد في يديه ورجليه أربعةَ أوتاد من حديد ، في كلّ ركن منها وتد ، ثم أمر بأسطوان من رخام ، فوُضع على ظهره. حمل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلّوه ، ثم أربعة عشر رجلاً فلم يقلّوه ، ثم ثمانية عشر رجلاً فأقلُّوه؛ فظلّ يومَه ذلك مُوتَداً تحت الحجر.

فلما أدركه الليل أرسلَ الله إليه ملَكاً ـ وذلك أوّلَ ما أيّدَ بالملائكة ، وأول ما جاءه الوحي ـ فقلع عنه الحجر ، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه ، وأطعمه وسقاه ، وبشَّره وعزَّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له: الحقْ بعدوّك فجاهده في الله حقَّ جهاده؛ فإنّ الله يقول لك: أبشِرْ واصبر؛ فإنّي أبتليك بعدوّي هذا سبع سنين ، يعذّبك ويقتلك فيهنَّ أربع مِرار ، في كلّ ذلك أردّ إليك روحك؛ فإذا كانت القتْلة الرابعة تقبّلت روحك وأوفيتك أجرك. فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد وقف جرجيس على رؤوسهم يدعوهم إلى الله. فقال له الملك: أجرجيس! قال: نعم ، قال: مَنْ أخرجك من السجن؟ قال: أخرجَني الذي سلطانُه فوق سلطانك. فلما قال له ذلك ملىء غيظاً ، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلّف منها شيئاً ، فلما رآها جرجيس تُصنَّف له ، أوجس في نفسه خيفة وجزعاً ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلَى صوته ، وهم يسمعون. فلما فرغ من عتابة نفسَه مدُّوه بين خَشبَتيْن ، ووضعوا عليه سيفاً على مفرِق رأسه ، فوَشَرُوه حتى سقط بين رجليه ، وصار جزْلتيْن ، ثم عمدوا إلى جزْلتيْه ، فقطعوهما قِطَعاً. وله سبعة أسْد ضارية في جُبّ ، وكانت صنفاً من أصناف عذابه ، ثم رموْا بجسده إليها ، فلما هَوَى نحوها أمر الله الأسْد فخضعت برؤوسها وأعناقها ، وقامت على براثِنها ، لا تألوا أن تقيَه الأذى ، فظلَّ يومه ذلك ميّتاً ، فكانت أول ميتة ذاقها. فلما أدركه اللَّيل جمع الله له جسده الذي قطَّعوه بعضه على بعض ، حتى سوّاه. ثم ردّ فيه روحه وأرسل ملَكاً فأخرجه من قَعْر الجبّ ، وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه. فلما أصبحوا قال له الملك: يا جرجيس ، قال: لبّيك! قال: أعْلَمْ: أن القدرة التي خُلِق آدم بها من تراب هي التي أخرجتْك من قعر الجُبّ ، فالحق

بعدوّك ، ثم جاهده في الله حقّ جهاده ، ومت موت الصابرين.

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحاً ـ زعموا بموت جرجيس ـ فلما نظروا إلى جرجيس مقبلاً ، قالوا: ما أشبه هذا بجرجيس! قالوا: كأنّه هو؟ قال الملك: ما بجرجيس من خفاء ، إنّه لهو! ألا تروْن إلى سكون ريحه ، وقلّة هيبته. قال جرجيس: بلى ، أنا هو حقّاً! بئس القوم أنتم! قتلتم ومثّلتم ، فكان الله ـ وحُقّ له ـ خيراً وأرحم منكم. أحياني وردّ عليّ روحي. هلمّ إلى هذا الربّ العظيم الذي أراكم ما أراكم. فلما قال لهم ذلك؛ أقبل بعضُهم على بعض ، فقالوا: ساحر سَحَر أيديَكم وأعينكم عنه. فجمعوا له مَنْ كان ببلادهم من السَّحَرة ، فلما جاء السحرة ، قال الملك لكبيرهم: اعرض عليّ من كبير سحرك ما تُسرّي به عنّي ، قال له: ادع لي بثوْر من البقر ، فلما أتِيَ به نفثَ في إحدى أذنيه فانشقّت باثنتين ، ثم نفث في الأخرى؛ فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببذْر فحرث وبذر ، ونبت الزرع ، وأينع وحصد ، ثم داس وذرّى ، وطحن وعجن ، وخبز وأكل ذلك في ساعة واحدة كما تروْن! قال له الملك: هل تقدر على أن تمسخه لي دابّة؟ قال الساحر: أي دابّة أمسخه لك؟ قال: كلباً ، قال: ادعُ لي بقَدح من ماء ، فلما أتِيَ بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملك: اعزم عليه أن يشرَبه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره؛ فلما فرغ منه قال له الساحر: ماذا تجد؟ قال: ما أجد إلاّ خيراً ، قد كنت عطشت فلطف الله لي بهذا الشراب ، فقوّاني به عليكم. فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال: اعلم أيّها الملك ، أنّك لو كنت تقاسي رجُلاً مثلك إذاً كنت غلبتَه ، ولكنّك تقاسي جبّار السموات ، وهو الملك الذي لا يُرام!

وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يَصنع من الأعاجيب ، فأتته وهو في أشدّ ما هو فيه من البلاء ، فقالت له: يا جرجيس ! إنّي امرأة مسكينة ، لم يكن لي مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرث عليه فمات ، وجئتك لترحمَني وتدعوَ الله أن يُحْييَ لي ثوري. فذرفت عيناه. ثم دعا الله أن يحيي لها ثورها ، وأعطاها عصا ، فقال: اذهبي إلى ثورك ، فاقرَعيه بهذه العصا ، وقولي له: احْيَ بإذن الله. فقالت: يا جرجيس مات ثوري منذ أيام ، وتفرّقته السباع ، وبيني وبينك أيام ، فقال: لو لم تجدي منه إلا سنّاً واحدة ثم قرعتِها بالعصا لقام بإذن

الله. فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها ، فكان أوّل شيء بدا لها من ثورها أحد رَوْقَيْه ، وشَعر ذَنَبه ، فجمعت أحدَهما إلى الآخر ، ثم قرعتهما بالعصا التي أعطاها ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك.

فلما قال الساحر للملك ما قال؛ قال رجل من أصحاب الملك ـ وكان أعظمَهم بعد الملك : اسمعوا منّي أيّها القوم أحدّثكم، قالوا: نعم، فتكلّم ، قال: إنكم قد وضعتم أمرَ هذا الرجل على السّحر ، وزعمتم: أنه سحرَ أيديَكم عنه وأعينكم. فأراكم أنّكم تعذبونه ، ولم يصل إليه عذابكم! وأراكم أنّكم قد قتلتموه فلم يمتْ ، فهل رأيتم ساحراً قطّ قَدَر أن يدرأ عن نفسه الموت ، أو أحْيَا ميتاً قطّ! ثم قصّ عليهم فعل جرجيس ، وفعلهم به ، وفعلَه بالثور وصاحبته ، واحتجّ عليهم بذلك كلّه ، فقالوا له: إنّ كلامك لَكلام رجل قد أصغَى إليه ، قال: ما زال أمرُه لي معجباً منذ رأيت منه ما رأيت ، قالوا له: فلعلّه استهواك! قال: بل آمنت وأشهِدُ الله أنّي بريء مما تعبدون. فقام إليه الملك وصحابتُه بالخناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا: أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلّم.

فلما سمع الناس بموته؛ أفزعهم ، وكتموا شأنه ، فلما رآهم جرجيس يكتمونه برز للناس ، فكشف لهم أمرَه ، وقصّ عليهم كلامه ، فاتّبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميّت ، فقالوا: صدق ، ونِعْم ما قال! يرحمه الله! فعمَد إليهم الملك فأوثقهم ، ثم لم يزل يلوِّن لهم العذاب؛ ويقتلهم بالمَثُلات. حتى أفناهم.

فلما فرغ منهم؛ أقبل على جرجيس ، فقال له: هلاّ دعوت ربّك ، فأحيا لك أصحابَك؛ هؤلاء الذين قُتِلوا بجريرتك! فقال له جرجيس: ما خلّى بينك وبينهم حتى خارَ لهم. فقال رجل من عظمائهم يقال له: مجليطيس: إنّك زعمت يا جرجيس أنّ إلهك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنّي سائلك أمراً إن فعله إلهك آمنت بك وصدّقتك ، وكفيتُك قومي هؤلاء؛ هذه تحتنا أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدةٌ بيننا عليها أقداح وصحاف ، وكلٌّ صنع من الخشب اليابس ، ثم هو من أشجار شتى؛ فادْعُ ربّك ينشىء هذه الآنية وهذه المنابر ، وهذه المائدة ، كما بدأها أوّلَ مرّة؛ حتى تعود خضراً نعرف كلَّ عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره.

فقال له جرجيس: قد سألتَ أمراً عزيزاً عليّ وعليك؛ وإنّه عَلى الله لهيّن. فدعا ربه، فما برحوا مكانهم حتى اخضرّت تلك المنابر، وتلك الآنية كلّها، فساختْ عروقها، وألبِسَت اللِّحاء، وتشعّبت، ونبت ورقها وزهرها وثمرها، حتى عرفوا كلَّ عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره.

فلما نظروا إلى ذلك؛ انتدبَ له مجليطيس، الذي تمنّى عليه ما تمنّى، فقال: أنا أعذّب لكم هذا الساحر عذاباً يضلّ عنه كيده. فعمَد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة، ثم حشاها نِفطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً، ثم أدخل جرجيس مع الحشْو في جوفها، ثم أوقد تَحْتَ الصورة، فلم يزل يُوقد حتى التهبت الصورة، وذابَ كلّ شيء فيها واختلط، ومات جرجيس في جوفها. فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً، فملأت السماء سحاباً أسودَ مظلماً، فيه رعدٌ لا يفتر، وبرقٌ وصواعقُ متداركات، وأرسل الله إعْصاراً فملأت بلادهم عجاجاً وقَتاماً، حتى اسودّ ما بين السماء والأرض وأظلم، ومكثوا أياماً متحيّرين في تلك الظلمة، لا يفصلون بين الليل والنهار. وأرسل الله ميكائيل فاحتمَلَ الصورة التي فيها جرجيس، حتى إذا أقلّها ضرب بها الأرض ضرباً، فزع من رَوعته أهل الشأم أجمعون، وكلُّهم يسمعه في ساعة واحدة؛ فخرُّوا لوجوههم صَعِقين من شدة الهول، وانكسرت الصورة، فخرج منها جرجيس حيّاً، فلما وقف يكلّمهم انكشفت الظلمة، وأسْفَر ما بين السماء والأرض، ورجعتْ إليهم أنفسهم. فقال له رجل منهم يقال له طرقبلينا: لا ندري يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب، أم ربّك؟ فإنْ كان هو الذي يصنعها، فادعه يُحْيِ لنا موتانا، فإنّ في هذه القبور التي ترى أمواتاً من أمواتنا، منهم مَنْ نعرف ومنهم مَنْ مات قبل زماننا، فادعه يُحيِهِمْ حتى يعودُوا كما كانوا ونكلّمهم، ونعرف مَنْ عرفنا منهم، ومَنْ لا نعرف أخْبِرْنا خبره. فقال له جرجيس: لقد علمتُ ما يصفح الله عنكم هذا الصفح، ويُريكم هذه العجائب إلاّ ليتمّ عليكم حججه، فتستوجبوا بذلك غضبه. ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورُفات ورميم. ثم أقبل على الدعاء فما برحوا مكانهم؛ حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً: تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية؛ فإذا شيخ منهم كبير، فقال له جرجيس: أيها الشيخ، ما اسمك؟ فقال: اسمي يوبيل،

فقال: متى مِتّ؟ قال: في زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمئة عام.

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا: لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلاّ قد عذّبتموه ، إلاّ الجوع والعطش ، فعذّبوه بهما. فعمدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً ، وكان لها ابنٌ أعمى أبكم مقعد ، فحصروه في بيتها فلا يصلُ إليه من عند أحدٍ طعام ولا شراب. فلما بلغه الجوع ، قال للعجوز: هل عندك طعام أو شراب؟ قالت: لا والذي يُحلَف به ، ما عهدنا بالطعام منذ كذا وكذا ، وسأخرج وألتمس لك شيئاً. قال لها جرجيس: هل تعرفين الله؟ قالت له: نعم ، قال: فإياه تعبدين؟ قالت: لا ، قال: فدَعاها إلى الله فصدّقته ، وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي بيتها دعامة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشيء حتى اخضرّت تلك الدّعامة ، فأنبتت كلَّ فاكهة تؤكل أو تعرف ، أو تسمّى حتى كان فيما أنبتت اللّيَاء ، واللوبياء. قال أبو جعفر: اللِّيَاء نبت بالشأم له حبّ يؤكل. وظهر للدِّعامة فرع من فوق البيت أظلّه وما حوله وأقبلت العجوز ، وهو فيما شاء يأكل رَغَدا؛ فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها ، قالت: آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع ، فادعُ هذا الربّ العظيم ليشفيَ ابني ، قال: أدنيه مني ، فأدنته منه ، فبصَق في عينيه فأبصر ، فنفثَ في أذنيه فسمع ، قالت له: أطلق لسانه ورجليه ، رحمك الله! قال: أخّريه؛ فإن له يوماً عظيماً.

وخرج الملك يسير في مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه: إني أرى شجرة بمكانٍ ما كنت أعرفها به ، قالوا له: تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذّبه بالجوع ، فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت الفقيرة وشفى لها ابنَها. فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة لتقطع ، فلما همّوا بقطعها أيبسها الله تعالى كما كانت أوّل مرة ، فتركوها ، وأمر بجرجيس فبُطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد ، وأمر بعجَل فأوقر أسطواناً ما حمل ، وجعل في أسفل العجَل خناجر وشفاراً ، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالعجَل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فتقطّع ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار؛ حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجالاً فذرّوه في البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى

سمعوا صوتاً من السماء يقول: يا بحر ! إنّ الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيّب ، فإنّي أريد أن أعيده كما كان. ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعته حتى عاد الرماد صبْرة كهيئته قبل أن يذروه ، والذين ذرّوه قيام لم يبرحوا. ثم نظروا إلى الرّماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبرّاً ينفض رأسه ، فرجعوا ، ورجَع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياه ، والريح التي جمعته. فقال له الملك: هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك! فلولا أن يقولَ الناس: إنك قهرتني وغلبتني؛ لاتّبعتُك وآمنت بك؛ ولكن اسجد لأفلّون سجدة واحدة ، أو اذْبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرّك.

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يُهلِك الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، وييئس منه ، فخدعه جرجيس ، فقال: نعم؛ إذا شئت فأدخلْني على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، ففرح الملك بقوله ، فقام إليه فقَبّل يديه ورجليه ورأسه ، وقال: إني أعزم عليك ألاّ تظلّ هذا اليوم ، ولا تبيت هذه الليلة إلاّ في بيتي وعلى فراشي ، ومع أهلي حتى تستريح ويذهب عنك وصبُ العذاب ، فيرى الناس كرامتَك عليّ. فأخلى له بيته ، وأخرج منه مَنْ كان فيه. فظلّ فيه جرجيس؛ حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلّي ، ويقرأ الزّبور ـ وكان أحسنَ الناس صوتاً ـ فلمّا سمعتْه امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهي خلْفه تبكي معه ، فدعاها جرجيس إلى الإيمان فآمنت ، وأمرها فكتمت إيمانها. فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجدَ لها ، وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها: هل علمتِ أنّ جرجيس قد فتن بعدك ، وأصغى إلى الدنيا ، وأطمعه الملك في ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها! فخرجت العجوز في أعراضهم ، تحمل ابنَها على عاتقها ، وتوبّخ جرجيس ، والناس مشتغلون عنها.

فلما دخل جرجيس بيتَ الأصنام ، ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقربُ الناس منه مقاماً ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلّم قبل ذلك قطّ ، ثم اقتحم عن عاتق أمّه يمشي على رجليه سويّتين ، وما وطىء الأرض قبل ذلك قطّ بقدميه ، فلما وقف بين يديْ جرجيس

قال: اذهب، فادعُ لي هذه الأصنام، وهي حينئذ على منابرَ من ذهب، واحد وسبعون صنماً. وهم يعبدون الشمس والقمر معها، فقال له الغلام: كيف أقول للأصنام؟ قال: تقول لها: إنّ جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خَلَقك إلاّ ما جئته. فلما قال لها الغلام ذلك، أقبلت تدحرج إلى جرجيس، فلما انتهتْ إليه؛ ركض الأرضَ برجله، فخسف بها وبمنابرها، وخرج إبليس من جوف صنم منها هارباً فرَقاً من الخسف، فلما مرّ بجرجيس، أخذ بناصيته، فخضع له برأسه وعنقه، وكلّمه جرجيس فقال له: أخبرني أيتها الروح النجسة، والخلق الملعون، ما الذي يحملك على أن تهلك نفسَك، وتهلك الناس معك، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم! فقال له إبليس: لو خيّرت بين ما أشرقت عليه الشمس، وأظلم عليه الليل، وبين هلكة بني آدم وضلالتهم أو واحد منهم طَرْفة عين، لاخترت طرفة العين على ذلك كلّه؛ وإنه ليقع لي من الشهوة في ذلك واللّذة مثل جميع ما يتلذّذ به جميع الخلق. ألم تعلم يا جرجيس: أنَّ الله أسجد لأبيك آدمَ جميعَ الملائكة، فسجد له: جبريل وميكائيل، وإسرافيل؛ وجميع الملائكة المقرَّبين، وأهلُ السموات كلّهم، وامتنعت من السجود، فقلت: لا أسجد لهذا الخلْق وأنا خير منه! فلما قال هذا خلاّه جرجيس؛ فما دخل إبليس منذ يومئذ جوف صنم، مخافة الخسف، ولا يدخلُه بعدها - فيما يذكرون - أبداً. وقال الملك: يا جرجيس خدعتني وغررتني، وأهلكت آلهتي، فقال له جرجيس: إنّما فعلت ذلك عَمْداً لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذاً لامتنعتْ منّي، فكيف ثقتك ويلك بآلهة لم تمنع أنفسها مني! وإنّما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملّكني ربِّي. قال: فلما قال هذا جرجيس؛ كلّمتْهم امرأة الملك، وذلك حين كشفت لهم إيمانها، وباينتْهم بدينها، وعدّدت عليهم أفعال جرجيس، والعَبَر التي أراهم. وقالت لهم: ما تنتظرون من هذا الرجل إلاّ دعوة فتُخسف بكم الأرض فتهلكوا، كما هلكت أصنامكم. اللهَ اللهَ أيّها القوم في أنفسكم! فقال لها الملك: ويحاً لك إسكندرة! ما أسرع ما أضلّك هذا الساحر في ليلة واحدة! وأنا أقاسيه منذ سبع سنين؛ فلم يُطق منّي شيئاً. قالت له: أفما رأيت الله كيف يظفره بك، ويسلّطه عليك، فيكون له الفلَجُ والحجّة عليك في كلِّ موطن! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علّق عليها، فعلِّقت بها، وجعلت عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس. فلما ألمت من

وجع العذاب قالت: ادعُ ربك يا جرجيس يخفِّفْ عني ، فإني قد ألمت [من] العذاب فقال: انظري فوقك. فلما نظرت ضحكت. فقال لها: ما الذي يضحكك؟ قالت: أرى ملَكين فوقي ، معهما تاج من حَلي الجنّة ينتظران به روحي أن تخرج ، فإذا خرجت زيّناها بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قَبضَ الله روحها؛ أقبل جرجيس على الدعاء؛ فقال: اللّهمّ أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء ، لتعطيَني به فضائل الشهداء! اللهمّ فهذا آخرُ أيامي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهمّ فإني أسألك ألاّ تقبض روحي ، ولا أزولَ من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبّرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبَل لهم به ، وما تشفى به صدري ، وتقرّ به عيني؛ فإنهم ظلموني وعذبوني. اللهمّ وأسألك ألاّ يدعو بعدي داعٍ في بلاء ولا كرب فيذكرني ، ويسألك باسمي إلاّ فرّجت عنه ورحمته وأجبته ، وشفّعتني فيه.

فلمّا فرَغ من هذا الدّعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا؛ عمَدوا إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدّة الحريق ، ليعطيَه الله تعالى بالقتلة الرابعة ما وعده. فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من وجه الأرض حتى أقلّها ، ثم جعل عاليَها سافلها ، فلبثت زماناً من الدهر يخرج من تحتها دخان منتن ، لا يشمّه أحد إلا سقم سقماً شديداً ، إلاّ أنها أسقام مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ، فكان جميع من آمن بجرجيس ، وقتل معه أربعة وثلاثين ألفاً ، وامرأة الملك. رحمها الله![1] (٢: ٢٤/ ٣٦).

ونرجع الآن إلى:

ذكر بقيّة خبر تُبّع أيام قُباذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إياهم إليها

٨١٦ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق ، قال: كان تُبّع الآخر وهو تُبّان أسعد أبو كَرِب حين أقبل من المشرق ، جعل طريقه على المدينة ، وقد كان حين مرّ بها في بدءته لم يُهِج أهلها ، وخلّف

(١) ضعيف.

بين أظهرهم ابناً له ، فقتل غِيلة ، فقدمها وهو مُجْمع لإخرابها ، واستئصال أهلها وقطع نخلها؛ فجمع له هذا الحيّ من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه ، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلّة ، أحد بني النجّار ، ثم أحد بني عمرو بن مبذول؛ فخرجوا لقتاله. وكان تُبّع حين نزل بهم ، قد قتل رجل منهم - من بني عديّ بن النجار يقال له: أحمر - رجلاً من أصحاب تُبّع ، وجده في عَذْق له يجُدّه ، فضربه بِمنْجله فقتله ، وقال: إنما الثمرُ لمن أبرّه ، ثم ألقاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومان. فزاد ذلك تُبّعاً عليهم حَنَقاً.

فبينا تُبّع على ذلك من حربه وحربهم يقاتلهم ويقاتلونه - قال: فتزعُمُ الأنصار: أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار ، ويَقْرُونه بالليل فيُعجِبه ذلك منهم؛ ويقول: والله إنّ قومَنا هؤلاء لكرام - إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بني قريظة ، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها ، فقالا له: أيها الملك لا تفعل؛ فإنّك إن أبيت إلاّ ما تريد حِيلَ بينك وبينها ، ولم نأمنْ عليك عاجل العقوبة ، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هي مهاجَر نبيّ يخرج من هذا الحيّ من قريش في آخر الزمان ، تكون داره وقراره. فتناهَى عند ذلك من قولهما عمّا كان يريد بالمدينة ، ورأى أنّ لهما علْماً ، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة ، وخرج بهما معه إلى اليمن واتّبعهما على دينهما. وكان اسم الحبْرَين كعباً وأسداً ، وكانا من بني قريظة ، وكانا ابنيْ عم ، وكانا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لي ابن حميد عن سَلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن عمرو ، عن أبان بن أبي عيّاش ، عن أنس بن مالك ، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العُزّى بن غزيّة بن عمرو بن عَبْد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجّار ، في حربهم وحرب تُبّع ، يفتخر بعمرو بن طَلّة ويذكر فضله وامتناعه:

أَصَحـا أم انْتَهَـى ذُكَـرَهْ ... أَمْ قَضَـى مِـنْ لَـذَّةٍ وَطَـرَهْ

أَمْ تَـذَكَّـرْتَ الشَّبَـابَ وَمَـا ... ذكْـرُكَ الشَّبَـابَ أَوْ عُصُـرَهْ!

إنَّهَـا حَـرْبٌ ربَـاعِيَـةٌ ... مثْلُهَـا آتـى الْفَتَـى عِبَـرَهْ

فَسَـلاَ عِمْـرَانَ أَوْ فَسَـلاَ ... أَسْـداً إذْ يَغْـدُو مَـعَ الـزُّهَـرَهْ

فيْلَـقٌ فيهَـا أَبـو كَـرِبٍ ... سـابِغـاً أَبْـدَانُهَـا ذَفِـرَهْ

ثُمَّ قَالُوا مَنْ يَؤُمُّ بِهَا أَبَنِي عَوْفٍ أَمِ النَّجَرَهْ
يَا بَنِي النَّجَّارِ إنّ لَنَا فِيهِمُ قَبْلَ الأَوَانِ تِرَهْ
فَتَلَقَّتْهُمْ عَشَنَّقَةٌ مَدُّهَا كَالْغَبْيَةِ النَّثِرَهْ
سَيِّدٌ سَامَى المُلُوكَ ومَنْ يَغْزُ عَمْراً لاَ يَجِدْ قَدَرَه

وقال رجل من الأنصار ، يذكر امتناعهم من تُبّع :

تُكلِّفُني مِنْ تَكَالِيفَهَا نَخِيلَ الأَسَاوِيفِ والمَنْصَعَهْ
نَخِيلاً حَمتْهَا بَنُو مَالِكٍ خُيُولَ أَبِي كَرِبَ المُفْظَعَهْ

قال : وكانَ تُبّع وقومه أصحابَ أوثان يعبدونها ، فوجّه إلى مكّة ـ وهي طريقه إلى اليمن ـ حتى إذا كان بالدُّفّ من جُمْدان بين عُسْفان وأمَج ، في طريقه بين مكّة والمدينة؛ أتاه نفر من هُذيل ، فقالوا له : أيُّها الملك ! ألاَ ندلّك على بيت مال داثر ، قد أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجَد والياقوت والذهب والفضة؟ قال : بلى ! قالوا : بيت بمكّة يعبده أهله ، ويصلّون عندَه . وإنما يُريد الهُذليُّون بذلك هلاكَه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أراده من الملوك ، وبغَى عنده .

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبْرين ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إلاّ هلاكك وهلاك جُنْدِك؛ ولئن فعلت ما دعوْك إليه لتهلِكنّ وليهلكنّ مَنْ معك جميعاً ، قال : فماذا تأمرانني أن أصنع إذا قدمت عليه؟ قالا : تصنع عنده ما يصنع أهلُه ، تطوف به وتعظّمه وتكرّمه ، وتحلق عنده رأسك وتتذلّل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتما من ذلك؟ قالا : أمَا والله إنه لَبيت أبينا إبراهيم ، وإنّه لَكما أخبرناك؛ ولكنّ أهلَه حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصَبوا حوله ، وبالدّماء التي يُهريقون عنده ، وهم نجس أهل شِرْك . أو كما قالا له .

فعرف نصحَهما وصِدْق حديثهما ، فقرّب النّفر من هُذَيل ، فقطّع أيديَهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكّة ، وأري في المنام أن يكسوَ البيت ، فكساه الخَصَف ثم أرِيَ أن يكسوَه أحسن من ذلك ، فكساه المَعَافر ، ثم أرِيَ أن يكسوَه أحسن من ذلك ، فكساه المُلاء والوصائل؛ فكان تُبّع ـ فيما يزعمون ـ أوّلَ من كساه وأوصى به ولاتَه من جُرْهم ، وأمرهم بتطهيره ، وألاّ يقربوه دماً ولا ميتة ولا مئلاثاً وهي المحائض ، وجعل له باباً ومفتاحاً ، ثم خرج متوجّهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده ، وبالحَبْرين ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومَه إلى الدخول فيما

دخل فيه ، فأبوْا عليهحتى يحاكموه إلى النّار التي كانت باليمن[1] .

٨١٧ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سَلمة عن ابن إسحاق ، عن بعض أصحابه: أنّ الحَبْرين ومَنْ خرج معهما من حِمْير؛ إنّما اتّبعوا النار ليردّوها ، وقالوا: مَنْ ردّها فهو أوْلى بالحقّ ، فدنا منها رجالٌ من حِمْير بأوثانهم ليردُّوها ، فدنت منهم لتأكلَهم ، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الحَبْران بعد ذلك ، وجَعلا يتلُوَان التوراة وتنكُص ، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه؛ فأصفقت عند ذلك حميَر على دينهما ، وكان رئام بيتاً لهم يعظّمونه ، وينحرون عنده ، ويُكلَّمون منه إذْ كانوا على شِرْكهم ، فقال الحَبْران لتبّع: إنما هو شيطان يَفْتِنهُم ويلعب بهم ، فخلّ بيننا وبينه ، قال: فشأنكما به؛ فاستخرجا منه ـ فيما يزعم أهل اليمن ـ كلباً أسود ، فذبحاه وهدما ذلك البيت؛ فبقاياه اليوم باليمن ـ كما ذكر لي ـ وهو رئام به آثار الدّماء التي كانت تُهراق عليه .

فقال تبّع في مسيره ذلك وما كان همّ به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع برجال هذيل الذين قالوا له ما قالوا ، وما صنع بالبيت حين قدم مكّة من كسوته وتطهيره ، وما ذكر له الحبْران من أمر رسول الله ﷺ :

مَا بَالُ نَوْمِكَ مِثْلَ نَوْمِ الأَرْمَدِ ... أرِقاً كَأَنَّكَ لاَ تَزَالُ تُسَهَّدُ

حنَقاً على سِبْطَيْنِ حَلاَّ يَثْرِباً ... أوْلَى لهُمْ بعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ!

ولَقَدْ نَزَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَنْزِلاً ... طابَ الْمَبيتُ به وَطَابَ المَرْقَدُ

وَجَعَلْتُ عَرْصَةَ مَنْزِلٍ بِرُباوةٍ ... بيْنَ الْعَقِيقِ إلى بقيعِ الْغَرْقَدِ

ولقدْ تَرَكْنَا لابَهَا وَقَرَارَهَا ... وسِبَاخَهَا فُرِشَتْ بِقَاعٍ أجْرَدِ

ولقد هَبَطْنَا يَثْرِباً وَصُدُورُنَا ... تغْلِي بَلاَبِلُهَا بقَتْلٍ مُحْصِدِ

ولقدْ حَلَفْتُ يَمِينَ صَبْرٍ مُؤْلِياً ... قَسَماً لَعَمْرُكَ لَيْسَ بالمُتَرَدِّدِ

إنْ جِئْتُ يَثْربَ لا أُغَادِرُ وَسْطَهَا ... عِذْقاً ولا بُسْراً بيَثْرِبَ يَخْلُدُ

حتى أتَاني مِنْ قُرَيْظَةَ عالِمٌ ... حبْرٌ لَعَمْرُكَ في الْيهُودِ مُسَوَّدُ

قال ازْدَجِرْ عَنْ قَرْيَةٍ مَحْفُوظَةٍ ... لنَبيّ مَكّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِ

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوَ غَيْرِ مُثَرِّبٍ ... وتَرَكْتُهُمْ لِعقابِ يَوْمٍ سَرْمَدِ

(١) ضعيف. وانظر البداية والنهاية (٢/ ٩٤).

وتـــركْتُهُـــمْ للهِ أرْجُـــو عفْـــوَهُ يوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
ولقـدْ تَـرَكْـتُ بِهَـا لَـهُ مِـنْ قَـوْمِنـا نفـراً أُولِـي حَسَـبٍ وبـأسٍ يُحْمَـدُ
نَفَـراً يكـونُ النَّصْـرُ فـي أَعْقـابِهِـمْ أرْجُـو بِـذاكَ ثـوابَ رَبِّ مُحَمَّـدِ
مـا كنْـتُ أحْسِـبُ أَنَّ بَيْتـاً طـاهِـراً لله فـــي بَطْحـــاءِ مَكَّـــةَ يُعْبَـــدُ
حتـى أتـانـي مـنْ هُـذَيْـلٍ أعْبُـدٌ بـالـدُّفِّ مـنْ جُمْدان فَـوْقَ الْمسْنـدِ
قـالـوا بمَكَّـةَ بيْـتُ مَـالٍ داثِـرٍ وكنـوزُهُ مـنْ لُـؤْلـؤٍ وزَبَـرْجَـدِ
فـأرَدْتُ أمـراً حـالَ رَبِّـي دُونَـه والله يَـدْفَـعُ عَـنْ خَـرَابِ الْمَسْجِـدِ
فَـرَدَدتُ مـا أَمَّلْـتُ فيـه وفيهِـمُ وتَـرَكْتُهـم مَثَـلاً لأهْـلِ الْمشْهَـدِ
قـد كـانَ ذُو القَـرْنَيْـنِ قَبْلي مُسْلِمـاً ملِكـاً تَـديـنُ لـه الْملُـوكُ وتُحْشَـدُ
ملَـكَ الْمَشـارِقَ والْمَغـاربَ يَبْتَغِـي أَسْبَـابَ علْـم مـنْ حَكيـمٍ مُـرْشِـدِ
فـرأى مغيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُـروبها فـي عَيْـنِ ذي خُلْـبٍ وثـأْطٍ حَـرْمَـدِ
مِـن قَبْلِـهِ بلْقيسُ كـانَـتْ عَمّتِـي ملَكَتْهُـمُ حتـى أتـاهـا الهُـدْهُـدُ[1]

(٢: ١٠٩/ ١١٠).

٨١٨ ـ حدّثنا ابن حميد، قال: حدثنا سَلمة، قال: حدّثني ابن إسحاق، قال: هذا الحيّ من الأنصار يزعمون: أنّه إنما كان حنَق تُبّع على هذا الحيّ من يهود الذين كانوا بين أظهرهم، وأنّه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة، فمنعوه منهم، حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعره:

حنَقـاً علـى سِبْطيْـن حـلاَّ يثـربـاً أوْلَـى لهـم بِعقـابِ يـوم مُفْسِـدِ[2]

(٢: ١١٠/ ١١١).

٨١٩ ـ حدّثنا ابن حُمَيد، قال: حدثنا سَلمة عن ابن إسحاق، قال: وقد كان قدِم على تُبّع قبل ذلك شافع بن كُلَيب الصَّدَفيّ، وكان كاهناً، فأقام عنده، فلما أراد توديعَه قال تُبّع: ما بَقيَ مِنْ علمك؟ قال: بقيَ خبر ناطق، وعلم صادق، قال: فهل تجِدُ لقوم مُلْكاً يوازي ملكي؟ قال: لا إلا لملك غسان نَجْل، قال: فهل تجد ملكاً يزيد عليه؟ قال: نعم، قال: ولمن؟ قال أجده لبارّ مبرور، أيِّد بالقَهور، ووُصف في الزّبور، وفُضّلَتْ أمّته في السُّفور، يفرّج الظلم بالنور،

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

أحمد النبيّ، طوبى لأمته حين يجيءُ ، أحد بني لؤيّ ، ثم أحد بني قصيّ. فبعث تُبّع إلى الزَّبُور فنظر فيها ، فإذا هو يجد صفة النبيّ ﷺ[١] . (٢ : ١١١).

٨٢٠ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عمنّ حدّثه ، عن سَعيد بن جُبير ، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن ممّن يروي الأحاديث ، فحدّث بعضهم بعض الحديث ، وكلّ ذلك قد اجتمع في هذا الحديث: أنّ مَلِكاً من لَخْم ، كان باليمن فيما بين التبابعة من حِمير ، يقال له: ربيعة بن نَصْر ، وقد كان قَبْل ملكه باليمن مَلَك تبّع الأوَل ، وهو زيد بن عمرو ذي الأذعار بن أبرهة ذي المنار بن الرائش بن قيس بن صيفيّ بن سبأ الأصغر بن كهف الظلم بن زيد بن سَهْل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن وائل بن الغوث بن قطَن بن عَريب بن زُهير بن أيْمن بن هَمَيْسع بن العرَنجج حِمْير بن سبأ الأكبر بن يعْرُب بن يَشْجُب بن قَحطان.

وكان اسم سبأ عَبْد شمْس؛ وإنما سُمّيَ سبأ ـ فيما يزعمون ـ لأنه كان أول من سبَى في العرب.

فهذا بيت مملكة حمير الذي فيه كانت التّبابعة ، ثم كان بعد تُبّع الأول زيد بن عمرو ، وشَمِر يُرْعش بن ياسر يُنعم بن عمرو ذي الأذعار ، ابنُ عمّه. وشَمِر يُرْعش الذي غزا الصين وبنى سَمَرْقَنْد وحَيَّرَ الحيرة ، وهو الذي يقول:

أنــاشَمِــرٌ أبــو كَــرِبَ الْيَمــانــي ... جلَبْــتُ الْخَيْــلَ مــن يَمَــنٍ وشــامِ
لآتِــيَ أَعْبُــداً مَــرَدُوا عَلَيْنَــا ... وراءَ الصِّيــنِ فــي عَثَــمٍ ويــامِ
فَنحْكُــم فــي بــلادِهــمُ بحُكْــمٍ ... ســواءٍ لا يُجــاوِزه غُــلَامُ

القصيدة كلُّها[٢]. (٢: ١١١/ ١١٢).

٨٢٠/ أ ـ قال: ثم كان بعد شمِر يُرعش بن ياسر يُنْعم تُبّع الأصغر ، وهو تُبّان أسعد أبو كرب بن مَلِكيْكرب بن زيد بن تُبّع الأول بن عمرو ذي الأذعار ، وهو الذي قدم المدينة ، وساق الحبْرين من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

وكساه ، وقال ما قال من الشِّعر فكلّ هؤلاء ملْكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخميّ؛ فلما هلَك ربيعة بن نصر ، رجع مُلْك اليمن كلّه إلى حسان بن تُبَّان أسعد أبي كرب بن مَلِكيْكَرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار[1] . (٢ : ١١٢).

٨٢١ ـ حدّثنا ابن حُمَيد ، قال: حدّثنا سَلَمة ، قال: حدّثني ابن إسحاق عن بعض أهل العلم: أنّ ربيعة بن نَصْر رأى رؤيا هالته ، وفَظِعَ بها ، فلما رآها بعث في أهل مملكته ، فلم يدع كاهناً ولا ساحراً ولا عائفاً ولا منجّماً إلاّ جَمَعه إليه ، ثم قال لهم: إنّي قد رأيت رؤيا هالتْني ، وفظعت بها ، فأخبروني بتأويلها ، قالوا له: اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها ، قال: إني إن أخبرتكم بها لم أطمئنّ إلى خبركم عن تأويلها ، إنّه لا يعرف تأويلَها إلاّ من يعرفها قبل أن أخبِره بها. فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمعوا لذلك: فإن كان الملك يريد هذا فليبعثْ إلى سَطيح وشِقّ ، فإنّه ليس أحدٌ أعلم منهما ، فهما يخبرانك بما سألت ـ واسم سَطِيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عديّ بن مازن بن غسّان ، وكان يقال لسطيح: الذّئبيّ ، لنسبته إلى ذئب بن عدّي ، وشِقّ بن صعب بن يشكر بن رُهْم بن أفرك بن نذير بن قيس بن عَبْقر بن أنمار. فلما قالوا له ذلك؛ بعث إليهما ، فقدِم عليه قبل شِقّ سَطِيح ، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكُهّان ، فلما قدم عليه سطيح دعاه فقال له: يا سطيح ! إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها ، فأخبرني بها فإنّك إن أصبتَها أصبت تأويلها ، قال ـ أفعل ، رأيتَ جُمْجُمة ـ قال أبو جعفر: وقد وجدته في مواضع أخر ، رأيت حُمَمة ـ خرجت من ظُلُمَة ، فوقعت بأرض تَهْمَة ، فأكلتْ منها كلّ ذات جُمْجُمة ، فقال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئاً يا سَطِيح ، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرّتين من حَنَش ، ليهبِطَنّ أرضَكم الحَبَش ، فليملكُنَّ ما بين أبْينَ إلى جُرَش. قال له الملك: وأبيكَ يا سطيح؛ إنّ هذا لغائظ مُوجِع ، فمتى هو كائن يا سطيح؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين ، أكثر من ستّين أو سبعين ، يمضين من السنين. قال: فهل يدوم ذلك من مُلكهم أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعون ، ويخرجون منها

---

(١) ضعيف.

هاربين. قال الملك: ومَنْ ذا الذي يلي ذلك مِنْ قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم ذي يَزَن ، يخرج عليهم من عَدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن. قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: ومَنْ يقطعه؟ قال: نبيّ زكيّ ، يأتيه الوحي من العليّ. قال: وممّن هذا النبيّ؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر ، قال: وهل للدّهر يا سطيح من آخر؟ قال: نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحقٌّ ما تخبرنا يا سطيح؟ قال: نعم ، والشفق والغسق ، والفلق إذا اتّسق ، إنّ ما أنبأتك به لحقّ.

فلمّا فرغ قدِم عليه شِقّ ، فدعاه ، فقال له: يا شِقّ ! إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظِعْتُ بها ، فأخبرني عنها ، فإنك إن أصبتَها أصبت تأويلها ـ كما قال لسطيح؛ وقد كتمه ما قال سطيح لينظر: أيتفِقان ، أم يختلفان ـ قال: نعم ، رأيتَ جُمجمة ، خرجت من ظلَمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كلُّ ذات نَسَمة. فلما رأى ذلك الملك من قولهما شيئاً واحداً ، قال له: ما أخطأت يا شِقّ منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلِف بما بين الحرّتين من إنسان ، لينزلنّ أرضَكم السودان، فليغلبُنّ على كلّ طَفْلة البنان، وليَملِكُنّ ما بين أبْينَ إلى نجران. فقال له الملك: وأبيك يا شِقّ إن هذا لنا لغائظ مُوجع ، فمتى هو كائن؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: بل بعدك بزمان ، ثم يستنقذُكم منه عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدّ الهوان. قال: ومَنْ هذا العظيم الشان؟ قال: غلام ليس بدنيّ ولا مُدَنّ، يخرج من بيت ذي يَزن ، قال: فهل يدوم سلطانه أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مرسَل ، يأتي بالحقّ والعدل بين أهل الدين والفضل؛ يكون المُلْك في قومه إلى يوم الفصْل ، قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم يجْزي فيه الولاة ، يُدْعى من السماء بدعوات ، يَسمع منها الأحياء والأموات ، ويُجمع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتَّقى الفوز والخيرات. قال: أحقّ ما تقول يا شِقّ؟! قال: إي وربّ السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخَفْض: إنّ ما نبّأتك لحقّ ما فيه أمْض. فلما فرغ من مسألتهما ، وقع في نفسه: أنّ الذي قالا له كائن من أمر الحبشة ، فجهّزَ بنِيه وأهلَ بيته إلى العراق بما يُصْلِحهم ، وكتب لهم إلى مَلِك من ملوك فارس يقال له: سابور بن خرّزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقيّة ربيعة بن نصر كان

النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النّعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. ذلك الملك في نسب أهل اليمن وعلمهم[1] .

٨٢٢ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: ولما قال سَطِيح ، وشِقّ لربيعة بن نصر ذلك ، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع ، ذهب ذكر ذلك في العرب ، وتحدّثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم ، فلما نزلت الحبشة اليمن ، ووقع الأمر الذي كانوا يتحدّثون به من أمر الكاهنيْن ، قال الأعشى ، أعشى بني قيس بن ثعلبة البكريّ ، في بعض ما يقول ، وهو يذكر ما وقع من أمر ذيْنك الكاهنين: سطيح ، وشِقّ:

مـا نَظَـرَتْ ذاتُ أشْفـارٍ كنظْـرتِهـا حقّـاً كمـا نَطَـقَ الـذِّئبـيُّ إذْ سَجَعـا

وكان سَطِيح إنما يدعوه العرب الذئبيّ ، لأنّه من ولد ذئب بن عديّ. فلما هلك ربيعة بن نصر ، واجتمع مُلك اليمن إلى حسّان بن تُبّان أسعد أبي كرب بن مَلِكْيكَرِب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار ، كان ممّا هاج أمر الحبشة وتحوّل الملك عن حِمْير وانقطاع مدّة سلطانهم ـ ولكلّ أمر سبب ـ: أنّ حسان بن تُبّان أسعد أبي كرب ، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرضَ العرب وأرض العجم ، كما كانت التبابعة قبْله تفعل؛ حتى إذا كان ببعض أرض العراق ، كرِهت حِمْير وقبائل اليمن السير معه ، وأرادوا الرّجعة إلى بلادهم وأهليهم؛ فكلّموا أخاً له كان معه في جيشه ، يقال له: عمرو ، فقالوا له: اقتل أخاك حسان؛ نملّكك علينا مكانه ، وترجع بنا إلى بلادنا. فتابعهم على ذلك ، فأجمع أخوه ومن معه من حِمْير وقبائل اليمن على قَتْل حَسّان ، إلاّ ما كان من ذي رُعَين الحميَريّ ، فإنّه نهاه عن ذلك ، وقال له: إنّكم أهل بيت مملكتنا ، لا تقتل أخاك ولا تشتِّت أمر أهل بيتك ـ أو كما قال له ـ فلما لم يقبل منه قوله ـ وكان ذو رُعَيْن شريفاً من حميَر ـ عَمَد إلى صحيفة فكتب فيها:

ألاَ مَـــن يَشْتَـــري سَهــراً بِنَـــوْمٍ سعيـــدٌ مَـــن يَبيــتُ قَـــريــرَ عَيْـــنِ

فـــإمَّـــا حِمْيَـــرٌ غَـــدَرتْ وخَـــانَـــتْ فمعْـــذِرَةُ الإلـــهِ لـــذِي رُعَيْـــنِ

---

(١) الخبر في سيرة ابن هشام (١/ ١٩) والبداية والنهاية (٢/ ٨٩).

ثم ختم عليها. ثم أتى بها عمراً ، فقال له: ضع لي عندك هذا الكتاب؛ فإنّ لي فيه بغيةً وحاجة ، ففعل. فلما بلغ حسّان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحمْير وقبائل اليمن من قتله؛ قال لعمرو:

يـا عَمْـرُو لاَ تُعْجِـلْ عَلَـيَّ مَنِيَّتِـي فـالمُلْـكُ تـأخُـذُه بغَيْـرِ حُشـودِ

فأبى إلا قتلَه ، فقَتله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن. فقال قائل من حمير:

إنّ للهِ مَـــن رأى مِثْـــل حَسَّـــا نَ قَتيـلاً فـي سَـالِـفِ الأحقَـابِ

قَتَلَتْـه الأقْيَـالُ مِـن خَشيـةِ الْجيْـ ـش وقـالُـوا لـه لَبـابِ لَبَـابِ

مَيْتُكـم خَيْـرُنـا وحَيُّكُـمُ رَبٌّ عَلَيْنـا وكُلُّكُـمْ أرْبـابـي

فلمّا نزل عمرو بن تُبّان أسعد أبي كرب اليمن مُنع منه النّوم ، وسلّط عليه السهر ـ فيما يزعمون ـ فجعل لا ينام ، فلما جَهده ذلك؛ جعل يسأل الأطبّاء والحُزاة من الكهّان والعرّافين عمّا به ، ويقول: منع منيّ النوم فلا أقدر عليه ، وقد جَهدني السهر ، فقال له قائل منهم: والله ما قتلَ رجل أخاه قطّ أو ذا رحِم بغياً على مثل ما قتلت عليه أخاك إلاّ ذهب نومُه ، وسلّط عليه السّهر ، فلما قيل له ذلك؛ جعل يقتُل كلَّ مَنْ كان أمرَه بقتل أخيه حسّان من أشراف حمير وقبائل اليمن؛ حتى خلص إلى ذي رُعين ، فلما أراد قتله؛ قال: إنّ لي عندك براءة ممّا تريد أن تصنع بي ، قال له: وما براءتك عندي؟ قال: أخرِج الكتاب الذي كنت استودعتكه ووضعته عندك ، فأخرج له الكتاب ، فإذا فيه ذانك البيتان من الشعر:

أَلاَ مَـــنْ يَشْتَـــرِي سَهَـــراً بنـــومٍ سعيـدٌ مَـنْ يبيـتُ قـريـرَ عَيْـنِ

فـإمَّـا حِمْيَـرٌ غـدرتْ وخـانـت فمعـــذرة الإلـــه لـــذي رُعَيْـــنِ

فلمّا قرأهما عمرو قال له ذو رُعين: قد كنت نهيتُك عن قتل أخيك فعصيتَني ، فلما أبيت عليّ وضعتُ هذا الكتاب عندك حجّة لي عليك ، وعذراً لي عندك ، وتخوّفت أن يصيبك إن أنت قتلتَه الذي أصابك ، فإن أردت بي ما أراك تصنع بمن كان أمرك بقتل أخيك ، كان هذا الكتاب نجاةً لي عندك ، فتركه عمرو بن تُبّان أسعد فلم يقتله من بين أشراف حمير ، ورأى أن قد نصحه لو قبل منه نصيحته.

وقال عمرو بن تُبّان أسعد حين قتل من قتل من حمْيَر وأهل اليمن ممّن كان أمره بقتل أخيه حسان ، فقال:

شَرَيْنا النَّوْمَ إذْ عُصِبَتْ عَلاَبِ بتَسهِيدٍ وعَقْدٍ غَيْرِ مَيْنِ
تَنادَوْا عِنْدَ غَدْرِهِمُ: لَبابِ وقدْ بَرَزَتْ مَعاذِرُ ذِي رُعَيْنِ
قَتَلْنا مَنْ تولَّى المكْرَ منهمْ بَواءً بابْنِ رُهْمٍ غيْرَ دَيْنِ
قَتَلْناهُمْ بحَسّانَ بنِ رُهْمٍ وحسّان قَتيلُ الثّائرَيْنِ
قَتَلْناهُم فلا بُقْيا عليهمْ وقرَّتْ عِنْدَ ذاكُمْ كلُّ عَيْنِ
عُيونُ نَوادبٍ يبْكِينَ شَجْواً حرائرَ من نسَاءِ الفيْلَقَيْنِ
أوانِسَ بالعِشَاءِ وهُنَّ حُور إذَا طلَعَتْ فُروعُ الشِّعْرَيَيْنِ
فنُعْرَفُ بالوَفاءِ إذا انْتَمَيْنا ومَنْ يَغْدرْ نُبايِنْهُ ببيْنِ
فَضلْنا الناسَ كلَّهُمُ جميعاً كفَضْلِ الإبْرِزيّ على اللُّجَيْنِ
مَلَكْنَا النَّاسَ كلَّهُم جَمِيعاً لنا الأسْبَابُ بعدَ التُّبَّعيْنِ
مَلَكْنا بعدَ داوُدٍ زماناً وعَبَّدْنا ملُوكَ المشْرقَيْنِ
زَبَرْنا في ظَفارِ زبورَ مَجْدٍ ليقْرَأَه قُرومُ الْقريتَيْنِ
فنحن الطَّالبون لكلِّ وَتْرٍ إذا قال المقَاوِلُ أيْنَ أيْنِ!
سَأشْفي مِنْ وُلاةِ المكرِ نَفْسي وكَانَ المكرُ حَيْنَهُمُ وحَيْني
أطَعْتُهُمُ فلم أرْشُدْ وَكَانوا غواةً أهلَكوا حَسَبي وزَيْني

قال: ثم لم يلبث عمرو بن تُبّان أسعد أن هلك.

قال هشام بن محمد: عمرو بن تبّع هذا يدعى موثَبان؛ لأنه وثب على أخيه حَسّان بفُرْضة نُعْم فقتله ـ قال: وفُرضة نُعْم رَحَبة طوق بن مالك، وكانت نُعْم سريّة تبّع حسان بن أسعد[1]. (٢: ١١٤/ ١١٥/ ١١٦/ ١١٧).

٨٢٣ - رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فمرِج أمرُ حميَر عند ذلك، وتفرّقوا، فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة منهم، يقال له: لخنيعة ينوف ذوشناتر، فملَكهم فقتل خيارهم، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم، فقال قائل من حمْير، يذكر ما ضيّعت حمْير من أمرها، وفرّقت جماعتها، ونفت من خيارها:

تقتِّلُ أبْناها وتَنفِي سَرَاتَها وتَبني بأيديهمْ لَهَا الذلَّ حمْيَرُ

---

(١) ضعيف.

تُـدمِّـرُ دُنْيـاهـا بطَيْـش حُلُـومِهَـا   ومَـا ضَيَّعَـتْ مِـنْ دِينَهـا فَهُـوَ أَكْثَـرُ

كـذَاكَ القُـرونُ قَبْـلَ ذَاكَ بظلْمِهـا   وإسـرَافِهـا تـأتِـي الشُّـرورَ فتَخْسَـرُ

وكان لخنيْعة ينوف ذو شناتر يصنع ذلك بهم ـ وكان امرأً فاسقاً يزعمون: أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، ثم كان ـ مع الذي بلغ منهم من القتل والبغْي ـ إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مَشْرَبة له قد صنعها لذلك ، لئلاّ يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مَشْرَبته تلك إلى حَرَسه ومَن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكاً ، فجعله في فيه ـ أي ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلّي سبيله ، فيخرج على حَرَسه وعلى الناس وقد فضحه؛ حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زُرْعة ذو نواس بن تُبّان أسعد أبي كرب بن مَلِكيكَرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار أخو حسّان ـ وزُرْعة كان صبيّاً صغيراً حين أصيب أخوه ، فشبّ غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعَقْل ـ فبعث إليه لخنيْعة ينوف ذوشُناتر؛ ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبْله ، فلما أتاه رسوله عرف الذي يريد به ، فأخذ سِكّيناً حديداً لطيفاً ، فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلمّا خلا به في مشربته تلك أغلقَها عليه وعليه ، ثم وثب عليه وواثبه ذو نواس بالسكّين فطعنه به حتى قتله ، ثم احتزّ رأسَه ، فجعله في كُوّة مشربته تلك التي يطلع منها إلى حرسه وجنده ، ثم أخذ سِواكه ذلك ، فجعله في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له: ذو نواس ، أرطبٌ أم يَباس؟ فقال: سلْ تحماس استرطبان ذو نواس ، استرطبان ؛ لا باس. فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس لخنيْعة ينوف ذي شناتر في الكُوّة مقطوع في فيه سواكه ، قد وضعه ذو نواس فيهـا. فخرجت حمير والأحراس في أثر ذي نواس حتى أدركوه ، فقالوا له: ما ينبغي لنا أن يملكنا إلاّ أنت؛ إذ أرحتَنا من هذا الخبيث. فملّكوه واستجمعت عليه حمْير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير. وتهوّد وتهوّدت معه حِمْير ، وتسمّى «يوسف» ، فأقام في ملكه زماناً. وبنجْران بقايا من أهل دين عيسى على الإنجيل؛ أهل فضل واستقامة ، لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثّـامر؛ وكان موقع أصل ذلـك الدين بنَجْران ، وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلّها أهل أوثان يعبدونها. ثم إنّ

رجلاً من بقايا أهل ذلك الدّين وقع بين أظهرهم يقال لـه: فيميون، فحملهم عليه فدانوا به.

قال هشام: زرعة ذو نواس؛ فلما تهوّد سمي يوسف، وهو الذي خدّ الخدود بنجران، وقتل النصارى[1]. (٢: ١١٧/ ١١٨/ ١١٩).

٨٢٤ ـ حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق عن المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس، عن وهب بن منبّه اليمانيّ: أنه حدّثهم أن موقع ذلك الدّين بنجْران كان أنّ رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له: فَيْمِيُون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا، مجاب الدّعوة، وكان سائحاً ينزل القرى، لا يُعرف بقرية إلاّ خرج منها إلى قرية لا يُعرَف فيها وكان لا يأكل إلاّ من كَسْب يده، وكان بنّاءً يعمل الطّين، وكان يعظّم الأحد؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً، وخرج إلى فلاة من الأرض فصلّى بها حتى يُمسي، وكان في قرية من قرى الشّأم يعمل عمله ذلك مستخفياً؛ إذ فطِن لشأنه رجل من أهلها، يقال له: صالح، فأحبّه صالح حبّاً لم يحبّه شيئاً كان قبله، فكان يتّبعه حيث ذهب، ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرّة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع، وقد اتّبعه صالح، وفيميون لا يدري، فجلس صالح منه منظر العين، مستخفياً منه لا يحبّ أن يعلم مكانه، وقام فيميون يصلّي، فبينا هو يصلّي إذ أقبل نحوه التنّين ـ الحية ذات الرؤوس السبعة ـ فلما رآها فيميُون دعا عليها فماتت، ورآها صالح، ولم يدرِ ما أصابها، فخافها عليه فعيل عَوْلُه، فصرخ: يا فيميون، التنين قد أقبل نحوك! فلم يلتفت إليه، وأقبل عَلى صلاته حتى فرغ وأمسى، وانصرف وعرف أنه قد عرِف، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه، فكلّمه، فقال: يا فيميون، يعلم الله ما أحببت شيئاً حبّك قطّ، وقد أردت صُحبَتك والكينونة معك حيثما كنت. قال: ما شئت، أمري كما ترى؛ فإن ظننت أنك تقوى عليه؛ فنعم. فلزمه صالح، وقد كاد أهل القَرية أن يفطَنوا لشأنه، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرّ؛ دعا له فشُفِي، وإذا دُعِي إلى أحد به الضرّ؛ لم يأته. وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير، فسأل عن شأن فيميون، فقيل له: إنّه لا يأتي أحداً إذا دعاه، ولكنّه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر، فعمد

---

(١) ضعيف.

الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال له: يا فيميون ! إنّي قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حُجرته ، ثم قال: ما تريد أن تعمل في بيتك؟ قال: كذا وكذا. ثم انتشط الرجل الثوبَ عن الصبيّ ، ثم قال: يا فيميون ! عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ، فقال فيميون حين رأى الصبيّ: اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوّك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفِه وعافه ، وامنعه منه ، فقام الصبيّ ليس به بأس.

وعرف فيميون: أنه قد عُرِف ، فخرج من القرية ، واتّبعه صالح ، فبينما هو يمشي في بعض الشأم مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال: أفيميون! قال: نعم ، قال: ما زلت أنتظرك وأقول: متى هوجاء؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت: أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم عليّ ، فإني ميّت الآن. قال: فمات ، وقام عليه حتى واراه ثم انصرف ومعه صالح ، حتى وطئا بعضَ أرض العرب ، فعدِي عليهما فاختطفتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران - وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لهم عيد كلّ سنة؛ إذا كان ذلك العيدُ علّقوا عليها كلَّ ثوب حسن وجدوه ، وحليّ النساء. ثم خرجوا ، فعكفوا عليها يوماً - فابتاع رجل من أشرافهم فيميون ، وابتاع رجل آخر صالحاً ، فكان فيميون إذا قام من الليل - في بيت له أسكنه إياه سيّده الذي ابتاعه - يصلّي ، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح ، فرأى ذلك سيّده ، فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميون: إنّما أنتم في باطل؛ وإنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع؛ لو دعوت عليها الذي أعبد أهلَكها ، وهو الله وحدَه لا شريك له. قال: فقال له سيّده: فافعل؛ فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما كنّا عليه ، قال: فقام فيميون ، فتطهّر ثم صلّى ركعتين ، ثم دعا الله عليها ، فأرسل الله ريحاً فجعفتْها من أصلها فألقتها ، فاتّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم. ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض. فمن هنالك كانت النصرانيّة بنجران في أرضِ العرب.

فهذا حديث وهب بن منبّه في خبر أهل نجران[1] . (٢: ١١٩/ ١٢٠/ ١٢١) .

٨٢٥ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سَلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد ـ مولى لبني هاشم ـ عن محمد بن كعب القرَظيّ . قال : وحدّثني محمد بن إسحاق أيضاً عن بعض أهل نَجْران : أنّ أهلَ نجران كانوا أهلَ شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قُراها قريباً من نجران ـ ونجْران القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلّم غلمانَ أهل نجران السّحر ، فلما أن نزلها فيميون ـ قال : ولم يسمّوه باسمه الذي سمّاه به وهبُ بن منبِّه ، قالوا : رجل نزلها ـ ابتنى خيمة بين نَجْران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نَجْران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلّمهم السحر ، فبعث الثامر ابنَه عبد الله بن الثّامر مع غلمان أهل نَجْران ، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ، ويسمع منه حتى أسلم ، فوحّد الله وعَبَده وجعل يسأله عن الاسم الأعظم ـ وكان يعلمه ـ فكتمه إيّاه ، وقال : يا بن أخي ، إنك لن تحتمله ؛ أخشى ضعفك عنه . فلما أبى عليه ـ والثامر أبو عبد الله لا يظنّ إلاّ أنّ ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ـ فلما رأى عبد الله أنّ صاحبه قد ضنّ به عنه ، وتخوّف ضعفه فيه عَمَد إلى قِدَاح فجمعها ، ثم لم يُبْقِ لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قِدْح ؛ لكل اسم قِدْح ، حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقْذفُها فيها قِدْحاً قِدْحاً ؛ حتى إذا مرّ بالإسم الأعظم قذف فيها بِقدْحه ، فوثب القِدْح حتى خرج منها ، لم يضرّه شيء ، فقام إليه فأخذه ، ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه قد علم الإسم الذي كتمه ، فقال له : ما هو؟ قال : كذا وكذا ، قال : وكيف علمتَه؟ فأخبره كيف صنع ، قال : فقال : يا بن أخي ! قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظنّ أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثّامر إذا أتى نَجْران لم يلق أحداً به ضرّ إلاّ قال له : يا عبد الله ، أتوحّد الله وتدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول : نعم ، فيوحّد الله ويسلم ، ويدعو له ، فيشفى ، حتى لم يبق أحدٌ بنجْران به ضُرّ إلاّ أتاه فاتّبعه على أمره ، ودعا له ، فعُوفي ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجْران ، فدعاه فقال له : أفسدت عليّ أهل قريتي ، وخالفتَ ديني ودين آبائي ، لأمثّلنّ بك! قال : لا تقدر

---

(١) ضعيف . وإسناد ابن أبي لبيد مجهول العين .

على ذلك ، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيُطرح عن رأسه فيقع على الأرض ، ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجْران بُحور ، لا يقَع فيها شيء إلاّ هلَك ، فيُلقَى فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبد الله بن الثامر : إنّك والله لا تقدر على قتلي حتى توحِّدَ الله فتؤمن بما آمنت به؛ فإنك إن فعلت ذلك سُلّطت عليّ فقتلتني ، فوحّد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبد الله ابن الثامر ، ثم ضربه بعصاً في يده فشجّه شجّة غير كبيرة ، فقتله ، فهلك الملك مكانه ، واستجمع أهلُ نجْران على دين عبد الله بن الثَّامر ، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثمّ أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النّصرانية بنجران .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن ذلك . والله أعلم .

قال : فسار إليهم ذو نُواس بجنوده من حِمْير وقبائل اليمن ، فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيّرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا القتل ، فخدّ لهم الأخدود ، فحرّق بالنار ، وقتّل بالسيف؛ ومثّل بهم كلّ مُثْلة ، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يقال له : دَوْس ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلك الرَّملَ فأعجزهم .

قال : وقد سمعت بعضَ أهل اليمن يقول : إنّ الذي أفلت منهم رجل من أهل نَجْران يقال له : جبّار بن فيض .

قال : وأثبت الحديثين عندي الذي حدّثني : أنه دوْس ذو ثعلبان .

ثم رجع ذو نُواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .

ففي ذي نواس وجنوده تلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ إلى قوله : ﴿ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ .

يقال : كان فيمن قَتل ذو نُواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم . ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِل قبل ذلـك ، قَتلـه ملك كان قَبْلـه ، هو كان أصل ذلك

الـديـن؛ وإنمـا قَتـل ذو نـواس مَـنْ كـان بعـده مـن أهـل دينـه[١]. (٢: ١٢٠/ ١٢١/ ١٢٢/ ١٢٣).

---

(١) لقد ذكر الطبري خبر فيميون هداً مستغرقاً الصفحات (١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣) عن ابن إسحاق عن بعض أهل نجران وإسناده ضعيف وفيه مخالفة لما ثبت في الصحيح من خبر أصحاب الأخدود كما عند مسلم وغيره ففيه: أن الملك لم يسلم وإنما أسلم قومه وما في الصحيح أصح وأحق أن يحتج به والله أعلم ولقد ذكر ابن كثير القصة بطولها من رواية أحمد وأشار إلى أثر ابن إسحاق المذكور أنفاً وأحببنا أن نذكر كلام الحافظ ابن الكثير رحمه الله وذكره للحديث ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (٢/ ٣٨).
قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج ١ ـ ١٠] قد تكلمنا على ذلك مستقصى في تفسير هذه السورة ولله الحمد. وقد زعم محمد بن إسحاق أنهم كانوا بعد مبعث المسيح ، وخالفه غيره فزعموا أنهم كانوا قبله. وقد ذكر غير واحد: أن هذا الصنيع مكرّر في العالم مراراً في حق المؤمنين من الجبارين الكافرين ، ولكن هؤلاء المذكورون في القرآن قد ورد فيهم حديث مرفوع ، وأثر أورده ابن إسحاق وهما متعارضان وها نحن نوردهما لتقف عليهما. قال الإمام أحمد: حدثنا حَمَّاد بن سَلَمَةَ عن ثَابِتٍ ، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن صُهَيب: أن رسول الله ﷺ قال: كان مَلِكٌ فيمَنْ كان قبلَكم وكان له ساحرٌ فلما كَبر الساحرُ قال للمِلك إنّي قد كَبُرَتْ سِنِّي وحَضَرَ أجَلي فادفع إليّ غلاماً فلأعَلِّمُه السحرَ فدفع إليه غلاماً فكان يعلِّمهُ السِّحرَ ، وكان بين الملك وبين السَّاحر راهبٌ ، فأتى الغلامُ على الراهِب فسمعَ من كلامِه فأعجَبه نحوهُ وكلامُه ، وكان إذا أتى الساحرَ ضرَبه وقال: ما حَبَسَكَ؟ وإذا أتى أهله ضربوه ، وقالوا: مَا حَبَسكَ؟ فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحرُ أن يضربَك؛ فقل: حَبَسَني أهلي ، وإذا أراد أهلُك أن يضربوكَ؛ فقل: حبسني الساحر ، قال فبينا هو ذات يوم إذ أتى على دابة فَظِيعة عظيمةٍ قد حبستِ النَّاس فلا يستطيعون أن يجوزُوا ، فقال اليوم أعلم أمر الساحر أحبُّ إلى الله أم أمر الرَّاهب ، قال فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليكَ وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابةَ حتى يجوز الناس ، ورماها فقتلها. ومضى فأخبر الراهب بذلك فقال: أي بني! أنت أفضل مني ، وأنك ستبتلي ، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ ، فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ، ويشفيهم الله على يديه ، وكان جليسٌ للملك ، فعَمِيَ فسمع به ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما هاهنا أجمع ، فقال: ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عزّ وجلّ ، فإن آمنت به؛ دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك: يا فلان من ردّ عليك بصرك؟ فقال: ربي ، قال: ولك ربّ=

٨٢٥/ أ ـ وأما هشام بن محمد فإنه قال: لم يزل مُلْك اليمن متصلاً لا يطمع فيه طامع، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم في زمن أنوشِرْوان. قال: وكان سببُ ظهورهم أن ذا نُواس الحمْيريّ ملك اليمن في ذلك الزمان، وكان يهودياً، فقدم عليه يهوديّ، يقال له: دَوْس من أهل نَجْران، فأخبره: أنّ أهل نجران قتلوا ابنيْن له ظلماً، واستنصره عليهم ـ وأهل نَجْران نصارى ـ فحمِيَ ذو نُواس لليهوديّة،

= غيري؟! قال: نعم ربي وربّك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام، فأتى به، فقال: أي بني! بلغ من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص، وهذه الأدواء قال: ما أشفي أنا أحداً، إنما يشفي الله عز وجل. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أولكَ ربّ غيري؟ قال: ربي وربّك الله، قال فأخذه أيضاً بالعذاب، ولم يزل به حتى دلّ على الراهب فأتى الراهب فوضع فقال: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شِقَاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلاّ فدَهْدِهُوهُ. فذهبوا به فلمّا علوا الجبل. قال: اللهمّ اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فبعث به مع نفر في قَرْقَرَةٍ، فقال: إذا لَجَجْتُمْ البحر فإن رجع عن دينه وإلاّ فأغرقوه في البحر، فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. ثم قال للملك أنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلاّ فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي. ثم قل: بسم الله ربّ الغلام/ فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد القوس ثم رماه وقال: بسم الله ربّ الغلام فوقع السهم في صِدْغِهِ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات. فقال الناس: آمنا بربّ الغلام آمنا بربِّ الغلام. فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر، فقد والله نزل بك! قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فحفر فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران، وقال من رجع عن دينه فدعوه، وإلاّ فأقحموه فيها، وقال: فكانوا يتعادون فيها ويتواقعون، فجاءه امرأة بابن لها ترضعه، فكأنّها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق، كذا رواه الإمام أحمد ورواه مسلم والنسائي من حديث حماد بن سلمة، زاد النسائي وحماد بن زيد كلاهما عن ثابت به، ورواه الترمذي من طريق عبد الرزّاق عن مَعْمَرٍ، عن ثَابت، بإسناده نحوه.

والحديث في (صحيح مسلم/ كتاب الزهد/ ٧٣/ ٣٠٠٥) والترمذي (كتاب التفسير/ ٣٣٤٠) وأحمد (ح/ ٢٣٩٨٦) والله أعلم.

فغزا أهلَ نجران ، فأكثر فيهم القتل ، فخرج رجل من أهل نَجْران ، حتى قدِم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضه ، فقال له: الرّجال عندي كثير ، وليست عندي سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر في البَعْثة إليّ بسفن أحمل فيها الرجال. فكتب إلى قيصر في ذلك ، وبعث إليه بالإنجيل المحرّق ، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة[١]. (٢ : ١٢٣/ ١٢٤).

٨٢٥/ ب ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق: حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلَمة، قال: حدّثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أنه حدّث أنّ رجلاً من أهل نَجْران في زمن عمر بن الخطاب حفر خِربة من خِرب نَجْران لبعض حاجاته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفن منها قاعداً واضعاً يده على ضَرْبة في رأسه ممسكاً عليها بيده؛ فإذا أُخِّرت يده عنها انثعبت دماً ، وإذا أرسلت يده ردّها عليها ، فأمسك دمها ، وفي يده خاتم مكتوب فيه: «ربّي الله». فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره ، فكتب إليهم عمر: أنْ أقرُّوه على حاله ، وردُّوا عليه الدّفْن الذي كان عليه. ففعلوا[٢]. (٢ : ١٢٤).

٨٢٦ ـ وخرج دَوْس ذو ثَعْلبان ، حين أعجز القومَ على وجهه ذلك؛ حتى قدم على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذي نُواس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر: بعُدتْ بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود؛ ولكنِّي سأكتب لك إلى ملك الحبشة؛ فإنه على هذا الدّين ، وهو أقرب إلى بلادك منّا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك ممّن ظلمك ، واستحلّ منك ومن أهل دينك ما استحلّ. فكتب معه قيصر إلى مَلِك الحبشة يذكر له حقّه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره ، وطلب ثأرِه ممّن بغى عليه وعلى أهل دينه. فلما قدم دَوْس ذو ثَعْلبان بكتاب قيصر على النّجاشيّ صاحب الحبشة؛ بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمّر عليهم رجلاً منهم من أهل الحبشة ، يقال له: أرياط؛ وعهد إليه: إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرِب ثلث بلادهم ، واسْبِ ثُلث نسائهم وأبنائهم. فخرج أرياط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرَهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دَوْس ذو ثعْلبان ،

---

(١) ضعيف.

(٢) مرسل ضعيف.

حتى نزلوا بساحل اليمن ، وسمع بهم ذُو نُواس فجمع إليه حِمْير ومَنْ أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا إليه على اختلاف وتفرُّق ، لانقطاع المدّة وحلول البلاء والنِّقْمة ، فلم يكن له حرب غير أنَّه ناوش ذو نُواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ، ودخلها أرياط بجموعه ، فلما رأى ذو نُواس ما رأى ممّا نزل به وبقومه وجّه فرسه إلى البحر ، ثم ضربه فدخل فيه فخاض به ضَحْضَاح البحر ، حتى أفضى به إلى غَمْرة ، فأقحمه فيه ، فكان آخرَ العهد به . ووطىء أرياط اليمن بالحبشة ، فقتل ثلثَ رجالها ، وأخرب ثلثَ بلادها ، وبعث إلى النجاشيّ بثلث سباياها ثم أقام بها ، قد ضبطها وأذلّها ، فقال قائل من أهل اليمن ، وهو يذكر ما ساق إليهم دَوْس ذو ثعلبان من أمر الحبشة؛ فقال: «لا كدَوْس ولا كأعلاقِ رَحْلِهْ» يعني: ما ساق إليهم من الحبشة ، فهي مَثَل باليمن إلى اليوم[1] . (٢ : ١٢٤/ ١٢٥) .

٨٢٧/ أ ـ وقال ذو جَدن الحميريّ وهو يذكر حِمْير ، وما دخل عليها من الذُّلّ بعد العزّ الذي كانوا فيه ، وما هُدِم من حصون اليمن ، وكان أرياط قد أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سِلْحين ، وبيْنون ، وغُمْدان حصوناً لم يكن في الناس مثلها ، فقال :

هَـوْنَـكِ لَيْـسَ يَـرُدُّ الـدَّمْـعُ مـا فـاتـا ... لا تَهْلِكي أسَفاً في ذِكْـرِ مَـنْ مَـاتـا
أَبْعَـــدَ بَيْنُـــونَ لا عَيْـــنٌ وَلاَ أَثَــرٌ ... وبَعْـدَ سِلْحيـنَ يَبْني النَّـاسُ أَبْيـاتـاً!

وقال ذو جَدَنٍ الحميريّ في ذلك :

دَعِينـــي لا أبـــالـــكِ لَـــنْ تُطِيقـــي ... لحـــاكِ اللهُ قَـــدْ أَنْـــزَفْـــتِ رِيقـــي
لَـــدَى عَـــزْفِ الْقِيـــانِ إذِ انْتَشَيْنـــا ... وإذ نُسْقَـــى مِـــنَ الخمْـــرِ الـــرّحيـــقِ
وَشُـــرْبُ الْخمْـــرِ لَيْـــسَ عَلَـــيَّ عَـــاراً ... إذَا لَـــم يَشْكُنـــي فيهـــا رفيقـــي
فَـــإنَّ المـــوْتَ لاَ يَنْهَـــاهُ نَـــاهٍ ... ولَـــوْ شَـــرِبَ الشِّفـــاءَ مَـــعَ النَّشُـــوق
وَلا متَـــرَهِّـــبٌ فـــي اسْطُـــوانٍ ... ينـــاطِـــحُ جُـــدْرُه بَيْـــضَ الأَنُـــوق
وغُمْـــدَان الَّـــذِي حُـــدِّثْـــتْ عَنْـــهُ ... بَنَـــوْهُ مُمْسِكـــاً فـــي رَأْسِ نيـــقِ
بِمَنْهَمَـــــةٍ وأسفلُـــــه جُـــــروبٌ ... وحُـــرُّ المـــوْحَـــلِ اللَّثِـــقِ الـــزَّليـــقِ
مَصَـــابيـــحُ السَّليـــطِ تَلُـــوحُ فيـــه ... إذَا يُمْسِـــي كَتَـــوْمـــاضِ البُـــرُوقِ

---

(١) وانظر البداية والنهاية (١/ ٩٩).

ونَخْلَتُــه التــي غُــرِسَــتْ إليــه ... يكــاد الْبُسْــرُ يَهْصِــرُ بــالعُــذوقِ
فــأصْبَــحَ بَعْــدَ جِــدَّتِــهِ رَمَــاداً ... وغيَّــرَ حُسْنَــه لَهَــبُ الْحَــريــقِ
وَأَسْلَــمَ ذُو نُــوَاسٍ مُسْتَمِيتــاً ... وحَــذَّرَ قَــومَــهُ ضَنْــك المَضِيــقِ

وقال ابن الذئبة الثّقفيّ ، وهو يذكر حميَر حين نزل بها السودان وما أصابوا منهم:

لَعَمْــرُكَ مــا لِلفَتَــى مِــنْ مَفَــرّ ... مَــعَ الْمَــوْتِ يَلْحَقــه والْكِبَــرْ
لَعَمْــرُكَ مــا لِلفَتَــى صُحــرَةٌ ... لعَمْــرُكَ مــا إنْ لَــه مِــن وَزَرْ
أبَعْــدَ قَبَــائِــلَ مِــنْ حِمْيَــرٍ ... أتُــوا ذَا صَبَــاحٍ بِــذَاتِ العَبَــرْ
بــأَلْــبِ أُلُــوبٍ وحَــرَّابَــةٍ ... كمِثْــلِ السَّمَــاءِ قُبَيْــلَ الْمَطَــرْ
يُصِــمُّ صِيَــاحُهُــمُ الْمُقْــرَبَــات ... ويَنْفُــونَ مــنْ قَــاتَلُــوا بــالــزُّمَــرْ
سَعَــالَــى كمِثْــلِ عَــديــدِ التُّــرَا ... ب يَيْبَــسُ منهــم رطــابُ الشَّجَــرْ

وأما هشام بن محمد ، فإنّه زَعم: أنّ السفن لما قدمت على النجاشيّ من عند قيصر حَمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنْدب. قال: فلما سمع بهم ذو نُواس كتب إلى المقَاوِل يدعوهم إلى مُظاهرته ، وأن يكون أمرُهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوْا ، وقالوا: يقاتل كلّ رجل عن مَقوْلَته وناحيته. فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدّة من الإبل ، وخرج حتى لقيَ جمعَهم ، فقال: هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها ، فلكم المال والأرض ، واستبقوا الرجال والذرّيّة. فقال عظيمهم: اكتب بذلك إلى الملك ، فكتب إلى النّجاشيّ ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نُواس حتى إذا دخل بهم صنعاء ، قال لعظيمهم: وجِّهْ ثقاتِ أصحابك في قَبْض هذه الخزائن. ففرّق أصحابه في قبضها ودفَع إليهم المفاتيح ، وسبقت كتُب ذي نواس إلى كلّ ناحية: أن اذبحوا كلّ ثور أسودَ في بلدكم؛ فقتلت الحبشة ، فلم يبق منهم إلا الشّريد. وبلغ النجاشيّ ما كان من ذي نُواس ، فجهّز إليه سبعين ألفاً ، عليهم قائدان: أحدهما أبرهة الأشرم؛ فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نُواس ألاّ طاقة له بهم ركب فرسه ، واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخرَ العهد به وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها ، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء.

فقيل للنجاشيّ: إنه قد خلعَ طاعتك، ورأىٰ: أنه قد استغنىٰ بنفسه، فوجّه إليه

جيشاً عليه رجل من أصحابه، يقال له: أرْياط، فلما حلّ بساحته؛ بعث إليه أبرهة أنّه يجمعني وإياك البلاد والدّين، والواجبُ عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممّن معي ومعك، فإن شئت فبارزني؛ فأيُّنا ظفر بصاحبه كان المُلْك له، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا. فرضيَ بذلك أرياط، وأجمع أبرهة على المكْر به، فاتّعدا موضعاً يلتقيان فيه، وأكمن أبرهة لإرياط عبداً له يقال له: أرنجده، في وَهْدةٍ قريب من الموضع الذي التقيا فيه، فلما التقيا سبق أرياط فزرق أبرهة بحربته، فزالت الحربة عن رأسه وشرمت أنفه فسمِّي الأشرم، ونهض أرنجده من الحُفْرة، فزرق أرياط فأنفذه، فقتله، فقال أبرهة لأرنجده: احتَكمْ، فقال: لا تدخل امرأة في اليمن على زوجها حتى يُبدَأ بي، قال: لك ذاك، فغبر بذلك زماناً. ثم إن أهل اليمن عَدَوْا عليه فقتلوه، فقال أبرهة: قد أنَى لكم أن تكونوا أحراراً، وبلغ النجاشيَّ قتلُ أرياط، فآلى ألاّ يكون له ناهية دون أن يُهريق دم أبرهة، ويطأ بلادَه، وبلغ أبرهة ألِيّتُه، فكتب إليه: أيُّها الملك! إنّما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، قدِم عليّ يريد توهينَ ملكك، وقتل جندك، فسألته أن يكفّ عن قتالي إلى أن أوجّه إليك رسولاً، فإن أمرته بالكفّ عني، وإلاّ سلمت إليه جميع ما أنا فيه، فأبى إلاّ محاربتي، فحاربته فظهرت عليه، وإنّما سلطاني لك، وقد بلغني: أنّك حلفت ألاّ تنتهيَ حتى تُهريق دمي، وتطأ بلادي. وقد بعثت إليك بقارورة من دمي، وجراب من تراب أرضي؛ وفي ذلك خروجك من يمينك، فاستتمّ أيّها الملك يدك عندي؛ فإنما أنا عبدك وعزّي عزّك. فرضيَ عنه النجاشي وأقرّه على عمله[1]. (٢: ١٢٤/ ١٢٥/ ١٢٦/ ١٢٧/ ١٢٨).

٨٢٨ ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، قال: فأقام أرياط باليمن سنين في سلطانه ذلك، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشيّ، وكان في جنده حتى تفرّقت الحبشة عليهما، فانحاز إلى كلّ واحد منهما طائفة منهم؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر، فلما تقارب الناس، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط: إنّك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تُفنيَها شيئاً؛ فابرز لي وأبرز لك، فأيّنا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده.

---

(١) ضعيف.

فأرسل إليه أرياط: أن قد أنصفتَني فاخرج. فخرج إليه أبرهة، وكان رجلاً قصيراً لحيماً حادراً، وكان ذا دين في النصرانيّة، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيماً طويلاً وسيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عَتْودَة، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة ـ يريد يافوخه ـ فوقعت الحربة على جبهة أبرهة، فشرمتْ حاجبه وعينه وأنفه وشفته؛ فبذلك سمِّي أبرهة الأشرم، وحمل غلام أبرهة عَتْودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن، فقال عَتْوَدة في قتلِه أرياط: «أنا عَتْوَدَهْ، من فرقة أرِدَّه، لا أبٌ ولا أمّ نجده»، أي يقول: قتلك عبدُه، قال: فقال الأشرم عند ذلك لعْتودة: حكمك يا عتودة وإن كنت قتلته، ولا ينبغي لنا ذلك إلا ديته، فقال عَتْودة: حكمي ألاّ تدخل عروس من أهل اليمن على زوجها منهم حتى أصيبها قبله. فقال: ذلك لك، ثم أخرج دية أرياط، وكان كلّ ما صنع أبرهة بغير علم النجاشيّ ملك الحبشة، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً، وقال: عدا على أميري، فقتله بغير أمري. ثم حلف ألاّ يدع أبرهة حتى يطأ بلادَه، ويجزّ ناصيته؛ فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه، ثم ملأ جراباً من تُراب اليمن، ثم بعث به إلى النجاشيّ، وكتب إليه: أيُّها الملك؛ إنما كان أرياط عبدك، وأنا عبدك، فاختلفنا في أمرك، وكلٌّ طاعته لك، إلاّ أني كنت أقوى منه على أمر الحبشة، وأضبَط لها وأسوسُ لها، وقد حلقت رأسي كلّه حين بلغني قَسَم الملك، وبعثت إليه بجراب من تُراب أرض اليمن، ليضعَه تحت قدميه فيبرّ قسمُه.

فلما انتهى ذلك إلى النّجاشيّ رضي عنه، وكتب إليه: أن اثبت على عملك بأرض اليمن، حتى يأتيَك أمري فلما رأى أبرهة: أنّ النجاشيّ قد رضي عنه، وملّكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرّة بن ذي يزَن، فنزع منه امرأته ريحانة ابنة علْقمة بن مالك بن زيد بن كَهْلان ـ وأبو ريحانة ذو جَدَن، وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة، وولدت لأبرهة بعد أبي مرة مسروق بن أبرهة، وبسباسة ابنة أبرهة، وهرب منه أبو مرّة فأقام أبرهة باليمن وغلامه عَتْودة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حيناً، ثم عدا على عَتَوْدة رجل من حِمْير ـ أو من خثعم ـ فقتله، فلما بلغ أبرهة قتله ـ وكان رجلاً حليماً سيداً شريفاً ورعاً

في دينه من النصرانية ـ قال: قد أنَى لكم يا أهلَ اليمن أن يكونَ فيكم رجل حازم، يأنف مما يأنف منه الرجال؛ إنّي والله لو علمت حين حكّمته أنّه يسأل الذي سأل ما حكّمتُه، ولا أنعمته عيناً، وأيم الله لا يُؤخذ منكم فيه عَقْل، ولا يتبعكم منّي في قتله شيء تكرهونه.

قال: ثم إنّ أبرهة بنى القُلَّيْس بصنعاء، فبنى كنيسة لم يُر مثلها في زمانها بشيء من الأرض، ثم كتب إلى النّجاشيّ ملك الحبشة: إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنتهٍ حتى أصرفَ إليها حاجّ العرب.

فلما تحدّثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشيّ غضب رجل من النّسَأة أحد بني فقيم، ثم أحد بني مالك، فخرج حتى أتى القُلَّيس فقعد فيها، ثم خرج فلحق بأرضه؛ فأخبر بذلك أبرهة، فقال: من صنع هذا؟ فقيلَ: صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحجّ العرب إليه بمكّة؛ لما سمع من قولك: أصرف إليه حاجّ العرب، فغضب فجاء فقعد فيها؛ أي أنها ليست لذلك بأهل. فغضِب عند ذلك أبرهة، وحلف ليسيرَنّ إلى البيت فيهدمه، وعند أبرهة رجال من العرب، قد قدموا عليه يلتمسون فضله، منهم محمد بن خُزاعيّ بن حزابة الذكوانيّ، ثم السُّلَميّ، في نفر من قومه، معه أخ له، يقال له: قيس بن خُزاعيّ؛ فبينا هم عنده غشيَهم عبد لأبرهة، فبعث إليهم فيه بغدائه، وكان يأكل الخُصَى، فلما أتي القوم بغدائه؛ قالوا: والله لئن أكلنا هذا لا تزال تعيبنا به العرب ما بقينا، فقام محمد بن خزاعيّ، فجاء أبرهة فقال: أيها الملك! هذا يوم عيد لنا، لا نأكل فيه إلا الجُنوب والأيدي، فقال له أبرهة: فسنبعث إليكم ما أحببتم؛ فإنما أكرمتكم بغدَائي لمنزلتكم مني.

ثم إن أبرهة توّج محمد بن خُزاعيّ، وأمّره على مُضَر، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حجِّ القُلَّيس؛ كنيسته التي بناها. فسار محمد بن خُزاعيّ، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة ـ وقد بلغ أهلَ تِهامة أمرُه، وما جاء له ـ بعثوا إليه رجلاً من هُذيل، يقال له: عروة بن حياض الملاصيّ، فرماه بسهم فقتله. وكان مع محمد بن خُزاعيّ أخوه قيس، فهرب حين قُتل أخوه، فلحق بأبرهة،

فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحَنقاً ، وحلَف ليغزوَنّ بني كنانة وليهدمنّ البيت.

وأما هشام بن محمّد ، فإنه قال: بنَى أبرهة بعد أن رضيَ عنه النّجاشي وأقرّه على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناء معجِباً لم يُرَ مثله بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنّه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبقى أثرُها وذكْرها ، وسأله المعونةَ له على ذلك فأعانه بالصنّاع والفُسَيفساء والرّخام ، وكتب أبرهة إلى النجاشيّ حين استتمّ بناؤها: إنّي أريد أن أصرف إليها حاجّ العرب. فلما سمعت بذلك العرب أعظمته ، وكُبر عليها ، فخرج رجل من بني مالك بن كنانة حتى قدم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدْم البيت ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه الفيل ، فلقيَه ذو نَفْر الحميريّ ، فقاتله فأسره ، فقال: أيها الملك ! إنما أنا عبدك فاستبقني ، فإنّ حياتي خير لك مِنْ قتلي ، فاستبقاه ، ثم سار فلقيَه نُفيل بن حبيب الخثعميّ ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأسرَه ، فسأله أن يستبقيَه ، ففعل وجعله دليله في أرض العرب[1]. (٢ : ١٢٨/ ١٢٩/ ١٣٠/ ١٣١/ ١٣٢).

٨٢٩ ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال: ثم إن أبرهة حين أجمع السّير إلى البيت؛ أمر الحبشان فتهيّأت وتجهّزت ، وخرج معه بالفيل ـ قال: وسمعت العرب بذلك ، فأعظموه ، وفظِعوا به ، ورأوْا جهاده حقّاً عليهم حين سمعوا: أنه يريد هدم الكعبة بيتِ الله الحرام ـ فخرج له رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له: ذو نفر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخرابه ، فأجابه مَنْ أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله ، فهُزِم ذو نفْر وأصحابه ، وأخذ له ذو نفر أسيراً ، فأتِيَ به ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر: أيُّها الملك ! لا تقتلني؛ فإنّه عسى أن يكون كوني معك خيراً لك من قتلي. فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق ـ وكان أبرهة رجلاً حليماً ـ ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خَثْعم؛ عرض له نُفَيل ابن حبيب الخثعميّ في قبيلي

---

(١) ضعيف.

خثعم: شهران وناهس ومَنْ تبِعه من قبائل العربِ ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخِذ له نُفيل أسيراً ، فأتى به؛ فلما همّ بقتله؛ قال له نُفيل: أيُّها الملك ! لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم: شهران ، وناهس بالسمع والطّاعة ، فأعفاه وخلّى سبيله ، وخرج به معه يدلّه على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتّب في رجال ثقيف ، فقال له: أيُّها الملك ! إنّما نحن عبيدُك ، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد ـ يعنون اللاّت ـ إنما تريد البيتَ الذي بمكّة ـ يعنون الكعبة ـ ونحن نبعث معك مَنْ يدلّك. فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال ، حتى أنزله المغمّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فرجمت العرب قَبرَه ، فهو القبر الذي يرجُم الناس بالمغمّس.

ولما نزل أبرهة المغمّس؛ بعث رجلاً من الحبشة ، يقال له: الأسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قُريش وغيرهم ، وأصاب منها مئتي بعير لعبد المطلب بن هاشم؛ وهو يومئذ كبير قريش وسيّدها ، فهمّت قريش وكنانة وهذيل ومَنْ كان بالحرَم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا: أنّه لا طاقة لهم به؛ فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حُناطة الحميريّ إلى مكة ، وقال له: سلْ عن سيّد هذا البلد وشريفهم؛ ثم قل له: إن الملك يقول لكم: إني لم آتِ لحربكم؛ إنما جئت لهدم البيت؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجةَ لي بدمائكم؛ فإن لم يُرِدْ حربي فَائْتني به.

فلما دخل حُنَاطة مكّة سأل عن سيّد قريش وشريفها ، فقيل له: عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ، فجاءه ، فقال له ما أمره به أبرهة. فقال له عبد المطّلب: والله ما نريد حربَه ، وما لنا بذلك من طاقة؛ هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم ـ أو كما قال ـ فإنْ يمنعْه فهو بيته وحَرمه ، وإن يخلّ بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دَفْع عنه ـ أو كما قال له ـ فقال له حُناطة: فانطلِق إلى الملِك ، فإنّه قد أمرني أن آتيَه بك ـ فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر ، فسأل عنِ ذي نفر ـ وكان له صديقاً ـ حتى دُلّ عليه ، وهو في محبسه ، فقال له: يا ذا نفر ! هل عندك غَناء فيما نزل بنا؟ فقال له ذو نفر: وما غَناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوّاً أو عشيّاً! ما عندي غناء في

شيء مما نزل بك إلاّ أن أنيساً سائس الفيل لي صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظّم عليه حقك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلّمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير؛ إن قدر على ذلك. قال: حسبي.

فبعث ذو نفْر إلى أُنَيْس ، فجاء به ، فقال: يا أُنَيْس ! إن عبد المطلب سيّد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسّهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مئتي بعير فاستأْذِنْ له عليه، وانفعه عنده بما استطعت. قال: أفعل ، فكلّم أنيس أبرهة ، فقال: أيها الملك ! هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب عِير مكّة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، فَائْذَنْ له عليك ، فيكلِّمك بحاجته وأحْسِن إليه. قال: فأذن له أبرهة - وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً - فلما رآه أبرهة أجلّه وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلْكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه ، وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه: قل له حاجَتك إلى الملك ، فقال له ذلك التّرجمان ، فقال عبد المطّلب: حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مئتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتُك ، ثم زهدت فيك حين كلّمتَني؛ أتكلّمني في مئتي بعير قد أصبتُها لك وتتركُ بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لهدمه لا تكلّمني فيه! قال له عبد المطلب: إنّي أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربّاً سيمنعه ، قال: ما كان ليمنع منّي ، قال: أنت وذاك ، اردد إليّ إبلي.

وكان - فيما زعم بعض أهل العلم - قد ذهب مع عبد المطّلب إلى أبرهة حين بعث إليه حُناطة: يعمر بن نُفاثة بن عديّ بن الدُّئِل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيّد بني كنانة - وخويلد بن واثلة الهذلي - وهو يومئذ سيد هُذَيل - فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم. والله أعلم.

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه؛ انصرف عبد المطّلب إلى قُريش ، فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرّز في شَعَف الجبال والشِّعاب تخوُّفاً عليهم معرّة الجيش ، ثم قام عبد المطّلب فأخذ بحلْقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله

ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلْقة باب الكعبة :

يَـا رَبِّ لاَ أَرْجُـو لَهُـم سـواكَـا ... يـا رَبِّ فـامْنَـعْ مِنْهُـمُ حِمَـاكـا
إنَّ عَـدُوَّ الْبَيْـتِ مَـن عـاداكـا ... امْنَعْهُـمُ أنْ يُخْـرِبُـوا قُـراكـا

ثم قال أيضاً :

لا هُـمَّ إنَّ الْعَبْـدَ يَمْـ ... ـنعُ رَحْلَـهُ فـامْنَـعْ حِـلالَـكْ
لا يغلبـنَّ صَلِيبُهُـمْ ... ومِحـالُهُـم غَـدْواً مِحَـالَـك
فلَئِـنْ فَعَلْـتَ فَـرُبَّمَـا ... أوْلـى فـأَمْـرٌ مـا بـدا لَـك
ولئـنْ فَعَلْـتَ فـإِنَّـه ... أمْـرٌ تُتِـمُّ بِـهِ فِعـالَـكْ
جَـرُّوا جُمـوعَ بِـلادِهـم ... والْفِيـلَ كَـيْ يَسْبُـوا عِيـالَـكْ
عَمَـدُوا حِمَـاكَ بكَيْـدِهِـمْ ... جهْـلاً ومَـا رَقِبُـوا جَـلالَـكْ

[وقال أيضاً] :

وَكُنْـتَ إذا أَتَـى بـاغٍ بِسِلْـمٍ ... نُـرَجّـي أَنْ تَكُـونَ لَنـا كـذَلِـكْ
فَـوَلّـوْا لـم ينـالُـوا غَيْـرَ خِـزْيٍ ... وكـانَ الْحَيْـنُ يُهْلِكُهُـمْ هُنَـالِـكْ
ولـم أَسْمَـعْ بـأَرْجَـسَ مـن رِجـالٍ ... أَرَادوا العِـزَّ فـانْتهكُـوا حَـرَامَـكْ

ثم أرسل عبد المطلب حَلْقة الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومَنْ معه من قريش إلى شعَف الجبال ، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكّة إذا دخلها. فلما أصبح أبرهة تهيّأ لدخول مكة ، وهيأ فيلَه ، وعبَّى جيشه ـ وكان اسم الفيل محموداً ـ وأبرهة مجمع لهدْم البيت ثم الانصراف إلى اليمن؛ فلما وجّهوا الفيل أقبل نُفيل بن حَبيب الخَثْعَميّ حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بإذنه ، فقال : ابْرُكْ محمُود ، وارجعْ راشداً من حيث جئت؛ فإنك في بلد الله الحرام. ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نُفيل بن حبيب يشتدّ حتى صعد في الجبل ، وضربوا الفيل ليقومَ فأبى ، وضربوا في رأسه بالطّبرزين ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجنَ لهم في مَرَاقّه فبزَغوه ليقوم فأبى ، فوجّهوه راجعاً إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجّهوه إلى الشأم ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجّهوه إلى مكّة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كلّ طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في مِنقاره ، وحجران في رجليه مثل الحمّص ،

والعَدَس لا تصيب منهم أحداً إلاّ هلك ، وليس كلُّهم أصابت ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا ، ويسألون عن نُفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نُفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أَيْـنَ الْمَفَـرّ والإلـهُ الطَّـالِـبْ ... والأشْـرَمُ الْمَغْلوبُ غَيْـرُ الغـالـبْ!

وقال نفيل أيضاً :

ألا حُيِّيـتِ عَنَّـا يـا رُدَيْنـا ... نعِمْنـاكـمْ مَـعَ الإصْبـاح عَيْنـا

أتـانـا قـابِـسٌ مِنْكُـمْ عِشـاءً ... فلَـمْ يُقْـدَرْ لقَـابِسِكـمْ لـدَيْنـا

رُدينَـةُ لـوْ رَأَيْـتِ ولَـم تَـرَيْـهِ ... لـدَى جَنْـبِ المُحَصَّـبِ مَـا رَأَيْنـا

إذاً لَعَـذَرْتنـي وحَمِـدْتِ رَأْيـي ... ولـم تـأْسَي عَلَـى مـا فـاتَ بَيْنـا

حَمِـدْتُ اللهَ إذْ عَـايَنْـتُ طيْـراً ... وخِفْـتُ حِجَـارَةً تُلْقَـى عَلَيْنَـا

فكـلُّ القَـوْمِ يَسْـأَلُ عـن نُفَيْـلٍ ... كـأَنَّ عَلَـيَّ لِلْحِبْشَـانِ دَيْنَـا!

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون بكل مهلكٍ على كلِّ منهَل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنمُلةً أنمُلةً ، كلّما سقطت منه أنملة اتبعتها منه مِدّة تَمُثّ قيحاً ودماً حتى قَدموا به صنعاء؛ وهو مثل فرخ الطّير ، فما مات حتى انصدع صدره من قلبه ـ فيما يزعمون[1] (٢ : ١٣٢/ ١٣٣/ ١٣٤/ ١٣٥/ ١٣٦) .

٨٣٠ ـ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سُليمان عن أبيه ، قال : وحدّثنا محمد بن عبد الرحمن بن السّلمانيّ عن أبيه ، قال : وحدّثنا عبد الله بن عمرو بن زهير الكَعْبيّ عن أبي مالك الحِمْيريّ عن عطاء بن يسار ، قال : وحدّثنا محمد بن أبي سعيد الثّقَفيّ عن يَعلَى بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن عمّه أبي رَزين العُقَيْليّ ، قال : وحدّثنا سعيد بن مُسْلم عن عبد الله بن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عبّاس ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ـ قالوا : كان النجاشيّ قد وجّه أرياط أبا صحم في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأداخها وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذلّ الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له : أبرهة الأشرم

(١) الخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٤٢) وأخرجه البيهقي (دلائل النبوة ١/ ١١٥) والله أعلم .

أبو يكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابوه ، فقتل أرياط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهّزون أيام الموسم للحجّ إلى البيت الحرام ، فسأل: أين يذهب الناس؟ فقالوا: يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال: ممّ هو؟ قالوا: من حجارة ، قال: فما كسوته؟ قالوا: ما يأتي ها هنا من الوصائل ، قال: والمسيح لأبنيَنّ لكم خيراً منه! فبنى لهم بيتاً ، عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلّاه بالذهب والفضة ، وحفَّه بالجوهر ، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجوهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجاباً ، وكان يوقد بالمْندَل ، ويلطّخ جُدُره بالمِسك ، فيسوّده حتى يغيب الجوهر. وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبّدون ويتألّهون ، ونَسَكوا له ، وكان نُفيل الخثعميّ يؤرِّض له ما يكره ، فلما كان ليلة من الليالي لم ير أحداً يتحرّك ، فقامَ فجاء بعَذرة فلطّخ بها قبْلته ، وجمع جِيفاً فألقاها فيه. فأخبر أبرهة بذلك ، فغضب غضباً شديداً ، وقال: إنّما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم ، لأنقضنّه حجراً حجراً. وكتب إلى النجاشيّ يخبره بذلك ، ويسأله أن يبعث إليه بفيله «محمود» ـ وكان فيلاً لم يُر مثله في الأرض عِظَماً وجسماً وقوّة ـ فبعث به إليه ، فلما قدم عليه الفيل سار أبرهة بالناس ومعه مَلِك حِمْير ، ونُفَيل بن حبيب الخثعميّ ، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نَعم الناس ، فأصابوا إبلاً لعبد المطلب ، وكان نُفَيل صديقاً لعبد المطّلب ، فكلّمه في إبله ، فكلّم نُفَيل أبرهة ، فقال: أيُّها الملك ، قد أتاك سيّد العرب وأفضلهم قَدْراً ، وأقدمهم شرفاً ، يحمل على الجياد ويعطى الأموال ، ويُطعِم ما هبّت الريح. فأدخله على أبرهة ، فقال: حاجتك! قال: تردّ عليّ إبلي ، فقال: ما أرى ما بلَغني عنك إلا الغُرور، وقد ظننت أنّك تكلّمني في بيتكم الذي هو شرفُكم ، فقال عبد المطلب: اردُدْ عليّ إبلي ، ودونك البيت؛ فإن له ربّاً سيمنعه. فأمر بردّ إبله عليه ، فلما قبضها قلّدها النّعال ، وأشعرها ، وجعلها هَدْياً ، وبثّها في الحرَم لكي يصاب منها شيء فيغضب ربّ الحرم ، وأوفى عبد المطلب على حراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومُطعم بن عديّ وأبو مسعود الثقفيّ ، فقال عبد المطلب:

لاَ هُـــــمَّ إنَّ المَـــــرْء يَمْـ ـنَـعُ رَحْلَـه فـامْنَـعْ حِـلاَلَـكْ
لا يَغْلِبـــــنَّ صَلِيبُهُـــــمْ ومِحـــالُهُـمْ غَـدْواً مِحـالَـكْ

إنْ كنْـــتَ تـــاركَهـــم وَقِبْـ ـلتنـــا فـــأمْـــرٌ مـــا بَـــدَا لـــكْ

قال: فأقبلت الطّير من البحر أبابيل، مع كلّ طير [منها] ثلاثة أحجار: حجَران في رجليه، وحجر في مِنقاره، فقذفت الحجارة عليهم، لا تصيب شيئاً إلا هشّمته، وإلاّ نفط ذلك الموضع، فكان ذلك أول ما كان الجُدريّ، والحصبة، والأشجار المرّة، فأهمدتهم الحجارة، وبعث الله سيْلاً أتِيّاً، فذهب بهم فألقاهم في البحر.

قال: وولّى أبرهة ومَنْ بَقِيَ معه هُرّاباً، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً. وأما «محمود» فيل النجاشيّ فربَض ولم يشجع على الحرَم فنجا، وأما الفيل الآخر فشجع فحُصب. ويقال: كانت ثلاثة عشر فيلاً، ونزل عبد المطّلب من حراء، فأقبل رجلان من الحبشة فقبّلا رأسه وقالا: أنت كنت أعلم.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أنه حدّث أنّ أول ما رُئيَتِ الحصبة والجدريّ بأرض العرب ذلك العام، وأنه أوّل ما رئي بها مُرار الشجر: الحَرْمل والحنظل والعُشر، ذلك العام[1]. (٢: ١٣٧/ ١٣٨/ ١٣٩).

٨٣١ ـ قال ابن إسحاق: ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنُه في الحبشة يكسوم بن أبرهة ـ وبه كان يكنى ـ فذلّت حِمير وقبائل اليمن ووطئتهم الحبشة؛ فنكحوا نساءهم، وقتلوا رجالهم، واتّخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب.

قال: ولما ردّ الله الحبشة عن مكّة، فأصابهم ما أصابهم من النّقمة، عَظّمت العرب قريشاً، وقالوا: أهل الله، قاتل الله عنهم، فكفاهم مؤونة عدوّهم.

قال: ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملكَ اليمن في الحبشة أخوه مسروق بن أبرهة، فلما طال البلاء على أهل اليمن ـ وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروقاً، وأخرجوا الحبشة من اليمن ثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة ملوك: أرياط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة ـ خرج سيف بن ذي يَزَن الحميريّ، وكان يكنى بأبي مُرّة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا ما همْ فيه، وطلب إليه أن

---

(١) ضعيف.

يخرجَهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم مَنْ شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يُشْكه ، ولم يجد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر ـ وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق ـ فشكا إليه ما همْ فيه من البلاء والذلّ ، فقال له النعمان: إنّ لي على كسرى وفادة في كلّ عام ، فأقِم عندي حتى يكون ذلك ، فأخرج بك معي . قال: فأقام عنده حتى خرج النّعمان إلى كسرى ، فخرج معه إلى كِسرى ، فلما قدِم النّعمان على كسرى وفرغ من حاجته؛ ذكر له سيف بن ذي يزن ، وما قدم له ، وسأل أن يأذنَ له عليه ، ففعل . وكان كسرى إنما يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القَنْقَل العظيم ، مضروباً فيه الياقوت ، والزبرجد ، واللؤلؤ ، والذهب ، والفضة معلّقاً بسلسلة من ذهب في رأس طاق مجلسه ذلك ، كانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه في تاجه ، فإذا استوى في مجلسه كشف الثياب عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلاّ برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن ذي يزن برك ، ثم قال: أيّها الملك ! غلبتْنا على بلادنا الأغربة ، فقال كسرى: أيّ الأغربة؟ الحبشة أم السّند؟ قال: بل الحبشة ، فجئتك لتنصرَني عليهم ، وتخرِجهم عنّي ، ويكون مُلْك بلادي لك ، فأنت أحبّ إلينا منهم . قال: بعدت أرضك من أرضنا ، وهي أرض قليلة الخيْر؛ إنّما بها الشاء والبعير ، وذلك ممّا لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورّط جيشاً من فارس بأرض العرب . لا حاجة لي بذلك! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم وافٍ ، وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك سيف بن ذي يزن؛ خرج فجعل ينثُر الورِق للناس يُنْهِبها الصبيان والعبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أنّ دخل على كسرى ، فقيل له: العربيّ الذي أعطيتَه ما أعطيته ينثُرْ دراهمه للناس يُنْهِبها العبيد والصبيان والإماء . فقال كسرى: إنّ لهذا الرجل لشأناً ، ائتوني به ، فلما دخل عليه قال: عمَدت إلى حِباء الملك الذي حَباك به تنثره للناس! قال: وما أصنع بالذي أعطاني الملك! ما جبالُ أرضي التي جئت منها إلاّ ذهب وفضة ـ يرغّبه فيها؛ لما رأى من زهادته فيها ـ إنّما جئت الملك ليمنعَني من الظلم ، ويدفع عنّي الذلّ ، فقال له كسرى: أقم عندي حتى أنظر في أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مَرَازبته ، وأهلَ الرأي ممّن كان يستشيره في أمره ، فقال: ما ترون في أمر هذا الرجل ، وما جاء له؟ فقال قائل منهم: أيُّها الملك ، إن في سجونك رجالاً قد حبستَهم للقتل ، فلو أنّك بعثتهم معه ، فإن هلكوا كان الذي أردتَ بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان مُلكاً ازددته إلى ملكك. فقال: إنّ هذا الرأي! أحصوا لي كمْ في سجوني من الرجال؛ فحسبوا له ، فوجدوا في سجونه ثمانمئة رجل ، فقال: انظروا إلى أفضل رجل منهم حَسَباً ، وبيتاً ، اجعلوه عليهم. فوجدوا أفضلَهم حسباً وبيتاً وَهْرِز ـ وكان ذا سنّ ـ فبعثه مع سيف ، وأمّره على أصحابه ، ثم حملهم في ثماني سفائن ، في كلّ سفينة مئة رجل ، وما يصلحهم في البحر.

فخرجوا حتى إذا لجَّجوا في البحر ، غرقت من السفن سفينتان بما فيهما ، فخلَص إلى ساحل اليمن من أرْض عدن ستّ سفائن ، فيهنّ ستمئة رجل ، فيهم وهرِز ، وسيف بن ذي يزن ، فلما اطمأنّا بأرض اليمن ، قال وهْرِز لسيف: ما عندك؟ قال: ما شئتَ من رجل عربيّ ، وفرس عربيّ؛ ثم اجعل رجلي مع رجلك؛ حتى نموت جميعاً أو نظهر جميعاً. قال وَهْرِز: أنصفت ، وأحسنت! فجمعَ إليه سيف مَن استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة ، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناسُ بعضهم إلى بعض بعث وهرِز ابناً له كان معه ـ يقال له: نَوْزاذ ـ على جريدة خَيْل ، فقال له: ناوشهم القتال ، حتى ننظر كيف قتالهم. فخرج إليهم فناوشهم شيئاً من قتال ، ثم تورّط في مكان لم يستطع الخروج منه ، فقتلوه ، فزاد ذلك وهرِز حنقاً عليهم ، وجِدّاً على قتالهم.

فلما تواقف الناس على مصافّهم قال وهرِز: أروني مِلكهم ، فقالوا: ترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجَه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال: نعم ، قالوا: ذاك ملكهم ، قال: اتركوه. فوقفوا طويلاً ، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحوّل على الفرس ، فقال: اتركوه ، فوقفوا طويلاً ، ثم قال: علام هو؟ قالوا: قد تحوّل على البغلة ، قال: ابنة الحمار! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أنّي سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أوذنكم ، فإنّي قد

أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم .

ثم أَوْتَر قوسه ـ وكانت فيما زعموا لا يوتِرها غيره من شدّتها ـ ثم أمر بحاجبيه فعُصِّبا له ، ثم وضع في قوسه نُشّابة فمغَط فيها حتى إذا ملأها أرسلها فصكّ بها الياقوتة التي بين عينيه ، فتغلغلت النّشابة في رأسه ، حتى خرجت من قفاه ، وتنكّس عن دابّته ، واستدارت الحبشة ، ولاثت به ، وحملت عليهم الفرْس ، وانهزمت الحبشة ، فقتِلوا وهرب شريدهم في كلّ وجه ، فأقبل وَهْرِز يريد صنعاء يدخلها؛ حتى إذا أتى بابها قال: لا تدخل رايتي منكّسة أبداً ، اهدموا الباب . فهدم باب صنعاء ، ثم دخلها ناصباً رايتَه يُسار بها بين يديه .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى: إنّي قد ضبطت لك اليمن ، وأخرجت مَنْ كان بها من الحبشة؛ وبعث إليه بالأموال. فكتب إليه كسرى يأمره أن يملّك سيف بن ذي يزن على اليمن وأرضها ، وفرض كسرى على سيف بن ذي يزن جِزْية وخرجاً يؤديه إليه في كلّ عام معلوم ، يُبْعث إليه في كلّ عام. وكتب إلى وهرِز أن ينصرف إليه. فانصرف إليه وهرز ، وملّك سيف بن ذي يزن على اليمن ، وكان أبوه ذو يزن من ملوك اليمن .

فهذا ما حدثنا به ابن حميد عن سلمة ، عن ابن إسحاق من أمر حِمْير ، والحبشة ، وملكهم وتوجيه كسرى من وجّه لحرب الحبشة باليمن[1]. (٢: ١٤١/ ١٤٢).

٨٣٢ ـ وأمّا هشام بن محمد ، فإنَّه قال: ملك بعد أبرهة يكسوم ، ثم مسروق. قال: وهو الذي قتله وهرِز في مُلك كسرى بن قُباذ ، ونفى الحبشة عن اليمن .

قال: وكان من حديثه: أن أبا مُرّة الفيّاض ذا يزن ، كان من أشراف اليمن ، وكانت تحته ريحانة ابنة ذي جَدن ، فولدت له غلاماً سمّاه: مَعْدِ يكرب ، وكانت ذاتَ جمال ، فانتزعها الأشرم من أبي مُرّة ، فاستنكحها ، فخرج أبو مرّة من اليمن ، فلحق ببعض ملوك بني المنذر ـ أظنُّه عمرو بن هند ـ فسأله أن يكتب له

---

(١) الخبر في سيرة ابن هشام (١/ ٥٤ ـ ٥٧) وانظر البداية والنهاية (٢/ ١١٠).

إلى كسرى كتاباً ، يعلمه فيه قدرَه وشرفه ونزوعه إليه فيما نزع إليه فيه. فقال: لا تعجَل ، فإنّ لي عليه في كلّ سنة وِفادة ، وهذا وقتها ، فأقام قِبَله حتى وفَد عليه معه ، فدخل عمرو بن هند على كِسرى ، فذكر له شرفَ ذي يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه فألطفه ، وأحسن مسألته ، وقال له: ما الأمر الذي نزع بك؟ قال: أيها الملك ، إن السُّودان قد غلبونا على بلادنا ، وركبوا منّا أموراً شنيعة ، أجلّ الملك عن ذكرها ، فلو أنّ الملِك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقاً بذلك لفضله وكرمه وتقدّمه لسائر الملوك. فكيف وقد نزعنا إليه مؤمّلين له ، راجين أن يقصِم الله عدوّنا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم! فإن رأى الملك أن يصدّق ظنّنا ، ويحقّق رجاءنا ، ويوجّهَ معي جيشاً ينفون هذا العدوّ عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه ـ فإنّها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما يلي الملِك من بلاد العرب ـ فعل.

قال: قد علمت: أنّ بلادكم كما وصفْت ، فأيّ السّودان غلبوا عليها؟ الحبشة أم السّند؟ قال: بل الحبشة ، قال أنوشِرْوان: إنّي لأحبّ أن أصدّق ظنَّك ، وأن تنصرف بحاجتك؛ ولكنّ المسلكَ للجيش إلى بلادكَ صعب ، وأكره أن أغرّره بجندي ، ولي فيما سألتَ نظَر ، وأنت على ما تحبّ.

وأمر بإنزاله وإكرامه؛ فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك. وقد كان أبو مرّة قال قصيدة بالحِمْيريّة يمتدح فيها كسرى ، فلما ترجِمت له ، أعجب بها.

وولدت ريحانة ابنة ذي جَدَن لأبرهة الأشرم غلاماً ، فسمّاه مسروقاً ، ونشأ معد يكرب بن ذي يزن مع أمّه ريحانة في حِجْر أبرهة فسبّه ابن لأبرهة ، فقال له: لعنك الله ، ولعن أباك! وكان معد يكرب لا يحسب إلاّ أنّ الأشرم أبوه ، فأتى أمه فقال لها: مَنْ أبي؟ قالت: الأشرم ، قال: لا والله ، ما هو أبي ، ولو كان أبي ما سبَّني فلان ، فأخبرتْه أنّ أباه أبو مرّة الفيّاض ، واقتصّت عليه خبره ، فوقع ذلك في نفس الغلام ، ولبِث بعد ذلك لبثاً.

ثم إنّ الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذي يزن قاصداً إلى ملِك الرّوم ، وتجنّب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الرُّوم ما يحبّ ، ووجده يحامي عن الحَبشة لموافقتهم إيّاه على الدّين ، فانكفأ راجعاً

إلى كسرى ، فاعترضَه يوماً وقد ركب ، فصاح به : أيّها الملك ، إنّ لي عندك ميراثاً . فدعا به كسرى لمّا نزل ، وقال : مَنْ أنت؟ وما ميراثك؟ قال : أنا ابن الشيخ اليمانيّ ذي يزَن ، الذي وعدتَه أن تنصره ، فمات ببابك وحَضْرتك ، فتلك العِدةُ حقٌّ لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرقّ له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتهبها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذي حملك على ما صنعت؟ قال : إنّي لم آتك للمال ، إنّما جئتك للرجال ، ولتمنعَني من الذّلّ . فأعجَب ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقمْ حتى أنظرَ في أمرك . ثم إنّ كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال له المؤبذان : إن لهذا الغلام حقّاً بنزوعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدّم من عِدَته إياه ، وفي سجون الملك رجال ذوو نجدة وبأس ، فلو أنَّ الملك وجّههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهلَ مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرّأي ، وأمر بمن كان في السجون من هذا الضرْب ، فأحصوا فبلغوا ثمانمئة نفر ، فقوّد عليهم قائداً من أساورته ، يقال له : وهْرِز ، كان كسرى يعدِ له بألف أسوار ، وقوّاهم وجهّزهم وأمر بحملهم في ثمانيَ سفائن ، في كُلّ سفينة مئة رجل ، فركبوا البحر ، فغرقت من الثماني السفن سفينتان ، وسلِمت ستّ ، فخرجوا بساحل حَضْرموت ، وسار إليهم مسروق في مئة ألف من الحبشة وحِمْير والأعراب ، ولحِق بابن ذي يزن بَشَرٌ كثير ، ونزل وهْرِز على سِيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلمّا نظر مسروق إلى قلّتهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهرز : ما جاء بك ، وليس معك إلاّ من أرى ، ومعي مَنْ ترى! لقد غرّرت بنفسك وأصحابك ، فإن أحببت أذِنت لك؛ فرجعت إلى بلادك ولم أهجك؛ ولم ينلك ولا أحداً من أصحابك منّي ولا من أحد من أصحابي مكروه ، وإن أحببتَ ناجزتُك الساعة ، وإن أحببت أجّلتك حتى تنظرَ في أمرك ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهْرِز أمرَهم ، ورأى : أنّه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق ، بل تضرب بيني وبينَك أجلاً ، وتعطيني موثِقاً وعهداً ، وتأخذ مثله منّي؛ ألاّ يقاتل بعضنا بعضاً حتى ينقضي الأجلُ ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كلّ واحد منهما في عسكره ، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج ابن وهْرز يسير على فرس له ، حتى دنا من عسكرهم ، وحمله فرسُه ، فتوسط به عسكرهم ، فقتلوه ـ ووهْرِز لا يشعر به ـ فلما بلغه قتلُ ابنه أرسل إلى مسروق: قد كان بيني وبينكم ما قد علمتم ، فَلِمَ قتلتم ابني؟ فأرسل إليه مسروق: إنّ ابنك حَمَل علينا ، وتوسّط عسكرنا ، فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، فقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهاً. قال وهْرز للرّسول: قل له: إنه لم يكن ابني ، إنما كان ابنَ زانية ، ولو كان ابني لصبر ولم يغدر حتى ينقضي الأجل الذي بيننا. ثم أمر فرمِيَ به في الصعيد حيث ينظَر إلى جُثمانه ، وحلف الاّ يشرب خمراً ، ولا يدهن رأسه حتى ينقضي الأجل بينه وبينهم.

فلما انقضى الأجل إلا يوماً واحداً ، أمر بالسّفن التي كانوا فيها فأحرقت بالنار ، وأمر بما كان معهم من فَضْل كسوة فأحرِق ، ولم يدع منه إلاّ ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكلّ زاد معهم. فقال لأصحابه: كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهوْا أمر بفضله فألْقيَ في البحر ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال: أمَّا ما حرّقتُ من سفنكم ، فإني أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرّقت من ثيابكم ، فإنَّه كان يغيظني إن ظفرتْ بكم الحبش أن يصير ذلك إليهم ، وأمّا ما ألقيت من زادكم في البحر ، فإنّي كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً ، فإن كنتم قوماً تقاتلون معي ، وتصبرون؛ أعلمتموني ذلك. وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري؛ فإني لم أكن لأمكّنَهم من نفسي أبداً. فانظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئِيسكم وفعلت هذا بنفسي! فقالوا: لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نظفر.

فلما كان صبح اليوم الذي انقضى فيه الأجلُ عبّأ أصحابَه ، وجعل البحر خلْفه ، وأقبل عليهم يحضّهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خَلّتين ، إمَّا ظفروا بعدوّهم ، وإمّا ماتوا كراماً ، وأمرهم أن تكون قسيّهم موتَرة ، وقال: إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشْقاً بالبَنْجكان ـ ولم يكن أهل اليمن رأوا النشّاب قبل ذلك ـ وأقبل مسروق في جَمْع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج ، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يَرَى أنّ دونَ الظفر شيئاً. وكان وهْرِز قد كلّ بصره فقال: أروني عظيمَهم ، فقالوا: هو صاحب الفيل؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل

فركب فرساً ، فقالوا : قد ركب فرساً ، فقال : ارفعوا لي حاجبَيّ ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكِبَر ، فرفعوهما بعصابة ، ثم أخرج نُشّابة ، فوضعها في كبد قوسِه ، وقال : أشيروا لي إلى مسروق ، فأشاروا له إليه حتى أثبته ، ثم قال لهم : ارموا ، فرموْا ، ونزع في قوسه حتى إذا ملأها سرح النشابة ، فأقبلت كأنها رِشاء ، حتى صكّت جبهة مسروق ، فسقط عن دابّته ، وقتل في ذلك الرّشق منهم جماعة كثيرة ، وانفضّ صفّهم لمّا رأوا صاحبَهم صريعاً ، فلم يكن دون الهزيمة شيء ، وأمر وهْرز بجثّة ابنه من ساعته فوريت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقيت مكانَها ، وغَنم من عسكرهم ما لا يُحصى ولا يُعدّ كثرة ، وجعل الأُسوار يأخذ من الحبشة ومن حِمْير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتّفين ، لا يمتنعون منه . فقال وهْرِز : أمّا حمير والأعراب فكفّوا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا تبقوا منهم أحداً . فقتلت الحبشة يومئذ حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب رجل من الأعراب على جَمَل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا في الحقيبة نُشّابة ، فقال : لأمك الويل! أبُعْدٌ أم طول مسير ـ حسب أن النشابة لحقته . وأقبل وهْرز حتى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرّق عمّاله في المخاليف .

وفي ابن ذي يزن وما كان منه ومن وهْرز والفُرس ، يقول أبو الصّلْت أبو أميّة بن أبي الصَّلت الثقفيُّ :

لِيَطْلُبِ الْوِتْرَ أمْثَالُ ابنِ ذي يَزَنٍ ... ريَّمَ في البحر للأعداءِ أحوالا
أتى هِرْقَلَ وقد شالَتْ نَعامتُهُمْ ... فلَمْ يجِدْ عِنْدَه بَعْضَ الذي قالا
ثمّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ سَابعةٍ ... منَ السِّنين لقَدْ أبْعَدْتَ إيغالا
حتى أتى بِبَني الأحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ ... إنّكَ لَعَمْري لقَدْ أطْوَلْتَ قلْقالا
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهَنْشَاهِ الملُوكِ له ... أو مِثْلُ وهْرز يَوْمَ الْجَيْشِ إذْ صالا!
لله دَرُّهمُ مِنْ عُصْبةٍ خرجوا ... ما إنْ تَرَى لَهُمُ في النّاس أمثَالا
غُرٌّ جَحَاجِحَةٌ بيضٌ مَرَازِبةٌ ... أُسْدٌ تُرَبِّبُ في الغيْضَاتِ أشْبَالا
يرْمُونَ عن شُدُفٍ كأنَّها غُبُطٌ ... في زَمْخَرٍ يُعْجِلُ المرمِيّ إعجَالا
أُرْسَلْتَ أُسْداً على سُودِ الكلابِ فقَدْ ... أضْحَى شَرِيدُهُمْ في الأرْضِ فُلَّالا
فاشْرَبْ هَنيئاً عَلَيْكَ التّاجُ مُتّكِئاً ... في رأسِ غُمْدَانَ دَاراً مِنْكَ مِحْلالا
وَأَطْلِ بالْمِسْكِ إذْ شَالَتْ نَعامَتُهُمْ ... وأسْبِلِ اليَوْمَ في بُرْدَيْكَ إسْبالا

تِلْكَ المَكَارِمُ لاَ قَعْبَانِ مِن لَبَنٍ شِيبَا بماءٍ فعَادَا بعدُ أَبْوالا[١]

(٢ : ١٤٢ ـ ١٤٨).

٨٣٣ ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال: فلما انصرف وهرِز إلى كسرى ، وملّك سيفاً على اليمن ، عدا على الحبشة فجعل يقتّلها ويبقر النساء عمّا في بطونها ، حتى إذا أفناها إلاّ بقايا ذليلة قليلة ، فاتّخذهم خَوَلاً ، واتخذ منهم جمّازين يسعوْن بين يديه بحرابهم ، فمكث بذلك حيناً غير كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة تسعى بين يديه بحرابهم؛ حتى إذا كان في وسط منهم وَجؤوه بالحراب حتى قتلوه ، ووثب بهم رجل من الحبشة ، فقتل باليمن وأُوعث ، فأفسد ، فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهْرِز في أربعة آلاف من الفُرْس ، وأمره ألاّ يترك باليمن أسْوَد ولا ولدَ عربيّة من أسْوَد إلاّ قتله؛ صغيراً أو كبيراً ، ولا يدع رجلاً جَعْداً قَططاً قد شرك فيه السودان إلاّ قتله.

فأقبل وهْرِز ، حتى دخل اليمن ، ففعل ذلك؛ ولم يترك بها حبشيّاً إلا قتله ، ثم كتب إلى كسرى بذلك ، فأمّره كسرى عليها. فكان عليها ، وكان يَجْبِيها إلى كسرى حتى هلَك ، وأمّر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهرِز ، فكان عليها حتى هلك ، فأمّر كسرى بعده البينجان بن المرزبان بن وهرز حتى هلك ، ثم أمّر كسرى بعده خُرَّ خسْرَه بن البينجان بن المرزبان بن وهْرز ، فكان عليها.

ثم إنَّ كسرى غضِب عليه ، فحلف ليأتينّه به أهلُ اليمن يحملونه على أعناقهم ففعلوا ، فلما قدِم على كسرى تلقّاه رجل من عظماء فارس ، فألقى عليه سيفاً لأبي كسرى ، فأجاره كسرى بذلك من القَتْل ونزعه ، وبعث باذان إلى اليمن ، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً ﷺ.

وكان ـ فيما ذُكِر ـ بين كسرى أنوشِرْوان وبين يخطيانوس ملك الروم موادعة وهدنة ، فوقع بين رجل من العرب كان ملّكه يخطيانوس على عرب الشأم ـ يقال له: خالد بن جبَلة ـ وبين رجل من لَخْم ، كان ملّكه كسرى على ما بين عُمان والبَحْرين واليَمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومَنْ فيها من العرب؛ يقال له: المنذر بن النّعمان ـ نائرة ، فأغار خالد بن جَبَلة على حيّز المنذر ، فقتل من

---

(١) ضعيف.

أصحابه مقْتلة عظيمة ، وغَنِم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى يخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة والصلح ، ويعلمه ما لقِيَ المنذر عامله على العرب من خالد بن جَبَلة الذي ملّكه على مَنْ في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يردّ على المنذر ما غنم من حَيّزه وبلاده ، ويدفع إليه دية مَنْ قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألاّ يستخفّ بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .

وواتَر الكُتب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر ، فلم يحفِل بها ، فاستعدّ كسرى ، فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرُّهاء ، ومدينة مَنْبِج ، ومدينة قِنّسْرِين ، ومدينة حَلب ، ومدينة أنْطاكية - وكانت أفضل مدينة بالشأم - ومدينة فامِية ، ومدينة حِمْص؛ ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن؛ عَنْوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسَبَى أهلَ مدينة أنطاكيَة ، ونقلَهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طَيْسَبُون على بناء مدينة أنطاكيَة - على ما قد ذكرت قبل - وأسكنهم إياها؛ وهي التي تسمّى الروميّة ، وكَوّر لها كورة ، وجعل لها خمسة طساسيج : طسُّوج نهْروان الأعلى ، وطَسُّوج نهروان الأوسط ، وطَسّوج نهروان الأسفل ، وطَسّوج بادريا ، وطَسُّوج باكُسايا ، وأجرى على السَّبْي الذين نَقَلهم من أنطاكيَة إلى الروميّة الأرزاق . وولّى القيام بأمورهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاّه الرّياسة على أصحاب صناعاته - يقال له : بَراز - رِقّة منه لذلك السَّبي ، إرادة أن يستأنسوا ببراز لحال ملّته ، ويسكنوا إليه . وأمّا سائر مدن الشام ومصر فإنّ يخطيانوس ابتاعها من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمِن له فدية يحملها إليه في كلّ سنة على ألاّ يغزوَ بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتاباً ، وختم هو وعظماء الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه في كلِّ عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُوَر من كُوَرِهم قبل ملك كسرى أنوشِرْوان في خراجها الثُّلث ، ومن كُوَر الرّبع ، ومن كُوَر الخمس ، ومن كُوَر السدس؛ على قدر شَرْبها وعمارتها ، ومن جزية الجماجم شيئاً معلوماً ، فأمر الملك قُباذ بن فَيْروز في آخر ملكه بمسْح الأرض؛ سهلها وجبلها ليصحّ الخراج عليها ،

فمُسِحت؛ غير أن قُباذ هلك قبل أن يستحكِم له أمرُ تلك المساحة؛ حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستتمامها وإحصاء النخْل والزيتون والجماجم، ثم أمر كتّابه فاستخرجوا جُمل ذلك، وأذن للناس إذناً عامّاً، وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الجمل التي استخرجت من أصناف غلّات الأرض، وعدد النخل والزيتون والجماجم، فقرأ ذلك عليهم، ثم قال لهم كسرى: إنا قد رأينا أن نضع على ما أحْصِي من جِرْبان هذه المساحة من النخل والزيتون والجماجم وضائع، ونأمر بإنجامها في السنة في ثلاثة أنْجُم، ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثَغْر من ثغورنا، أو طَرَف من أطرافنا فَتْق أو شيء نكرهه، واحتجنا إلى تداركه أو حَسْمه ببذلنا فيه مالاً؛ كانت الأموال عندنا معدّة موجودة، ولم نُرد استئناف اجتبائها على تلك الحال. فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه؟

فلم يُشِر عليه أحد منهم فيه بمشورة، ولم ينبِس بكلمة، فكرّر كسرى هذا القول عليهم ثلاث مرات. فقام رجل من عُرْضهم وقال لكسرى: أتضعُ أيها الملك ـ عمّرك الله ـ الخالدَ من هذا الخراج على الفاني من كَرْمٍ يموت، وزَرْع يَهيج، ونهرٍ يغور، وعيْن أو قناة ينقطع ماؤها! فقال له كسرى: يا ذا الكلْفَة المشؤوم، منْ أي طبقات الناس أنت؟ قال: أنا رجل من الكتّاب، فقال كسرى: اضربوه بالدُّوِيِّ حتى يموت، فضربه بها الكتّاب خاصة تبرّؤاً منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه، حتى قتلوه. وقال الناس: نحن راضون أيُّها الملك بما أنت مُلزِمنا من خراج.

وإنّ كسرى اختار رجالاً من أهل الرأي والنصيحة، فأمرهم بالنظر في أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدّة النخل والزيتون ورؤوس أهل الجزية. ووضع الوَضائع على ذلك بقدر ما يرون أنّ فيه صلاح رعيته، ورفاعة معاشهم، ورفعه إليه، فتكلّم كلّ امرىء منهم بمبلغ رأيه في ذلك من تلك الوضائع، وأداروا الأمر بينهم، فاجتمعت كلمتهم على وَضْع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم، وهو الحنطة والشعير والأرزّ والكَرْم والرِّطاب والنخل والزيتون؛ وكان الذي وضعوا على كلّ جَريب أرض مِنْ مزارع الحنطة والشعير درهماً، وعلى كلّ جَريب أرض كَرْم ثمانية دراهم؛ وعلى كل جَريب أرض رِطاب سبعة دراهم، وعلى كل أربع نخلات فارسيّة درهماً، وعلى كلّ ستّ نخلات دَقَل مثل ذلك؛

وعلى كلّ ستة أصول زيتون مثل ذلك؛ ولم يضعوا إلاّ على كلّ نخل [في] حديقة، أو مجتمع غير شاذّ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلاّت السّبع. فقوِيَ الناس في معاشهم، وألزمُوا الناس الجِزْية ما خلا أهلَ البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتّاب؛ ومَنْ كان في خدمة الملك، وصيّروها على طبقات: اثني عشر درهماً، وثمانية، وستة، وأربعة، كقَدْر إكثار الرجل وإقلاله، ولم يُلزِموا الجزية مَنْ كان أتى له من السنّ دون العشرين أو فوق الخمسين، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضيَها وأمر بإمضائها والاجتباء عليها في السنة في ثلاثة أنجُم، كلّ نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار، وتأويله «الأمر المتراضَى»؛ وهي الوضائع التي اقْتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس، وأمر باجتباء أهل الذمّة عليها، إلاّ أنه وضع على كلّ جَريب أرض غامر على قدر احتماله؛ مثل الذي وضع على الأرض المزروعة، وزاد على كلّ جريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزاً من حِنْطة إلى القفيزين، ورزق منه الجند. ولم يخالف عمر بالعراق خاصّة وضائعَ كسرى على جِرْبان الأرض، وعلى النخل، والزيتون، والجماجم، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معايش الناس.

وأمر كسرى فدوّنت وضائعه نُسخاً، فاتُّخذت نسخة منها في ديوانه قِبَله، ودفعت نسخة إلى عمّال الخراج، ليجتبوا خراجَهم عليها، ونسخة إلى قضاة الكُور، وأمر القضاة أن يحولوا بين عُمّال الكُوَر والزيادة على أهل الخراج فوق ما في الديوان الذي دفعت إليه نسخته، وأن يرفعوا الخراج عن كلّ مَنْ أصاب زرعه أو شيئاً من غلاّته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة، وعمّن هلك من أهل الجزية أو جاوز خمسين سنة، ويكتبوا إليه بما يرفعون من ذلك؛ ليأمر بحسبه للعمّال، وألاّ يخلُّوا بين العمّال وبين اجتباء مَنْ أتى له دون عشرين سنة.

وكان كسرى ولّى رجلاً من الكتّاب ـ نابهاً بالنبل، والمروءة، والغَناء، والكفاية، يقال له: بابك بن البيروان ـ ديوان المقاتلة، فقال لكسرى: إنّ أمري لا يتمّ إلا بإزاحة علّتي في كلّ ما بي إليه الحاجة من صلاح أمر الملك في جنده. فأعطاه ذلك، فأمر بابك فبنيت له في الموضع الذي كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سُوسَنجرد، ونَمَط صوف فوقه، ووضعت له وسائد لتُكَأته، ثم جلس على ما فُرِش له، ثم نادى مناديه في شاهد عسكر كسرى من

الجند أن يحضره الفرسان على كُراعهم وأسلحتهم والرجّالة على ما يلزمهم من السّلاح ، فاجتمع إليه الجُند على ما أمرهم أن يحضروه عليه ، ولم يعاين كسرى فيهم؛ فأمرَهم بالانصراف ، ونادى مناديه في اليوم الثاني بمثل ذلك ، فاجتمع إليه الجند. فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغدوا إليه ، وأمر مناديه أن ينادي في اليوم الثالث: ألاّ يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد ، ولا من أُكرِم بتاج وسرير؛ فإنه عَزْم لا رُخصة فيه ولا محاباة. فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسلّح بسلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك ليعترض عليه ، وكان الذي يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف ودرعاً ، وجَوْشناً ، وساقين ، وسيفاً ، ورمحاً ، وترساً ، وجُرْزاً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتَريهما ، وثلاثين نشّابة ووتَرين مضفورين يعلّقهما الفارس في مِغْفر له ظهرياً.

فاعترض كسرى على بابك بسلاح تامّ ما خلا الوتَرَيْن اللذين كان يستظهر بهما. فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له: إنّك أيها الملك واقف في موضع المعْدَلة التي لا محاباة تكون منّي معها ولا هوادة ، فهلمّ كلّ ما يلزمك من صنوف الأسلحة. فذكر كسرى قصة الوترين فتعلّقهما ، ثم غرّد داعي بابك بصوته ، وقال: للكميّ سيّد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم انصرف. وكان يفضّل الملك في العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بدرهم.

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال: إن غِلْظَتي في الأمر الذي أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك؛ إنما هي لأن ينفذ لي عليه الأمر الذي وضعتني بسبيله ، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكاني. فقال كسرى: ما غلُظ علينا أمرٌ أريد به صلاح رعيتنا ، وأقيم عليه أَوَدُ ذي الأَوَد منهم.

ثم إنّ كسرى وجّه مع رجل من أهل اليمن يقال له: سَيْفان بن مَعْد يكرب ـ ومن الناس من يقول: إنّه كان يسمى سيف بن ذي يزن ـ جيشاً إلى اليمن؛ فقتلوا من بها من السودان ، واستوْلوا عليها. فلمّا دانت لكسرى بلاد اليمن وجّه إلى سَرَنْديب من بلاد الهند ـ وهي أرض الجوهر ـ قائداً من قوّاده في جند كثيف ، فقاتل ملكها فقتله ، واستولَى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة ، وجوهراً كثيراً.

ولم يكن ببلاد الفرس بناتُ آوى ، فتساقطت إليها من بلاد الترك في مُلْك كسرى أنوشِرْوان؛ فبلغ ذلك كسرى؛ فبلغ ذلك منه مشقّة ، فدعا بموْبَذان موْبذ ، فقال: إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاظم الناسُ ذلك ، فتعجّبنا من استعظامهم أمرها لهوانها ، فأخْبِرْنا برأيك في ذلك.

فقال له موبذان مَوْبَذ: فإنّي سمعت أيها الملك ـ عمّرك الله ـ فقهاءنا يقولون: متى لا يغمر في بلدة العدلُ الجورَ ، ويمْحق؛ بُلِيَ أهلها بغزو أعدائهم لهم ، وتساقط إليه ما يكرهون ، وقد تخوّفت أن يكون تساقط هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب. فلم يلبث كسرى أنْ تناهى إليه أنّ فتياناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وأصحاب أعماله ألاّ يتعدَّوْا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا في شيء منه إلا به ، فصرَف الله لما جرى من العدل ذلك العدوّ عن بلاده من غير أن يكون حارَبهم ، أو كلف مؤونة في أمرهم.

وكان لكسرى أولاد متأدّبون ، فجعل الملْك من بعده لهُرمُز ابنه الذي كانت أمّه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة وما رجا بذلك من ضبط هُرمُز الملْك وقدرته على تدبير الملْك ورعيّته ومعاملتهم.

وكان مولد رسول الله ﷺ في عهد كسرى أنوشِروان ، عام قَدِم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكّة ، وساق فيه إليها الفيل ، يريد هدم بيْت الله الحرام؛ وذلك لمضيّ اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان. وفي هذا العام كان يوم جَبلَة ، وهو يوم من أيّام العرب مذكور[١]. (٢ : ١٤٨/ ١٥٤).

ذكر مولد رسول الله ﷺ

٨٣٤ ـ قال: وسأل عثمان بن عفّان قَباث بن أشْيم أخا بني عمرو بن لَيْث: أنت أكبر أم رسولُ الله ﷺ؟ قال: رسول الله ﷺ أكبرُ مني ، وأنا أقْدَمُ منه في الميلاد ، ورأيت خَذْق الفيل أخضرَ محيلاً بعْده بعام ، ورأيت أُميّة بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقودُه عبْدُه. فقال ابنه: يا قَبَاث ، أنت أعلم وما تقول[٢]. (٢ : ١٥٥).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

٨٣٥ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، عن المطّلب ابن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن أبيه ، عن جده قيس بن مخرمة ، قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ، فنحن لِدَان[١]. (٢ : ١٥٥).

٨٣٦ ـ وحدّثت عن هشام بن محمد ، قال: وُلِد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ لأربع وعشرين مَضَت من سلطان كسرى أنوشِرْوان ، وولد رسول الله ﷺ في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه[٢]. (٢ : ١٥٥).

٨٣٧ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سَلمة ، قال: حدّثني ابن إسحاق ، قال: ولد رسول الله ﷺ يومَ الإثنين عام الفيل ، لاثنَتَيْ عشرة مضت من شهر ربيع الأول. وقيل: إنه وُلد ﷺ في الدّار التي تُعْرَف بدار ابن يوسف؛ وقيل: إن رسول الله ﷺ كان وَهَبَها لعَقيل بن أبي طالب ، فلم تَزَلْ في يد عَقِيل حتى توفّي ، فَبَاعها ولده من محمد بن يوسف ، أخي الحجَّاج بن يوسف ، فبنى دارَه التي يُقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيتَ في الدّار ، حتى أخرجَتْه الخيْزُران فجعلَتْه مسجداً يصلَّى فيه[٣]. (٢ : ١٥٦).

٨٣٨ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، قال: يزْعُمون فيما يتحدَّث الناس ـ والله أعلم ـ: أنَّ آمنة بنت وهب أمّ رسول الله ﷺ كانت تُحدّث: أنَّها أتِيَتْ لمّا حَمَلت برسول الله ﷺ ، فقيل لها: إنك قد حملت بسيّد هذه الأمّة فإذا وقع بالأرض فَقُولي: أعيذُه بالواحد ، من شرّ كلِ حاسد ، ثم سمّيه محمداً. ورأتْ حين حَمَلت به: أنَّه خرج منها نور رأت منه قُصور بُصْرَى من أرض الشَّام ، فلمَّا وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: أنَّه قد ولد لك غلام فَأتْه ، فانظرُ إليه. فأتاه فنظر إليه ، وحدَّثْته بما رأتْ حين حملت به ، وما قيل لها فيه ، وما أمرِت أن تسمّيَه[٤]. (٢ : ١٥٦).

٨٣٩ ـ حدّثني محمد بن سنان القزّاز ، قال: حدّثنا يعقوب بن محمد

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) والخبر في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق معضلاً.

الزُّهْرِيّ ، قال : حدّثنا عبدُ العزيز بن عمران ، قال : حدّثني عبدُ الله بن عثمان بن أبي سُلَيمان بن جُبير بن مُطْعِم عن أبيه، عن ابن أبي سُوَيد الثقفيّ ، عن عثمان بن أبي العاص ، قال : حدّثتني أمّي : أنَّها شهدت ولادة آمنة بنت وهب أمّ رسول الله ﷺ ـ وكان ذلك ليلَ وَلَدَتْه ـ قالت : فما شيء أنظر إليه من البيت إلاَّ نَوَّر ، وإني لأنظُر إلى النجوم تَدْنو ، حتى إني لأقول : لتقعنَّ عَلَيَّ[1] . (٢ : ١٥٦/ ١٥٧) .

٨٣٩/ أ ـ حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فيَزْعُمُون : أنَّ عبد المطلب أخذَهُ فدخل به على هبَل في جوف الكَعْبة ، فقام عنْدَه يدعو الله ويشْكُر ما أعطَاه ، ثمَّ خرج به إلى أمّه فدفعه إليها ، والْتَمَسَ له الرُّضَعَاء ، فاسترضع له امرأةً من بني سعد بن بكر ، يقال لها : حليمة ابنة أبي ذُؤَيْب ، وأبو ذؤيب : عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن فُصيّة بن سعد بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر . واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزّى بن رفاعة بن مِلَّان بن ناصرة ابن فُصيّة بن سعد بن بكْر بن هَوَازِن بن منصور بن عِكْرِمَة بن خَصَفَة بن قيْس بن عيلان بن مضر . واسم إخْوَته من الرَّضَاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنَيْسة بنة الحارث ، وخِذامة بنة الحارث ، وهي الشَّيْماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومِهَا إلا به . وهي حليمة بْنةُ عبد الله بن الحارث ، أمّ رسول الله ﷺ ؛ ويزعمون : أنّ الشّيْماء كانت تَحْضُنُه مع أمّها إذ كان عندهم ﷺ .

وأمَّا غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدّثني به الحارث ، قال : حدَّثنا ابن سعد ، قال : حدّثنا محمد بن عمر ، قال : حدّثني موسى بن شَيْبَة عن عميرة ابنة عُبيد الله بن كعب بن مالك ، عن بَرَّة ابنة أبي تُجْزَأة ، قالت : أوَّلُ من أرضعَ رسول الله ﷺ ثوَيْبة بلبنِ ابنٍ لها ـ يُقال له : مَسْرُوح ـ أياماً قبل أن تقدَم حليمة ؛ وكانت قد أرْضَعَت قبله حمزَة بن عبد المطلب ، وأرْضَعَت بعدَه أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميّ[2] . (٢ : ١٥٦/ ١٥٧) .

٨٤٠ ـ حدَّثنا ابن حُميد ، قال : حدَّثنا سلَمة ، قال : حدَّثني ابن إسحاق .

---

(١) ضعيف .

(٢) ضعيف .

وحدَّثنا هنَّاد بن السَّرِيّ ، قال: حدّثنا يونس بن بُكير ، قال: حدّثنا ابن إسحاق.
وحدّثني هارون بن إدريس الأصمّ ، قال: حدَّثنا المُحَاربيّ عن ابن إسحاق.
وحدَّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، قال: حدَّثني عمِّي محمد بن سعيد ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عن الجهم بن أبي الجهم مولى عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال: كانت حليمة ابنة أبي ذُؤَيْب السَّعدية أمّ رسول الله ﷺ التي أرْضَعَتْه تُحدّث: أنها خرَجَتْ من بلدها معها زوجُها وابنٌ لها ترضعه في نسوةٍ من بني سعْد بن بكر ، تَلْتمسُ الرُّضَعاء ، قالت: وذلك في سَنَة شهْبَاء لم تُبْقِ شيئاً ، فخَرَجْتُ على أتان لي قَمْرَاء ، معنا شارفٌ لنا؛ والله ما تبِضّ بقطرة ، وما نئام ليْلَنا أجمعَ من صَبيّنا الذي معي من بكائه مِن الجوعِ ، وما في ثَدْيي مَا يُغْنيه ، وما في شَارِفنا ما يغذُوه ، ولكنَّا نرجوا الغيثَ والفرجَ؛ فخرجتُ على أتاني تلك ، فلقد أذمّت بالرَّكب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعَجَفاً ، حتى قدمنا مكَّة نلتمِسُ الرُّضعاء ، فما منَّا امرأة إلاَّ وقد عُرِضَ عليها رسول الله ﷺ فتَأْباه إذا قيل لها: إنَّه يتيمٌ ، وذلك أنَّا إنَّما نرجو المعروفَ من أبي الصَّبيّ ، فكنّا نقولُ: يتيمٌ ما عسى أن تصنع أمّهُ وجدّه! فكنا نكرهه لذلك؛ فما بَقِيَتْ امرأةٌ قدِمَتْ مَعي إلاَّ أخَذَتْ رضيعاً ، غيري فلمَّا أجمَعْنا الانطلاق؛ قلت لصاحبي: إني لأكْرَه أن أرجعِ من بين صوَاحباتي ولم آخذْ رضيعاً ، والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم فلآخُذَنَّه ، قال: لا عليك أن تفعلي ، فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة! قالت: فذهبتُ إليه فأخَذْتُه وما حملني على ذلك إلاَّ أني لم أجِد غيرَه. قالت: فلما أخذْتُه رجعت به إلى رحْلي ، فلمَّا وضعته في حِجْري أقبَل عليه ثدْيَايَ بما شاء من لبن ، فشرب حتَّى روِيَ ، وشربَ معه أخُوه حتى رَوِيَ ، ثم ناما - وما كان ينامُ قبلَ ذلك - وقام زوجي إلى شارِفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنّها لحافل ، فحلبَ منها حتَّى شرِبَ وشربتُ ، حتى انتهيْنا ريّاً وشَبَعاً ، فبتْنَا بخيْر ليلة. قالت: يقول لي صاحبي حينَ أصبحتُ: أتعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نسمةً مباركة! قلت: والله إني لأرجو ذلك. قالت: ثمَّ خرجنَا وركبتُ أتاني تلك ، وحملتُه عَلَيْها معي ، فو الله لقَطَعَتْ بنا الرَّكْب ما يقدَمُ عليهَا شيءٌ من حُمُرِهم ، حتَّى إن صواحبي ليَقُلْنَ لي: يا بنةَ أبي ذُؤَيْب ، اربَعِي علينا. أليسَ هذه أتانَكَ التي كنت خرجتِ عليها؟ فأقولُ لهنّ: بلى والله ، إنها لهي هي! فيقلن: والله إنَّ لها لشأناً. قالت: ثمَّ قدمنا منازِلنا من بلاد بني سعد ، وما أعلم أرضاً من أرضِ الله أجدبَ

منها ، فكانتْ غنمي تروح عليّ حين قدِمْنا به معنا شِباعاً لُبَّناً، فنحلب، ونشرب ، وما يحلب إنسانٌ قطرةً ولا يجدها في ضَرْع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم: ويْلَكم ، اسرحوا حيثُ يسرَح راعي ابنة أبي ذؤيب! فتَرُوحُ أغنامُهم جياعاً ما تَبِضّ بقطرةِ لبن ، وتروح غَنَمي شِبَاعاً لُبَّناً. فلم نزل نتعرَّف من الله زيادةَ الخير به ، حتى مضت سنتان وفصلتُه. وكان يشِبُّ شباباً لا يَشبُّه الغلمان ، فلم يبلغ سَنَتَيْهِ حتَّى كان غلاماً جَفْراً ، فقدِمْنا به على أمِّه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا ، لما كنَّا نرى من بركته ، فكلَّمنا أمَّه ، وقلنا لها: يا ظِئْر ، لو تركْتِ بُنيّ عندي حتى يغلُظ ، فإني أخشى عليه وباء مكّة! قالت: فلم نزل بها حتَّى ردَدْناه معنا. قالت: فرجعْنا به ، فو الله إنَّه بعد مقدمنا به بأشْهر مع أخيه في بَهْم لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخُوه يشتدُّ ، فقال لي ولأبيه: ذاك أخي القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضْجَعاه وشقَّا بطنه وهما يسوطانه. قالت: فخرجتُ أنا وأبوه نَشتدّ ، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه ، قالت: فالتزمْتُه والتزمَه أبُوه ، وقلنا له: مالك يا بنيّ؟! قال: جاءني رجلان عليهما ثيابُ بياض ، فأضجعاني فشقَّا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو! قالت: فرجعنا إلى خِبائنا. قالت: وقال لي أبوه: والله يا حليمة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألْحقيه بأهله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت: فاحتَمَلْناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت: ما أقدمَكِ به يا ظِئْر ، وقد كنت حريصةً عليه وعلى مُكْثه عندك؟ قالت: قلتُ: قد بلغ الله بابني وقضيتُ الذي عليَّ وتخوّفتُ الأحْداثَ عليه ، فأدَّيتُه إليك كما تحبّين. قالت: ما هذا بشأنِك ، فاصدقيني خبَرَك ، قالت: فلم تدعني حتَّى أخبرتها الخبر ، قالت: فتخوّفت عليه الشيطان؟ قالت: فقلت: نعم ، قالت: كلاَّ والله ما للشَّيطان عليه سبيل ، وإنَّ لِبُنيَّ لشأناً ، أفلا أخبِرُكِ خَبَرَهُ؟ قالت: قلت: بلى ، قالت: رأيتُ حين حَمَلْتُ به: أنَّه خرج مني نُورٌ أضاءت له قصور بُصْرَى من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فو الله ما رأيت من حَمْل قطُّ كان أخفَّ منه ولا أيسرَ منه ، ثم وقع حين ولدته وإنَّه لواضعٌ يديه بالأرض ، رافعٌ رأسَه إلى السَّماء؛ دعيه عنكِ ، وانطَلقي راشِدَة[1]. (٢: ١٥٨/ ١٥٩/ ١٦٠).

---

(١) مدار هذا الحديث على الجهم بن أبي الجهم لم يوثقه سوىٰ ابن حبان وذكره ابن أبي حاتم فلم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٢١٢) وأبو يعلى =

٨٤١ ـ حدّثنا نصرُ بن عبد الرحمن الأزْديّ ، قال: حدَّثنا محمد بن يَعْلَى عن عمر بن صُبَيْح ، عن ثَوْر بن يزيد الشّأميّ ، عن مكْحول الشأميّ ، عن شدَّاد بن أوْس ، قال: بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله ﷺ ، إذ أقبل شيخ من بني عامر ، وهو مِدْرَهُ قومِه وسيّدهُم؛ من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فَمَثَل بين يديْ النبيّ ﷺ قائماً ، ونسبه إلى جدّه ، فقال: يا بن عبد المطّلب ! إنّي أنْبئتُ: أنّك تزعم: أنّك رسول الله إلى النَّاس ، أرسلك بما أرْسَل به إبراهيمَ ، وموسى ، وعيسى ، وغيرهم من الأنبياء ، ألا وإنَّك فوّهت بعظيم ، وإنّما كانت الأنبياءُ والخلفاءُ في بيْتَيْن من بني إسرائيل ، وأنت ممَّن يَعْبُد هذه الحجارةَ والأوثان ، فما لك وللنبوّة ؟! ولكنّ لكلّ قول حقيقة ، فأنبئني بحقيقة قولك ، وبدء شأنك؛ قال: فأُعْجِبَ النبيّ ﷺ بمَسْألَتِه ، ثم قال: يا أخا بني عامر ! إنَّ لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأً ومجلساً ، فاجلسْ ، فَثَنَى رجْليْه ثم برك كما يبرك البعير ، فاستَقْبَله النبيّ ﷺ بالحديث فقال: يا أخا بني عامر ! إن حقيقةَ قولي ، وبدءَ شأني: أنّي دَعْوةُ أبي إبراهيم ، وبُشْرَى أخي عيسى بن مرْيَم. وإنّي كنْتُ بِكْرَ أمّي ، وإنَّها حملت بي كأثْقل ما تحمِلُ ، وجعلَتْ تشتكي إلى صواحِبها ثقلَ ما تَجِدُ. ثم إنّ أمي رأت في المنام: أنّ الّذي في بطنها نورٌ ، قالتْ: فجعلت أتْبع بصري النورَ ، والنورُ يسبقُ بصري ، حتى أضاءَتْ لي مشارقُ الأرض ، ومغاربُها. ثم إنّها ولَدتْني فنشأتُ ، فلمّا أن نشأتُ بُغِّضَت إليَّ أوْثانُ قريش ، وبُغِّض إليَّ الشّعْر ، وكنت مسترضَعاً في بني ليث بن بكر ، فبينَا أنا ذات يوم منتبِذ من أهلي في بطن واد مع أتْراب لي من الصبيان نتقاذف بيننا بالجَلَّة ، إذ أتانا رهْطٌ ثلاثة معهم طَسْتٌ من ذهب مُلىء ثلْجاً ، فأخذوني من بين أصحابي ، فخرج أصحابي هُرَّاباً حتى انتهوْا إلى شفير الوادي ، ثم أقبلُوا على الرَّهط ، فقالوا: ما أربُكم إلى هذا الغلام ، فإنه ليس منّا ، هذا ابن سيّد قريش ، وهو مسترضَعٌ فينا؛ من غلام يتيم ليس له أب ، فماذا يردّ عليكم قتلُه ، وماذا تصيبون من ذلك! ولكن إن كنتم لا بدَّ قاتليه ، فاختاروا منَّا أيّنا شئتم ، فليأتكم مكانَه فاقتلُوه ، ودعُوا هذا الغلام فإنَّه يتيم. فلمَّا رأى الصبيان القومَ لا يُحيرون إليهم جواباً ،

= (ح/٧١٦٣) وقال الهيثمي: رواه أبو يعلىٰ والطبراني بنحوه وقال: ورجالهما ثقات (المجمع/ح٢٠٩٤).

انطلقوا هُرَّاباً مسرعين إلى الحيّ ، يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم؛ فعمَد أحدُهم فأضْجعني على الأرض إضْجَاعاً لطيفاً ، ثم شقّ ما بين مفرق صدْري إلى منتهى عانتي ، وأنا أنْظرُ إليه ، فلم أجد لذلك مَسّاً. ثمّ أخرج أحشاءَ بطني ثمَّ غسلها بذلك الثلج فأنْعَم غسْلَها ، ثم أعادها مكانَها ، ثم قام الثاني منهم ، فقال لصاحبه: تنحّ ، فنحّاه عني ، ثم أدْخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصَدَعَه ، ثم أخرج منه مُضْغَة سوداء ، فرَمى بها ثم قال بيدِه يمنةً منه؛ كأنَّه يتناول شيئاً ، فإذا أنا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه ، فختم به قلبي ، فامتلأ نوراً ، وذلك نور النبوّة والحكمة ، ثمّ أعادَهُ مكانَه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً ، ثم قال الثّالث لصاحبه: تَنَحَّ عني ، فأمَرَّ يَدَه ما بيْن مفرِق صدْري إلى مُنْتَهى عانتي ، فالتأم ذلك الشقّ بإذْن الله. ثم أخذ بيدي فأنهضَني من مكاني إنْهَاضاً لطيفاً ، ثم قال للأوّل الذي شقّ بطني: زِنْه بعشرة من أمَّتِه ، فوزنوني بهم فرجحتُهم ، ثم قال: زنه بمئة من أمَّتِه ، فوزنوني بهم فرجَحْتُهم ، ثم قال: زنه بألف من أمَّته ، فوَزَنُوني بهم فرجَحْتُهم. فقال: دعوهُ ، فلو وزَنْتمُوه بأمَّته كلها لرجحهم. قال: ثمَّ ضمّوني إلى صُدورهم وقبّلوا رأسي وما بينَ عينيَّ ، ثم قالوا: يا حبيب ! لم تُرَعْ؛ إنَّك لو تدري ما يراد بك من الخير لقَرَّتْ عيناك. قال: فبينَا نحن كذلك؛ إذ أنا بالحيّ قد جاؤوا بحذافيرهم ، وإذا أمّي ـ وهي ظئْري ـ أمام الحيّ تهتف بأعْلَى صوتها ، وتقول: يا ضعيفاه! قال: فانكبُّوا عليَّ ، فقبَّلوا رأسي وما بين عينيّ ، فقالوا: حبّذا أنت من ضعيف! ثم قالت ظِئْري: يا وحيدَاه! فانكَبّوا عليَّ فضمّوني إلى صُدُورِهم وقَبّلوا رأسي وما بين عَيْنَيَّ ، ثم قالوا: حَبَّذا أنت من وحيد وما أنتَ بوحيدَ إنَّ الله معك وملائكتَه والمؤمنين من أهل الأرض. ثمَّ قالت ظئري: يا يتيماه ، اسْتُضْعِفتَ من بيْن أصحابك فَقُتِلْتَ لضعْفِك ، فانكبّوا عليَّ فضَمّوني إلى صدورهم وقبّلوا رأسي وما بين عَيْنَيّ ، وقالوا: حبَّذا أنت من يتيم ، ما أكْرَمَك على الله! لو تعلم ماذا يراد بك من الخير! قال: فوصلوا بي إلى شَفِير الوادي ، فلمّا بصرت بي أمّي ـ وهي ظئري ـ قالت: يا بُنيَّ ألا أراك حيّاً بعدُ! فجاءت حتَّى انكبَّتْ عليَّ وضمَّتْني إلى صدْرِها؛ فو الذي نفسي بيده ، إنّي لفي حِجْرها وقد ضمّتني إليها ، وإنَّ يدي في يد بعضهم ، فجعلتُ ألتفتُ إليْهم وظَننْتُ أنّ القومَ يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرونهم ، يقول بعض القوم: إنَّ هذا الغلامَ قد أصابه لَمَم أو طائفٌ من الجنّ ، فانطلقوا به إلى كاهِننا حتى ينظر

إليه ويُدَاوِيَه. فقلت: يا هذا! ما بي شيء مما تذكر، إن آرائي سليمة وفؤادي صحيح، ليس بي قَلَبَة. فقال أبي ـ وهو زوج ظئري ـ ألا ترون كلامه كلامَ صحيح! إني لأرجو ألاّ يكون بابني بأسٌ، فاتّفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليْه، فلمَّا قَصُّوا عليه قِصَّتي قال: اسكُتُوا حتَّى أسمعَ من الغلام، فإنَّه أعلمُ بأمره منكم، فسألني، فاقتصصت عليه أمري ما بين أوَّله وآخره، فلمَّا سمع قولي وَثَبَ إليَّ فضمَّني إلى صدْره ثم نادى بأعلى صوته: يا لَلْعَرب! يا لَلْعَرب! اقتلوا هذا الغلامَ واقتلوني معه، فو اللاّت والعزَّى لئن تركْتُموه وأدرك؛ ليُبَدّلنَّ دينكُم، وليُسفهَنَّ عقولَكُم وعقولَ آبائكم، وليَخالفنَّ أمْرَكم، وليأتِيَنَّكُم بدينٍ لم تسمعوا بمثله قطّ! فَعَمَدَتْ ظِئري فانتزعَتْني من حِجْرِه وقالت: لأنْتَ أعْتَهُ وأجَنّ من ابني هذا! فلو علمتُ: أنَّ هذا يكونُ من قولِك ما أتيتُك بِه، فاطلب لِنَفْسِك من يقتُلُك، فإنّا غيرُ قَاتِلي هذا الغلام. ثم احتملوني فأدّوني إلى أهلي فأصبحت مُفْزَّعاً مما فعل بي، وأصبح أثر الشّقّ ما بين صدري إلى مُنْتَهَى عانتي كأنه الشِّراك. فذلك حقيقةُ قولي، وبدءُ شأني يا أخا بني عامر!

فقال العامريّ: أشهدُ بالله الذي لا إله غيره: أنَّ أمْرَك حقّ! فأنبئْني بأشياء أسألك عنها! قال: سل عنك ـ وكان النبيّ ﷺ قبل ذلك يقول للسّائل: سل عمّا شئت، وعمَّا بدا لك، فقال للعامريّ يومئذ: «سل عنْك»، لأنَّها لغةُ بني عامر، فكلَّمه بما علِم ـ فقال له العامريّ: أخبرني يا بنَ عبد المطلب ما يزيدُ في العِلم؟ قال: التعلّم. قال: فأخبرني ما يدلّ على العلْم؟ قال النبيّ ﷺ: السؤال. قال: فأخْبِرْني ماذا يزيدُ في الشرّ؟ قال: التمادي. قال: فأخْبرني هل ينفع البِرُّ بعد الفجور. قال: نعم، التَّوبة تغسِل الحوْبة، والحسناتُ يُذْهِبْن السيئات، وإذا ذكر العبدُ ربَّه عند الرَّخاء؛ أغاثهُ عند البَلاَء. قال العامريّ: وكيف ذلك يا بنَ عبد المطلب؟! قال: ذلك بأنّ الله يقول: لا وعزَّتي وجلالي، لا أجمع لعبدي أمْنَيْن، ولا أجمع له أبداً خوْفَيْن، إن هو خافَني في الدنيا؛ أمِنَني يومَ أجمعُ فيه عِبادي عندي في حظيرة الفردوس، فيدومُ له أمْنُه، ولا أمْحقُه فيمن أمحق، وإن هو أمِنَني في الدُّنيا خَافَني يوم أجْمَعُ فيه عبادي لميقات يوم معلوم، فيدومُ له خوفُه. قال: يا بن عبد المطّلب! أخبرني إلامَ تدعو؟ قال: أدعو إلى عبادة الله

وحْدهُ لا شريكَ لَهُ ، وأن تَخْلَع الأنْداد ، وتكْفُرَ باللاَّت والعزَّى ، وتقرَّ بما جاء من الله من كتاب أو رسول ، وتصلِّي الصلوات الخمس بحقائقهنّ ، وتصوم شهراً من السَّنة ، وتؤدي زكاةَ مَالِكَ ، يطهّرك اللهُ بها ، ويُطَيِّب لك مالَكَ ، وتحجّ البيْتَ إذا وجَدْت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموْت ، وبالبَعْث بعد الموت ، وبالجَنَّة ، والنار. قال: يا بن عبد المطّلب ! فإذا فعلتُ ذلك فما لي؟ قال النبيّ ﷺ : ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ قال: يا بن عبد المطّلب ! هل مع هذا من الدنيا شيء؟ فإنّه يُعْجبُني الوَطاءَة من العيش! قال النبي ﷺ : نعم ، النَصْرُ ، والتَّمكُّن في البلاد. قال: فأجابَ ، وأنابَ[1]. (٢ : ١٦١/ ١٦٢/ ١٦٣/ ١٦٤).

٨٤١/ أ ـ قال ابن إسحاق: هلك عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسول الله ﷺ ، وأمُّ رسولِ الله آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حاملٌ به.

وأمَّا هشام فإنه قال: توفِّيَ عبدُ الله أبو رسول الله بعدَ ما أتَى على رسولِ الله ﷺ ثمانيةٌ وعِشْرون شهراً[2]. (٢ : ١٦٥).

٨٤٢ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا ابن سعد ، قال: قال محمد بن عمر الواقديّ: الثَّبَت عندنا مِمّا ليس بيْن أصحابنا فيه اختلاف: أنَّ عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عِير لقريش ، فنزل بالمدينة ـ وهو مريض ـ فأقام بها حتى توفّي ، ودفن في دار النابغة ، في الدَّار الصّغْرى إذا دخلت الدَّار على يسارك في البيت[3]. (٢ : ١٦٥).

٨٤٣ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاريّ: أنَّ أمَّ رسول الله ﷺ آمنة ، توُفِّيت ـ ورسولُ الله ﷺ ابنُ ستّ سنين ـ بالأبْواءِ بين مكة والمدينة ، كانت قدمت

(١) (ق/ ٨٤١): قلنا: وفي إسناده عمر بن صح كذاب والحديث أخرجه الحافظ أبو نعيم في الدلائل. وقال الحافظ ابن كثير: عمر بن صح هذا متروك كذاب متهم بالكذب فلهذا لم نذكر لفظ الحديث؛ إذ لا يفرح به (البداية والنهاية ٢/ ٢٣٣).

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

به المدينة على أخْوالِهِ من بني عدِيّ بن النَّجّار تُزِيرُه إيَّاهم ، فماتَتْ وهيَ راجعةٌ به إلى مكّة[١] . (٢ : ١٦٥).

ق٨٤٤ ـ وقد حدَّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبَرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثني ابن جريج عن عثمان بن صفوان : أنّ قبْر آمنة بنت وهب في شِعْبِ أبي ذرٍّ بمكَّة[٢] . (٢ : ١٦٦).

٨٤٥ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن العباس ابن عبد الله بن مَعْبد بن العباس ، عن بعض أهله : أنَّ عبد المطلب تُوُفِّيَ ورسول الله ﷺ ابن ثماني سنين ؛ كان بعضهم يقول : تُوُفِّيَ عبد المطلب ورسول الله ابْنُ عَشْرِ سنين[٣] . (٢ : ١٦٦).

٨٤٦ ـ حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سَلَمة ، قال : حدَّثنا طلْحَة بن عمرو الحضْرَميّ عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ في حِجْر أبي طالب بعد جدّه عبد المطَّلب ، فيُصْبحُ ولد عبد المطلب غُمْصاً رُمْصاً ، ويصبح ﷺ صَقِيلاً دهيناً[٤] . (٢ : ١٦٦).

٨٤٧ ـ رجع الحديث إلى تمام أمْرِ كسرى بن قُباذ أنوشروان .

حدثنا علي بن حرب الموصليّ ، قال : حدّثنا أبو أيّوب يَعْلى بن عمران البَجَليّ ، قال : حدّثني مَخْزوم بن هانىء المخزوميّ عن أبيه ـ وأتت له خمسون ومئة سنة ـ قال : لمَّا كانت ليلة وُلِدَ فيها رسول الله ﷺ ؛ ارْتَجَسَ إيوانُ كِسْرى وسَقَطَتْ منه أربعَ عشرةَ شرفة ، وخَمَدَتْ نار فارس ، ولم تخمدْ قبل ذلك بألف عام ، وغاضتْ بُحَيْرة سَاوَة ، ورأى الموبَذان إبلاً صِعاباً تقود خيلاً عِراباً ، وقد قطعَتْ دِجْلَة ، وانتشرتْ في بلادها . فلمَّا أصْبَح كِسْرَى ؛ أفْزَعَهُ ما رأى ، فصبَرَ تَشَجّعاً ، ثم رأى ألاّ يكتم ذلك عن وزرائه ومَرَازِبَتِهِ ، فلبِسَ تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .
(٣) في إسناده مبهم .
(٤) ضعيف .

فلمّا اجتمعوا إليه أخبرهم بالَّذي بَعَثَ إليهم فيه ودعاهم. فبينَاهُم كذلك إذْ وَرَدَ عليه كتابٌ بخمودِ النَّارِ فازداد غمّاً إلى غمّه ، فقال الموْبذان: وأنا أصلح الله المَلِكَ! قد رأيت في هذه الليلة. . . وقصَّ عليه الرُّؤيَا في الإبل. فقال: أيّ شيء يكون هذا يا موْبذان؟! ـ وكان أعلمهم عند نفسه بذلك ـ فقال: حادثٌ يكون من عندِ العرب ، فكتب عند ذلك:

من كسْرى مَلك المُلُوك إلى النُّعمان بن المنذر ، أمَّا بعد؛ فوجّهْ إليَّ رجلاً عالماً بما أريدُ أن أسألَه عنه.

فوجّه إليه عبدَ المسيح بن عمرو بن حيَّان بن بُقَيْلة الغسّانيّ ، فلمَّا قدم عليه ، قال له: أعندكَ علم بما أريد أنْ أسألَكَ عنه؟ قال: ليخبرني الملك ، فإنْ كان عنْدي منه علم ، وإلاَّ أخبرتُهُ بمن يعلمه له ، فأخبَرَه بما رأى؛ فقال: علم ذلك عند خال لي يسكُن مَشَارِفَ الشأم ، يقال له: سَطِيح ، قال: فائْتِهِ فاسأله عمّا سألْتك ، وائْتِني بجوابه. فركب عبدُ المسيح راحِلَتَهُ حتى قدم على سَطِيح ـ وقد أشفى على الموت ـ فسلَّم عليه وحيَّاه ، فلم يُحِرْ سطيحٌ جواباً ، فأنشأ عبدُ المسيح يقول:

أصَـمَّ أم يَسْمَـعُ غِطـرِيـفُ الْيَمَـنْ! ... يـا فـاصِـلَ الْخُطَّـةِ أَعْيَـتْ مَـنْ ومَـنْ

أَم فَـازَ فـازْلَـمَّ بِـهِ شَـأْوُ العَنَـنْ ... أتـاكَ شَيْـخُ الْحَـيّ مِـنْ آلِ سَنَـنْ

وَأُمُّـهُ مِـنْ آلِ ذِئْـبِ بـنِ حَجَـنْ ... أَزْرَقُ مُمْهَـى النَّـابِ صَـرَّارُ الأُذُنْ

أَبْيَـضُ فَضْفَـاضُ الـرِّدَاءِ وَالْبَـدَنْ ... رسُـولُ قَيْـلِ الْعُجْـم يَسْـرِي لِلْـوَسَنْ

يَجُـوبُ بـي الأرضَ عَلَنْـدَاةٌ شَـزَن ... تـرْفَعُنِـي وَجْـنٌ وتَهْـوِي بِـي وَجَـنْ

لاَ يَـرْهَـبُ الـرَّعْـدَ وَلاَ رَيْـبَ الـزَّمَـنْ ... حتَّـى أتَـى عَـارِي الجـآجِـي والقَطَـنْ

تَلفُّـهُ فـي الـرِّيـحِ بَـوْغَـاءُ الـدِّمَـنْ ... كـأَنَّمَـا حُثْحِـثَ مِـنْ حَضْنَـيْ ثَكَـنْ

فلمّا سمع سطيح شعْرَه ، رفع رأسه ، وقال: عبدُ المسيح ، على جمل يسيح ، إلى سطيح ، وقد أوْفى على الضَّريح ، بَعَثك مَلِكُ بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخُمودِ النيران ، ورؤيا الموْبَذان. رأى إبلاً صِعاباً ، تقود خيْلاً عِراباً ، قد قَطَعَتْ دجْلة وانتشرت في بلادها؛ يا عبدَ المسيح ! إذا كَثُرت التلاوَة ، وبُعِث صاحبُ الهراوة ، وفاض وادي السَّماوة ، وغاضَتْ بحيرةُ ساوة ، وخَمَدَتْ نارُ فارس؛ فليْسَت الشَّأمُ لسَطيح شأماً؛ يملِكُ منهم ملوكٌ

ومَلِكَات ، على عَدَدِ الشُرفَات ، وكلُّ ما هو آت آت . ثمَّ قضى سطيح مكانَه ، فقام عبد المسيح إلى رحْلِهِ وهو يقول :

شَمِّرْ فإنَّكَ مَاضِي الهَمِّ شِمِّيرُ ... لا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وتَغْيِيرُ
إنْ يَكُ مُلْكُ بَنِي ساسانَ أفْرَطَهُمْ ... فإنَّ ذَا الدَّهْرَ أطْوارٌ دَهَارِيرُ
فرُبَّمَا رُبَّمَا أضْحَوْا بمَنْزِلَةٍ ... تهَابُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ المهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أخو الصَّرْح مِهْرَانٌ وإخْوَتُهُ ... والهُرْمُزان وسابورٌ وسابورُ
والنَّاسُ أولادُ عَلاَّتٍ فمَن عَلِموا ... أنْ قد أقَلَّ ، فمَهْجُورٌ ومَحْقُورُ
وهُمْ بَنُو الأمِّ لَمَّا أنْ رَأَوْا نَشَباً ... فذَاكَ بالْغَيْبِ محفوظٌ ومَنْصُورُ
والخَيْرُ والشَّرُّ مقرونانِ في قَرَنٍ ... فالخيْرُ مُتَّبَعٌ والشَّرُّ مَحْذُورُ

فلمَّا قَدِم عبدُ المسيحِ على كِسْرى ، أخبره بقول سطيح ، فقال : إلى أن يملك منَّا أربعةَ عشر مِلِكاً قد كانت أمور .

فمَلَكَ منهم عشرةٌ أربعَ سنين ، ومَلَك الباقون إلى ملْك عثمان بن عفان .

وحُدّثتُ عن هشام بن محمد ، قال : بعث وهْرِز بأموال وطُرَف من طُرَف اليمن إلى كسْرى ، فلما صارَتْ ببلاد بني تميم ، دعا صَعْصَعةُ بن ناجية بن عِقال المجاشعيّ بَني تميم إلى الوثوب عليه ، فأَبَوْا ذلك ، فلمَّا صارتْ في بِلادِ بني يربوع دعاهم إلى ذلك ، فهابوه ، فقال : يا بني يَرْبُوع ! كأنّي بهذه العير قد مرَّت ببلاد بكْر بن وائل ، فوَثَبُوا عليها فاستعانوا بها على حَرْبِكُمْ! فلمَّا سمعوا ذلك ؛ انْتَهَبُوها ، وأخذَ رجلٌ من بني سَليط يقال له : النَّطِف خُرْجاً فيه جوْهر ، فكان يقال : «أصاب كنز النَّطِف» ؛ فصار مثلاً ؛ وأخذ صعْصَعة خَصَفَة فيها سبائكُ فِضَّة ، وصار أصحاب العير إلى هَوْذَة بن عليّ الحنفيّ باليمامة ، فكساهم ، وزوَّدهم وحملهم ، وسار معهم حتى دخل على كسرى . وكان لَهوذة جَمَالٌ وبَيَان ، فأعجب به كسرى وحَفِظ له ما كان منه ، ودعا بعِقد من دُرّ فعقد على رأسِه ، وكساه قباء ديباج ، مع كسوة كثيرة ، فمن ثمَّ سُمّيَ هوذة ذا التاج ؛ وقال كسرى لهوذة : أرَأيْتَ هؤلاء القوم الذين صنعوا ما صنعوا مِنْ قومِكَ هم؟ قال : لا ، قال : أصلحٌ هُم لك؟ قال : بيننا الموتُ ، قال : قد أدْرَكْت بعضَ حاجتك [ونلت ثأرك] . وعزم على توجيه الخيل إلى بني تميم ، فقيل له : إنَّ بلادَهُمْ بلادُ سوء ، إنّما هي مفاوزُ وصحارى لا يهتَدَى لمسالكها ، وماؤهُمْ من الآبار ،

ولا يؤمن أن يُغَوِّرُوها فيهلك جندك. وأشيرَ إليه أن يكتبَ إلى عامِله بالبحرين وهو آزاذ فُروز بن جُشْنَس الذي سمّتْه العرب المُكَعْبِر ـ وإنما سُمِّي المكعبر ، لأنَّه كان يقطع الأيديَ والأرْجُل وآلى ألاّ يدع من بني تميم عيناً تطرِفُ ـ فَفَعَل ؛ ووجَّه له رسولاً. ودعا بهوذة فجدَّدَ له كرامةً وصِلَةً وقال: سِرْ مع رسولي هذا فاشْفِني واشْتَفِ ، فأقبل هوذة والرَّسُول معه حتى صار إلى المكعبر ، وذلك قريب من أيَّام اللُّقاط ، وكان بَنُو تميم يصيرون في ذلك الوقت إلى هَجَر ، للميرَةِ واللُّقاط ، فنادى منادي المكَعْبِر: مَن كان ها هنا من بني تميم فلْيَحْضر فإن الملك قد أمر لَهُمْ بميرَةٍ وطعام يُقسّم فيهم؛ فحضروا ، فأدخلهم المُشَقَّر ـ وهو حصنٌ حِيَاله حصنٌ يقال له: الصَّفا ، وبينهما نهرٌ يقال له: محلّم ـ وكان الذي بنى المشقَّر رجلاً من أساوِرَةِ كسرى يقال له: «بَسَك بن ماهبوذ» ، كان كسرى وجَّهَهُ لبنائه ، فلمَّا ابتدَأه قيل له: إنَّ هؤلاء الفَعَلَة لا يقيمون بهذا الموْضع إلاَّ أن تكون معهم نساء ، فإن فعلت ذلك بِهِمْ تمَّ بناؤُك ، وأقاموا عليْهِ حتى يَفرُغوا منه؛ فنقل إليْهِم الفواجِرَ من ناحية السَّوَادِ والأهْواز ، وحُمِلَتْ إليهم رَوَايا الخمْرِ من أرض فارس في البحر ، فتَنَاكَحُوا ، وتَوَالدوا ، فكانوا جُلَّ أهل مدينة هَجَر ، وتكلَّم القومُ بالعرَبيَّة ، وكانت دعوَتُهم إلى عبْد القيْس ، فلما جاء الإسلامُ؛ قالوا لعبد القيْس: قد علمتم عَدَدَنا ، وعُدَّتنا ، وعظيمَ غَنائنا ، فأدْخلونا فيكم وزوّجونا ، قالُوا: لا ، ولكن أقيموا على حالكم ، فأنتم إخوانُنَا وموالينا ، فقال رجلٌ من عبد القيس: يا معاشر عبد القيْس ! أطيعوني وألحقوهم ، فإنَّه ليس عن مثْل هؤلاء مرغَب ، فقال رجل من القوم: أما تَسْتَحي! أتأمرنا أن نُدْخِل فينا من قد عَرفْتَ أوَّلَه وأصلَه! قال: إنَّكم إن لم تفعَلُوا؛ ألحقَهُمْ غيركم من العرب ، قال: إذاً لا نستوحش لهم؛ فتفرَّق القوْم في العرب ، وبقيتْ في عبد القيس منهم بَقيَّةٌ فانتَمَوْا إليهم ، فلم يردُّوهم عن ذلك. فلما أدْخَل المكعبرُ بَني تميم المشقَّر قتل رجالهم واستبقى الغلمان ، وقُتِل يومئذ قَعْنَب الرِّياحيّ ـ وكان فارسَ بني يَرْبُوع ـ قتله رجلان من شَن كانا ينوبان الملوك؛ وجعل الغلمانَ في السُّفن ، فعبر بهم إلى فارس ، فَخَصَوْا منهم بشراً. قال هبيرة بن حُدير العَدويّ: رجع إليْنا بعد ما فتحت إصطخر عدَّة منهم ، أحدُهم خصِيٌّ والآخر خيَّاط. وشدَّ رجلٌ من بني تميم ، يقال له: عبيد بن وَهْبٍ على سلسلة الباب فَقَطَعَها ، وخَرَجَ ، فقال:

تَذَكَّرْتُ هِنْداً لاتَ حِينَ تَذَكُّرِ ... تَذَكَّرْتها ودُونَهَا سَيْرُ أَشْهُرِ

حِجَــازِيَّــةٌ عُلْــوِيَّــةٌ خَــلَّ أهلهــا مصــابَ الخــريـفِ بَيْـنَ زُورٍ وَمِنْـوَرِ
ألا هَلْ أتى قَوْمي على النَّأْيِ أنَّني حمَيْـتُ ذِمـاري يَـوْمَ بـابِ المُشَقَّـر
ضَرَبْتُ رِتاجَ البابِ بالسَّيْفِ ضَرْبَةً تفَــرَّجَ مِنْهــا كُــلُّ بَــابٍ مُضَبَّـرِ

وكلَّم هوذة بن عليّ المُكَعْبِر يومئذ في مئةٍ من أسْرَى بني تميمٍ ، فوهبهم له يوم الفِصْح ، فأعتقهم ، ففي ذلك يقول الأعشى :

ســائِــلْ تميمــاً بــه أيَّــامَ صَفْقَتِهِــمْ لمَّــا أتَــوْهُ أُسَــارَى كلُّهــم ضَـرَعــا
وَسْــطَ المُشَقّــرِ فــي غَبْــرَاءَ مُظْلِمَــةٍ لا يَسْتَطيعــونَ بَعْــدَ الضُّــرِّ مُنْتَفعــا
فقــال للمَلْــكِ أطْلِــقْ مِنْهُــمُ مئــةً رسْلاً مِنَ القَوْلِ مَخْفُوضاً وما رَفَعا
ففَــكَّ عــن مئَــةٍ مِنْهُــمْ إســارَهُــمْ وأصْبَحــوا كُلُّهُــمْ مِــنْ غُلِّــهِ خُلِعــا
بِهِــمْ تَقَــرَّبَ يَــوْمَ الفِصْــحِ ضَــاحِيَــةً يـرْجُـو الإلـهَ بِمَـا أسْدَى ومَـا صَنَعَـا
فــلا يَــرَوْنَ بــذاكــمْ نِعْمَــةً سَبَقَــتْ إنْ قــال قــائِلهــا حَقّــاً بِهــا وسِعَــا

يصف بني تميم بالكُفْر لنعمته .

قال : فلما حضرت وهْرِزَ الوفاة ـ وذلكَ في آخر ملْك أنوشِرْوان ـ دعا بقوسه ، ونشَّابته ، ثم قال : أجلسوني ، فأجلسوه ، فرمى ، وقال : انظروا حيث وقعت نُشَّابتي فاجعلوا ناؤوسي هناك ، فوقعت نشَّابتُه من وراءِ الدَّيْر ، وهي الكنيسة التي عند نُعْم ، وهيَ تسمَّى اليومَ مقبرةَ وهْرِز؛ فلمَّا بلغ كسْرَى موتُ وَهْرِز ، بَعَثَ إلى اليمن أسواراً يقال له : وِيْن ، وكان جَبَّاراً مُسْرِفاً ، فَعَزَلَهُ هُرْمُز بن كِسْرَى ، واستعمل مكانه المَرُوزان ، فأقام باليمن حتى وُلِدَ له بها ، وبَلَغ ولدُه . ثم هلك كِسْرَى أنوشِرْوان ، وكان مُلْكُه ثمانِياً وأربعين سنة .

[ذكر ملك هرمز بن كسرى أنوشروان]

ثم ملك هُرْمُز بن كِسْرى أنوشروان ، وكانت أمّهُ ابنة خاقان الأكْبر ، فحُدِّثْتُ عن هشام بن محمد ، قال : كان هُرْمُز بن كِسْرى هذا كثيرَ الأدب ، ذا نِيَّة في الإحسان إلى الضُّعفاء والمساكين ، والحمل على الأشراف ، فعادَوْه وأبغضوه ، وكان في نفسِه عليهم مثلُ ذلك ، ولمَّا عُقِدَ التاجُ على رأسه ، اجْتَمَع إليْه أشرافُ أهْلِ مَمْلَكَتِه ، واجتهدوا في الدعاء له والشكر لوالده ، فوعدهم خيراً . وكان مُتَحَرِّياً للسيرةِ في رعيَّتِه بالعدْل ، شديداً على العظماء لاستطالتهم كانت على

الوُضعاء ، وبلغ من عدْله : أنَّه كان يسير إلى ماه ليصيفَ ، فأمر فَنُوديَ في مسيره ذلك في جُنْدِه وسائر منْ كان في عسْكره أنْ يتحامَوْا مواضعَ الحُروث ولا يضرّوا بأحَدٍ من الدَّهاقين فيها ، ويضبطوا دوابَّهُمْ عن الفساد فيها ، ووكَّل بتعاهد ما يكُون في عسكره من ذلك ومعاقبةِ منْ تعدَّى أمْرَه .

وكان ابنُه كِسْرَى في عَسْكَرِه ، فعار مركب من مراكِبِه ووقع في مَحْرَثَة من المحارث التي كانت على طريقه فرتع فيها وأفْسَد منها ، فأخِذ ذلك المركب ، ودُفِع إلى الرَّجُل الذي وكّل هُرْمُز بمعاقبة من أفسد أوْ دابَّتهُ شيئاً من المحارث وتغريمه . فلم يقدر الرَّجل على إنفاذ أمر هُرْمز في كسرى ، ولا في أحد مِمَّن كان معه في حَشَمِه ، فرفع ما رأى من إفساد ذلك المركب إلى هُرْمز ، فأمرِ أن يجْدَع أذنيه ، ويبتَّر ذَنَبَه ، ويغرّم كسرى؛ فخرج الرَّجل من عند هُرْمُز لينفذ أمرَه في كِسْرى ومركبه ذلك ، فدسَّ له كِسْرَى رهْطاً من العُظماء ليسْألوه التَّغْبيبَ في أمْره ، فلقوه وكلَّموه في ذلك فلم يجب إليه ، فسألوه أن يؤخِّر ما أمر به هُرْمُز في المركب حتى يكلِّموه فيأمر بالكفّ عنه ، ففعل . فلقيَ أولئك الرَّهْط هُرْمُز وأعلموه : أنّ بالمرْكب الذي أفسد ما أفسد زعارَةً ، وأنَّه عار فوقع في مَحْرَثَة؛ فأخِذ من ساعة وقع فيها ، وسَألوه أن يأمر بالكفّ عن جدْعِه وتَبْتيرِه لما فيها من سوء الطِّيَرَة على كِسْرى . فلم يُجِبْهُم إلى ما سَألوا من ذلك ، وأمر بالمركب فجُدِعَ أذناه ، وَبُتِرَ ذنبه ، وغرم كِسْرَى مثل ما كان يغرَّم غيره في هذا الحدّ ، ثمَّ ارتحل من معسكره . وكان هُرْمُز ركب ذات يوم في أوان إيناعِ الكرْم إلى ساباط المدائن ، وكانَ مَمرُّهُ على بساتينُ وكرومٍ ، وإنَّ رجلاً ممّن ركبَ معه من أساوِرَته اطَّلع في كَرْمٍ فرأى فيه حِصْرِماً ، فأصابَ منه عناقيدَ ودَفَعَها إلى غلامٍ كان معه ، وقال له : اذهبْ بها إلى المنْزِل واطبُخْها بِلَحمٍ واتَّخِذْ منها مَرقةً فإنها نافعة في هذا الإبَّان . فأتاه حافظُ ذلك الكرْم فَلَزِمَه وصرخ ، فبلغ [من] إشفاق الرَّجل من عقوبة هرمز على تناوُلِه من ذلك الكرْم أنْ دفع إلى حافظ الكرْم مِنْطَقة محلاَّة بذهب كانت عليه ، عوضاً له من الحصْرم الذي رزأ من كرْمه ، وافتدى نفسَه بها ، ورأى : أنَّ قَبْضَ الحافظ إياها منه وتخْلِيته عنه ، مِنَّةٌ منّ بها عليه ، ومعروف أسداه إليه . وقيل : إنّ هرمز كان مظفَّراً منصوراً لا يَمُدُّ يدَه إلى شيء إلاَّ ناله ، وكان مع ذلك أديباً أريباً داهياً رديء النيَّة ، قد نزعه أخوالُه الأتراك ، وكان مُقْصِياً للأشْراف ،

وإنَّه قتل من العلماء وأهل البُيوتات والشَّرف ثلاثَةَ عشر ألف رجل وستمئة رجل ، وإنَّه لم يكن له رأيٌ إلا في تألُّفِ السَّفلة واستِصْلاحهم ، وإنَّه حَبَس ناساً كثيراً من العظماء وأسْقطهم وحطَّ مراتبَهم ودرجاتهم ، وجهَّزَ الجنودَ وقصَّر بالأساورة فَفَسَد عليه كثيرٌ ممَّن كان حوله لِمَا أراد الله من تغيير أمرِهم وتحويل ملكهم ـ ولكلِّ شيء سبب ـ وإنَّ الهَرابِذة رفعوا إليه قصَّة يبغون فيها على النَّصارى ، فوقع فيها : إنَّه كما لا قِوامَ لسريرِ مُلْكنا بقائمتيه المقدَّمتين دون قائمَتيْه المؤخَّرتين ، فكذلك لا قِوَام لملْكنا ولا ثباتَ له مع استفسادنا مَنْ في بلادِنا من النَّصارى وأهل سائر المِلَلِ المخالفة لنا؛ فأقصروا عن البغْي على النَّصارى ، وواظبوا على أعمال البرّ ليرَى ذلك النصارى وغيرُهم من أهْل الملل [والأديان] ، فيحْمَدوكم عليه ، وتَتوق أنفسُهم إلى ملَّتِكم .

وحُدّثْتُ عن هشام بن محمد ، قال : خرج على هرمز التُرك ـ وقال غيره : أقْبَل عليه شابة ملك التُّرك الأعظم ـ في ثلاثمئة ألف مقاتل ، في سنة إحْدى عشرة من ملكه ، حتَّى صار إلى باذغيس وهَراة . وإنَّ ملكَ الروم صار إلى الضَّواحي في ثمانين ألف مقاتل قاصداً له ، وإنَّ ملك الخَزَرِ صار في جمْع عظيم إلى الباب والأبواب ، فعاث وأخرب ، وإنَّ رجليْن من العرب يقال لأحدهما : عبّاسُ الأحْول ، والآخر : عمرو الأزْرق ، نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطىء الفرات ، وشنُّوا الغارةَ على أهل السَّواد ، واجْتَرأ أعداؤه عليه وغزوا بلاده ، وبلغ من اكْتِنَافهم إياها : أنَّها سُمِّيَتْ منخلاً كثير السّمام . وقيل : قد اكتنف بلادَ الفرسِ الأعداءُ من كلّ وجه كاكْتناف الوترَ سِيتَي القوْس . وأرْسل شابة ملك التُّرك إلى هرمز وعظماء الفرس يُؤْذنُهم بإقْباله في جُنوده ، ويقول : رُمُّوا قناطرَ أنهارٍ وأودية أجتازُ عليها إلى بلادكم ، واعْقدوا القَناطر على كلّ نهْرٍ من تلك الأنهار لا قنطرةَ له ، وافْعلوا ذلك في الأنهارِ والأوْدية التي عليها مسْلكي من بلادكم إلى بلادِ الرُّوم لإجماعي بالمسير إليها من بِلادِكم . فاسْتفظَع هرمز ما وَرَد عليه من ذلك ، وشاور فيه ، فأجْمِع له على القصْد لملك الترك ، فوجَّه إليه رجُلاً من أهل الرَّيّ يقال لَهُ : بَهْرام بن بهْرام جُشْنَس ـ ويعرف بجُوبين ـ في اثني عشر ألف رجل ، اختاره بهرام على عيْنيه من الكهول دون الشَّباب . ويقالُ : إنَّ هُرْمز عرض ذلك الوقت من كان بحضرته من الديوانيَّة ، فكانت عِدَّتهم سبعين ألف مُقاتل ،

فمضى بهرام بمن ضُمَّ إليه مُغِذّاً حتى جاز هَراة ، وباذغيس ، ولم يشعُر شابة ببهرام حتى نزل بالقرب منه مُعَسْكِراً ، فجرت بَيْنَهُما رسائلُ وحروبٌ ، وقتَل بهرامُ شابَةَ برَمْية رماه إيَّاها . وقيل : إن الرّميَ في ملك العجم كان لثلاثة نفر ، منها رمية أرششياطين بين مِنُوشهر ، وأفراسياب ، ومنها رَمْيَة سوخرا في التّرك ، ومنها رمية بهرام هذه ، واستباح عسكرَه وأقام بموْضعه ، فوافاه برموذة بن شابة ، وكان يعدل بأبيه ، فحارَبَه فهزمه ، وحصره في بعض الحصُون ، ثم ألحَّ عليه حتَّى استسْلم له ، فوجَّهه إلى هرمز أسيراً ، وغَنِمَ مما كان في الحصْن [وكانت] كنوزاً عظيمة .

ويقال : إنَّه حمل إلى هرمز من الأمْوال ، والجوْهر ، والآنية ، والسلاح ، وسائرِ الأمْتعة مِمّا غَنمَه وَقْرَ مئتيْ ألف وخمسين ألف بعير ، فشكر هرمز لبهْرام ما كان منه بسبب الغنائم التي صارت إليْه ، وخاف بهرام سَطْوَة هرمز ، وخاف مثْلَ ذلك منْ كان معه من الجنود ، فخلعوا هرمز وأقبلوا نَحْوَ المدائن ، وأظْهروا الامْتِعاضَ ممَّا كان من هرمز ، وأنَّ ابنَه أبَرْويز أصلحُ للمُلْك منه . وساعَدَهم على ذلك بعض من كان بحضرةِ هرمز ، فهرب أبَرْويز بهذا السبب إلى آذربيجان خوفاً من هرمز ، فاجتمع إليه هناك عدّةٌ من المرازِبة والإصْبَهْبذين ، فأعْطوْه بَيْعَتَهُم ، ووثب العظماءُ والأشرافُ بالمدائن ، وفيهم بنْدى وبِسْطام خالا أبَرْويز ، فخلعوا هرمز وسملوا عينيه وترَكُوه تَحَرُّجاً من قتله .

وبلغ الخبرُ أبَرْويز ، فأقبل بمن شايَعَه من آذربيجان إلى دار الملك مُسابقاً لبهرام ، فلما صار إليْها استولى على المُلْك وتحرَّز من بهرام ، والتقى هُو وهُو على شاطىء النَّهْرَوَان ، فجرتْ بينهما مناظرةٌ ومواقفة ، ودعا أبَرْويزُ بهرامَ إلى أن يؤمِّنَه ويرفع مرتَبَتَهُ ويُسْنِي ولايتَه ، فلم يقْبَل ذلك ، وجرت بينهما حروبٌ اضطرَّت أبَرْوِيز إلى الهرب إلى الروم مستغيثاً بملكها بعد حرْب شديدة وبيات كان من بعْضهم لبعض . وقيل : إنَّه كان مع بَهْرام جماعةٌ من الأشدَّاء ، وكان فيهم ثلاثةُ نفرٍ من وجوه الأتراك لا يعْدَل بهم في فروسيّتهم وشدَّتهم من الأتْراك أحدٌ ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز . فلمَّا كان الغدُ من ليْلة البيات؛ وقف أبَرْويز ودعا الناسَ إلى حرب بهرام فتثاقَلُوا عليه ، قصده النفر الثلاثةُ من الأتراك ، فخرج إليهم أبْرويز فقتلهم بيده واحِداً واحداً ، ثمَّ انصرف من المعْركة وقد أحسَّ من

أصحابه بالفتور والتغيُّر ، فصار إلى أبيه بِطَيْسَبون حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبيَّنه من أصحابه وشاوره ، فأشار عليه بالمصير إلى مَوْريق ملك الروم ليستنجدهُ ، فأحْرز حُرَمَه في موضع أمِنَ عليهم بهرامَ ، وومضى في عدَّة يسيرةٍ؛ منهم بِنْدي وبَسطام وكُرْدي أخو بهرام جوبين حتى صار إلى أنْطَاكيَة ، وكاتَبَ موريق فقَبِلَه ، وزوَّجه ابنةً له كانتْ عزيزةً عليه ، يقال لها : مَرْيم . وكان جميع مدَّة مُلْك هرمز بن كسرى في قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وأمَّا هشام بن محمد فإنَّه قال : كان ملكه اثنتي عشرة سنة .

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

ثم مَلَك كِسرى أبَرْويز بن هرمز بن كسرى أنوشِروان؛ وكان من أشدّ ملوكهم بطشاً ، وأنْفذِهم رأياً ، وأبْعدهم غوْراً ، وبلغ ـ فيما ذُكر ـ من البأس والنَّجْدة والنَّصر والظَّفَر وجمْع الأمْوال والكنوز ومُساعدة القَدَر ومساعفة الدَّهْر إيّاه ما لم يتهيَّأ لملك أكثر منه ، ولذلك سُمّي أبْرويز ، وتفسيرُه بالعربية : «المظفّر» . وذُكر : أنه لمَّا استوْحش من أبيه هرمز ـ لِمَا كان من احْتِيال بهرام جوبين في ذلك ، حتَّى أوْهم هرمز : أنَّه على أن يقوم بالملْك لنفسه دونه ـ سار إلى آذربيجان مكتَتِماً ، ثم أظهر أمره بعد ذلك ، فلمَّا صار في النَّاحية اجتمعت إليه جماعة ممَّن كان هناك من الإصْبَهْبَذين وغيرهم ، فأعْطوْه بيعتَهم على نُصْرته؛ فلم يُحْدِث في الأمر شيئاً . وقيل : إنَّه لما قتل آذينْجُشْنَس المُوَجَّه لمحاربة بهرام جوبين ، انفضَّ الجمع الذي كان معه حتى وافوا المدائن ، واتَّبعهم جوبين ، فاضطرب أمر هرمز ، وكتَبَتْ أختُ آذينْجُشْنَس إلى أبَرْويز ـ وكانت تِرْبه ـ تخبره بضعْف هرمز للحادث في آذِيْنجُشْنَس ، وأنَّ العظماءَ قد أجْمعوا على خلعه ، وأعْلمته : أنّ جوبين إن سَبَقَه إلى المدائن قبل مُوَافاته احتوى علَيْها .

فلمَّا ورد الكتاب على أبَرْويز ، جمع من أمْكنه من أرْمينِيَة وآذربيجان ، وصار بهم إلى المدائن ، واجتمع إليْه الوجوهُ والأشراف مسرورين بِمُوَافاته ، فَتَتَوّج بتاج الملْك ، وجلس على سريره ، وقال : إنَّ من ملّتنا إيْثارَ البِرّ ، ومن رأينا العمل بالخيْر ، وإنّ جدَّنا كِسْرى بن قُباذ كان لكم بمنزلة الوالد ، وإنَّ هرمز أبانَا كان لكم قاضياً عادلاً ، فعليْكم بلزوم السَّمع والطاعة . فلما كان في اليوم الثالث؛ أتى أباه فسجد له ، وقال : عمَّرك الله أيها الملك! إنَّك تعلم أنِّي بريءٌ مما أتى

إليك المنافقون ، وأني إنَّما تواريت ولحقت بآذربيجان خوفاً من إقدامك على القتل ، فصدَّقه هرمز ، وقال له : إنَّ لي إليك يا بُنيَّ حاجتيْن ، فأسْعِفني بهما ؛ إحداهما : أن تنْتقم لي ممَّن عاون على خلْعِي والسَّمْل لعيْنيَّ ، ولا تأخذْك فيهم رأفة ؛ والأخرى : أن تُؤْنسنِي كلَّ يوم بثلاثة نفر لهم أصالة رأي ، وتأذن لهم في الدخول عليّ . فتواضع له أبَرْويز وقال : عمّرك الله أيُّها الملك ! إنَّ المارق بهرام قد أظلَّنا ومعه الشجاعةُ والنَّجدة ، ولسْنا نقدر أن نمدَّ يداً إلى من آتى إليك ما آتى ، فإن أدالِني اللهُ على المنافق ؛ فأنا خليفتُك وطوْعُ يدك .

وبلغ بَهرامَ قدومُ كِسْرى ، وتمليك الناس إياه ، فأقبل بجنده حثيثاً نحو المدائن ، وأذكى أبَرْوِيزُ العيون عليه ، فلمَّا قرُبَ منه رأى أبَرْويز : أنَّ التَّرفُّق به أصْلح ، فتسلَّح وأمر بِنْدُويه وبِسْطام وناساً كان يَثِقُ بهم من العظماءِ وألفَ رجُل من جنْده ، فتزيَّنوا وتسلَّحوا ، وخرج بهم أبَرْوِيز من قصْره نحو بهرام ، والنَّاس يدعون له ، وقد احْتوَشه بِنْدُويه وبِسطام وغيرُهما من الوجوه حتَّى وقف على شاطىء النَّهْرَوان ، فلمَّا عرف بهرام مكانَه ، ركب بِرْذَوْناً له أبلقَ كان معجباً بِهِ ، وأقْبَل حاسِراً ومعه إيزَدْجُشْنَس وثلاثةُ نفر من قرابة مَلِك الترك كانوا جَعَلوا لبهرام على أنفْسهم أن يأتوه بأبَرْوِيز أسيراً ، وأعْطاهم بهرامُ على ذلك أموالاً عظيمة . ولمَّا رأى بَهْرام بِزَّة كسرى وزينتَه والتاجَ ، يُسَايره معه «دِرَفْش كابيان» علَمُهُم الأعْظم منشوراً ، وأبصر بِنْدُويَه وبِسْطام وسائرَ العُظماء وحسنَ تسلُّحِهم وفراهةَ دوابِّهم ؛ اكْتأب لذلك ، وقال لمن معه : ألا ترَوْن ابنَ الفاعلة قد ألْحَمَ وأشْحم ، وتحوَّل من الحداثة إلى الحُنْكة ، واسْتوَتْ لِحْيَتهُ وكَملَ شبابهُ ، وعظُم بَدَنُه ! فبينا هو يتكلَّم بهذا وقد وقف على شاطىء النَّهروان ؛ إذ قال كِسْرى لبعض منْ كان واقفاً : أيّ هؤلاء بهرام؟ فقال أخٌ لبهرام يسمَّى كُرْدي لم يزل مُطيعاً لأبَرْوِيز مُؤْثراً له : عمَّرك الله! صاحبُ البِرْذون الأبلق . فبدأ كِسرى فقال : إنَّك يا بهرام رُكنٌ لمملكتنا وسنادٌ لرعيَّتنا ، وقد حَسُن بلاؤُك عندنا ، وقد رأيْنا أن نخْتار لك يوماً صالحاً لنُولِّيَكَ فيه إصْبَهْبَذَةَ بلاد الفرس جميعاً ؛ فقال له بهرام ـ وازداد من كِسْرى قرباً ـ : لكنِّي أختار لك يوماً أصلبك فيه ، فامتلأ كِسْرى حُزناً من غير أن يبدوَ في وجْهه من ذلك شيء ، وامتدَّ بينهما الكلام ، فقال بهرام لأبَرْوِيز : يا بن الزَّانية المُرَبَّى في خيام الأكراد! هذا ومثله ، ولم يقبل شيئاً ممَّا عرضه عليه ، وجرى

ذِكْر إيرش جدّ بهرام ، فقرّعه أَبَرْوِيز بطاعة إيرش كانت لِمنوشِهْر جدّه ، وتفرَّقا وكلٌّ واحد منهما على غاية الوحْشة لصاحبه .

وكانت لبهرامَ أختٌ يقال لها: كُرْدية ، من أتمِّ النساء وأكملهنَّ ، وكان تزوَّجَها ، فعاتبت بهرام على سوء مُلافظته كانت لكِسْرى ، وأَرَادَتْه على الدُّخول في طاعته ، فلم يقبل ذلك ، وكانت بين كِسْرى وبهرام مُباينة ، فيُقَال: إنَّه لما كان من غدِ الليلة التي كان البيات فيها؛ أبرز كسرى نفسْه ، فلما رآه الأتْراك الثلاثةُ؛ قصدوه ، فقتلهم بيده أبَرْوِيز ، وحرَّض الناسَ على القتال فتبيَّن فشلاً ، فأجمع أبَرْوِيز على إتيان بعض الملوك للاسْتجاشة به ، فصار إلى أبيه وشاوره ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأحْرَزَ نساءَه وشَخَص في عدّة يسيرة ، فيهم: بِنْدُويه ، وبِسطام ، وكُرْدي أخو بهرام ، فلمَّا خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يردّ هرمز إلى المُلْك ، ويكتُبَ إلى ملك الروم عنه في ردّهم فَيُتْلَفوا ، فأعلموا أبَرْوِيز ذلك ، واستأذَنُوهُ في إتلاف هرمز فلم يحِرْ جواباً ، فانصرف بِندُويه وبِسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلفوه خَنْقاً ، ثم رجعوا إلى كِسْرى وقالوا: سِرْ على خير طائر ، فحثُّوا دوابَّهم وصاروا إلى الفُرَات فقطعوه ، وأخذوا طريقَ المفازة بدلالة رجل يقال له: خُرْشيذان ، وصاروا إلى بعض الدِّيارات التي في أطراف العمارة ، فلما أوطنوا إلى الراحة غشِيَتْهم خيلُ بهرام ، يرأسُها رجلٌ يقال له بهرام بن سِياوَش ، فلمَّا نذِروا بهم أنبه بنْدُوَيه أَبْرْويزَ من نومه وقال له: احتلْ لنفسك ، فإنَّ القوم قد أطلّوك؛ قال كسرى: ما عندي حيلة ، فأعلمه بِنْدُوَيه: أنَّه يبذل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بِزَّته ويخرج ومن معه من الدَّير ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القومَ حتى تَوَارَوْا بالجبل ، فلمَّا وافى بهرام بن سياوش ، اطَّلع عليه من فوق الدَّير بِندويه وعليْه بِزَّة أبَرْويز ، فَوَهّمه بذلك أنه أبَرْويز ، وسأله أن يُنْظِره إلى غده ليصير في يده سلماً ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جوبين ، فحبسه في يديْ بهرام بن سِياوش.

ويقال: إنَّ بهرام دخل دُور الملك بالمدائن ، وقعد على سريره ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع في أبَرْوِيز ، وذمَّه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام] كان كلُّهم منصرفاً عنه ، إلاَّ أن بهرام جلس على سرير الملك وتتوَّج وانْقادَ له الناس خوفاً ـ ويقال: إنَّ بهرام بن سِيَاوش واطَأ بِنْدويه على الفتْك

بجوبين ، وإنَّ جوبين ظهر على ذلك فقتله ، وأفلت بِنْدويه فلحق بآذربيجان ، وسَار أبَرْوِيز حتى أتى أنطاكيَة ، وكاتب مَوْريق ملك الرُّوم منها ، وأرْسل إليه بجماعة ممَّن كان معه وسأله نُصْرَته ، فأجابَه إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زَوّجه مريم ابنتَه وحملها إليها ، وبعث إليه بنياذوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له: سَرْجِس ، يتولّى تدبير أمرهم ، ورجلٌ آخر كانت قوّته تعدل بقوّة ألف رجل ، واشترط عليه حياطته ، وألاّ يسْأله الإتاوة التي كان آباؤه يسألونها ملوكَ الروم ، فلمَّا ورد القوم على أبَرْوِيز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثمَّ عرضهم وعرَّف عليهم العرفاء ، وفي القوْم ثياذوس ، وسَرْجِس ، والكَمِيّ الذي يعدل بألف رجل؛ وسار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق. فوافاه هناك بِنْدُوَيه ورجل مَنْ أصْبهْبَذِي الناحية يقال له: مُوسِيل في أربعين ألف مقاتل ، وانقضّ الناس من فارس وأصْبَهان وخُراسان إلى أبَرْوِيز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدَّنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجرت بينهما حرْب شديدة قُتِل فيها الكميُّ الرّوميّ ، ويقال: إن أبَرْوِيز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلاً - منهم كُرْدِي أخو بهرام ، وبِنْدُويه ، وبِسطام ، وسَابُور بن أفريان بن فرُّخزاد ، وَفرْخهُرْمُز - حرباً شديداً وصل فيها بعضُهم إلى بعض. والمجوس تزعم: أن أبَرْويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام ، فلمَّا ظن: أنه قد تمكّنَ منه؛ رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه.

وذُكِر: أنَّ المنجّمين أجمعت: أنَّ أبَرْوِيز يملك ثمانياً وأربعين سنة. وقد كان أبرَوِيز بَارَزَ بهْرام فاختطف رُمْحه من يده وضرب به رأسه حتى تقصَّف ، فاضطرب على بهرام أمرُه ووجِل ، وعلم: أنَّه لا حيلة له في أبَرْويز فانحاز نحوَ خراسان ، ثم صار إلى التّرك ، وصار أبَرْوِيز إلى المدائن بعد أن فرَّق في جنود الرُّوم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق. ويقال: إنَّ أبَرْويز كتب للنَّصارى كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بِيَعِهِم وأنْ يدخل في ملّتِهم مِن أحبَّ الدخولَ فيها من غير المجوس ، واحتجَّ في ذلك: أنَّ أنُوشِرْوان كان هادَنَ قيْصَر في الإتاوة التي أخذها منه على اسْتِصْلاح من في بلده من أهْل بلده ، واتّخاذ بيوت النيران هنالك ، وإنَّ قيْصر اشترط مثل ذلك في النصارى؛ ولبث بهرام في الترك مكرَّماً عند الملك ، حتىَّ احتال له أبَرْوِيز بتوْجيه رجل يقال له: هُرْمز ، وجَّهه إلى التَرْك بجوْهر نفيس وغيره حتى احتال لخاتون امرأة الملك ولاطَفَها بذلك الجوهر وغيره ، حتَّى

دَسَّت لبهرام مَنْ قتله. فيقال: إنَّ خاقان اغتمَّ لقتْله وأرسل إلى كردية أخته وامْرَأتِه يُعْلمها بلوغ الحادث ببهرام منه، ويسألُها أن تُزوّج نفسها نطراً أخاه، وطلّق خاتون بهذا السَّبب، فيقال: إن كردية أجابت خاقان جواباً ليّناً وصرفت نطراً، وإنَّها ضمَّت إليها من كان مع أخيها من المُقَاتلة وخرجت بهم من بلاد التّرك إلى حدود مَمْلكة فارس، وإنَّ نطراً التركي اتَّبَعها في اثنىْ عشر ألف مقاتل، وإنَّ كردية قتلت نطراً بِيَدِها ومضت لوجْهِها، وكَتَبَتْ إلى أخيها كردي فأخذ لها أماناً من أبَرْويز، فلمَّا قدمت عليه تزوَّجَهَا أبَرْويز واغْتبَط بها وشكر لها ما كان من عِتابها لبهرام، وأقبل أبرْويزُ على برّ موريق وإلطافه. وإنَّ الروم خَلَعُوا ـ بعْد أن ملك كسرى أربع عشرة سنة ـ موريقَ وقتلوه وأبادوا وَرَثَتَهُ ـ خلا ابن له هرب إلى كسرى ـ وملّكوا عليهم رجلاً يقال له: قُوفا.

فلمَّا بلغ كِسْرى نكثُ الروم عهدَ موريق وقَتْلُهم إيَّاه؛ امتعض من ذلك وأنِفَ منه، وأخذته الحفيظة، فآوى ابنَ موريق اللاّجىءَ إليْه، وتوّجَه وملّكه على الروم، ووجَّه معه ثلاثة نفر من قُوَّاده في جنود كثيفة. أمَّا أحدهم فكان يقال له: رُميوزان، وجَّهه إلى بلاد الشام فدوَّخها حتى انتهى إلى أرض فِلَسْطين، وورد مدينة بيْت المَقْدس فأخذ أسْقُفَّها ومن كان فيها من القِسِّيسين وسائر النصارى بخشبة الصَّليب، وكانت وُضعت في تابوت من ذهب، وطُمِر في بُسْتان وزُرِعَ فَوْقه مبقلة، وألحَّ عليهم حتى دلُّوه على موضعها، فاحتفر عنها بيده واستَخْرجها، وبعث بها إلى كِسْرى في أربع وعشرين من ملكه.

وأمَّا القائدُ الآخر ـ وكان يقال له: شاهين، وكان فاذوسبان المغرب ـ فإنّه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلادِ نُوبة، وبعث إلى كِسْرى بمفاتيح مدينة إسكندريّة في سنة ثمان وعشرين من ملكه. وأما القائد الثالث فكان يقال له: فَرُّهان، وتدعى مرتبته شَهْرَبَراز. وإنَّه قصد القُسْطنْطِينيَّة حتى أناخ على ضَفَّة الخليج القريب منها، وخيَّم هنالك، فأمره كِسْرى فخرَّب بلاد الرّوم غضباً ممَّا انتهكوا من موريق، وانتقاماً له منهم، ولم يخضع لابن موريق من الرّوم أحد ولم يمنحه الطاعة، غير أنَّهم قتلوا قوفا الملكَ الذي كانوا ملّكوه عليهم لِمَا ظَهَرَ لهم من فجوره وجرْأته على الله وسوء تدبيره، وملَّكوا عليهم رجلاً يقال له: هِرَقْل.

فلمَّا رأى هرقل عظيم ما فيه بلادُ الروم من تخْريب جنود فارس إيَّاها وقَتْلِها

مُقَاتِلتهم وسبيهم ذرارِيّهم واسْتِباحَتِهم أموالهم وانْتِهاكِهم ما بحضْرتهم؛ بكى إلى الله وتضرَّع إليه وسأله أن يُنْقِذه وأهلَ ممْلكته من جنود فارس، فرأى في منامه رجلاً ضخْمَ الجثَّة رفيعَ المجلس، عليه بِزّة، قائماً في ناحية عنه، فدخل عليهما داخل، فألقى ذلك الرَّجل عن مجلسه، وقال لهرقل: إني قدْ أسلمته في يدك، فلم يقصُصْ رؤْياه تلكَ في يقظته على أحد، ورأى الليلة الثانية في منامه: أن الرَّجل الذي رآه في حلمه جالس في مجْلس رفيع، وأنَّ الرَّجل الدَّاخلَ عليهما أتاهُ وبيَدِه سلْسِلة طويلة، فألقاها في عُنُق صاحب المجلس وأمكنه منْه، وقال له: هأنذا قد دفعتُ إليك كِسْرى برُمَّته، فاغْزُه فإنَّ الظفر لك، وإنَّك مدالٌ عليه ونائلٌ أمْنيتك في غَزَاتك. فلمَّا تتابعت عليه هذه الأحلام، قصَّها على عظماء الروم وذوي الرأي منهم.

فأخبروه: أنَّه مدالٌ عليه، وأشاروا عليه أن يغزوَه، فاستعدّ هِرَقل واستخلف ابناً له على مدينة قسطنطينِيَّة، وأخذ غير الطريق الذي فيه شَهْرَبراز، وسار حتَّى أوغل في بلاد أرمينيَة، ونزل نَصيبين بعد سنة، وكان شاهين ـ فاذوسبان المغرب ـ بباب كِسْرى حين ورد هِرَقْل نَصيبين لموْجدة كانت من كسرى عليه، وعزله إيَّاه عن ذلك الثَّغْر، وكان شهربراز مُرابطاً للموضع الذي كان فيه لتقدّم كسرى كان إليه في الجثوم فيه، وترك البراح منه، فبلغ كِسْرَى خبرُ تساقط هِرَقْل في جنوده إلى نَصيبين، فوجَّه لمحاربة هرقْل رجلاً من قُوَّاده يقال له: راهزار، في اثني عشر ألف مقاتل، وأمره أن يقيم بنِينَوَى من مدينة الموْصِل على شاطىء دجلة، ويمنع الرومِ أن يجوزوها ـ وكان كِسْرَى حين بَلَغه خبرُ هِرَقْل مقيماً بدَسْكَرة الملك ـ فنفذ راهزار لأمرْ كسرى، وعسْكر حيث أمره، فقطع هِرقْلِ دِجْلة في موضع آخر إلى الناحية التي كان فيها جندٌ فارس، فأذْكى راهزار العيون عليه، فانْصَرَفُوا إليه وأخبروه: أنَّه في سبعين ألف مقاتل، وأيْقنَ راهزار: أنَّه ومَنْ معه من الجنود عاجُزون عن مناهضة سبعين ألف مُقَاتل، فكتب إلى كِسْرَى غيرَ مرَّة دَهْم هرقْلٍ إيَّاه بمن لا طاقة له ولمن معه بهم، لكثرتهم وحسنِ عدّتهم، كلُّ ذلك يجيبه كسرى في كتابه: أنَّه إن عجز عن أولئك الرُّوم فلنْ يعجز عن اسْتِقْتَالهم وبذْل دمائهم في طاعته، فلمَّا تتابعت على راهزار جواباتُ كُتُبِه إلى كِسْرى بذلك؛ عبّى جندَه وناهض الرُّوم، فقتلت الرُّوم راهزار وستَّة آلاف رجُل،

وانهَزَم بَقِيَّتُهُم وهَرَبُوا على وجوههم ، وبلغ كِسْرى قتلُ الرُّوم راهزار وما نَال هرقل من الظَّفر ، فهدّه ذلك وانحاز من دَسْكَرة الملك إلى المدائن ، وتحصَّن فيها لعجْزه عن محاربة هرقل.

وسَار هِرَقل حتَّى كان قريباً من المدائن ، فلمَّا تساقط إلى كِسْرى خبرُه واستعدَّ لقتاله؛ انصَرف إلى أرض الرُّوم وكتب كِسْرى إلى قُوَّاد الجُنْد الذين انهزموا يأمرهم أن يدُلّوه على كلّ رجل منهم ومن أصحابهم ، ممّن فشل في تلك الحرب ولم يرابِطْ مركزه فيها ، فيأمر أن يعاقب بقدر ما اسْتَوجَب ، فأخْرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه ، وطلب الحِيَل لنجاة أنفسهم منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك ، ويصفُ ما كان من أمْر الرُّوم في عمله.

وقد قيل: إنّ قول الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إنما نزل في أمر أبَرْوِيز ملك فارس وملك الرُّوم هِرَقل، وما كان بينهما ممَّا قد ذكرت من هذه الأخبار[1]. (٢: ١٦٨/ ١٨٤).

٨٤٨ ـ حدثنا القاسم، قال: حدَّثنا الحسين، قال: حدَّثنا حجّاج عن أبي بكر، عن عِكْرِمة ، قال: كانت في فارس امرأة لا تَلِدُ إلاَّ الملوك الأبطال ، فدعاها كِسْرى ، فقال: إنّي أريدُ أنْ أبْعثَ إلى الرُّوم جيشاً وأستعْمِل عليهم رجلاً من بنيك ، فأشِيري عليّ أيّهم أستعمل ، قالت: هذا فلانٌ وهو أروغ من ثعْلب ، وأحذر من صقْر؛ وهذا فَرُّخان وهو أنفذُ من سِنان ، وهذا شَهْربراز وهو أحْلم من كذا؛ فاستعملْ أيَّهم شئت ، قال: فإنيّ قد استعملت الحلِيم ، فاستعمل شَهْربَراز ، فسار إلى الرُّوم بأهلِ فارس وظهر عليهم ، فقتَّلَهم وخرَّب مدائِنَهم ، وقطع زيتونهم. قال أبو بكر: فَحَدَّثْتُ هذا الحديثَ عَطاء الخراسانيّ فقال: أما رأيت بلاد الشام؟ قلت: لا ، قال: أما إنَّك لو أتيتَها لرأيتَ المدائنَ التي خُرِّبت والزَّيتون الذي قُطع؛ فأتيتُ الشَّام بعد ذلكَ فرأيته.

قال عَطاءُ الخراسانيّ: حدَّثني يحيى بن يَعْمَر: أنَّ قَيْصَر بعث رجلاً يُدْعى

---

(١) ضعيف.

قطمة بجيش من الرُّوم ، وبعث كِسْرى بشَهْربَراز ، فالتقيا بأذرِعَات وبُصرى ـ وهي أدْنَى الشَّام إليكم ـ فلقيت فارسُ الرومَ فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كُفَّار قريش وكرهه المُسْلِمُون ، فأنْزَل الله: ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ . . . ﴾ الآيات. ثم ذكر مثل حديث عِكْرمة ، وزاد: فلم يبرح شَهْرَبَراز يطَؤهم ويخرِّب مدائنهم حتَّى بلغ الخليج ، ثمَّ مات كسرى فبلغهم موتُه ، فانهزم شَهْرَبَراز وأصحابُه ، وأدِيلت عليهم الرُّوم عند ذلك ، فاتّبعوهم يُقتِّلونهم.

قال: وقال عِكرمة في حديثه: لمّا ظهرت فارِس على الرُّوم؛ جلس فَرُّخان يشرب ، فقال لأصحابه: لقد رأيتُ كأني جالس على سرير كسرى؛ فبلغت كِسْرى ، فكتب إلى شَهْربَراز: إذا أتاك كتابي؛ فابعث إليَّ برأس فَرُّخان. فكتب إليه: أيّها الملك ! إنَّك لن تجد مثل فَرُّخان؛ إنَّ له نكايةً وصوْتاً في العدِوّ فلا تفعل. فكتب إليه: إنَّ في رجال فارس خَلفاً منه ، فعجِّل عليّ برأسه. فراجعه ، فغضب كِسْرى فلم يجِبْه ، وبعث بريداً إلى أهْل فارس: إني قد نزعتُ عنكم شَهْربَراز ، واستعملتُ عليكم فَرُّخان. ثمَّ دفع إلى البريد صحيفةً صغيرة. وقال: إذا وليَ فَرُّخان الملْك وانقادَ له أخوه؛ فأعطِه هذه الصحيفةَ ، فلمَّا قرأ شَهْربَراز الكتاب ، قال: سمعاً وطاعةً ، ونزل عن سريره وجلس فَرُّخان ، ودفع الصَّحيفةَ إليه فقال: ائتوني بِشَهْربَراز ، فقدَّمه؛ ليضرب عُنُقَه ، فقال: لا تعجل حتَّى أكتب وصِيَّتي ، قال: نعم ، فدعا بالسَّفَط فأعطاه ثلاث صحائف ، وقال: كلّ هذا راجعتُ فيكَ كِسْرى ، وأنت أردتَ أن تقتلني بكتاب واحد! فردَّ المُلْكَ إلى أخيه ، وكتب شَهْربَراز إلى قَيْصَر ملك الرُّوم: إنَّ لي إليك حاجةً لا تحملها البُرُد ولا تبلّغها الصُّحف ، فالقَنِي ، ولا تلقني إلاَّ في خمسين روميّاً ، فإني ألقاكَ في خمسين فارسيّاً ، فأقبل قيْصَرُ في خمسمئة ألف روميّ ، وجعل يَضعُ العُيُون بين يديْه في الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، حتَّى أتاه عيُونُه: أنَّه ليْس معه إلا خمسون رجلاً ، ثم بُسِط لهما والتقيا في قُبَّة ديباج ضُربت لهما ، مع كلِّ واحد منهما سكّين ، فدَعَوْا تُرْجماناً بينهما ، فقال شَهْربراز: إن الذين خرَّبوا مدائنَك أنا وأخي بكيْدنا وشجاعتنا ، وإنَّ كِسْرى حسدنا فأراد أنْ أقتلَ أخي ، فأبَيْتُ ، ثمَّ أمر أخِي أن يقتلني؛ فقد خَلَعْناه جميعاً فنحنُ نقاتله معك. قال: قد أصَبتُما ، ثمَّ أشارَ أحدُهما إلى صاحبه: أن السرَّ بين اثنين ، فإذا جاوز اثنين فَشَا ، قال: أجَلْ ،

فقتلا التّرْجمان جميعاً بسِكِّينَهما؛ فأهلك الله كِسْرى، وجاء الخبرُ إلى رسول الله ﷺ يومَ الحُدَيبِيَة، ففرح ومن معه.

وحُدِّثت عن هشام بن محمد: أنه قال: في سنة عشرين من مُلْك كِسْرى أَبَرْويز، بعث الله محمداً ﷺ، فأقام بمكَّة ثلاث عشرةَ سنة، وهاجر في سنة ثلاث وثلاثين من مُلكِه إلى المدينة[1]. (٢: ١٨٥/ ١٨٦/ ١٨٧).

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملْك فارس عن أهل فارس

وَوَطِئَتْها العربُ بما أكْرَمَهُم به بنبيّه محمد ﷺ من النبوّة والخلافة والمُلْك والسلطان في أيام كِسْرى أبَرْويز.

٨٤٩ ـ فمن ذلك ما روي عن وَهْب بن منبّه، وهو ما حدَّثنا به ابن حُمَيد، قال: حدَّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، قال: كان من حديث كِسْرى كما حدَّثني بعضُ أصحابي عن وهب بن منبِّه: أنه كان سَكَر دِجلة العَوْراء، وأنْفقَ عليها من الأموال ما لا يُدْرَى ما هو، وكان طاقُ مَجْلسه قد بُنِيَ بنياناً لم يُرَ مثله، وكان يعلِّق تاجَه، فيجلس فيه إذا جلس للناس، وكان عنده ستون وثلاثمئة رجل من الحُزَاة ـ والحُزَاة: العلماء ـ من بين كاهِنٍ وساحرٍ ومنجِّم؛ قال: وكان فيهم رجل من العرب يقال له: السَّائب، يعتاف اعِتيَافَ العرب قلَّما يخطىء ـ بعث به إليه باذَانُ من اليمن ـ فكان كِسْرَى إذا حَزَبه أمر؛ جمع كهَّانه وسحَّاره ومنجِّميه، فقال: انظروا في هذا الأمر ما هو!

فلمَّا أن بعث الله نبيَّه محمداً ﷺ؛ أصبح كِسْرى ذات غَداةٍ وقد انقصَمَتْ طاقُ مُلْكه من وسَطها من غير ثقْل، وانخرقت عليه دِجْلة العوْراء، فلمَّا رأى ذلك؛ حزنه، وقال: انقصمت طاقُ ملْكي من وسطها من غير ثقْل، وانخرقت عليَّ دجلة العوراء، «شاهْ بِشْكَسْت»: يقول: المِلك انكسرَ، ثم دعا كُهّانه وسحّاره ومنجّميه، ودعا السَّائب معهم، فقال لهم: انقصَمَتْ طاقُ ملْكي من غير ثقل، وانخرقت عليَّ دجلة العوراء، «شاهْ بِشْكَسْتْ» انظُرُوا في هذا الأمر ما هو؟! فخرجوا من عنْده فنظروا في أمْره، فأخِذ عليهم بأقطار السماء، وأظلمت عليهم

---

(١) ضعيف.

الأرض ، وتسكّعوا في علمهم ، فلا يمضي لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقِيم لمنجّم عِلْمُ نجومه. وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمُق برقاً نشأ من قبَل الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت قدميْه؛ فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف: لئن صدق ما أرى ، ليخرجَنّ من الحجاز سلطان يبلغ المشرق؛ تُخصِب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت عن ملِكٍ كان قبله.

فلما خَلَص الكهّان والمنجّمون بعضهم إلى بعض ، ورأوْا ما قد أصابهم ، ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض: تعلمون والله ما حِيل بينكم وبين علمكم إلا لأمر جاء من السّماء ، وإنه لَنبيّ قد بُعث ـ أو هو مبعوث ـ يسلب هذا الملك ويكسره. ولئن نعيْتم لكسرى مُلْكه ليقتلنّكم ، فأقيموا بينكم أمراً تقولونه له ، تؤخّرونه عنكم إلى أمرٍ ما ساعة.

فجاؤوا كسرى ، فقالوا له: إنّا قد نظرنا في هذا الأمر فوجدْنا حُسّابك الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرتَ دجْلة العوراء وضعوه على النُّحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ، فزال كلّ ما وضع عليهما؛ وإنّا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك فلا يزول. قال: فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له: ابنه ، فبنى ، فعمل في دجلة ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو ، حتى إذا فرغ [منها] قال لهم: أجلس على سورها؟ قالوا: نعم ، فأمر بالبُسط والفرش والرياحين فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة فجمِعوا له ، واجتمع إليه اللعّابون ، ثم خرج حتى جلس عليها ، فبينا هو هنالك انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج إلا بآخر رَمَق.

فلما أخرجوه ، جَمع كُهّانه وسُحّاره ومنجّميه ، فقتل منهم قريباً من مئة ، وقال: سمّنتكم وأدنيتُكم دون الناس ، وأجريت عليكم أرزاقي ، ثم تلعبون بي! فقالوا: أيها الملك ! أخطأنا كما أخطأ مَنْ كان قبلنا ، ولكنّا سنحسِب لك حساباً فتثبّتْ حتى تضعها على الوثاق من السعود. قال: انظروا ما تقولون! قالوا: فإنا نفعل؛ قال: فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له: ابنِه ، فبنى وأنفق من الأموال ما لا يُدرى ما هو ، ثمانية أشهر من ذي قِبل. ثم قالوا: قد فرغنا ، قال: أفأخرج فأقعد عليها؟ قالوا: نعم ، فهاب الجِلوس عليها ، وركب بِرْذَوْناً له ، وخرج

يسير عليها؛ فبينا هو يسير فوقها إذ انتسفته دِجْلة بالبنيان، فلم يدرَك إلاّ بآخر رَمَق، فدعاهم فقال: والله لأمرّن على آخركم ولأنزعنّ أكتافكم، ولأطرحنّكم تحت أيدي الفِيلَة أو لتصدُقُني ما هذا الأمر الذي تلفّقون عليّ! قالوا: لا نكذِبك أيّها الملك، أمرتَنا حين انخرقت عليك دِجلة، وانقصمت عليك طاق مجلسك من غير ثقل أن ننظر في علمنا لِمَ ذلك! فنظرنا، فأظلمت علينا الأرض وأخِذ علينا بأقطار السماء، فتردد علينا علمنا في أيدينا، فلا يستقيم لساحر سحره، ولا لكاهن كهانته، ولا لمنجّم علم نجومه؛ فعرفنا: أن هذا الأمر حَدث من السّماء، وأنه قد بُعِث نبيّ، أو هو مبعوث؛ فلذلك حِيل بيننا وبين علمنا، فخشينا إن نَعْينا لك ملكك أن تقتلنا، وكرهنا من الموت ما يكره الناس، فعلّلناك عن أنفسنا بما رأيت. قال: ويحكم! فهلاّ تكونون بيّنتم لي هذا فأرى فيه رأيي! قالوا: منَعنا من ذلك ما تخوّفنا منك، فتركهم ولها عن دِجلة حين غلبته[١]. (٢: ١٨٨/ ١٨٩/ ١٩٠).

٨٥٠ ـ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سَلَمة عن ابن إسحاق، عن الفضل بن عيسى الرّقاشيّ، عن الحسن البصريّ: أنّ أصحابَ رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله! ما حجّة الله على كِسرى فيك! قال: بعث إليه مَلَكاً فأخرج يده من سُور جدار بيته الذي هو فيه يتلألأ نوراً، فلما رآها فزع، فقال: لَمْ تُرَعْ يا كسرى! إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً فاتبعْه؛ تَسلَمْ دنياك وآخرتك، قال: سأنظر[٢]. (٢: ١٩٠/ ١٩١).

٨٥١ ـ حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، عن الزهريّ، عن أبي سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف، قال: بَعَث الله إلى كسرى ملَكاً وهو في بيت إيوانه الذي لا يُدْخل عليه فيه، فلم يرعه إلاّ به قائماً على رأسه في يده عصا بالهاجرة في ساعته التي كان يَقيل فيها، فقال: يا كسرى! أتُسْلِم أو أكسر هذه العصا! فقال: بِهِلْ بِهِلْ، فانصرف عنه ثم دعا أحراسه وحجّابه فتغيّظ عليهم، وقال: من أدخل هذا الرجل عليّ؟ فقالوا: ما دخل عليك أحد ولا رأيناه؛ حتى إذا كان العام القابل أتاه في الساعة التي أتاه

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

فيها ، فقال له كما قال له ، ثم قال له: أتُسلِم أو أكسر هذه العصا؟ فقال: بِهِلْ بِهِلْ بِهِلْ؛ ثلاثاً؛ فخرج عنه فدعا كسرى حجّابه وحرّاسه وبوّابيه فتغيّظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة ، فقالوا: ما رأينا أحداً دخل عليك. حتى إذا كان في العام الثالث أتاه في الساعة التي جاءه فيها ، فقال له كما قال: أتُسلِم أو أكسر هذه العصا؟ فقال: بِهِلْ بِهِلْ ، قال: فكسر العصا ، ثم خرج فلم يكن إلا تهوُّرُ ملكه؛ وانبعاثُ ابنه والفرْس حتى قتلوه[1]. (٢ : ١٩١).

٨٥٢ ـ قال عبد الله بن أبي بكر: فقال الزهريّ: حدّثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن فقال: ذُكِر لي: أن الملَك إنما دخل عليه بقارورتين في يديه ، ثم قال له: أسلم ، فلم يفعل ، فضرب إحداهما على الأخرى فرضّهما ، ثم خرج فكان من [أمر] هلاكه ما كان[2]. (١ : ١٩١).

٨٥٤ ـ حدثني يحيى بن جعفر ، قال: أخبرنا عليّ بن عاصم ، قال: أخبرَنا خالد الحذّاء ، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي بَكْرة ، يقول: بينما كسرى بن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان ، إيوان المدائن ، والأساورة محدِقون بقصره؛ إذ أقبل رجل يمشي معه عصا؛ حتى قام على رأسه ، فقال: يا كسرى بن هرمز ! إنّي رسول الله إليك أن تُسلم ، قالها ثلاث مرات ـ وكسرى مستلقٍ ينظر إليه لا يجيبه؛ ثم انصرف عنه ـ قال: فأرسل كسرى إلى صاحب حَرَسه ، فقال: أنت أدخلت عليّ هذا الرجل؟ قال: لم أفعل ولم يدخل من قِبَلنا أحد. قال: فلما كان العام المقبل؛ خاف كسرى تلك الليلة. فأرسل إليه أن أحِدقْ بقصري ، ولا يدخل عليّ أحد ، قال: ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصاً ، وهو يقول له: يا كسرى بن هرمز ! إنّي رسولُ الله إليك أن تُسلم ، فأسِلم خير لك ـ قال: وكسرى ينظر إليه لا يجيبه ـ فانصرف عنه ، قال: فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس: ألم آمرك ألاّ يدخلَ عليّ أحد! قال: أيّها الملك ! إنّه والله ما دخل عليك مِنْ قِبَلنا أحد ، فانظرْ من أين دخل عليك؟ قال: فلما كان العام المقبل؛ فكأنّه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرَس والحرس: أن أحدِقوا بي الليلة ، ولا تدخل امرأة ولا رجل؛ ففعلوا ، فلما كان تلك الساعة؛

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول: يا كسرى بن هرمز ! إنّي رسول الله إليك أن تُسْلِم؛ فأسلِم خير لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه. قال: يا كسرى ! إنك قد أبيتَ عليّ ، والله ليكسرنّك الله كما أكْسِرُ عصايَ هذه ! ثم كسرها وخرج؛ فأرسل كسرى إلى الحرس ، فقال: ألم آمركم ألاّ يدخل عليّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد! قالوا: ما دخل عليك من قِبَلنا أحد!

قال: فلم يلبث أن وَثب عليه ابنُه فقتله[1]. (٢: ١٩٢/ ١٩٣).

وأمّا علماء الإسلام فقد ذكرت قبلُ ما قال فيه بعضهم ، وأذكر بعض مَنْ لم يمض ذكره منهم الآن؛ فإنهم قالوا: كان بين آدم ونوح عشرة قرون؛ والقرن مئة سنة. وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون والقرن مئة سنة. وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون. والقرن مئة سنة.

٨٥٥ ـ ذكر من قال ذلك:

حدّثنا ابن بشّار ، قال: حدّثنا أبو داود ، قال: حدّثنا همّام عن قتادة ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلّهم على شريعة من الحق[2]. (٢: ٢٣٥).

٨٥٦ ـ حدّثني الحارث بن محمّد ، قال: حدّثنا محمد بن سعد ، قال: حدّثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلميّ عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا: كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مئة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مئة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ، والقرن مئة سنة[3]. (٢: ٢٣٥).

٨٥٧ ـ وروي عن عبد الرحمن بن مهدّي عن أبي عَوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال: الفترة بين محمّد وعيسى عليهما السلام ستّمئة سنة.

وروي عن فُضَيل بن عبد الوهاب عن جعفر بن سليمان ، عن عوف ، قال:

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

كان بين عيسى وموسى ستمئة سنة[١] . (٢ : ٢٣٥) .

٨٥٨ - حدّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال: حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال: نبِّئت: أن كعباً قال: إن قوله: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ ليس بهارون أخي موسى ، قال: فقالت له عائشة: كذبت ، قال: يا أمّ المؤمنين! إن كان النبي ﷺ قال فهو أعلم وأخبر؛ وإلاّ فإني أجد بينهما ستمئة سنة. قال: فسكتَتْ[٢] . (٢ : ٢٣٦) .

٨٥٩ - حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا هشام عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال: كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم ألف سنة وتسعمئة سنة ، ولم يكن بينهما فتْرة ، وإنه أرسِل بينهما ألف نبيّ من بني إسرائيل ، سوى مَنْ أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبيّ خمسمئة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٍ﴾ والذي عُزّز به شمعون ، وكان من الحواريّين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمئة وأربعاً وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوّته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حيٌّ الآن[٣] . (٢ : ٢٣٦) .

٨٦٠ - حدّثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال: حدّثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال: حدّثني عبد الصمد بن معقل: أنّه سمع وهباً يقول: قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمئة سنة[٤] . (٢ : ٢٣٦) .

٨٦٠/أ - فهذا ما روي عن علماء الإسلام في ذلك ، وفي ذلك من قولهم تفاوت شديد ، وذلك: أن الواقديّ حكَى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت عنه أنه رواه عنهم. وعلى ذلك من قوله ينبغي أن يكون جميع سنِي الدنيا إلى مولد نبينا ﷺ أربعة آلاف سنة وستمئة سنة ، وعلى قول ابن عبّاس الذي رواه

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.
(٤) ضعيف.

هشام بن محمد عن أبيه ، عن أبي صالح ، عنه؛ ينبغي أن يكون إلى مولد النبيّ ﷺ خمسة آلاف سنة وخمسمئة سنة .

وأمّا وهب بن منبّه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأنّ ذلك إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستمئة سنة ، وجميع مدّة الدنيا عند وهب ستة آلاف سنة ، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة وستمئة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبّه سنة أربع عشرة ومئة من الهجرة ، فكأنّ الباقيَ من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه ، مئتا سنة وخمس عشرة سنة .

وهذا القول الذي قاله وهب بن منّبه موافق لما رواه أبو صالح ، عن ابن عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا ﷺ ستة آلاف سنة ومئة وثلاث عشرة سنة ، وذلك : أنّ عنده من مَهْبِط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ألفي سنة ومئتي سنة وستّاً وخمسين سنة ، ومن الطّوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعاً وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى ببني إسرائيل من مصر خمسمئة سنة وخمساً وستين سنة ومن خروج موسى إلى بني إسرائيل من مصر إلى بناء بيت المقدس ـ وذلك لأربع سنين من مُلْك سليمان بن داود ـ ستّمئة سنة وستّاً وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى مُلْك الإسكندر سبعمئة سنة وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام ثلاثمئة سنة وتسعاً وستين سنة ، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمّد ﷺ خمسمئة سنة وإحدى وخمسين سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدّث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس : أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومئتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومئة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمئة سنة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى إلى داود مئة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستّمئة سنة .

وحدّث الهيثم بن عديّ عن بعض أهل الكتب : أنه قال : من آدم إلى الطُّوفان

ألفا سنة ومئتا سنة وستّ وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة ، ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بني إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمئة سنة وثلاثون سنة ، ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمئة سنة وخمسون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصّر وخراب بيت المقدس أربعمئة سنة وست وأربعون سنة ، ومن ملك بختنصّر إلى ملك الإسكندر أربعمئة سنة وستّ وثلاثون سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى سنة ستٍّ ومئتين من الهجرة ألف سنة ومئتان وخمس وأربعون سنة[1] . (٢ : ٢٣٨) .

ذكر نسب رسول الله ﷺ
وذكر بعض أَخبار آبائه وأَجداده

اسم رسول الله ﷺ محمّد ، وهو ابن عبد الله بن عبد المطّلب ، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغرَ ولد أبيه ، وكان عبد الله ، والزبير ، وعبد مناف ـ وهو أبو طالب ـ بنو عبد المطّلب لأمّ واحدة ، وأمّهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ؛ حدّثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة بن الفضل عن ابن إسحاق .

وحدِّثت عن هشام بن محمّد عن أبيه : أنه قال : عبد الله بن عبد المطّلب أبو رسول الله ، وأبو طالب ـ واسمه : عبد مناف ـ والزبير ، وعبد الكعبة ، وعاتكة ، وبرّة ، وأمَيمة ولَدُ عبد المطلب إخوة ؛ أمّ جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يَقَظة .

وكان عبد المطّلب ـ فيما حدّثني يونس بن عبد الأعلى ـ قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب ، عن قبيصة بن ذؤيب : أنه أخبره أن امرأة نَذَرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته ، ففعلت ذلك الأمر ، فقدمت المدينة لتستفتيَ عن نَذْرها ، فجاءت عبدَ الله بن عمر ، فقال لها عبد الله بن عمر : لا أعلم الله أمَر في النذر إلاّ الوفاء به ، فقالت المرأة : أفأنحَرُ

---

(١) ضعيف .

ابني؟! قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم؛ فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبدَ الله بن عبّاس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النذر [والنذر ديْن]، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم ـ وقد كان عبد المطلب بن هاشم نَذرَ إن توافَى له عشرة رهط؛ أن ينحرَ أحدهم، فلما توافَى له عشرة؛ أقْرع بينهم: أيُّهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطّلب، وكان أحبَّ الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطّلب: اللهمّ هو أو مئة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت القُرعة على المئة من الإبل ـ فقال ابن عبّاس للمرأة: فأرى أن تنحري مئة من الإبل مكان ابنك، فبلغ الحديثُ مرْوان، وهو أمير المدينة، فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفُتْيا: إنه لا نذر في معصية الله، استغفري الله وتوبي إلى الله، وتصدّقي واعملي ما استطعت من الخير؛ فأمّا أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك. فسُرّ الناس بذلك، وأعجبهم قولُ مرْوان، ورأوا: أنه قد أصاب الفتيَا، فلم يزالوا يفتون بألاّ نَذْرَ في معصية الله[1]. (٢ : ٢٤٠).

٨٦١ ـ وأمّا ابن إسحاق؛ فإنه قصّ من أمر نذر عبد المطلب هذا قصّة، هي أشيع مما في هذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب، وذلك ما حدّثنا به ابن حُمَيد، قال: حدّثنا سلمَة بن الفضل عن محمد بن إسحاق، قال: كان عبدُ المطلب بن هاشم ـ فيما يذكرون والله أعلم ـ قد نَذرَ حين لقِيَ من قريش في حفر زمزم ما لَقِيَ: لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتّى يمنعوه؛ لينحرنّ أحدَهم لله عند الكعبة، فلما توافىَ له بنوه عشرة، وعرف: أنهم سيمنعونه، جمعهم ثم أخبرهم بنذْرِه الذي نذر، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيف نصنع؟ قال: يأخذ كلّ رجل منكم قِدْحاً، ثم ليكتب فيه اسمه، ثم ائتوني به، ففعلوا، ثم أتوْه، فدخل على هُبَل في جوف الكعبة، وكانت هُبَل أعظمَ أصنام قريش بمكّة، وكانت على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة، وكان عند هُبَل سبعةُ أقْدح، كلّ قِدْح منها فيه كتاب: قِدْح فيه العقل، إذا اختلفوا في العَقْل مَنْ يحمله منهم ضربوا بالقِداح السبعة، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله]، وقِدْح فيه:

---

(١) ضعيف.

«نعَمْ» للأمر إذا أرادوه يضرب به؛ فإن خرج قِدْح: «نعم» عملوا به، وقدْح فيه «لا»، فإذا أرادوا أمراً ضربوا به في القداح، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر، وقدْح فيه «منكم»، وقِدْح فيه «مُلْصَق»، وقِدْح فيه «من غيركم»، وقِدْح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح، وفيها ذلك القِدْح، فحيثما خرج عملوا به، وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً، أو يُنكِحوا مَنْكَحاً، أو يدفنوا ميّتاً، أوْ شكُّوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمئة درهم وجَزور، فأعطوْها صاحب القِداح الذي يضربها، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: يا إلهنا! هذا ابن فلان، قد أردنا به كذا وكذا، فأخرج الحقَّ فيه؛ ثم يقولون لصاحب القِداح: اضرب، فيضرب فإن خرج عليه «منكم» كان وسيطاً وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفاً، وإن خرج عليه «ملصَق» كان على منزلته منهم، لا نسب له ولا حِلْف، وإن خرج في شيء سوى هذا مما يعملون به «نعَمْ» عملوا به، وإن خرج «لا» أخّروه عامَهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِدَاح ـ فقال عبد المطلب لصاحب القِداح: اضرب على بَنِيّ هؤلاء بقِداحهم هذه، وأخبره بنذره الذي نَذَر، فأعطَى كلّ رجل منهم قِدْحه الذي فيه اسمه ـ وكان عبدُ الله بن عبد المطلب أصغرَ بني أبيه، وكان فيما يزعمون أحبّ ولد عبد المطّلب إليه، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه؛ فقد أشْوَى، وهو أبو رسول الله ﷺ ـ فلمّا أخذ صاحبُ القِداح القِداح ليضربَ بها، قام عبد المطّلب عند هُبَل في جوف الكعبة يدعو الله، ثم ضرب صاحبُ القداح، فخرج القِدْح على عبد الله، فأخذ عبد المطلب بيده، وأخذ الشَّفْرة، ثم أقبل إلى إساف، ونائلة ـ وهما وثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحها ـ ليذبحه، فقامت إليه قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟! قال: أذبحه فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبداً حتى تُعْذِر فيه! لئن فعلتَ هذا، لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه، فما بقاءُ الناس على هذا! فقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ـ وكان عبد الله ابن أخت القوم ـ: والله لا تذبحه أبداً حتى تعذِر فيه؛ فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه. وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانطلِقْ به إلى الحجاز، فإنّ به عَرّافة لها تابع، فسلْها، ثم أنت على رأس أمرك؛ إن أمَرَتْك أن تذبحه؛ ذبحتَه، وإن أمرتْك بأمر لك وله فيه فرج، قَبِلْته.

فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر ، فركبوا إليها حتى جاؤوها ، فسألوها ، وقَصّ عليها عبد المطّلب خبره ، وخبر ابنه ، وما أراد به ، ونذرَه فيه. فقالت لهم: ارجعوا عَنّي اليوم حتى يأتيَني تابعي فأسأله. فرجعوا عنها ، فلمَّا خرجوا من عندها؛ قام عبد المطّلب يدعو الله ، ثم غدوْا عليها ، فقالت: نعم ، قد جاءني الخبر ، كم الدِّيةُ فيكم؟ قالوا: عشر من الإبل ـ وكانت كذلك ـ قالت: فارجعوا إلى بلادكم ، ثم قرّبوا صاحبكم ، وقربوا عَشْراً من الإبل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقِداح ، فإن خرجت على صاحبكم؛ فزيدوا في الإبل حتى يرضى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل؛ فانحروها ، فقد رضيَ ربُّكم ، ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكّة ، فلما أجمعوا لذلك من الأمر؛ قام عبد المطّلب يدعو الله ، ثم قَرّبوا عبد الله وعشراً من الإبل ـ وعبد المطّلب في جوف الكعبة عند هُبَل يدعو الله ـ فخرج القِدْح على عبد الله ، فزادوا عشراً ، فكانت الإبل عشرين ، وقام عبد المطّلب في مكانه ذلك يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج السَّهم على عبد الله ، فزادوا عشراً من الإبل ، فكانت ثلاثين ، ثم لم يزالوا يضربون بالقِداح ، ويخرج القِدْح على عبد الله ، فكلّما خَرج عليه زادوا من الإبل عشراً؛ حتى ضربوا عشر مرات ، وبلغت الإبل مئة ، وعبد المطّلب قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القِدْح على الإبل ، فقالت قريش ومَنْ حضر: قد انتهى رضا ربّك يا عبد المطّلب! فزعموا: أن عبد المطّلب قال: لا والله حتَّى أضرب عليها ثلاث مرات! فضربوا على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبد المطلب يدعو ، فخرج القِدْح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطّلب قائم يدعو ، ثم عادوا الثالثة فضربوا ، فخرج القِدْح على الإبل فنُحِرت ، ثم تُرِكتْ لا يُصدُّ عنها إنسان ولا سَبُع[١]. (٢: ٢٤١/ ٢٤٢/ ٢٤٣).

٨٦٢ ـ ثم انصرف عبدُ المطّلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فمرّ ـ فيما يزعمون ـ على امرأة من بني أسد [بن عبد العزّى بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر] يقال لها: أمّ قِتَال بنت نوفل بن أسد بن عبد العزَّى ، وهي

(١) ضعيف.

أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهي عند الكعبة ، فقالت له حين نظرت إلى وجهه: أين تذهب يا عبد الله؟ قال: معَ أبي ، قالتْ: لك عندي مثل الإبل التي نحِرَتْ عنك ، وقعْ عليَّ الآن ، قال: إنّ معي أبي ولا أستطيع خلافه، ولا فراقه ، فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وَهْبَ بن عبد مناف بن زهرة ـ ووهب يومئذ سيّد بني زُهرة سنّاً وشرفاً ـ فزوّجه آمنة بنت وهب ، وهي يومئذ أفضلُ امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، وهي لبرّة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصيّ ، وبرّة لأم حبيب بنت أسد بن عبد العزّى بن قصيّ ، وأم حبيب بنت أسد لبرّة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عديّ بن كعب بن لؤيّ. فزعموا: أنه دخل عليها حين ملكها مكانه فوقَع عليها ، فحملت بمحمد ﷺ ، ثم خرج من عندها ، حتى أتى المرأة التي عرضت عليه ما عَرَضت ، فقال لها: مالك لا تعرضين عليّ اليومَ ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس؟! فقالت له: فارقك النور الذي كان معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة ، وقد كانت تسمع من أخيها ورقة بن نوفل ـ وكان قد تنصّر واتّبع الكتب ، حتى أدرك ـ فكان فيما طلب من ذلك: أنه كائن لهذه الأمة نبيّ من بني إسماعيل[1]. (٢ : ٢٤٤).

٨٦٣ ـ حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمَة ، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يسار: أنه حدّث أنّ عبد الله إنما دخلَ على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأتْ عليه لِمَا رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها ، فتوضّأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمَد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمَّد ﷺ ، ثمَّ مرّ بامرأته تلك ، فقال: هل لك؟ فقالت: لا ، مررتَ بي وبين عينيك غُرّة ، فدعوتَني فأبيت ، ودخلتَ على آمنة فذهبت بها ، فزعموا: أنّ امرأته تلك كانت تحدِّث أنّه مرّ بها وبين عينيه مثل غُرّة الفرس ، قالت: فدعوته رجاء أن يكون بي ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها؛ فحملت برسول الله ﷺ[2] . (٢ : ٢٤٤).

٨٦٤ ـ حدّثني علي بن حرب الموصليّ ، قال: حدّثنا محمد بن عُمارة

---

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

القرشيّ ، قال: حدّثنا الزنجيّ بن خالد عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال: لمّا خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوِّجه؛ مرّ به على كاهنة من خَثْعم ، يقال لها فاطمة بنت مُرّ ، متهوّدة من أهل تَبالة ، قد قرأت الكتب ، فرأت في وجهه نوراً ، فقالت له: يا فتى ! هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مئة من الإبل؟! فقال:

أمّا الحَرامُ فالممات دُونَه ... والحِلّ لا حِلّ فأستبينَهْ
فكيف بالأَمر الذي تبغينَهْ

ثم قال: أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارِقه ، فمضى به ، فزوّجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرف ، فمرّ بالخثعميّة فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها: هلْ لك فيما كنتِ أردتِ؟! فقالت: يا فتى ! إني والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنّي رأيتُ في وجهك نوراً فأردتُ أن يكون فيّ ، وأبى الله إلاّ أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدي؟ قال: زوّجني أبي آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثاً؛ فأنشأت فاطمة بنت مُرّ تقول:

إنّي رأيْتُ مخيلَةً لَمَعَتْ ... فتلألأتْ بحَناتِم القَطْرِ
فَلمَأْتُها نوراً يُضِيءُ له ... ما حَوْلَهُ كإضَاءةِ الْبَدْرِ
فرَجوتُها فَخْراً أبوءُ به ... ما كلُّ قادِح زَندِهِ يُورِي
لله ما زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ... ثَوْبَيْكَ مَا اسْتَلَبَتْ وما تَدْرِي!

وقالت أيضاً:

بَنِي هاشِمٍ قد غَادَرَتْ مِنْ أخيكمُ ... أمينةُ إذ لِلباه تَعتَرِكانِ
كما غَادَرَ المِصْباحُ عند خُموده ... فتَائِلَ قد مِيثت له بِدهانِ
وما كلُّ مَا يَحْوِي الفتَى مِن تِلادِهِ ... لعَزْمٍ ولا مَا فاتَهُ لِتَوانِ
فأجْمِلْ إذَا طَالَبْتَ أَمْراً فإنه ... سيَكفِيكَهُ جَدَّانِ يَعْتَلِجان
سَيَكفِيكَهُ إمَّا يدٌ مُقْفَعِلَّةٌ ... وإمَّا يدٌ مَبسُوطَةٌ ببنانِ
ولمَّا حَوَتْ منه أمينَةُ ما حَوَتْ ... حَوَتْ منْهُ فَخْراً ما لِذلِك ثان

حدّثني الحارث بن محمد ، قال: حدّثنا محمَّد بن سعد ، قال: حدّثنا محمّد بن عمر ، قال: حدّثنا معمر وغيره ، عن الزهريّ: أن عبد الله بن عبد المطلب كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالُه وهيئته ،

وقيل لها: هل لك أنْ تزَوَّجيه! فتزوّجَتْه آمنة بنت وهب، فدخل بها، وعلِقت برسول الله ﷺ، وبعثه أبوه إلى المدينة في مِيرة يحمل لهم تمراً، فمات بالمدينة، فبعث عبد المطلب ابنَه الحارث في طلبه حين أبطأ، فوجده قد مات.

قال الواقديّ: هذا غلط، والمجتمع عليه عندنا في نكاح عبد الله بن عبد المطلب ما حدَّثنا به عبد الله بن جعفر الزهريّ عن أم بكر بنت المسوّر: أنّ عبد المطّلب جاء بابنه عبد الله، فخطب على نفسه وعلى ابنه، فتزوّجا في مجلس واحد، فتزوّج عبد المطّلب هالةَ بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة، وتزوّج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهرة.

قال الحارث: قال ابن سعد: قال الواقديّ: والثَّبَتَ عندنا ـ ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ـ: أنّ عبد الله بن عبد المطّلب أقبل من الشأم في عِير لقريش، فنزل بالمدينة وهو مريض، فأقام بها حتى تُوُفِّي، ودفن في دار النابغة ـ وقيل: التابعة ـ في الدّار الصغرى إذا دخلتَ الدار عن يسارك، ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف.

ابن عبد المطّلب

وعبد المطّلب اسمه شيبة، سُمّي بذلك؛ لأنه فيما حدّثت عن هشام بن محمد، عن أبيه: كان في رأسه شيبة.

وقيل له: عبد المطّلب، وذلك أن أباه هاشماً كان شَخَص في تجارة له إلى الشأم، فسلك طريقَ المدينة إليها، فلما قدم المدينة نزل ـ فيما حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمَة عن ابن إسحاق. وفيما حدِّثت عن هشام بن محمّد عن أبيه. وفيما حدثني الحارث عن محمد بن سعد، عن محمد بن عمر، ودخل حديث بعضهم في بعض، وبعضهم يزيد على بعض ـ على عمرو بن زيد بن لبِيد الخزرجيّ، فرأى ابنته سلْمى بنت عمرو ـ وأمّا ابن حُميد فقال في حديث عن سلمَة، عن ابن إسحاق: سلمى بنت زيد بن عمرو ـ ابن لبيد بن حرام بن خداش بن جندب بن عديّ بن النجار فأعجبته، فخطبها إلى أبيها عمرو، فأنكحه إياها، وشَرَط عليه ألاّ تلد ولداً إلاّ في أهلها، ثم مضى هاشم لوجهته قَبْل أن يبنيَ بها، ثم انصرف راجعاً من الشأم، فبنى بها في أهلها بيثرب، فحملت

منه ، ثم ارتحل إلى مكّة وحملها معه ، فلما أثقلتْ ردّها إلى أهلها ، ومضى إلى الشأم فمات بها بغزّة ، فولدت له سلمى عبدَ المطلب ، فمكث بيثرب سبع سنين، أو ثماني سنين. ثم إن رجلاً من بني الحارث بن عبد مناة مَرّ بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خَسَق قال: أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ، فقال له الحارثيّ: مَنْ أنت؟ قال: أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف. فلما أتى الحارثيّ مكة ، قال للمطّلب وهو جالس في الحِجْر: يا أبا الحارث! تعلّم أنّي وجدت غلماناً ينتضِلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خَسَق قال: أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء. فقال المطّلب: والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتيَ به ، فقال له الحارثيّ: هذه ناقتي بالفِناء فاركبها ، فجلس المطّلب عليها ، فورد يثرب عِشاء ، حتى أتى عديّ بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كُرة بين ظهريْ مجلس ، فعرف ابنَ أخيه فقال للقوم: أهذا ابن هاشم؟ قالوا: نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنتَ تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلَم به أمّه ، فإنها إن علمت؛ لم تدعْه ، وحلْنا بينك وبينه. فدعاه ، فقال: يا بن أخي! أنا عَمّك ، وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومك - وأناخ راحلته - فما كذّب أن جلس على عَجُز الناقة ، فانطلق به ، ولم تعلمْ به أمّهُ حتى كان الليلُ ، فقامت تدعو بحَربها على ابنها ، فأخبرت أن عمّه ذهب به ، وقدِم به المطّلب ضحوة ، والناس في مجالسهم ، فجعلوا يقولون: من هذا وراءك؟ فيقول: عبد لي ، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فقالت: مَنْ هذا؟ قال: عبد لي ، ثم خرج المطّلب حتى أتى الحزْوَرة ، فاشترى حُلة فألبَسها شيبة ، ثم خرج به حين كان العَشيّ إلى مجلس بني عبد مناف ، فجعل بعد ذلك يطوف في سِكك مكّة في تلك الحُلّة ، فيقال: هذا عبد المطّلب ، لقوله: «هذا عبدي» حين سأله قومه ، فقال المطّلِب:

عـرَفْـتُ شَيْبـةَ والنَّجّـارُ قـد جعلَـتْ ... أبنـاءَهـا حَـوْلَـه بِـالنَّبْـلِ تَنْتَضِـلُ[1]

(٢: ٢٤٥ - ٢٤٨).

٨٦٥ - وقد حدّثني هذا الحديث عليّ بن حرب الموصليّ ، قال: حدّثني أبو معن عيسى - من ولد كعب بن مالك - عن محمد بن أبي بكر الأنصاريّ ، عن مشايخ الأنصار ، قالوا: تزوّج هاشم بن عبد مناف امرأةً من بني عديّ بن

---

(١) ضعيف.

النجّار ، ذات شرف ، تشرُط على من خطبها المقامَ بدار قومها ، فتزوّجت بهاشم ، فولدت له شيبة الحمد ، فرُبِّيَ في أخواله مكرّماً ، فبينا هو يُناضل فتيان الأنصار إذ أصاب خَصْله ، فقال: أنا ابن هاشم ، وسمعه رجل مجتاز ، فلما قدم مكة ، قال لعمّه المطّلب بن عبد مناف: قد مررت بدار بني قيْلة ، فرأيت فتىً من صفته ومن صفته. . . يناضل فتيانهم ، فاعتزى إلى أخيك ، وما ينبغي تركُ مثله في الغربة ، فرحل المطّلب حتّى ورد المدينة ، فأراده على الرِّحلة ، فقال: ذاك إلى الوالدة ، فلم يزل بها حتى أذِنَتْ له ، وأقبل به قد أرْدفه ، فإذا لَقِيَه اللاقي وقال: مَنْ هذا يا مطّلِب؟ قال: عبد لي ، فسميَ عبد المطلب. فلما قدم مكة وَقَفَه على ملك أبيه ، وسلّمه إليه ، فعرض له نوفل بن عبد مناف في رُكْح له ، فاغتصبه إياه ، فمشى عبد المطّلب إلى رجالات قومه ، فسألهم النّصرة على عمّه ، فقالوا: لسنا بداخلين بينك وبين عمّك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل ، وكتب في كتابه:

أبلِـغْ بَنـي النَّجّـارِ إنْ جِئْتَهُـمْ ... أنِّـيَ منهُـمْ وابنهُـمْ والْخَمِيـسْ
رَأَيْتُهـمْ قَـوْمـاً إذا جِئْتُهـمْ ... هـوُوا لقـائـي وأحَبُّـوا حَسِيـس
فـإِنَّ عَمّـي نَـوْفَـلاً قـد أبَـى ... إلاَّ التـي يُغْضِـي عَلَيْهَـا الخَسِيـسْ

قال: فخرج أبو أسعد بن عدس النَّجاريّ في ثمانين راكباً؛ حتى أتى الأبطَح ، وبلغ عبد المطّلب ، فخرج يتلقّاه ، فقال: المنزل يا خال! فقال: أما حتّى ألقى نوفلاً؛ فلا. قال: تركته جالساً في الحِجْر في مشايخ قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم استلّ سيفه ، ثم قال: وربِّ هذه البنيّة؛ لتردّن عليَّ ابن أختنا رُكْحه أو لأملأنّ منك السيف ، قال: فإنّي وربِّ هذه البنيّة أردُّ رُكحه ، فأشهد عليه مَنْ حضر ، ثم قال: المنزل يابن أختي ! فأقام عنده ثلاثاً واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول:

تـأبـى مَـازنٌ وبَنـو عَـدِيٍّ ... ودِينـارُ بْـنُ تَيْـم الّـلاتِ ضَيْمِـي
وسـادَةُ مَـالِـك حتَّـى تَنـاهَـى ... ونكَّـبَ بَعْـدُ نَـوْفَـلُ عـن حَـريمـي
بِهِـمْ رَدَّ الإلـهُ عَلـيَّ رُكْحِـي ... وكَـانـوا فـي التَّنَسُّـبِ دونَ قَـوْمِـي

وقال في ذلك سمُرة بن عُمير ، أبو عمرو الكنانيّ:

لَعَمْـرِي لأخْـوَالٌ لِشَيْبَـةَ قَصْـرةً ... مـنَ أعْمَـامِـهِ دِنْيَـا أَبَـرُّ وأوْصَـلُ

أَجَابُوا على بُعْدٍ دُعَاءَ ابْنِ أُخْتِهِمْ ولَـمْ يَثْنِهِـمْ إذْ جَـاوَزَ الْحَـقَّ نَـوْفَـلُ
جَـزَى اللهُ خَيْـراً عُصبَـةً خَـزْرَجِيَّـةً تواصَوْا على بِرٍّ ، وذو البِرّ أَفْضَلُ

قال: فلمّا رأى ذلك نوفل؛ حالَف بني عبد شمس كلّها على بني هاشم ، قال محمّد بن أبي بكر: فحدّثت بهذا الحديث موسى بن عيسى ، فقال: يا بن أبي بكر! هذا شيء تَروِيه الأنصار تقرّباً إلينا؛ إذ صيَّر الله الدولة فينا! عبد المطلب كان أعزّ في قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النّجار من المدينة إليه. قلت: أصلح الله الأمير! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطّلب ، قال: وكان متكئاً فجلس مغضَباً ، وقال: مَنْ خير من عبد المطّلب! قلت: محمّد رسول الله ﷺ ، قال: صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبنيه: اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر.

وقد حُدّثت هذا الحديث في أمرِ عبد المطلب وعمّه نوفل بن عبد مناف عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال: حدّثنا زياد بن عِلاقة التغلَبيّ ـ وكان قد أدرك الجاهليّة ـ قال: كان سبب بدء الحِلْف الذي كان بين بني هاشم وخُزاعة الذي افتتح رسول الله ﷺ بسببه مكة ، وقال: لتنصبّ هذه السحابة بنصر بني كعب: أنّ نوفل بن عبد مناف ـ وكان آخر من بقي من بني عبد مناف ـ ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له ـ وهي الساحات ـ وكانت أمّ عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال: فتنصَّفَ عبد المطّلب عَمّه ، فلم ينصِفه ، فكتب إلى أخواله:

يـا طُـولَ لَيْلِـي لأَحْـزانِـي وأَشْغـالِـي هلْ مِن رَسولٍ إلى النَّجَّارِ أَخْوَالِي!
يُنْبِـي عَـدِيّـاً ودِينـاراً ومَـازِنَهـا ومالِكاً عِصْمَةَ الجِيرَانِ عن حالِي
قد كُنْتُ فيكُمْ ولا أَخْشَى ظُلامةَ ذِي ظلْـمٍ عـزيـزاً مَنيعـاً نـاعِـمَ البَـالِ
حتَّى ارْتحَلْتُ إلى قَوْمِي وَأَزعَجَنِي عـن ذَاكَ مُطَّلِـبٌ عَمِّـي بِتَـرْحَـالِ
وكُنْتُ مَا ح
كـان حَيّـاً نَـاعِمـاً جَـذِلاً أَمْشِـي العِـرَضْنَـةَ سَحَّـابـاً لأَذْيـالِـي
فغـابَ مُطَّلِـبٌ فـي قَعْـرِ مُظْلِمَـةٍ وقـام نَـوْفَـلُ كـيْ يَعـدُو على مَالِـي
أَأَنْ رَأى رَجُـلاً غَـابَـتْ عُمـومَتُـهُ وغَـابَ أَخْـوَالُـهُ عنـه بِـلا والِـي
أَنْحَى عليـه ولَـمْ يَحفَـظْ لـه رَحِمـاً مـا أَمْنَـعَ المَـرْءَ بَيْـنَ العَـمِّ والخَـالِ!

فاسْتَنْفِرُوا وَامْنَعوا ضَيْمَ ابنِ أخْتِكُمُ   لاَ تَخْذُلُوهُ وَمَا أنتُمْ بِخُذَّالِ
ما مِثْلُكُمْ فِي بَنِي قَحْطان قاطِبَةً   حَيٌّ لِجارٍ وإنْعامٍ وَإفْضالِ
أنتم لِيانٌ لِمَنْ لانَتْ عَريكتُهُ   سِلْمٌ لكمْ وسِمامُ الأَبْلَخِ الغالِي

قال: فقدِم عليه منهم ثمانون راكباً، فأناخوا بِفناء الكعبة، فلما رآهم نوفل بن عبد مناف، قال لهم: أنْعموا صباحاً! فقالوا له: لا نَعِم صباحُك أيها الرجل! أنصف ابنَ أختِنا من ظُلامته، قال: أفعلُ بالحبّ لكم والكرامة؛ فردّ عليه الأركاح وأنصفه.

قال: فانصرفوا عنه إلى بلادهم. قال: فدعا ذلك عبد المطّلب إلى الحلْف، فدعا عبد المطّلب بسر بن عمرو، وورقاء بن فلان، ورجالاً من رجالات خُزاعة، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتاباً.

وكان إلى عبد المطّلب بعد مهلك عمّه المطّلب بن عبد مناف ما كان إلى مَنْ قبله من بني عبد مناف من أمر السِّقاية، والرِّفادة، وشرُفَ في قومه، وعَظُم فيهم خطره، فلم يكن يُعدَل به منهم أحد، وهو الذي كشف عن زمزم، بئر إسماعيل بن إبراهيم، واستخرج ما كان فيها مدفوناً؛ وذلك غزالان من ذهب، كانت جُرْهم دفنتهما ـ فيما ذكر ـ حين أخرِجت من مكة، وأسيافٌ قلْعية، وأدراع، فجعل الأسياف باباً للكعبة، وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب، فكان أول ذهب حُلِّيَتْه ـ فيما قيل ـ الكعبة. وكانت كُنْية عبد المطلب أبا الحارث، كُنِّي بذلك؛ لأنّ الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث، وهو شيبة.

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو؛ وإنما قيل له هاشم، لأنه أوّلُ مَنْ هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه، وله يقول مطرود بن كعب الخُزاعيّ ـ وقال ابن الكلبي: إنما قاله ابن الزِّبَعْرَى ـ:

عَمْرُو الذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِه   ورِجالُ مَكّةَ مُسْنِتُونَ عِجافُ

ذُكِر: أنّ قومه من قريش، كانت أصابتهم لزْبة وقَحْط، فرحل إلى فلسطين، فاشترى منها الدقيق، فقدم به مكّة، فأمر به فخبز له، ونحر جَزُوراً، ثم اتّخذ لقومه مرقه ثريداً بذلك الخبز.

وذُكِر: أنّ هاشماً هو أوّلُ مَنْ سنَّ الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف.

وحُدِّثت عن هشام بن محمد عن أبيه، قال: كان هاشم، وعبد شمس ـ وهو أكبر ولد عبد مناف، والمطّلب ـ وكان أصغرهم ـ أمّهم عاتكة بنت مرّة السُّلَمِيّة؛ ونوفل ـ وأمّه واقدة ـ بني عبد مناف، فسادوا بعد أبيهم جميعاً، وكان يقال لهم: المجبِّرون، قال: ولهم يقال:

يا أيُّها الرَّجُلُ المحوِّلُ رَحْلَهُ ألاَّ نزلْتَ بآلِ عَبْدِ مَنافِ!

فكانوا أوّل من أخذ لقريش العِصَم، فانتشروا من الحرم، أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشأم الروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس حبلاً من النجاشيّ الأكبر، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس، وأخذ لهم المطّلب حبلاً من ملوك حميَر، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن، فجبَّر الله بهم قريشاً، فسمُّوا المجبّرين.

وقيل: إنّ عبد شمس وهاشماً توأمان، وإنّ أحدهما ولد قبل صاحبه، وإصبع له ملتصقة بجبهة صاحبه، فنحِّيت عنها فسال من ذلك دم، فتُطيِّر من ذلك، فقيل: تكون بينهما دماء. ووَلِّي هاشم بعد أبيه عبد مناف السِّقاية، والرِّفادة[1]. (٢: ٢٤٨ـ٢٥٢).

٨٦٦ ـ حدّثني الحارث، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا هشام بن محمّد، قال: حدّثني معروف بن الخرَّبوذ المكّي، قال: حدّثني رجل من آل عديّ بن الخيار بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه، قال: وقال وهب بن عبد قُصَيّ في ذلك ـ يعني في إطعام هاشم قومه الثّريد:

تحَمَّلَ هَاشِمٌ ما ضَاقَ عنهُ وأَعْيَا أنْ يقومَ بهِ ابْنُ بِيضِ
أَتَاهُمْ بالغرائرِ مُتْأَقاتٍ منْ أرْضِ الشَّأمِ بالبُرِّ النَّفيضِ
فأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ منْ هَشيمٍ وشَابَ الخُبْزَ باللَّحمِ الغَرِيضِ
فظَلَّ القَوْمُ بيْنَ مُكَلَّلاتٍ مِنَ الشِّيزَى وحَائرُهَا يفِيضُ

قال: فحسده أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ـ وكان ذا مال ـ فتكلّف أن

---

(١) ضعيف.

يصنع صنيعَ هاشم ، فعجز عنه ، فشمِت به ناس من قريش فغضِب ، ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكرِه هاشم ذلك لِسنِّه وقَدره ، ولم تدَعْه قريش وأحفظوه ، قال: فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الحدَق ، تنحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين. فرضيَ بذلك أميّة ، وجعلا بينهما الكاهن الخُزاعيّ ، فنفَّرَ هاشماً عليه ، فأخذ هاشم الإبل ، فنحرها ، وأطعمها مَنْ حضره ، وخرج أميّة إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أوّل عداوة وقعت بين هاشم وأميّة[1] . (٢ : ٢٥٣) .

٨٦٧ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا هشام بن محمّد ، قال: أخبرني رجل من بني كنانة ، يقال له: ابن أبي صالح ، ورجل من أهل الرّقة مولى لبني أسد ، وكان عالماً ، قالا: تنافرِ عبد المطلب بن هاشم ، وحرب بن أميّة إلى النجاشيّ الحبشيّ ، فأبى أن ينفر بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عديّ بن كعب ، فقال لحرب: يا أبا عمرو ! أتنافر رجلاً هو أطولُ منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة ، وأقلّ منك لامة ، وأكثر منك ولداً ، وأجزل منك صفَداً ، وأطول منك مذوداً. فنفّره عليه. فقال حرب: إنّ من انتكاث الزمان أن جعلناك حكَماً! فكان أوّل من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزّة من أرض الشأم ، ثم مات عبد شمس بمكة فقُبِر بأجياد ، ثم مات نوفل بسَلْمان من طريق العراق ، ثم مات المطّلب بردْمان من أرض اليمن ، وكانت الرّفادة والسِّقاية بعد هاشم إلى أخيه المطّلب.

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له: القمر من جماله وحسنه ، وكان قصيّ يقول ـ فيما زعموا ـ : ولد لي أربعة ، فسمّيت اثنين بصنميّ ، وواحداً بداري ، وواحداً بنفسي؛ وهم عبد مناف ، وعبد العُزّى ابنا قصيّ ـ وعبد العزّى والد أسد ـ وعبد الدار بن قصيّ ، وعبد قصيّ بن قصيّ ـ دَرَج ولده ـ وبرّة بنت قصيّ. أمهم جميعاً حُبَّى بنت حُلَيل بن حُبْشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة.

---

(١) ضعيف.

وحُدّثت عن هشام بن محمد عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف : القمر ، واسمه : المغيرة ، وكانت أمّه حُبَّى دفعته إلى مناف ـ وكان أعظم أصنام مكة ـ تديُّناً بذلك ، فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

كانَتْ قُرَيشٌ بيْضَةً فتفلّقَتْ فالمُخُّ خالِصَةٌ لِعَبْدِ مَنافِ

ابن قصيّ

وقصيّ اسمه : زيد ، وإنما قيل له : قصيّ ؛ لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أمَّ قصيّ فاطمة بنت سعد بن سيَل ـ واسم سيَل : خيْر ـ بن حمالة بن عوف بن غَنْم بن عامر الجادر ، بن عمرو بن جُعْثمة بن يشكر من أزدشنوءة حلفاء من بني الدّيل ، فولدت لكلاب زُهرة ، وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شبّ زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام بن ضنّة بن عبد بن كبير بن عُذْرة بن سعد بن زيد ، أحد قُضاعة ، فتزوّج ـ فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق ، وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه ـ فاطمةَ أمّ زهرة وقصَيّ ـ وزهرة رجل قد بلغ ، وقصيّ فطيم أو قريب من ذلك ـ فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عُذْرة من أشراف الشأم ، فاحتملتْ معها قُصَيّاً لصغره ، وتخلّف زُهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سيَل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة ، فكان أخاه لأمّه ، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى ؛ وهم حُنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، وجُلْهمة بن ربيعة ، وشبّ زيد في حِجْر ربيعة ، فسمِّي زيد قُصيّاً لبعد داره عن دار قومه ، ولم يبرح زهرة مكّة ، فبينا قصيّ بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمي ـ فيما يزعمون ـ إلاّ إلى ربيعة بن حرام ؛ إذ كان بينه وبين رجل من قُضاعة شيء ـ وقد بلغ قصيّ ، وكان رجلاً شابّاً ـ فأنّبه القضاعيّ بالغربة وقال له : ألا تلحق بقومك ، ونسبك ، فإنك لست منّا! فرجع قصيّ إلى أمّه ، وقد وجَد في نفسه مما قال له القضاعيّ ، فسألها عَمّا قال له ذلك الرجل ، فقالت له : أنت والله يا بنيّ أكرم منه نفساً ، ووالداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشيّ ، وقومُك بمكّة عند البيت الحرام ، وفيما حوله ، فأجمع قصيٌّ الخروج إلى قومه واللحوق بهم ، وكره الغربة بأرض قُضاعة ، فقالت له أمّه : يا بنيّ لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاجّ العرب ، فإني أخشى عليك أن يُصيبك بعضُ

البأس ، فأقام قصيّ حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاجّ قضاعة ، فخرج فيهم حتى قدِم مكّة ، فلما فرغ من الحجّ أقام بها ، وكان رجلاً جليداً نسيباً ، فخطب إلى حُلَيْل بن حُبْشِيّة الخزاعيّ ابنته حُبّى بنت حُلَيْل ، فعرف حُلَيل النسب ورغب فيه ، فزوّجه ـ وحُلَيل يومئذ فيما يزعمون ـ يلِي الكعبة وأمر مكّة .

فأما ابن إسحاق؛ فإنه قال في خبره: فأقام قصيّ معه ـ يعني: مع حُلَيْل ـ وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد بن قصي ، فلما انتشر ولدُه ، وكثر مالُه، وعظم شرفُه هلك حُلَيْل بن حُبْشِيّة، فرأى قُصَيّ أنه أوْلَى بالكعبة وأمر مكة من خُزاعة وبني بكر ، وأنّ قريشاً فَرْعة إسماعيل بن إبراهيم ، وصريح ولده ، فكلّم رجالاً من قريش وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خُزاعة وبني بكر من مكة ، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه ، كتب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام ـ وهو ببلاد قومه ـ يدعوه إلى نُصرته ، والقيام معه ، فقام رِزاح بن ربيعة في قُضاعة ، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه ، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك .

وقال هشام في خبره: قَدِم قصيّ على أخيه زُهرة وقومه ، فلم يلبث أن ساد ، وكانت خُزاعة بمكّة أكثر من بني النضر ، فاستنجد قصيّ أخاه رِزاحاً ، وله ثلاثة إخوة من أبيه ، من امرأة أخرى ، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قُضاعة ، ومع قصيٍّ قومه بنو النَّضر ، فنفوْا خزاعة ، فتزوّج قصيّ حُبّى بنت حُلَيل بن حبشيّة من خُزاعة ، فولدت له أولاده الأربعة ، وكان حُليل آخرَ مَنْ وَلِيَ البيت ، فلما ثَقُل جعل ولايةَ البيت إلى ابنته حُبَّى ، فقالت: قد علمت أنّي لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه ، قال: فإنّي أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به ، فجعله إلى أبي غُبْشان ـ وهو سليم بن عمرو بن بويّ بن ملْكان بن أفصى ـ فاشترى قصيّ ولاية البيت منه بزِقّ خمر وبعوْد. فلمّا رأت ذلك خُزاعة كثُروا على قصيّ ، فاستنصر أخاه ، فقاتل خُزاعة ، فبلغنا ـ والله أعلم ـ: أن خزاعة أخذتها العدَسَة ، حتى كادت تُفْنيهم ، فلمّا رأت ذلك جلتْ عن مكّة ، فمنهم من وهبْ مسكنه ، ومنهم من باع ، ومنهم من أسكن ، فولِيَ قصيّ البيت وأمر مكة والحكم بها ، وجمع قبائل قريش ، فأنزلهم أبطح مكة ، وكان بعضهم في الشِّعاب ورؤوس

جبال مكة ، فقسَّم منازلهم بينهم ، فسمي مُجمِّعاً ، وله يقول مطرود ـ وقيل: إنّ قائله حُذافة بن غانم ـ:

أبـوكُـمْ قُصَـيٌّ كَـانَ يُـدْعَـى مُجَمِّعـاً   بـِهِ جَمَـعَ اللهُ القَبَـائِـلَ مِـن فِهْـرِ

وملَّكه قومه عليهم.

وأمّا ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن رزاحاً أجاب قصيّاً إلى ما دعاه إليه من نُصرته ، وخرج إلى مكّة مع إخوته الثلاثة ، ومَنْ تبعه لذلك من قُضاعة في حاجّ العرب ، وهم مجمعون لنصر قصيّ ، والقيام معه ، قال: وخزاعة تزعم أن حُلَيل بن حُبْشية أوصى بذلك قُصيّاً ، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر ، وقال: أنتَ أوْلَى بالكعبة والقيام عليها ، وبأمر مكة من خُزاعة ، فعند ذلك طلب قصيّ ما طلب.

فلمّا اجتمع الناس بمكّة وخرجوا إلى الموقف ، وفرغوا من الحج ونزلوا مِنىً ، وقصيّ مُجمِّع لما أجمع له ، ومن تبعه من قومه من قريش وبني كنانة ومَنْ معه من قُضاعة ، ولم يبق إلاّ أن ينفروا للصدَر ، وكانت صوفة تدفع بالناس من عَرَفة؛ وتجيزُهم إذا نَفَروا من منىً؛ إذا كان يوم النَّفْر أتَوْا لرمي الجمار ـ ورجل من صوفة يرمي للناس؛ لا يرمون حتى يرمى ـ فكان ذوو الحاجات المُعَجّلون يأتونه ، فيقولون له: قم فارم حتى نرميَ معك ، فيقول: لا والله حتى تَميل الشمس ، فيظلّ ذوو الحاجات الذين يحبُّون التعجيل ، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك؛ ويقولون: ويلك قم فارم! فيأبىَ عليهم ، حَتى إذا مالت الشمس قام فرمَى ورمَى الناسُ معه[1]. (٢ : ٢٥٣ ـ ٢٥٦).

٨٦٨ ـ حدثنا ابن حُميد ، قال: حدثنا سلَمة عن ابن إسحاق هذا الحديث عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد:

فإذا فرغوا من رَمْي الجمار ، وأرادوا النَّفْر من منىً ، أخذت صوفة بناحيتي العقبة ، فحبسوا الناس ، وقالوا: أجيزي صوفة ، فلم يَجُزْ أحد من الناس حتى ينفذوا ، فإذا نَفَرت صوفة ومضت خُلِّيَ سبيل الناس ، فانطلقوا بعدهم ، فلمّا كان ذلك العام ، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل ، قد عرفت ذلك لها العرب ،

---

(١) ضعيف.

وهو دَيْن في أنفسهم في عهد جُرْهم وخزاعة وولايتهم ، أتاهم قصيّ بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العَقَبة ، فقالوا: نحن أوْلى بهذا منكم ، فناكروه فناكرهم ، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالاً شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغَلَبهم قصيّ على ما كان بأيديهم من ذلك ، وحال بينهم وبينه.

قال: وانحازت عند ذلك خُزاعة وبنو بكر عن قصيّ بن كلاب ، وعرفوا: أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحُول بينهم وبين الكعبة وأمْر مكة ، فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم ، ووثب معه أخوه رِزاح بن ربيعة بمَنْ معه من قومه من قُضاعة ، وخرجت لهم خُزاعة وبنو بكر وتهيؤوا لحربهم ، والتقوْا فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ حتى كَثُرت القتلى من الفريقين جميعاً ، وفشت فيهم الجِراحة ، ثم إنهم تداعوْا إلى الصلح ، إلى أن يُحَكِّموا بينهم رجلاً من العرب ، فيما اختلفوا فيه ، ليقضيَ بينهم ، فحكَّموا يعمر بن عوف بن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فقضى بينَهم بأنّ قُصَيّاً أوْلَى بالكعبة وأمر مكّة من خُزاعة ، وأن كلَّ دم أصابه قصيّ من خُزاعة وبني بكر موضوع يشدَخه تحت قدميه ، وأنّ ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة وقضاعة ففيه الدّية مؤدّاة ، وأن يُخَلَّى بين قصيّ بن كلاب وبين الكعبة ومكة؛ فسمِّي يعمر بن عوف يومئذ الشَّدّاخ؛ لما شَدَخ من الدماء ، ووضع منها ، فوَلِي قصيّ البيت وأمرَ مكة وجَمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملّك على قومه وأهل مكة فملّكوه ، فكان قصيٌّ أول ولد كعب بن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة ، والسِّقاية ، والرِّفادة ، والنَّدْوة ، واللواء ، فحاز شرف مكة كلَّه ، وقطع مكّة رباعاً بين قومه ، فأنزل كلَّ قوم من قريش منازلهم من مكّة التي أصبحوا عليها[1] . (٢ : ٢٥٧/٢٥٨).

٨٦٩ ـ حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال: ويزعمُ الناس: أن قريشاً هابت قَطْع شجر الحرَم في منازلهم ، فقطعها قصيّ بيده ، وأعانوه ، فسمّته العرب مُجَمِّعاً لما جمّع من أمرها ، وتيمّنت بأمره ، فما تُنكح امرأة ولا رجل من قريش إلاّ في دار قصيّ بن كلاب ، وما يتشاورون في أمر ينزل

(١) ضعيف.

بهم إلاّ في داره ، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلاّ في داره ، يعقدها لهم بعضُ ولده ، وما تدّرع جارية إذا بلغت أن تدّرع من قريش إلاّ في داره؛ يشقّ عليها فيها درعها ثم تدّرعه ، ثم يُنطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمرُه في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدِّين المتَّبع ، لا يعمل بغيره تيمُّناً بأمره ومعرفةً بفضله وشرفه ، واتخذ قصيّ لنفسه دار النَّدْوة ، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ، ففيها كانت قريش تقضي أمورها.

حدّثنا ابن حميد ، قال: حدّثنا سلمَة ، قال: حدّثني محمد بن إسحاق عن عبد الملك بن راشد ، عن أبيه ، قال: سمعت السائب بن خبّاب صاحب المقصورة يحدّث: أنه سمع رجلاً يحدّث عمر بن الخطاب ـ وهو خليفة ـ حديثَ قُصيّ بن كِلاب هذا وما جمّع من أمر قومه ، وإخراجه خُزاعة وبني بكر من مكّة ، وولايته البيت وأمر مكّة؛ فلم يَرُدَّ ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصيّ بمكة على شرفه ومنزلته في قومه لا ينازَع في شيء من أمر مكّة؛ إلا أنه قد أقرّ للعرب في شأن حَجّهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه دِيْناً في نفسه ، لا ينبغي له تغييرُه ، وكانت صوفة على ما كانت عليه ، حتى انقرضت صوفة ، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث بن شِجْنة وراثةً ، وكانت عَدْوان على ما كانت عليه ، وكانت النَّسأة من بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه ، ومرّة بن عوف على ما كانوا عليه ، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام ، فهدَم الله به ذلك كلَّه ، وابتنى قصيّ داراً بمكة ، وهي دار النَّدوة ، وفيها كانت قريش تقضي أمورَها ، فلما كَبِر قصيّ ورَقّ [عظمه] ـ وكان عبد الدار بِكْره هو ، كان أكبر ولده ، وكان ـ فيما يزعمون ـ ضعيفاً ، وكان عبد مناف قد شَرُف في زمان أبيه ، وذهب كلّ مذهب وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي ، فقال قصيّ لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لألحقنّك بالقوم ، وإن كانوا قد شَرفُوا عليك؛ لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلاّ أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكّة ماء إلاّ من سقايتك ، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلاّ من طعامك ، ولا تقطع قريش أمورها إلاّ في دارك. فأعطاه داره ، دار النّدوة التي لا تقضي قريش أمراً إلاّ فيها ، وأعطاه الحجابة ، واللواء ، والنَّدْوة ، والسقاية ، والرِّفادة ـ وكانت الرِّفادة خَرْجاً تخرجه

قريش في كلِّ موسم من أموالها إلى قصيّ بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاجّ يأكله مَنْ لم تكن له سعة ولا زاد ممّن يحضر الموسم؛ وذلك: أن قصيّاً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرَهم به: يا معشر قريش ! إنكم جيرانُ الله وأهلُ بيته الحرام ، وإن الحاجّ ضيف الله وزوّار بيته ، وهم أحقّ الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شراباً وطعاماً أيام هذا الحج ، حتى يَصْدُروا عنكم ، ففعلوا فكانوا يُخْرِجون لذلك كلَّ عام من أموالهم فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيام منىً ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهليّة ، حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا؛ فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كلَّ عام بِمنىً حتى ينقضيَ الحج.

حدثنا ابن حميد ، قال: حدثنا سلمَة ، قال: حدّثني من أمر قصيّ بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابنُ إسحاق بن يسار عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن عليّ بن أبي طالب ، قال: سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له: نُبَيْه بن وهب بن عامر بن عِكرمة بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار. قال الحسن بن محمد: فجعل إليه قصيّ ما كان بيده من أمر قومه كلِّه ، وكان قصيّ لا يخالَف ولا يُرَدّ عليه شيء صَنَعه. ثم إن قصيّاً هلك ، فأقام أمره في قومه من بعده بنوه.

ابن كلاب

وأمّ كلاب ـ فيما ذُكِر ـ: هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة. وله أخوان من أبيه من غير أمّه ، وهما: تَيْم ، ويقَظَة ، أمّهما ـ فيما قال هشام بن الكلبي ـ: أسماء بنت عديّ بن حارثة بن عمرو بن عامر بن بارق.

وأما ابن إسحاق فإنه قال: أمّهما هند بنت حارثة البارقيّة. قال: ويقال: بل يقظة لهند بنت سرير ، أمّ كلاب.

ابن مُرَّة

وأم مرّة: وَحْشيَّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن

كنانة ، وأخواه لأبيه وأمّه : عديّ ، وهُصَيْص ، وقيل : إنّ أمّ هؤلاء الثلاثة مخشيّة . وقيل : إن أمّ مرّة وهصيص مخشيّة بنت شيبان بن محارب بن فِهْر ، وأمّ عديّ : رَقاش بنت رُكْبَة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيْلان .

ابن كعب

وأم كعب : ماويّة ـ فيما قال ابن إسحاق ، وابن الكلبيّ ـ وماويّة بنت كعب بن القيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوْان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمّه : أحدهما يقال له : عامر ، والآخر : سامة ، وهم بنو ناجية ، ولهم من أبيهم أخ قد انتمى ولده إلى غَطَفان ، ولحقوا بهم ، كان يقال له : عوف ، أمّه : الباردة بنت عوف بن غَنْم بن عبد الله بن غَطَفان .

ذُكِر : أن الباردة لما مات لُؤيّ بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها ، فتزوّجها سعد بن ذُبْيان بن بَغِيض ، فتبنّى عوفاً ، وفيه يقول : فيما ذكر ـ فزارةُ بن ذُبْيان :

عَـرِّجْ عَلَـيَّ ابْـنَ لُـؤَيٍّ جَمَلَـكْ يتـرُكُـكَ الْقَـوْمُ ولاَ مَنْـزِلَ لَـكْ

ولكعب أخوان آخران أيضاً من أبيه من غير أمّه ، أحدهما : خزيمة ، وهو عائذة قريش ، وعائذة أمّه ، وهي عائذة بنت الخِمْس بن قُحافة ؛ من خثعم ، والآخر : سعد ، ويقال لهم : بُنانة ، وبنانة أمّهم ؛ فأهل البادية منهم اليوم ـ فيما ذكر ـ في بني أسعد بن همّام ، في بني شيبان بن ثعلبة ؛ وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

ابن لؤيّ

وأم لؤيّ ـ فيما قال هشام ـ عاتكة بنت يَخْلُد بن النضر بن كنانة ، وهي أولى العواتك اللائي ولدن رسول الله ﷺ من قريش ، وله أخوان من أبيه وأمّه ، يقال لأحدهما : تيْم ، وهو الذي كان يقال له : تيْم الأدْرم ـ والدَّرَم نقصان في الذّقن ؛ قيل : إنه كان ناقص اللّحى ـ وقيس ، قيل : لم يبق من قيْس أخي لؤيّ أحد ، وإنّ آخر مَنْ كان بقي منهم رجل هلك في زمان خالد بن عبد الله القسريّ ، فبقيَ ميراثه ، لا يدري مَنْ يستحقّه . وقد قيل : إن أمّ لؤيّ وإخوته سلْمَى بنت عمرو بن ربيعة ، وهو لُحَيّ بن حارثة بن عمرو مُزيْقياء بن عامر ماء السماء ، من خُزاعة .

ابن غالب

وأمّ غالب: ليلَى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مدركة ، وإخوته من أبيه وأمّه: الحارث ، ومُحارب ، وأسد ، وعوف ، وجُون؛ وذئب؛ وكانت محارب ، والحارث من قريش الظواهر ، فدخلت الحارث الأبطح.

ابن فهر

وفهر ـ فيما حُدّثت عن هشام بن محمد: أنه قال: هو جمّاع قريش ، قال: وأمّه جَندَلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهميّ.

وقال ابن إسحاق ـ فيما حدّثنا ابن حميد ـ قال: حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق: أمّه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجرهميّ.

وكان أبو عُبيدة معمر بن المثنّى يقول ـ فيما ذكر عنه ـ: أمّه سلمى بنت أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر.

وقيل: إنّ أمّه جميلة بنت عَدْوان من بارق ، من الأزْد.

وكان فِهْر في زمانه رئيسَ الناس بمكة ـ فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ـ في حربهم حسّان بن عبد كلال بن مثوب ذي حرَث الحميريّ. وكان حسّان ـ فيما قيل ـ أقبل من اليمن مع حِمْير وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكّة إلى اليمن ، ليجعل حجّ الناس عنده ببلاده ، فأقبل حتى نَزَل بنخلة ، فأغار على سَرْح النّاس ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكّة ، فلما رأت ذلك قريش ، وقبائل كنانة ، وخزيمة ، وأسد ، وجُذام ، ومَنْ كان معهم من أفناء مُضَر ، خرجوا إليه ، ورئيس النّاس يومئذ فهر بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فهزمت حمير ، وأسِر حسّان بن عبد كلال ملك حِمْيَر ، أسَره الحارث بن فِهْر ، وقُتِل في المعركة ـ فيمن قتل من الناس ـ ابن ابنه قيس بن غالب ابن فهر ، وكان حسّان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتى افتدَى منهم نفسه ، فخُرِج به ، فمات بين مكّة واليمن.

ابن مالك

وأمّه عِكْرِشَة بنت عَدْوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيْلان ، في قول هشام.

وأمّا ابن إسحاق فإنه قال: أمّه عاتكة بنت عَدْوان بن عمرو بن قيس بن عيلان.

وقيل: إنّ عِكْرِشة لقبُ عاتكة بنت عَدْوان ، واسمها: عاتكة.

وقيل: إن أمَّه هند بنت فَهْم بن عمرو بن قيس بن عَيْلان. وكان لمالك أخَوان ، يقال لأحدهما: يخلُد ، فدخلت يخلُد في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة ، فخرجوا من جماع قريش ، والآخر منهما يقال له: الصّلت ، لم يبق من ذريّته أحد.

وقيل: سُمّيت قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يخلُد بن الحارث بن يخلُد بن النَّصر بن كنانة ، وبه سمّيت قريش قريشاً ، لأن عِير بني النّضر كانت إذا قدمت قالت العرب: قد جاءت عِير قريش ، قالوا: وكان قريش هذا دليل بني النّضر في أسفارهم ، وصاحبَ ميرتهم ، وكان له ابن يسمّى بدراً ، احتفر بدراً ، قالوا: فبه سمّيت البئر التي تدعى بدراً: بدراً.

وقال ابن الكلبيّ: إنّما قريش جماع نسب ، ليس بأب ولا أمّ ولا حاضن ولا حاضنة.

وقال آخرون: إنما سمّي بنو النّضر بن كنانة قريشاً؛ لأن النّضر بن كنانة خرج يوماً على نادِي قومه ، فقال بعضهم لبعض: انظروا إلى النَّضْر ، كأنه جملٌ قَرِيش.

وقيل: إنّما سمّيت قريش قريشاً بدابّة تكون في البحر تأكل دوابّ البحر ، تدعَى القِرْش ، فشُبِّه بنو النّضر بن كنانة بها؛ لأنها أعظم دوابّ البحر قوّة.

وقيل: إنّ النضر بن كنانة كان يقرّش عن حاجة الناس فيسدّها بماله ، والتَّقْريش ـ فيما زعموا ـ التفتيش ، وكان بنوه يقرّشون أهلَ الموسم عن الحاجة

فيسدُّونها بما يبلغهم ـ واستشهدوا لقولهم: إن التقريش هو التفتيش ، بقول الشاعر:

أيُّهــا النَّــاطِــقُ المُقَــرِّشُ عَنَّــا عِنْــدَ عَمْــرٍو فَهــلْ لهــنَّ انْتِهــاءُ!

وقيل: إنّ النّضر بن كنانة كان اسمه قريشاً. وقيل: بل لم تزل بنو النّضر بن كنانة يدعوْن النَّضْر حتى جمّعهم قصيّ بن كلاب ، فقيل لهم: قريش؛ من أجل أن التجمُّع هو التقرُّش ، فقالت العرب: تقرّش بنو النّضر ، أي قد تجمّعوا.

وقيل: إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرّشت عن الغارات[١]. (٢: ٢٥٩ ـ ٢٦٥).

٨٧٠ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا محمد بن سعد ، قال: حدّثنا محمد بن عمر ، قال: حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن سعيد بن محمد بن جُبَير بن مُطْعِم: أنّ عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جُبَير: مَتَى سمّيت قريش قريشاً؟ قال: حين اجتمعت إلى الحرَم من تفرُّقها ، فذلك التجمّع التقرُّش. فقال عبد الملك: ما سمعت هذا ، ولكن سمعت: أن قصيّاً كان يقال له: القرشيّ ، ولم تسمّ قريش قبله[٢]. (٢: ٢٦٥).

٨٧١ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدّثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي سلَمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال: لما نزل قصيّ الحرم وغَلب عليه؛ فعل أفعالاً جميلة ، فقيل له: القرشيّ ، فهو أوّل مَنْ سُمّيَ به[٣]. (٢: ٢٦٥).

٨٧٢ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدَّثنا محمد بن سعد ، قال: أخبرنا محمد بن عمر ، قال: حدثني أبو بكر بن أبي سبْرة عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جَهْم ، قال: النّضر بن كنانة كان يسمى القرشيّ[٤]. (٢: ٢٦٥).

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

(٣) ضعيف.

(٤) ضعيف.

٨٧٣ ـ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصيّ أحدث وقودَ النار بالمزدَلِفة ، حيث وقف بها حتى يراها مَنْ دفع من عرفة ، فلم تزل تُوقَد تلك النار تلك الليلة في الجاهليّة[1] . (٢ : ٢٦٥).

٨٧٤ ـ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرني كثير بن عبد الله المزنيّ عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار تُوقد على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهي توقد إلى اليوم[2] . (٢ : ٢٦٥).

ابن النّضر

٨٧٤/ أ ـ واسم النَّضر : قيس ، وأمّه : بَرَّة بنت مُرّ بن أدّ بن طابخة ، وإخوتهُ لأبيه وأمّه نُضَيْر ، ومالك ، ومِلْكان ، وعامر ، والحارث ، وعمرو ، وسعد ، وعوف ، وغَنْم ، ومَخرمَة ، وجَرْوَل ، وغزوان ، وحُدَال ، وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمّه فُكَيْهة ـ وقيل : فَكْهة ـ وهي الذّفراء بنت هَنِيّ بن بَلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة . وأخو عبد مناة لأمّه عليّ بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عديّ بن عمرو بن مازن الغسانيّ ، وكان عبد مناة بن كنانة تزوّج هنداً بنت بكر بن وائل ، فولدت له ولده ، ثم خلف عليها أخوه لأمّه عليّ بن مسعود ، فولدت له ، فحضن عليّ بني أخيه ، فنُسبوا إليه ، فقيل لبني عبد مناة : بنو عليّ ، وإياهم عنَى الشاعر بقوله :

لله دَرُّ بني عَلِيٍّ أَيِّمٍ مِنْهم وناكِحْ

وكعب بن زهير بقوله :

صدَمُوا عَليّاً يومَ بَدْرٍ صَدْمَةً دانَتْ عليٌّ بعْدَها لِنزَارِ

ثم وثب مالك بن كنانة على عليّ بن مسعود ، فقتله ، فودَاه أسد بن خزيمة .

ابن كنانة

وأمّ كنانة : عَوانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلان . وقد قيل : إن أمّه هند بنت

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .

عمرو بن قيس ، وإخوتُه من أبيه أسَد ، وأسدَة ، يقال : إنه أبو جذام والهُون ، وأمهم بَرّة بنت مرّ بن أدّ بن طابخة ، وهي أم النَّضْر بن كنانة؛ خلَف عليها بعد أبيه .

ابن خُزيمة

وأمّه : سلْمى بنت سليم بن الحافِ بن قضاعة ، وأخوه لأبيه وأمّه هُذيل ، وأخوهما لأمِّهمَا تغلب بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة .

وقد قيل : إن أمّ خزيمة وهذيل سَلْمى بنت أسد بن ربيعة .

ابن مدركة

واسمه : عمرو ، وأمه : خِنْدِف ، وهي ليلى بنت حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قضاعة ، وأمُّها ضَريّة بنت ربيعة بن نزار ، قيل : بها سمّي حِمَى ضَريّة ، وإخوة مدركة لأبيه وأمّه عامر ـ وهو طابخة ـ وعمير وهو قَمَعة ـ ويقال : إنه أبو خزاعة[1] . (٢ : ٢٦٥/ ٢٦٦/ ٢٦٧).

٨٧٥ ـ حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق : أنه قال : أمّ بني إلياس : خِنْدف ، وهي امرأة من أهل اليمن ، فغلَبت على نسب بنيها ، فقيل : بنو خِنْدف .

قال : وكان اسم مدركة : عامراً ، واسم طابخة : عمراً . قال : وزعموا : أنهما كانا في إبل لهما يَرْعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه يطبخانه ، وعدتْ عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصّيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدّثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مُدْركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة[2] . (٢ : ٢٦٦).

٨٧٦ ـ وحدّثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس في نجعة له ، فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمِّي مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمِّي طابخة ، وانقمع عُمَير في الخباء فلم يخرج فسمي قمَعة ،

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .

وخرجت أمّهم تمشي فقال لها: إلياس أين تخنْدِفين؟ فسميت خِندف ـ والخَنْدفة ضرب من المشي ـ قال: وقال قُصَيّ بن كلاب:

أَمَّهَتِي خِندِف وإلياس أبي

قال: وقال إلياس لعمرو ابنه:

إنكَ قد أدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَا

ولعامر:

وأنتَ قد أنْضَجْتَ ما طَبَخْتَا

ولعمَير:

وأنتَ قد أسْأتَ وانْقمعْتَا

ابن إلياس

وأمّه: الرّباب بنت حَيْدة بن معدّ، وأخوه لأبيه وأمّه، وهو عَيْلان، وسمي عَيْلان ـ فيما ذكر ـ لأنه كان يعاتب على جوده، فيقال له: لتغلبنّ عليك الْعَيْلة يا عيلان! فلزمه هذا الاسم.

وقيل: بل سمِّيَ عَيْلان بفرَس كانت له تدعى عَيْلان.

وقيل: سمِّيَ بذلك؛ لأنه ولد في جبل يسمى عَيْلان.

وقيل: سمِّيَ بذلك لأنه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عَيْلان.

ابن مضر

وأمّه: سَودة بنت علّك، وأخوه لأبيه وأمّه إياد، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمهما، وهما ربيعة وأنْمار؛ أمّهما جدالة بنت وعْلان بن جوْشم بن جُلْهُمة بن عمرو، من جُرْهم.

وذكر بعضهم: أن نزار بن مَعَدّ لما حضرتْه الوفاة أوصى بنيه، وقسّم ماله بينهم، فقال: يا بنيّ، هذه القبّة ـ وهي قبّة من أدَم حمراء ـ وما أشبهها من مالي لمضر، فسمِّيَ مضر الحمراء، وهذا الخِباء الأسود وما أشبهه من مالي لِربيعة، فخلّف خيلاً دُهْما، فسمِّي الفُرْس، وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد

ـ وكانت شمطاء ـ فأخذ البُلْق والنَّقَد من غنمه. وهذه البدرة والمجلس لأنمار يجلس فيه ، فأخذ أنمار ما أصابه. فإن أشكل عليكم في ذلك شيء واختلفتم في القِسْمة فعليكم بالأفْعَى الجُرْهميّ. فاختلفوا في القِسمة ، فتوجّهوا إلى الأفعى؛ فبينما هم يسيرون في مسيرهم إذ رأى مُضَر كلأً قد رُعِيَ ، فقال: إنّ البعير الذي رَعى هذا الكلأَ لأعور ، وقال ربيعة: هو أزور ، قال إياد: هو أبتر ، وقال أنمار: هو شَرُود؛ فلم يسيروا إلاّ قليلاً حتى لقيَهم رجل تُوضِع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مُضَر: هو أعور؟ قال: نعم ، قال ربيعة: هو أزْور؟ قال: نعم ، قال إياد: هو أبتر؟ قال: نعم ، قال أنمار: هو شَرود؟ قال: نعم ، قال: هذه صفة بَعِيري ، دُلّوني عليه ، فحلفوا له: ما رأوه. فلزمهم وقال: كيف أصدّقكم؛ وأنتم تصِفون بعيري بصفته! فساروا جميعاً حتى قدِموا نجران ، فنزلوا بالأفعى الجرهمّي ، فنادى صاحبُ البعير: هؤلاء أصحاب بعيري ، وَصَفُوا لي صفته ثم قالوا: لم نره. فقال الجرهمي: كيف وصفتموه ولم تروهُ؟ فقال مضَر: رأيته يَرْعى جانباً ويَدَع جانباً فعرفت: أنه أعور. وقال ربيعة: رأيت إحدى يدْيه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر ، فعرفت: أنه أفسدها بشدّة وطئه لازوراره. وقال إياد: عرفت: أنه أبتر باجتماع بعره ، ولو كان ذيّالاً لمَصع به. وقال: أنمار: عرفت: أنه شرود؛ لأنه يرعى المكان الملتفّ نبته ، ثم يجوزه إلى مكان آخر أرقّ منه نبتاً وأخبث. فقال الجرهميّ: ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم: مَنْ هم؟ فأخبروه ، فرحّب بهم فقال: أتحتاجون إليَّ وأنتم كما أرى! فدعا لهم بطعام فأكلوا وأكل ، وشربوا وشرب ، فقال مُضَر: لم أر كاليوم خمراً أجود ، لولا أنها نبتت على قَبْر ، وقال ربيعة: لم أر كاليوم لحماً أطيب لولا أنه رُبيّ بلبن كلب ، وقال إياد: لم أر كاليوم رجلاً أسْرَى منه لولا أنه لغير أبيه الذي يدعَى له ، وقال أنمار: لم أر كاليوم قطّ كلاماً أنفع في حاجتنا [من كلامنا].

وسمع الجرهميّ الكلام فتعجّب لقولهم ، وأتى أمّه فسألها فأخبرته أنّها كانت تحت مِلِك لا يولد له ، فكرهت أن يذهبَ الملْك فأمكنتْ رجلاً من نفسها كان نزل بها ، فوطئها فحملت به ، وسأل القهرمان عن الخمر ، فقال: من حَبَلة غرستُها على قبر أبيك ، وسأل الراعيَ عن اللحم ، فقال: شاة أرضعتُها لبن كلبة ، ولم يكن وَلَد في الغنم شاة غيرها. فقيل لمضر: من أين عرفت الخمر

ونباتها على قبر؟ قال: لأنه أصابني عليها عطش شديد. وقيل لربيعة: بم عرفت؟ فذكر كلاماً.

فأتاهم الجرهميّ، فقال: صفوا لي صفتكم، فقصّوا عليه ما أوصاهم به أبوهم، فقضى بالقُبّة الحمراء والدنانير والإبل - وهي حُمْر - لمضر، وقضى بالخباء الأسود وبالخيل الدُّهم لربيعة، وقضى بالخادم - وكانت شمطاء - وبالخيل البُلْق لإياد، وقضى بالأرض والدراهم لأنمار.

ابن نزار

وقيل: إن نزاراً كان يكنى أبا إياد، وقيل: بل كان يكنّى أبا ربيعة، أمّه مُعَانة بنت جَوْشم بن جُلْهُمة بن عمرو، وإخوته لأبيه وأمّه. قنَص، وقناصة، وسنام، وحيْدَان، وحيدة، وحيادة، وجنيد، وجنادة، والقحم، وعُبيد الرِّماح، والعُرف، وعوف، وشكّ، وقضاعة؛ وبه كان معدّ يكنى، وعدّة دَرَجوا.

ابن معدّ

وأمّ مَعَدّ - فيما زعم هشام - مَهْدَد بنت اللِّهَمّ - ويقال: اللَّهْم - ابن جَلْحَب بن جديس. وقيل: ابن طَسْم، وقيل: ابن الطوسم، من ولد يقشان بن إبراهيم خليل الرحمن.

حدّثنا الحارث بن محمد، قال: حدّثنا محمد بن سعد، قال: حدّثنا هشام بن محمد، قال: حدّثني محمد بن عبد الرحمن العجلانيّ: وإخوته من أبيه وأمّه الدّيث - وقيل: إن الدّيث هو عكّ. وقيل: إنّ عكا هو ابن الديث بن عدنان - وَعَدن بن عدنان، فزعم بعض أهل الأنساب: أنه صاحب عَدَن؛ وإليه تنسب، وأن أهلها كانوا ولده فَدَرجوا، وأبيَن - وزعم بعضهم: أنه صاحب أبيَن وأنّها إليه تنسب، وأنّ أهلها كانوا ولده فدرجوا - وأدّ بن عدنانَ درَج، والضحاك، والعيّ، وأمّ جميعهم أمّ معدّ.

وقال بعض النّسابة: كان عكّ انطلق إلى سمرَان من أرض اليمن، وترك أخاه معدّاً، وذلك أنّ أهل حَضور لما قتلوا شعيب بن ذي مَهْدَم الحَضوريّ؛ بعث الله

عليهم بختنصَّر عذاباً ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملا معدّاً ، فلمّا سكنت الحرب؛ ردّاه إلى مكة ، فوجد معدّ إخوته وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوّجوا فيهم ، وتعطّفَتْ عليهم اليمن بولادة جُرْهم إيّاهم . واستشهدوا في ذلك قول الشاعَر :

تَـرَكْنـا الـدِّيـثَ إخْـوَتَنـا وعكَّـا   إلـى سَمْـرانَ فـانطَلَقُـوا سِـراعـا
وكـانـوا مِـنْ بنـي عَـدْنـانَ حتّـى   أضـاعـوا الأمْـرَ بَيْنَهُـم ، فضـاعـا

ابن عدنان

ولعدنان أخَوان لأبيه؛ يدعى أحدهما : نَبْتاً والآخر منهما : عَمْراً ، فنسَبُ نبينا محمد ﷺ لا يختلف النسابون فيه إلى معدّ بن عدنان ، وأنه على ما بيّنت من نسبه[1] . (٢ : ٢٦٧ ـ ٢٧١) .

٨٧٧ ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدّثني ابن لهيعة عن أبي الأسود وغيره عن نسبة رسول الله ﷺ : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لُؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد . ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكّار : حدّثني يحيى بن المقداد الزّمْعيّ عن عمّه موسى بن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زَمعة ، عن عمّته أم سلَمة زوج النبي ﷺ ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «معدّ بن عدنان بن أدد بن زَنْد بن يرَى بن أعراق الثرَى» ، قالت أمّ سلمة : فزند هو الهَمَيْسعَ ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم[2] . (٢ : ٢٧١) .

٨٧٨ ـ حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن العجلانيّ عن موسى بن يعقوب الزمعيّ ، عن عمّته ، عن جَدّتها ابنة المقداد بن الأسود البهرانيّ ، قالت : قال

---

(١) ضعيف .
(٢) ضعيف .

رسول الله ﷺ : «معدّ بن عدنان بن أدد بن يرى بن أعراق الثرى».

وقال ابن إسحاق ـ فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان ـ فيما يزعم بعض النّساب ـ: ابن أدد بن مقوّم بن ناحور بن تيرح بن يَعرب بن يَشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم.

وبعض يقول: بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

قال: وقد انتمى قصيّ بن كلاب إلى قيذر في شعر.

قال: ويقول بعض النّساب: بل عدنان بن ميدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميسع بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم، قال: وذلك: أنه علْم قديم أخذ من أهل الكتاب الأوّل.

وأما الكلبيّ محمد بن السائب فإنه ـ فيما حدّثني الحارث عن محمد بن سعد، عن هشام ـ قال: أخبرني مخبرٌ عن أبي ولم أسمعه منه: أنه كان ينسب معدّ بن عدنان بن أدد بن الهميْسع بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال بن أبيّ بن العوام بن ناشد بن حزا بن بَلْداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم بن تاحش بن ماخي بن عبقي بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر بن يثربي بن يحزن بن يلحن بن أرعوي بن عيفي بن ديشان بن عيصر بن أقناد بن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمّى بن مزّي بن عوص بن عرام بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم، صلوات الله عليهما[1]. (٢: ٢٧٢).

٨٧٩ ـ حدّثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: حدّثنا هشام بن محمّد، قال: وكان رجل من أهل تَدْمُر، يكنى أبا يعقوب، من مسلمة بني إسرائيل، قد قرأ من كتبهم، وعلم علماً، فذكر: أن بروخ بن ناريّا كاتب أرميا أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده، ووضعه في كتبه، وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب، مثبَت في أسفارهم، وهو مقارب لهذه الأسماء، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبَل اللغة، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية.

---

(١) ضعيف.

قال الحارث: قال محمد بن سعد: وأنشدني هشام، عن أبيه شعرَ قصيّ:

فلستُ لحاضِنٍ إنْ لَمْ تَأَثَّلْ   بها أولادُ قَيذَرَ والنَّبِيتُ

قال: أراد نبْت بن إسماعيل.

وقال الزبير بن بكّار: حدّثني عمر بن أبي بكر المؤَمَّليّ عن زكرياء بن عيسى، عن ابن شهاب، قال: معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميْسع بن أسحب بن نبت بن قيذار بن إسماعيل.

وقال بعضهم: هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب بن ثعلبة بن عتر بن بريح بن محلّم بن العوّام بن المحتمل بن رائمة بن العيْقان بن علة بن الشحدود بن الظريب بن عبقر بن إبراهيم بن إسماعيل بن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أتامة بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير بن المجشّر بن معدمر بن صيفي بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن.

وقال آخرون: هو معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقال آخرون: هو معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميسع بن نبت بن سلمان ـ وهو سلامان ـ ابن حمل بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقال آخرون: هو معدّ بن عدنان بن أدد بن المقوّم بن ناحور بن مِشْرح بن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم.

وقال آخرون: هو معدّ بن عدنان بن أد بن أدد بن الهميسع بن أسحب بن سعد بن مريح بن نضير بن حميل بن منحم بن لافث بن الصابوِح بن كنانة بن العوام بن نبت بن قيذر بن إسماعيل.

وأخبرني بعض النّساب: أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعدّ أربعين أباً بالعربية إلى إسماعيل، واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهلُ الكتاب، فوجد العدد متّفقاً، واللفظ مختلفاً، وأملي ذلك عليّ فكتبته عنه، فقال: هو معدّ بن عدنان بن أدد بن هميسع ـ وهميسع هو سلمان وهو أمين ـ ابن هميتع ـ وهو هميدع وهو

الشاجب بن سلامان ـ وهو منجر ، وهو نبيت؛ سمّي بذلك ـ فيما زعم ـ لأنه كان منجِر العرب؛ لأن الناس عاشوا في زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قَعْنَب بن عتّاب الرياحيّ:

تُنَاشِدُني طيٌّ وَطيٌّ بَعِيدة وتُذْكِرُنِي بالودّ أَزْمَان ينبت

قال: نبيت بن عوص ـ وهو ثعلبة. قال: وإليه تنسب الثعلبيّة ـ ابن بورا ـ وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأوّل من سَنّ العتيرة للعرب ـ ابن شوحا وهو سعد رجب ، وهو أول من سن الرجبيّة للعرب ـ ابن يعمانا ـ وهو قموال ، وهو مريح الناصب ، وكان في عصر سليمان بن داود النبي ﷺ ـ ابن كسدانا ـ وهو محلَّم ذو العين ـ ابن حرانا ـ وهو العوّام ـ ابن بلداسا ـ وهو المحتمل ـ ابن بدلانا ، وهو يدلاف ، وهو رائمة ـ ابن طهبا ـ وهو طالب ، وهو العيقان ـ ابن جهمي ـ وهو جاجم ، وهو علة ـ ابن محشي ـ وهو تاحش ، وهو الشحدود ـ ابن معجالي ـ وهو ماخي ، وهو الظريب خاطم النار ـ ابن عقارا ـ وهو عافي ، وهو عبقر أبو الجنّ ، قال: وإليه تنسب جنة عبقر ـ ابن عاقارى ـ وهو عاقر ، وهو إبراهيم جامع الشمل. قال: وإنما سمي جامع الشمل لأنه أمّن في ملكه كلّ خائف ، وردّ كلّ طريد ، واستصلح الناس ـ ابن مداعي ـ وهو الدعا ، وهو إسماعيل ذو المطابخ ، سمّي بذلك لأنه حين ملَك أقام بكلّ بلدة من بلدان العرب دار ضيافة ـ ابن ابداعي ـ وهو عبيد وهو يزن الطعّان ، وهو أوّل من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه ـ ابن همادى وهو حمدان ، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرساً له ، وإليه تنسب الأعوجيّة من الخيل ـ ابن بشماني ـ وهو بشين وهو المطعم في المحْل ـ ابن بثراني ـ وهو بثرم ، وهو الطمح ـ ابن بحراني ـ وهو يحزن ، وهو القسور ـ ابن يلحاني ، وهو يلحن ، وهو العنود ـ ابن رعواني ـ وهو رعوي ، وهو الدعدع ـ ابن عاقاري ـ وهو عاقر ـ ابن داسان ، وهو الزائد ـ ابن عاصار ـ وهو عاصر ، وهو النيدوان ذو الأندية ، وفي ملكه تفرق بنو القاذور وهو القادور ، وخرج الملك من ولد النبيت بن القادور إلى بني جاوان ـ ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية ـ ابن قنادي ـ وهو قنار ، وهو إيّامة بن ثامار ، وهو بهامي ، وهو دوس العتق ، وهو دوس أجمل الخلق ، زعم في زمانه ، فلذلك تقول العرب: أعتق من دَوْس لأمرين: أمّا أحدهما فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه ، وفي ملكه أهلِكت جرهم بن فالج

وقطوراً ، وذلك: أنهم بغوْا في الحرم ، فقتلهم دَوْس ، وأتبع الذرّ آثار من بقي منهم ، فولج في أسماعهم فأفناهم ـ ابن قصر ـ وهو مقاصري ، وهو حصن ، ويقال له: ناحث ، وهو النزال بن زارح ، وهو قمير ـ ابن سمي ـ وهو سما ، وهو المجشر ، وكان ـ فيما زعم ـ أعدلَ ملك ولي وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أميّة بن أبي الصلت لهرقل ملك الروم:

كُنْ كَالمجَشِّرِ إذْ قالَتْ رَعِيَّتُهُ ... كَانَ المجَشِّرُ أوْفانا بِما حَمَلاَ

ابن مزرا ـ ويقال: مرهر ـ ابن صنفا ، وهو السمر ، وهو الصفيّ ، هو أجود ملك رُئي على وجه الأرض ، وله يقول أميّة بن أبي الصلت:

إنَّ الصَّفِيَّ بنَ النَّبيتِ مُمَلَّكاً ... أعْلَى وأجْوَدُ من هِرَقْلَ وقَيْصَرا

ابن جعثم ـ وهو عرام ، وهو النَّبيت ، وهو قيذر ، قال: وتأويل «قيذر»: صاحب ملك ، كان أوّل من ملك من ولد إسماعيل ـ ابن إسماعيل صادق الوعد ، ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح ـ وهوآزر ـ ابن ناحور بن ساروغ بن أرغوا بن بالغ ـ وتفسير «بالغ»: القاسم بالسريانية ، لأنه الذي قسم الأرضين بيد ولد آدم ، وبالغ ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح بن لمك بن متُوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبيّ ﷺ ـ ابن يرد ـ وهو يارد الذي عملت الأصنام في زمانه ـ ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث ـ وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام. وكان وصيّ أبيه بعد مَقتل هابيل ، فقال: هبة الله من هابيل ، فاشتقّ اسمه من اسمه.

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمّهاته فيما بينه وبين آدم ، ومما كان من الأخبار والأحداث في كلّ زمان من ذلك بعض ما انتهى إلينا بوجيز من القول مختَصر في كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته.

وحُدِّثت عن هشام بن محمد قال: كانت العرب تقول: إنما خدش الخدوش منذ ولد أبونا أنوش؛ وإنما حرم الحنث منذ ولد أبونَا شثٌّ؛ وهو بالسريانية «شيث»[1]. (٢: ٢٧٣ ـ ٢٧٦).

---

(١) ضعيف.

ذكر تزويج النبيّ ﷺ
خديجةَ رضي الله عنها

٨٨٠ ـ قال هشام بن محمّد: نكَح رسول الله ﷺ خديجةَ؛ وهو ابنُ خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنةُ أربعين سنة.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق، قال: كانت خديجة بنت خويلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ امرأة تاجرةً، ذات شرف ومال، تسْتتجِرُ الرجال في مالها، وتضاربُهم إيّاه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريشٌ قوماً تجاراً؛ فلما بَلَغها عن رسول الله ﷺ ما بلَغها من صِدْق حَدِيثه، وعِظَمِ أمانته، وكَرَم أخلاقه؛ بعثتْ إليه، فعرضت عليه أن يخرُج في مالها إلى الشأم تاجراً، وتعطيَه أفضلَ ما كانت تُعْطِي غيرَه من التّجّار مع غلامٍ لها يقال له: مَيْسرة. فقبله منها رسول الله ﷺ، فخرج في مالها ذلك؛ وخرَج معه غلامها مَيْسَرة؛ حتى قَدِما الشأم، فنزل رسول الله ﷺ في ظِلّ شجرة قريباً من صَوْمعة راهب من الرّهبان، فأطْلَع الراهب رأسه إلى مَيْسرة فقال: مَنْ هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجلٌ من قريش، من أهل الحَرم، فقال له الراهب: ما نَزَل تحت هذه الشجرةَ قطّ إلاّ نبيّ، ثم باع رسول الله ﷺ سِلْعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتريَ، ثم أقبل قافلاً إلى مكة؛ ومعه مَيْسرة. فكان ميسَرة ـ فيما يزعمون ـ إذا كانت الهاجرِة واشتدّ الحرّ؛ يرَى مَلَكْين يُظلّلانِه من الشّمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدِمَ مكة على خديجة بمالِها، باعت ما جاء به فأضعفت، أو قريباً من ذلك. وحَدّثها ميسرة عن قول الرّاهب، وعَمّا كان يرَى من إظلال الملَكيْن إيّاه ـ وكانت خديجة امرأةً حازمة لبيبة شريفة؛ مع ما أراد الله بها من كَرامته ـ فلما أخبرها ميسرة بما أخبرَها؛ بعثتْ إلى رسول الله ﷺ، فقالت له ـ فيما يزعمون ـ: يا بن عَمٍّ! إنّي قد رغبتُ فيك لقرابتك وسِطَتِك في قومك، وأمانتك، وحسن خُلقك، وصدق حديثك. ثم عَرَضت عليه نفسَها، وكانت خديجة يومئذ أوسطَ نساء قريش نسباً، وأعظمهنّ شرَفاً، وأكثرهُنّ مالاً؛ كلُّ قومِها كانَ حريصاً على ذلك منها؛ لو يقدرُ عليها.

فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ ذكَر ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة بن

عبد المطلب عَمّه؛ حتى دخل على خُويلد بن أسد ، فخطبها إليه فتزوّجها ، فوَلَدتْ له ولده كلّهم إلاّ إبراهيم: زينب ، ورقيّة ، وأمّ كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم ـ وبه كان يكنى ﷺ ـ والطّاهر ، والطيّب ، فأمّا القاسم ، والطّاهر ، والطّيب؛ فهلكوا في الجاهلية ، وأما بناته فكلّهنّ أدركْن الإسلام ، فأسلمنَ ، وهاجرْنَ معه ﷺ[1] . (٢: ٢٨٠/ ٢٨١) .

٨٨١ ـ حدّثني الحارث ، قال: حدّثنا محمّد بن سعد ، قال: حدّثنا محمّد بن عمر ، قال: حدّثنا معمَر وغيره عن ابن شهاب الزّهريّ ـ وقد قال ذلك غيرهُ من أهل البلد: إن خديجة إنما كانت استأجرتْ رسول الله ﷺ ورجلاً آخر من قُريش إلى سوق حُبَاشة بتِهامة؛ وكان الذي زَوّجها إياه خُوَيلد ، وكانت التي مشتْ في ذلك مولاةٌ مولّدة من مولّدات مكّة .

قال الحارث: قال محمّد بن سعد: قال الواقديّ: فكلّ هذا غلطٌ .

قال الواقديّ: ويقولون أيضاً: إنّ خديجة أرسلتْ إلى النبيّ ﷺ تدعوه إلى نفسها ـ تَعْني: التزويج ـ وكانت امرأةً ذاتَ شرف ، وكان كلّ قريش حريصاً على نِكاحها ـ قد بذلوا الأموال لو طمعوا بذلك ، فدعتْ أباها فسقته خمراً حتى ثَمِل ، ونحرَتْ بقرة وخَلّقته بخلوق ، وألبسته حُلةً حِبْرةً ، ثم أرسلتْ إلى رسول الله ﷺ في عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوّجه ، فلمّا صحا قال: ما هذا العَقير؟ وما هذا العبير؟ وما هذا الحبير؟ قالت: زوجتَني محمّد بن عبد الله ، قال: ما فعلتُ ، أنّى أفعل هذا وقد خطبك أكابرُ قريش ، فلم أفعل! .

قال الواقديّ: وهذا غلطٌ ، والثَّبَت عندنا المحفوظ من حديث محمّد بن عبد الله بن مسلم عن أبيه ، عن محمّد بن جُبَير بن مطِعم ، ومن حديث ابن أبي الزّناد، عن هشام بن عُرْوة ، عن أبيه ، عن عائشة ، ومن حديث ابن أبي حبيبة: عن داود بن الحُصَين ، عن عكرمة ، عن ابن عبّاس: أن عَمّها عمرو بن أسد زوَّجها رسول الله ﷺ ، وأنّ أباها مات قبل الفِجار .

قال أبو جعفر: وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يعرف بها اليوم ، فيقال: منزل خديجة ، فاشتراه معاوية ـ فيما ذكر ـ فجعله مسجداً يصلّي فيه

---

(١) ضعيف.

الناس ، وبناه على الّذي هو عليه اليوم لم يغيّر . وأمّا الحجر الذي على باب البيت عَنْ يَسار مَنْ يدخل البيت فإنّ رسولَ الله ﷺ كان يجلس تَحته يستتِر به من الرَّمْي إذا جاءه من دار أبي لَهَب ، ودار عدِيّ بن حمراء الثّقفيِّ خَلْفَ دارِ ابن علْقَمة ، والحجَر ذراعٌ وشبر في ذراع[١] . (٢ : ٢٨١/ ٢٨٢) .

ذكر باقي الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله ﷺ قبل أَن ينبَّأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوّته من الأَحداث في بلده

٨٨٢ - قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبلُ سببَ تزويج النبيّ ﷺ خديجة واختلاف المختلفين في ذلك ، ووقت نكاحه ﷺ إيّاها . وبَعْدَ السنة التي نكحها فيها رسولُ الله ﷺ هَدَمت قريش الكعبة بعشر سنين ثم بَنَتها ـ وذلك في قول ابن إسحاق ـ في سنة خَمسٍ وثلاثين من مولِد رسول الله ﷺ .

وكان سبب هَدْمِهِمْ إياها فيما حدّثنا ابن حُميد ، قال : حدّثنا سلَمة عن ابن إسحاق : أنّ الكعبة كانت رَضْمة فوق القامة ، فأرادوا رَفْعها وتسقِيفها ، وذلك : أنّ نفراً من قريش وغيرهم سَرقوا كنز الكعبة ؛ وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة[٢] . (٢ : ٢٨٣) .

وكان أمرُ غَزالَي الكعبة ـ فيما حُدّثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه : أنّ الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليلَه عليه السلام وابنَه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسِّها الأول ، فأعادا بناءها ، كما أنزِل في القرآن : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ ، فلم يكن له ولاةٌ منذ زمن نوح عليه السلام ، وهو مرفوع ، ثم أمر الله عزّ وجلّ إبراهيمَ أن ينزل ابنهُ إسماعيل البيت ، لِمَا أراد الله من كرامة مَنْ أكرمه بنبيه محمد ﷺ ، فكان إبراهيم خليلُ الرحمن وابنه إسماعيلَ يليَان البيت بعد عَهْدِ نوح ، ومكّة يومئذ بلاقع ، ومن حَوْلِ مكة يومئذ جُرْهم والعماليق ، فنكح

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.

إسماعيل عليه السلام امرأة من جُرْهم؛ فقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض:

وصاهَرَنا مَنْ أكْرمُ النَّاسِ وَالداً فأبْناؤُهُ مِنَّا ونَحْنُ الأَصاهِر

فولِيَ البيت بعد إبراهيم إسماعيل، وبعد إسماعيل نَبْت؛ وأمُّه الجرهميّة؛ ثم مات نَبْت، ولم يكْثر ولد إسماعيل، فغلبت جُرْهم على ولاية البيت؛ فقال عمرو بن الحارث بن مُضاض:

وكُنَّا وُلاَةَ البَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَاكَ البَيْتِ، والخَيْرُ ظَاهِرُ

فكان أولَ مَنْ وَليَ من جُرْهُم البيتَ مُضاض، ثم وليتْه بعده بنُوه كابراً بعد كابر؛ حتى بغتْ جُرُهم بمكّة، واستحلُّوا حرمتها، وأكلوا مالَ الكعبة الذي يُهْدَى لها، وظلموا مَنْ دخل مكّة، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل الرجُلُ منهم إذا لم يجد مكاناً يزني فيه يدخل الكعبة فيزني، فزعموا: أنّ إسافاً بَغَى بنائلة في جَوْف الكعبة، فمسخا حَجَرين، وكانت مكّة في الجاهلية لا ظلمَ ولا بَغْيَ فيها، ولا يستحلُّ حرمتها مَلِكٌ إلاّ هلك مكانه فكانت تسمى النّاسّة، وتُسَمَّى بَكّة، تَبُكّ أعناق البغايا إذا بَغَوْا فيها، والجبابرة.

قال: ولمّا لم تتناهَ جُرْهم عن بَغْيها، وتفرّق أولاد عمرو بن عامر من اليمن، فانخزع بنو حارثة بن عمرو، فأوْطنوا تهامة ـ فسّميت خُزاعة، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة ـ وأسلم ومالك وملْكان بنو أَفْصَى بن حارثة، فبعث الله على جُرْهم الرّعَاف والنّمل، فأفناهم، فاجتمعت خُزاعة ليجلُوا مَنْ بَقِيَ، ورئيسُهم عمرو بن ربيعةِ بن حارثة، وأمّه فُهَيرة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض، فاقتتلوا، فلمّا أحسَّ عامر بن الحارث بالهزيمة، خرج بغزالَي الكعبة وحجر الرّكن يلتمس التوبة، وهو يقول:

لا هُمَّ إنَّ جُرْهُماً عِبَادُكْ النَّاس طُرْفٌ وَهُمُ تِلاَدُكْ
بِهِمْ قَدِيماً عمِرَتْ بِلاَدُكْ

فلم تُقْبَل توبتُه، فألقى غزالَي الكعبة وحجر الرّكن في زمزم، ثم دفنها، وخرج مَنْ بقي من جُرْهم إلى أرض من أرض جهينة، فجاءهم سيل أتِيٌّ، فذهب بهم، فذلك قول أمية بن أبي الصّلت:

وَجُرْهُمْ دَمَّنُوا تِهَامَةَ في الدَّهْرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إضَمُ

ووَلِيَ البيت عمرو بن ربيعة ، وقال بنو قصّي : بل وَليَه عمرو بن الحارث الغُبْشانِيّ ، وهو يقول :

ونَحْنُ وَلِينا البَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرْهُمِ لِنَعْمُـرَهُ مِـنْ كُـلِّ بـاغٍ ومُلحِـدِ

وقال :

وادٍ حَـرَامٌ طَيْـرُهُ وَوَحْشُـهُ نَحْـنُ وُلاَتُـهُ فَـلا نَغُشُّـهُ

وقال عمرو بن الحارث :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا أنِيـسٌ ولـم يَسمُـرْ بمَكَّـةَ سـامِـرُ
بَلَـى نَحْـنُ كُنَّـا أهْلَهَـا فـأبـادَنَـا صُـرُوفُ اللَّيـالِـي والجُـدُودُ الْعَـوائِـرُ

وقال :

يـا أيُّهـا النَّـاسُ سِيـرُوا إنَّ قَصْـرَكُـمُ أنْ تُصبِـحُـوا ذَاتَ يَـوْمٍ لاَ تَسيـرونَـا
كُنَّـا أُنـاسـاً كمـا كُنْتُـمْ فغَيَّـرَنـا دهْـرٌ ، فـأنْتُـمْ كَمَـا كُنَّـا تَكُـونُـونـا
حُثُّـوا المَطِـيَّ وأرْخُـوا مـن أَزِمَّتَهـا قَبْـلَ الممـاتِ وَقَضـوا مـا تُقَضُّـونـا

يقول : اعملوا لآخرتكم ، وافرُغوا من حوائجكم في الدنيا . فولَيتْ خُزاعة البيتَ ؛ غير أنه كان في قبائل مُضر ثلاث خلال : الإجازة بالحجّ للناس من عرفة ، وكان ذلك إلى الغَوْث بن مُرّ - وهو صُوفة - فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجيزي صُوفة . والثانية الإفاضة من جَمْع غداة النَّحر إلى مِنىً ، فكان ذلك إلى بني زيد بن عَدْوان ؛ فكان آخر مَنْ ولِيَ ذلك منهم أبو سَيَّارة عُمَيْلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابش بن زيد ، والثالثة النَّسيءُ للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القَلَمَّس ، وهو حُذَيفة بن فُقَيْم بن عديّ من بني مالك بن كنانة ، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبي ثمامة ، وهو جُنادة بن عوْف بن أميّة بن قَلَع بن حُذَيْفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسيء ؛ فلمّا كثرت معدّ تفرّقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنِيَـتْ دارُنـا تِهـامَـةُ فـي الـدَّهـ ـر وفِيهـا بنـو مَعَـدٍّ حُلُـولا

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكّة ، فلما حفر عبدُ المطلب زمزم ، وَجَدَ الغزاليْن ، غزَالَي الكعبة اللذيْن كانت جُرْهم دفنتْهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان

من أمره وأمرهما ما قد ذكرت في موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل[١]. (٢ : ٢٨٣/ ٢٨٤/ ٢٨٥/ ٢٨٦).

٨٨٣ ـ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق، قال: وكان الذي وجد عنده الكنز دُوَيْكاً مولىً لبني مُلَيْح بن عمرو، من خزاعة. فقطعت قريش يدَه من بينهم، وكان مِمن اتّهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل، وأبو إهاب بن عُزَيْر بن قيس بن سُوَيْد التميميّ ـ وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه ـ وأبو لَهَب بن عبد المطّلب؛ وهم الذين تزعم قريش: أنهم وضعوا كنز الكعبة حين أخذوه عند دُوَيْك مولى بني مُلَيْح، فلمّا اتّهمتْهم قريش، دلّوا على دُوَيْك، فقُطِع، ويقال: هم وضعوه عنده.

وذكروا: أنّ قريشاً حين استيقَنُوا بأنّ ذلك كان عند الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف؛ خرجوا به إلى كاهنة من كُهّان العرب، فسَجَعَتْ عليه من كهانتها بألاّ يدخل مكة عشْر سنين بما استحلّ من حُرمة الكعبة، فزعموا: أنّهم أخرجوه من مكّة، فكان فيما حَوْلَها عشر سنين؛ وكان البحر قد رَمى بسفينة إلى جُدَّة لرجل من تجّار الروم، فتحطّمت، فأخذوا خَشَبها فأعدُّوه لسَقفِها؛ وكان بمكّة رجل قبطيٌّ نجّارٌ، فتهيّأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلِحها، وكانت حيّة تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كلّ يوم، فَتتشَرَّق على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنُو منها أحدٌ إلا احزألّتْ وكشّت وفتحتْ فاها؛ فبينا هي يوماً تَتَشرَّق على جِدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجُو أن يكون الله عَزّ وجلّ قد رَضِيَ ما أردْنا. عندنا عامل رقيقٌ، وعندنا خشبٌ، وقد كفانا الله [أمر] الحيّة، وذلك بعد الفِجار بخمس عشرة سنَة، ورسول الله ﷺ عامَئِذٍ ابن خمس وثلاثين سنة.

فلمّا أجمعوا أمرهم في هَدْمها وبنائها؛ قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حَجَراً، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى مَوْضعه، فقال: يا معشرَ قريش! لا تُدخِلوا في بنيانها من كَسْبكم إلا طيّباً،

---

(١) ضعيف.

ولا تُدْخِلوا فيها مَهْر بَغِيٍّ ، ولا بيع رباً ، ولا مظلمة أحدٍ من النّاس.

قال: والنّاسُ يَنحَلون هذا الكلامَ الوليد بن المغيرة. حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نَجيح المكيّ: أنه حَدّث عن عبد الله بن صفْوان بن أميّة بن خلف: أنه رأى ابناً لجعْدَةَ بن هُبَيْرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له: هذا ابنٌ لجَعْدة بن هُبَيرة ، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جَدّ هذا ـ يعني: أبا وهب الذي أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يَدِه حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك: يا معشرَ قريش! لا تُدْخِلوا في بنيانها من كَسْبكم إلاّ طيّباً ، لا تُدْخِلوا فيها مَهْر بغيّ ، ولا بيع رباً ، ولا مظلمة أحدٍ من الناس.

وأبو وهب خال أبي رسول الله ﷺ ، وكان شريفاً[1]. (٢: ٢٨٦/ ٢٨٧/ ٢٨٨).

٨٨٤ ـ حدّثنا ابنُ حميد ، قال: حدّثنا سَلَمة ، قال: حدّثنا محمّد بن إسحاق ، قال: ثم إنّ قُرَيشاً تجزّأت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف ، وزُهرة ، وكان ما بين الرّكن الأسود والرّكْن اليمانيّ لبني مخزوم ، وتيْم ، وقبائلَ من قريش ، ضُمّوا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَح ، وبني سَهْم ، وكان شقُّ الحِجْر ـ وهو الحطيم ـ لبني عبد الدّار بن قصيّ ، ولبني أسد بن عبد العُزّى بن قصيّ ، وبني عديّ بن كعب[2]. (٢: ٢٨٨).

٨٨٥ ـ ثم إنّ النّاس هابوا هَدْمَها وفرِقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المِعْوَل ثم قام عليها ، وهو يقول: اللهمّ لم تُرَعْ! اللهمّ لا نريد إلا الخير! ثم هَدَم من ناحية الرُّكْنين ، فتربّص النّاس به تلك اللّيلة ، وقالوا: ننظر؛ فإن أصيبَ لم نهدمْ منها شيئاً؛ ورددْناها كما كانت؛ وإن لم يصبه شيءٌ فقد رضِيَ الله ما صنعنا هَدَمْنا.

فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم والنّاس معه؛ حتى انتهى

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

الهَدْم إلى الأساس ، فأفضَوْا إلى حجارة خُضْرٍ كأنّها أسِنَّة آخذٌ بعضها ببعض[١] . (٢ : ٢٨٨/ ٢٨٩) .

٨٨٦ - حدّثنا ابن حميد ، قال: حَدّثنا سلَمة ، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عن بعض مَنْ يروِي الحديث: أنّ رجلاً من قريش ممّنْ كان يهدمها ، أدخل عَتَلةً بين حجريْن منها ، ليقلع بها أحَدهما ، فلما تحرّك الحجَر تَنَقَّضتْ مكة بأسْرِها ، فانتهوْا عند ذلك إلى الأساس.

قال: ثم إنّ القبائل جَمَعت الحجارة لبنائها ، جعلت كلّ قبيلة تجمع على حِدَتها ، ثم بنوْا حتى إذا بلغ البنيان مَوْضِع الرّكن ؛ اختصموا فيه ، كلُّ قبيلةٍ تريد أن تَرفعه إلى موضعه دون الأخرى؛ حتى تحاوزوا ، وتحالفوا ، وتواعدوا للقتال؛ فقرَّبت بنُو عبد الدار جَفْنة مملوءة دماً؛ ثم تعاقدوا هم وبنو عديّ بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديَهم في ذلك الدم في الجَفْنة؛ فسُمُّوا: لَعَقة الدم بذلك ، فمكثت قريش أربع ليالٍ ـ أو خمس ليال ـ على ذلك.

ثم إنّهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا ، وتناصفوا ! فزعم بعضُ الرّواة أنّ أبا أميّة بن المغيرة كان عامئذ أسنّ قريش كلّها ، قال: يا معشر قريش ! اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول مَنْ يدخلُ من باب هذا المسجد ، يقضِي بينكم فيه؛ فكان أوّلَ مَنْ دخل عليهم رسولُ الله ﷺ ، فلما رأوْه قالوا: هذا الأمين ، قد رَضينا به؛ هذا محمّد ! فلمّا انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال: هُلّم لي ثوباً ، فأتِيَ به. فأخذ الرّكن ، فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كلُّ قبيلة بناحيةٍ من الثّوب ، ثمّ ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه؛ وضعه بيده ، ثم بنى عليه؛ وكانت قريش تسمِّي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين.

قال أبو جعفر: وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَار عشرون سنة[٢] . (٢ : ٢٨٩/ ٢٩٠) .

وقال آخرون: بل نُبِّيء حين نُبِّيء وهو ابن ثلاث وأربعين سنة.

ذكر من قال ذلك:

٨٨٧ - حدّثنا أحمد بن ثابت الرازيّ ، قال: حَدّثنا أحمد ، قال: حَدّثنا

---

(١) ضعيف.

(٢) ضعيف.

يحيى بن سعيد عن هِشَام ، عن عِكْرمة ، عن ابن عبّاس ، قال: أنزِل على النبيّ ﷺ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة[1] . (٢ : ٢٩٢) .

٨٨٨ ـ حدّثنا ابن حُمَيد ، قال: حدّثنا جرير عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال: أنزِل على رسول الله ﷺ الوحيُ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة[2] . (٢ : ٢٩٢) .

٨٨٩ ـ حدّثنا ابن المثنّى ، قال: حَدّثنا عبد الوهّاب ، قال: حدّثنا يحيى ابن سعيد ، قال: سمعت سعيداً ـ يعني ابن المسيَّب ـ يقول: أنزِل على رسول الله ﷺ الوحي؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة[3] . (٢ : ٢٩٢) .

* * *

(١) ضعيف.
(٢) ضعيف.
(٣) ضعيف.

فهرس الموضوعات

* * *